الفِكرالصُوفي

في ضَوءِ الكتاب وَالسُنة

بقلم

عبدالرحمن عبدالخالق

مكتبة ابن تيمية / الكويت

الطبعة الثانية

خرج أحاديث الكتاب الأستاذ
محمد عيد العباسي

مكتبة ابن تيمية
للطبع والنشر والتوزيع
النقرة ـ شارع ابن خلدون
عمارة القاضي ـ مقابل مركز الغريب التجاري
ت : ٢٥٤٠٠٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . أحمده سبحانه وأشهد أنه لا ند له ولا شريك وأنه بذاته فوق عرشه عال على جميع مخلوقاته ومخترعاته ومصنوعاته وأنه هو الذي خلق الخلق وأوجد هذا العالم من العدم وأنه ما خلق الملائكة والجن والانس الا ليعبدوه ويوحدوه ويمجدوه وأن السموات والأرض وما فيهما جميعا كلّ له خاضع وأن الجميع وفق أمره ، ورهن مشيئته ، فما شاء كان وما لم يشأه لم يكن . وأثني عليه سبحانه وأصلي واسلم على عبده ورسوله محمد الذي بعثه الله اماما للناس وهاديا ومرشدا ومفرقاً بين الضلالة والهدى ، والكفر والايمان ، والشرك والتوحيد (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام له والله سميع عليم) .

وبعد :

فإن أعظم فتنة ابتلى بها المسلمون قديما وحديثا هي فتنة التصوف .. هذه الفتنة التي تلبست للمسلمين برداء الطهر والعفة والزهد والاخلاص ، وأبطنت كل أنواع الكفر والمروق والزندقة ، وحملت كل الفلسفات الباطلة ومبادىء الالحاد والزندقة . فأدخلتها الى عقائد الاسلام وتراث المسلمين على حين غفلة منهم . فأفسدوا العقول والعقائد ، ونشروا الخرافات والدجل والشعوذة ، ودمروا الأخلاق ، وأتوا على بنيان دولة الاسلام من القواعد حيث حارب المتصوفة العلم والجهاد والبصيرة في الدين ، بل والزواج والعمل والكسب ، فنصبوا للقرآن والسنة حربا لا هوادة فيها ، وحرفوا الناس عن تعليمها بكل سبيل زاعمين تارة أن القرآن والسنة علم

أوراق وظواهر وأن علمهم الباطني علم أرواح وحقائق واطلاع على الغيب ومشاهدة وتارة أخرى زاعمين أن أورادهم وأذكارهم تفضل ما في القرآن والسنة آلاف بل عشرات الآلاف من المرات وتارة ثالثة واصفين كل علماء الشريعة بأنهم محجوبون مرتزقة ظاهريون جامدون ، لم يتذوقوا الحقائق ولم يشاهدوا الغيب ، واختص المتصوفة أنفسهم وهم بوجه عام من الزنادقة المبتدعين والكفار المستترين بأنهم أهل العلم اللدنى ، والحقيقة .. واستطاعوا بذلك أن يدخلوا كل ما سطره الكفار والزنادقة الى عقائد المسلمين وأول ذلك ما يسمى بعقيدة الوحدة الوجود التي تنادي بأن الوجود كله وحدة واحدة فلا خالق ولا مخلوق ، الكل عين واحدة ، وحقيقة واحدة في زعمهم تعددت وجوداتها ، وتغيرت صفاتها ولكنها شيء واحد فالجنة والنار ، والرسل والشياطين ، والمؤمنون والكفار والطهارة والنجاسة ، والشرك والتوحيد شيء واحد وذات واحدة ، ولا فرق بتاتا - عندهم بين موسى وفرعون ، وابليس أفضل من محمد ﷺ وفضّل شيخهم الأكبرَ كما يدعون فِرعونَ على موسى لأن فرعون علم الحقيقة التي يدعيها الصوفية - حيث قال (أنا ربكم الأعلى) !! وهكذا خرج المتصوفة على المسلمين بدين ، هذه مبادئه دين يرى في ابليس مثالاً للفتوة والتوحيد . لأنه لم يرض أن يسجد الا لله بزعمهم ، وبفرعون إماما لأهل الايمان الصوفي .. لأنه عرف الحقيقة وأنه هو الله ، والحال عندهم أنه ليس في الكون الا الله ... دين لا يفرق بين خالق ومخلوق وشرك وتوحيد ، وكفر وايمان ، وطهر وفجور .. وجنة ونار .

أقول لقد استطاع المتصوفة افساد عقائد المسلمين في قرون متطاولة ، واستطاعوا كذلك افساد أعمالهم وشرائعهم وكانت لهم اليد الطولى في هزيمة العالم الاسلامي وسقوطه تحت نير الاستعباد والذل والتبعية لدول الكفر ، وكان التصوف هو المعبرة التي عبر عليها

الملحدون والزنادقة والمفسدون في الأرض والعباءة التي تستر بها كل من يريد التخريب والتدمير لامة الاسلام ورسالة القرآن ثم بعد ذلك كان التصوف هو الجسر الذي ركبه وعبره كل من يريد الوصول الى تعظيم الناس له ، واستعباد الآخرين ، وأكل أموالهم بالباطل فقد تحول الزنادقة ومن لا اصول لهم معروفة من الأعاجم والملاحدة فدخلوا في التصوف ، وانتسبوا زوراً الى أهل بيت النبوة وادعوا الكرامات والكشوف والعلوم الالهية اللدنية التي تنزل عليهم ، ومن ثم سخروا الناس لخدمتهم بل وعبادتهم من دون الله أحياءً وأمواتاً ، فحملت لهم الهبات والهدايا . وانهالت من كل حدب وصوب ، وقدسهم الناس وعظموهم تعظيماً لم تعرفه الملوك ولا ابناء الملوك من الجبابرة المفسدين واستطاع هؤلاء الزنادقة المتسترين أن يقيموا إقطاعيات دينية ، وممالك طائفية تربعوا على عروشها ، وجعلوها وراثة في اولادهم من بعدهم .

سبب تأليف الكتاب :

لقد كانت رؤية هذا الخطر الماحق على أمة الاسلام هو السبب الذي حداني أن أؤلف هذا الكتاب كاشفا القناع عن الحركة الصوفية قديما وحديثا مبصراً المسلمين بأبعادها مبينا مخاطرها وأهدافها .

منهج الكتاب وتقسيماته :

وقد صدر أصل هذه الرسالة سنة ١٩٧٥ م وقد شملت الجانب العقائدي فقط من التصوف وانشغلت عن إتمام الكتاب بمشاغل أخرى ثم يسر الله سبحانه وتعالى أن يتم الكتاب بالصورة التي كنت أطمع فيها حيث قسمت الكتاب الى أبواب ستة جعلت الباب الأول لبيان الخطوط العريضة لعقيدة الاسلام في

الكتاب والسنة ، وأنه لا عقيدة الا من القرآن والسنة ، ولا شريعة كذلك الا منها وأن كل ما خالفها فهو باطل . وذلك حتى تتضح هذه الحقيقة التي هي أصل الدين وأساسه والتي عمل الصوفية كل همهم لنقضها وهدمها ، **فالتصوف يقوم اول ما يقوم على هدم هذين الأصلين توحيد المعتقد ، وتوحيد العمل ، فعند الصوفية كل ما اعتقده الناس جميعاً مؤمنين وكفار وزنادقة وفلاسفة وعلى أي ملة ومذهب فهو حق ، وكل عمل وشريعة فهي حق وأما الاسلام فانه يقوم أول ما يقوم على أنه لا هدى الا هدى الاسلام ولا عقيدة حق الا عقيدة الكتاب والسنة ولا شريعة واجبة الاتباع الا شريعة الرسول محمد ﷺ وأنه لا صراط يوصل الى الله الا صراطه وأما المتصوفة فكل الطرق نافعة وصالحة وكل الشرائع مهما كانت فعينها واحدة .**

وخصصت الباب الثاني لمجمل تاريخ الشريعة الصوفية : كيف بدأ التصوف وكيف انتشر وما هي المراحل التي مر بها الى يومنا هذا والخطوط العريضة للفكر الصوفي في العقائد والشرائع .

وأما الباب الثالث فهو أوسع الابواب وقد شمل ثلاثة عشر فصلاً كلها في تفصيل المعتقد الصوفي كيف بدأ وكيف تطور الى أن وصل الى غاياته ونهاياته في القول بوحدة الوجود ، والمناداة بوحدة العقائد جميعا ، والأديان جميعا وجعل كل المتناقضات حقيقة واحدة (لله في زعمهم) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ثم عرضنا لعقيدة المتصوفة النهائية فشرحناها بحمد الله فصلاً فصلاً بدأنا بما سموه بالحقيقة المحمدية ويعنون بذلك أن الرسول هو أول موجود في الكون وهو المستوي على عرش الله فوق السماوات السبع ، وأنه هو الذي خلق هذا العالم من نوره وهو الذي أرسل الرسل وأنزل الشرائع وأن كل العوالم السفلية والعلوية من فعله وصنعته وتدبيره وأنه بذلك المظهر الحسي لله في زعمهم . الله الذي لا يعدو كونه عندهم هو مجموع هذا العالم !!

شرحنا عقيدتهم هذه بالنصوص من كتبهم ورددنا عليهم ثم بينا معتقدهم في الخضر عليه السلام والذي جعلوا له صورة وحقيقة غير ما جاء في الكتاب

والسنة ثم بينا عقيدتهم في علم الغيب وما سموه بالكشف . ثم قولهم في معراج الروح الى السماوات ونقلنا نقولاً مستفيضة من خرافاتهم وترهاتهم ثم بينا كذلك أقوالهم وعقائدهم في الولاية الصوفية وشرحنا كيف خلعوا كل صفات الربوبية على أوليائهم المزعومين . وبينا مراراً الولاية عندهم وتقسيماتهم لها ، ثم خصصنا فصلاً لمعتقدهم فيما سموه بختم الولاية ومن قال بذلك منهم قديما وحديثا ثم في عقيدتهم الخرافية في الديوان الذي يحكم العالم من جبل حراء بمكة !!

وأما الباب الرابع : فقد خصصناه للشريعة الصوفية فعرضنا لشريعتهم في الذكر وكيف يتلقون اذكارهم في زعمهم من الرسول يقظة لا مناماً ومن الله - في زعمهم - مكتوبة !! وكيف يتلقون من القبور ، وبينا أيضا ما زعموه من فضائل لأذكارهم المكذوبة . ثم بينا منهجهم وطريقتهم فيما سموه بالشطح . وشرحنا منهجهم في التربية الصوفية وكيف يغسلون الأمخاخ ويحولون العقلاء الى مجانين ومجاذيب ودراويش سائمة يسهل قيادهم وتوجيههم . وبينا في الفصل الرابع من هذا الباب الطرق الصوفية وشرحنا بالتفصيل طريقة حديثة مشهورة هي الطريقة التجانية لما لهذه الطريقة من شهرة وانتشار وفي الفصل الخامس نقلنا بالنص مناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية لاتباع الطريقة الرفاعية في وقته .

وأما الباب الخامس فقد شرحنا فيه الصلة بين التصوف والتشيع وانهما كانا دائماً وجهان لعملة واحدة . عملاً لاهداف واحدة وأخذ كل منهما عن الآخر .

وأما الباب السادس والأخير فقد بينا فيه موقف طائفة من علماء المسلمين قديما وحديثاً للفكر الصوفي بدءاً بالامام الشافعي رحمه الله الذي كان له السبق الأول في الكشف عن هذه الفرق الباطنية ثم الامام أحمد الذي فضح مسلكهم وحارب أوائلهم حتى اختفوا الى أن ماتوا وختمنا هذا الباب بشهادة لرجلين متأخرين كانا من رجال التصوف البارزين فهداهما الله الى الاسلام الصحيح وكتب كل منهما في فضح التصوف وهما الشيخ الدكتور تقي الدين

الهلالي والشيخ الراحل عبد الرحمن الوكيل .

هذا واني لأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وأن يكون هذا الكتاب النور الهادي للأمة لكشف غمة التصوف حتى تنزاح الى غير رجعة عن وجه العالم الاسلامي .

وقد حاولت جهدي أن أسهل العبارة وأشرح الغامض واختصر في الرد وأبسط واسترسل في النقل من كتب القوم وذلك لعلمي أن ظهور عقائد هؤلاء الزنادقة كافٍ في ابطالها وذلك أنها عقائد ينفر منها كل قلب سليم وكل فطرة لم تتنجس . وانه ليكفي فقط أن نكشف الهالة الزائفة التي أحيطت بالتصوف لتظهر الحقيقة العارية البغيضة المشينة والتي إذا علمها أي مسلم لا بد وأن ينكرها .

مميزات هذه الرسالة عن غيرها :

وأحمد الله أن هذا الكتاب قد تميز عن كتب كثيرة كتبت في بيان حقيقة الصوفية أنه كان موضوعيا مفصلاً وهو أول كتاب فصل بين العقيدة الصوفية والشريعة الصوفية وشرح كل باب من أبواب المعتقد الصوفي على حدة وكل شريعة لهم على حدة . وبذلك تكتمل الصورة عند القارىء ويفهم مغاليق التصوف ويتعرف على دروبه وسراديبه الخفية .

وفي الختام أسأل الله ثواب هذا العمل من عنده انه هو السميع العليم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله الأمين وأصحابه الطيبين الطاهرين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

عبد الرحمن عبد الخالق

الكويت في يوم الاثنين

٩ من ذي القعدة سنة ١٤٠٤ هـ

الموافق ٦ من أغسطس سنة ١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي وصف نفسه في كتابه ، وعلى ألسنة رسله ، فهدانا وعلمنا ، وشرح صدور أهل الايمان إلى توحيده وعبادته وتقديسه ، فشهدوا شهادة الحق أن الله إله واحد سبحانه ، كما قال عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو ، والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[1].

أحمده سبحانه ، وأستعينه وأستغفره ، وأسأله أن يجعلني أحد أولئك الذين شهدوا له بالوحدانية ، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله ، محمد الداعي إلى سبيل ربه على بصيره ، الذي وصف ربه بما أوحى إليه ، فأقام للناس دينهم الحق ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه ، ومن سار على نهجه القويم إلى يوم الدين .

وبعد :

فالحركة الصوفية حركة قديمة ، نشأت في منتصف القرن الثاني الهجري ، وبلغت قمتها العقائدية في أواخر القرن الثالث ، أي بعد مئة وخمسين سنة تقريباً . وأصبحت عقيدة عامة ، وديناً عاماً لعموم المسلمين الا قليلاً في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر ، وكانت هذه القرون قرون ظلام وجهل ، أفاق العالم الاسلامي بعدها على الغزو الأوربي لأراضيه . وكان العالم الإسلامي في ذلك الوقت في حالة بلغت منتهى السوء ، فإن كثيراً من علماء المسلمين لم

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨ .

يجدوا ما يجابهون به الفاتحين من الفرنسيين إلا أن يقرؤوا كتاب البخاري !! وكان ذلك في القاهرة وفي الأزهر ، ثم اصطحاب نابليون وإلباسه جبة المشيخة ، وإدخاله في حلقة من حلقات الذكر !!

وأما في المغرب فإن أتباع الشيخ أحمد التجاني كان لهم شرف خدمة الفرنسيين في ترسيخ أقدامهم في شمال أفريقيا وغربها ، وأما في السودان فإن السيد الميرغني والطريقة الختمية قد وطأت الناس لدخول الإنجليز ، والقضاء على الثورة المهدية .

وهذه الحركة الصوفية ما زالت تعيش إلى يومنا هذا ، بل هي في حالة بعث جديد تقوم عليه اليوم مراكز تعليمية كبيرة في بلاد الغرب وفي بلادنا الاسلامية ، وهناك حركة نشطة لبعث التراث الصوفي ، ليكون دعامة لبعث إسلامي في زعم القائمين على نشر هذا الفكر .

ولقد كانت صلتي بدراسة التصوف قديمة ، وذلك للموقف المتناقض الذي وقفه كثير من الباحثين والعلماء من هذه الحركة الصوفية ، ومن فكرها الذي نشأ عنها ، وكذلك للاختلاف الشديد حول رجالها ، فكم من رجل من رجال التصوف اتهمه أناس بالزندقة والالحاد ، ووصفه آخرون بالقديسية والقطبية والغوثية . ولقد كان هذا التناقض والاختلاف في موقف علماء الإسلام ازاء هذه الحركة ، وهذا الفكر باعثاً لي على النظر والتفكير والبحث .

فمكثت مدة طويلة أجمع القول إلى القول ، وأقف عند العبارة الغامضة طويلا ، وأفسر كلام القوم بعضه ببعض ، وأظن أنني الآن بحول الله قد عرفت مغاليق هذا الفكر ، ومساربه الخفية ، ولم يكن هذا الأمر سهلا قط ، بل يعلم الله أنني تحملت فيه كثيراً من الآلام النفسية المرهقة ، وذلك أن أساطين القوم قد مارسوا تشويهاً لكتاب الله عز وجل ، وقلباً لمفاهيم السنة الصحيحة ، لا يحيط به إلا الله ، ولا يطيق الوقوف عليه مسلم جاد !!

ولقد تجشمت مشقة ذلك لعلمي بعد الدراسة والجهد أن هذا الفكر هو أخطر ما يجابه المسلمين في الوقت الحاضر من مشكلات ، فمشكلة الفكر الصوفي مشكلة عقائدية ، والمشاكل العقائدية هي أخطر ما تقابله الأمة ، فالأمة يتحول عملها كله بتحول عقيدتها ، فالتتر عندما أسلموا تركوا حرب المسلمين ، والمسلمون عندما تركوا الإسلام ، وعقيدة الجهاد رضوا بالمستعمرين ، وتخلقوا بأخلاقهم ، وتثقفوا بثقافتهم .

وهذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ هو بحث في العقيدة الصوفية : ما هي ؟ وما الغاية التي تسعى المتصوفة الي غرسها ؟ وما الفروق بين هذه العقيدة وعقيدة أهل السنة ؟ وهذه العقيدة أنقلها لك بنصوصها من الكتب والمراجع الصوفية ، التي يعتبرها المتصوفة من أنقى كتبهم وأشهرها ، كاللمع للطوسي ، والتعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي ، وطبقات الصوفية للسلمي ، وغير ذلك من الكتب التي كتبت بأقلام رجال التصوف أنفسهم .

وستعلم من هذه الدراسة أن التصوف عقيدة فلسفية قديمة ، نشأت قبل الإسلام في الفلسفة الإستشراقية المنسوبة الي (أفلوطين) . والفلسفة الهندية القديمة ، والتي ما زالت عقيدة الهند الي اليوم ، وهي القول بوحدة الوجود ، وهذه العقيدة هي عقيدة كثير من شعراء الفرس قبل الإسلام ، وبعد الإسلام كجلال الدين الرومي .

وهذا يعني أن التصوف غير الزهد المعروف في العقيدة الإسلامية ، فالزهد شيئ ، والتصوف شيئ آخر ، يختلف عنه كل الإختلاف ، بل هناك فرق بين الزهد في عقيدة الكتاب والسنة ، والزهد في العقيدة الصوفية . فالتصوف فلسفة كاملة ، وعقيدة غايتها فتح القلب على علوم غيبية ، لا تتلقى عن الرسل ، بل تتلقى بطريق (الكشف) عن الله رأسا ، أو عن الرسول (حسب زعمهم) . ثم التحقق بعد ذلك أن لا موجود في الكون إلا الله ، وبذلك يصبح العبد هو الرب ، والرب هو العبد ، بل الكل شيئ واحد في الحقيقة ، متفرّق في الصور فقط !! وطريق الوصول الي هدا العلم الغيبي(الكشف) هو المجاهدة

بصور كثيرة ، وتختلف هذه الصور باختلاف الزمان والمكان ، والأشخاص والديانات !! ويجمعها أمور واحدة هي تعذيب النفس ، وترديد أذكار معينة ، والعزلة وترك الطهارات .

ولا يعني هذا أن كل رجل نسب الي التصوف كان يعتقد هذه العقيدة ، بل من وصل الغاية منهم وصل الي هذا ، ومن لم يعرف التصوف لم يصل الي هذه الغاية ، ووقف عند مرحلة من مراحل الطريق الصوفي ، الذي ينتهي بتلك النهاية . فالطريق الصوفي مراحل ، وكلام كل إنسان فيه يدل على المرحلة التي انتهى اليها .

والجوانب التي يجب أن يتعرض لها بحث كامل عن التصوف جوانب كثيرة ، لا يسعها هذا البحث ، ولذلك فقد اقتصرت في البحث الذي بين يدي القارئ الآن على بحث الجانب العقائدي فقط في الفكر الصوفي ، جوابا لسؤال هام : ما هو التصوف ؟ وما العقيدة التي ينتهي اليها ؟ وما موقف هذا الفكر من قضية الكتاب والسنة ؟ وأسأل الله أن يوفقني قريبا الي إخراج هذا البحث كاملا ، معالجا جميع القضايا التي أثارها هذا الفكر في العبادات والسلوك وتزكية النفس ، ثم الأثار السياسية والإجتماعية لهذا الفكر ، مع تعريف برجالاته ، منذ ظهوره الي يومنا هذا ، سائلا الله تبارك وتعالى أن يجعل في هذه الرسالة الميسرة هداية ونورا لأبناء أمتي الإسلامية ، الذين يعزهم الطريق المستقيم الي رب العالمين سبحانه وتعالى ، في وقت تختلط فيه السبل ، وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه ، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .

عبد الرحمن عبد الخالق يوسف
الكويت في غرة جمادي الآخرة ل ١٣٩٤

٢١ يونيو ١٩٧٤

الباب الأول
« الكتاب والسنة عقيدة ومنهجا »

أ ـ الكتاب والسنة عقيدة

١ ـ بُعث رسول الله ﷺ في عصر قد انطمست فيه معالم الإيمان بالحق تبارك وتعالى :

أ ـ فالعرب يعتقدون بوجود الله ، وأنه خالق الكون ، ومنزل المطر ، ولكن هذا الإله في نظرهم لا يستطيع إحيائهم بعد الموت ، وليست له غاية من خلق الناس غير هذه الدنيا التي خلقهم فيها ، فليس هناك قيامة ولا حساب ، ثم هو إله كملوك الإرض يتوسل إليه من أجل الرزق والمطر ، والنصر على الأعداء بكل حبيب عنده كالملائكة والصالحين .

ب ـ وأما النصارى فقد درس دينهم الحق ، ولم يبق عليه إلا أفراد قلائل ، وأما الكثرة الغالبة فقد اعتقدت أن عيسى هو الله أو ابن الله ـ تعالى ربنا عما يقولون ـ وجعلوا علمائهم ورهبانهم أرباباً ، ينفذون أقوالهم في كل شيئ ، ولو خالف ذلك نصوص الكتاب عندهم ، ورفعوا الصالحين منهم إلي منزلة التقديس والتأليه .

جـ ـ وأما اليهود فقد غالوا في تشبيه الله بخلقه ، ونسبوا اليه كل القبائح التي تنسب الي البشر من الكذب والبخل ، والغفلة ، وعدم العلم بالمستقبل .

د ـ وفي بلاد فارس والهند عاشت فلسفات كثيرة ، كل فلسفة تصور

معبودها بصورة تروق في عقل قائلها :

ـ ففلسفة نادت بإلهين للعالم : إله للنور وآخر للظلمة ، وزعمت صراعا بينهما ، ودعت الناس الي مساعدة إله الخير والنور ، بإشعال النيران لينتصر الحق على الباطل .

ـ وفلسفة نادت بخالق للكون ، يجب على الإنسان ان يجاهد نفسه بصنوف من المجاهدات حتى يفني به ويلتحق به ، ولا تنسخ روحه مرة ثانية بعد الموت الي هذا العالم .

ـ وفلسفة نادت بالوجود الكلي لذات واحدة ، تعددت وجوداتها بتعدد صفاتها ، ولهج الشعراء والكتاب من الفرس بحب هذه الذات التي تترائى لهم في كل شيء ، وتظهر لهم في كل موجود .

هـ ـ وفي اليونان ظهرت فلسفات كثيرة نادى معظمها بخالق للكون سموه واجبا للوجود أو علة للعلل ، عنه نشأ العالم وصدر ، ولكن هذه الفلسفة وقفت حائرة عاجزة أمام الغاية والهدف الذي من أجله خلق هذا الخالق الكون ، والنهاية التي يسير اليها الناس .

٢ ـ وكل هذه الفلسفات السابقة كانت محاولات بشرية لمعرفة الغيب ، وما وراء هذا العالم المشاهد ، وبديهي أن تنتهي هذه المحاولات البشرية بالاخفاق الذريع ، اذ لا سبيل للبشر الي معرفة الغيب الا الظن والحدس والتخمين ، أو الجن والشياطين .

٣ ـ بعث الله رسوله محمدا ﷺ ليرشد كل أولئك الحيارى الضالين الي ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى ، وليعلمهم الحكمة التي من أجلها خلقهم ، والغاية التي

اليها يسيرون ، والمنهج والطريق الذي يحبه الله لعباده ويرضاه لهم .

٤ ـ وقدم رسول الله ﷺ للناس الدليل الكامل على أنه رسول من الله تبارك وتعالى ، يأتيه الوحي من السماء ، فقال لهم : هذا كلام الله ، أقرؤه عليكم ، وإن لم تصدقوني فاتوا بسورة واحدة من مثله .

٥ ـ وكان على الرسول ﷺ أن يواجه كل هذا الركام من الأفكار والعقائد والمذاهب والفلسفات ، وأن يقيم الحجة والبرهان على فسادها جميعا ، وصحة ما يدعو هو الناس إليه ، وكانت المعركة عقائدية .

٦ ـ وتركزت هذه الحرب حول أصلين اثنين يتفرع عنهما فروع كثيرة :

أ ـ فالأصل الأول هو توحيد الله وحده ، وهذا يعني أنه الإله الخالق وحده ، المعبود وحده ، الذي لا يشاركه في صفاته وأفعاله أحد سبحانه وتعالى ، والذي يتصف بكل صفات الكمال والجمال والجلال ، وينتفي عنه أضداد ذلك .

ب ـ والأصل الثاني هو توحيد الطريق اليه ، فلا يحكم في شؤون الناس غيره ، ولا يتقرب اليه الا بما شرع هو سبحانه وتعالى ، وكان هذا هو معنى « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله »فلا إله إلا الله : ا لأصل الأول ، ومحمد رسول الله : الأصل الثاني .

٧ ـ ولقد نوزع رسول الله ﷺ في هذين الأصلين :
أ ـ فأما المشركون من العرب فقالوا : ﴿ أجعل الآلهة إلها واحدا ؟ إن هذا لشيء عجاب ﴾[1]وقالوا عن آلهتهم : ﴿ ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله

(١) سورة ص : الآية ٥

زلفى)[1] وقالوا : ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾[2] .

وكان رد الله تبارك وتعالى : ﴿ قل : لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾ ، ﴿ قل : لله الشفاعة جميعاً ﴾[4] .

وعن الأصل الثاني قال تعالى هادماً تشريعاتهم الباطلة في الحلال والحرام والتقرب : ﴿ أم شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟﴾[5] .

ب و جـ ـ وأما اليهود والنصارى فزعمت كل طائفة أن طريقها هو الصواب ، وأن معبودها هو الحق ، وأن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، فكان رد الله تبارك وتعالى : ﴿ قل : إن هدى الله هو الهدى ﴾[6] ، ﴿ قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[7] .

والقرآن كله بيان لجهاد الرسول ﷺ مع هذه الطوائف الثلاث في شأن هذين الأصلين .

٨ ـ وآمن بالرسول ﷺ رجال أخلصوا دينهم لله ، فأحبوه وآثروه على كل شيء ، وأحبوا رسوله ﷺ ، وافتدوه بأرواحهم وأنفسهم ، وبذلوا الجهد في متابعته وطاعته ، وفي تنزيه الله وتقديسه وعبادته ، وتحققوا بهذين الأصلين ، وقاموا بها خير قيام حتى أثنى عليهم الحق سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من كتابه . من ذلك قوله جل وعلا :

﴿ محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾[8] الآية ، فرضي عنهم سبحانه ورضوا عنه ، وعرفوه حق معرفته ، وقاموا

---

(١) سورة الزمر : الآية ٣
(٢) سورة يس : الآية ١٨
(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٢
(٤) سورة الزمر : الآية ٤٤
(٥) سورة الشورى : الآية ٢١
(٦) سورة البقرة : الآية ١٢
(٧) سورة آل عمران : الآية ٣١
سورة الفتح : الآية ٢٩

بدينه خير قيام .

وأثنى عليهم رسوله ﷺ فقال : « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم»[1] وشهد لأفراد منهم بالجنة والفضل ، وكان من هؤلاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي قال عنه رسول الله ﷺ : «وزنت بالأمة فرجحت ، ووزن أبو بكر بالأمة ـ لست فيها ـ فرجح ، ووزن عمر بالأمة ـ لست فيها وأبو بكر ـ فرجح »[2] .

وقال : « لو كان نبي بعدي لكان عمر »[3] وقال لبلال : «اني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة»[4] ونحو ذلك كثير جداً .

٩ ـ ومع ذلك فقد حرص رسول الله ﷺ طيلة حياته على بقاء أصلي التوحيد «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » نقيين صافيين ، فما كان يسمح بتاتا بخدش هذين الأصلين ، ولو من أحب الناس لديه وآثرهم عنده ﷺ .

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود ، وغيرهم عن غيره .

(٢) رواه أحمد (٧٦/٢) بنحوه واسناد ضعيف ، فيه عبيه الله بن مروان أورده ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل ـ ٣٣٤/٥) ولم يحك فيه جرحا ولا تعديلا ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وفيه أيضاً أبو عائشة أو رده صاحب (الجرح والتعديل ـ ٤١٧/٩) ولم يحك فيه كذلك جرحاً ولا تعديلاً ، وعلى هذا فهما مجهولان وباقي رجاله ثقات . وروى أحمد (٤٤/٥ و ٥٠) وأبو داود (٤٦٣٤) والترمذي (٢٣٨٩ ـ تحفة) وصححه ، كلهم عن أبي بكرة أن أحد الصحابة رأى في منامه أن ميزاناً دلي من السماء ، فوزن به النبي (ص) وأبو بكر ، فرجح النبي (ص) ، ثم وزن به أبو بكر وعمر ، فرجح أبو بكر ، ثم وزن عمر وعثمان ، فرجح عمر ، ثم رفع الميزان . وقد قواه أستاذنا الألباني في (تخريج المشكاة ـ ٢٣٣/٣) بطريقيه .

(٣) رواه بنحوه أحمد (١٥٤/٤) والترمذي (٢٩٣/٢) وحسنه والحاكم (٨٥/٣) وصححه وغيرهم ، كلهم عن عقبة بن عامر مرفوعاً ، وحسنه أستاذنا الألباني في السلسلة الصحيحة ـ ٣٢٧) وفي (صحيح الجامع ـ ٥١٦٠) .

(٤) رواه البخاري (٢٧٦/٣ ـ من الفتح) وأحمد (٣٣٣/٢ و ٤٣٩) عن أبي هريرة ، ولفظ البخاري : قال النبي (ص) لبلال عند صلاة الفجر : « يا بلال ، حدثني بأرجى عمل عملته في الاسلام ، فاني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة» قال : « ما عملت عملاً أرجى عندي أني لم أتطهر طهوراً في ساعة ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي» . ودف النعل هو صوت حركتها الخفيف وسيرها اللين .

ومن الأدلة على ذلك :

أ ـ أنه رأى يومابيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة ، وكان عمر قد أعجبه ما فيها ، فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا ، وقال لعمر : «أهذا وأنا بين أظهركم ، لقد جئتكم بها بيضاء نقية .. والله لو كان موسى حيا لما وسعه إلا أن يتبعني»[1] وفي هذا الحديث من الفقه :

أولا : ان الرسول ﷺ تعجب أن يبدأ الأهتداء بغير الكتاب والسنة وهو ما زال حيا . ومن مقتضى الإيمان بالكتاب والسنة ان يعتقد أن الهدى فيهما وحدهما .

وثانيا : أن الرسول ﷺ قد جاء بالدين نقيا خالصا ، لم تشبه شائبة من تغيير أو تبديل أو تحريف ، والصحابة يتلقونه غضا طرياً خالصاً ، فكيف ينصرفون عنه ويهتدون بما شابه التحريف والتبديل ، والزيادة والنقص .

وثالثا : ان موسى عليه السلام نفسه الذي نزلت عليه التوراة لو أنه حي موجود لكان اللازم في حقه هو متابعة الرسول ، وترك شريعته التي بلغها للناس .

وهذا الحديث أصل في بيان منهج الكتاب والسنة ، وانه لا يجوز لأحد أن يهتدي بعلم يقرب الي الله ، ويصلح النفس غير الذي بعث به رسول الله ﷺ حتى لو كان أصله من شريعة منزلة على أحد الأنبياء السابقين .

ب ـ والدليل الثاني أن رسول الله ﷺ سمع خطيباً يخطب بين يديه فكان مما قاله : « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى» فقال له : رسول الله ﷺ : « بئس خطيب القوم أنت ، قل : ومن يعص الله

---

(١) رواه بنحوه الامام أحمد في مسنده(٣/٣٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان ، والدرامي(١/١١٥ ـ ١١٦) بأتم منه ، قال أستاذنا الألباني في (تخريج المشكاة ـ ١/٦٣) : «فيه مجالد ابن سعيد ، وفيه ضعف ، ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما ، وقد خرجت بعضها في (الارواء ـ ١٥٨٩) » .

ورسوله فقد غوى»[1]

فهذا الخطيب قد قاطعه رسول الله ﷺ ، وقبّح قوله أمام الناس ، والسبب أنه جمع بين الله ورسوله في ضمير واحد «ومن يعصهما» فأمره الرسول ﷺ بأن يعيد ذكر الاسم الظاهر لله ولرسوله ، حتى لا يُظن ولو من بعيد أن منزلة الرسول كمنزلة الله عز وجل وهذا الحرص من الرسول ﷺ دليل على وجوب صون جناب توحيد الله تبارك وتعالى صوناً كاملا ، ووجوب التفريق التام بين ما يجب لله عز وجل ، وما يجب لرسوله ﷺ .

جـ - والدليل الثالث أن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وكان من خيار الصحابة لما توفي ، وحضر عنده الرسول ﷺ سمع الصحابية الجليلة أم العلاء تقول : شهادتي عليك أبا السائب أن الله قد أكرمك .. فرد الرسول ﷺ وسلم قائلا « وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ » وكان هذا تنبيها عظيما من الرسول ﷺ لهذه الصحابية بأنها قد حكمت بحكم غيبي ، وهذا لا يجوز ، لأنه لا يطلع على الغيب إلا الله عز وجل ، ولكنها ردت قائلة : « سبحان الله يا رسول الله !! ومن يكرم الله إذا لم يكرمه ؟ » أي إذا لم يكن عثمان بن مظعون رضي الله عنه ممن يكرمهم الله تبارك وتعالى فمن بقي منا حتى يكرمه الله تبارك وتعالى ، وهذا رد في غاية البلاغة والفهم ، ولكن رسول الله ﷺ رد عليها بما هو أبلغ من ذلك حيث قال لها : « والله إني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً » وكان هذا نهاية الأمر وحسمه ، فالرسول بنفسه وهو من هو صلوات الله وسلامه عليه يجب أن يظل خائفاً مترقباً (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) وهنا وصلت أم العلاء الى الحقيقة الشرعية العظيمة فقالت : « والله لا أزكي بعده أحداً أبداً »[2] .

وهذا الاصل مقرر في الشريعة في آيات وأحاديث كثيرة ، منها قوله تبارك وتعالى : ﴿ **ألم تر الذين يزكون أنفسهم ، بل الله يزكي من**

---

(١) رواه مسلم (١٥٩/٦ - بشرح النووي) وأحمد (٢٥٦/٤ و ٣٧٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٥٨/٣ و ٢٢٣/٦ و ٢٢٤ و ٢٦٦/٨ و ٤٩/٠٦ و ٦٩ - من الفتح) واحمد (٤٣٦/٦) عن أم العلاء الانصارية بنحوه .

يشـــــاء ، ولا يظلمـــــون فتيـــــلا ، انظر كيف يفترون على الله الكـــــــذب وكفى بـــــــه إثمـــــــاً مبيناً﴾[1] ومنها قوله : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءاً يجز به ، ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً﴾**[2] وكان هذا رداً على اليهود الذين قالوا : نحن أهل الجنة ،ونحن شعب الله المختار، وردا على النصارى الذين قالوا : بل نحن أهل الجنة ، لأننا أتباع ابن الله المخلص للبشر من خطيئتهم ، ورداً ايضاً على المسلمين الذين قالوا : بل نحن أهل الجنة لأننا أتباع رسوله محمد خاتم الرسل والموحدين ، فأخبر تعالى أن الجنة ليست بالأماني ، وإنما بالعمل الصالح ، وأن من عمل سوءاً يجز به ، ولا تنفعه نسبته وروى[3] في الحديث : « من قال أنا في الجنة فهو في النار» .

د ـ والدليل الرابع ان رجلا جاء الى الرسول ﷺ فقال له : « ما شاء الله وشئت » فقال له ﷺ : « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده »[4] ، فجعل ﷺ المشيئة لله وحده ، حتى يعلم المؤمنين أن لا مشيئة لأحد مع مشيئة الله تبارك وتعالى .

هـ ـ وأما الدليل الخامس فهو أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم مروا في أثناء خروجهم الى هوزان بعد فتح مكة على شجرة ، كان المشركون يعلقون عليه سيوفهم ، ظانين أنه من فعل ذلك حالفه النصر في معاركه مع

---

(١) سورة النساء : الآيتان ٤٩ و ٥٠

(٢) سورة النساء : الآية ١٢٣

(٣) فيه إشارة إلي ضعفه ، وقد أورده الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٢٣) ضمن الحديث على حديث : «من قال : أنا مؤمن فهو كافر ، ومن قال : أنا عالم فهو جاهل» وعزاه الي (المعجم الصغيرللطبراني عن يحي بن أبي كثير) وقال : «وسنده ضعيف ، وهو عند الديلمي في مسنده عن جابر بسند ضعيف جدا ،ورواه الحارث بن أبي أسامة من جهة قتادة عن عمر بن الخطاب موقوفا عليه ، وهو منقطع» .

(٤) رواه أحمد(٢١٤/١ و ٢٢٤ و ٢٨٣ و ٣٤٧) والبخاري في الأدب المفرد ـ ٧٨٣) وغيرهما ، وأورده أستاذنا الالباني في (السلسلة الصحيحة ـ ١٣٨) وعزاه إلي مخرجيه ، وحسنه .

العـدو ، فقـالوا : يـا رسول الله اجعل لنـا ذات أنواط كما لهم ذات أنـواط . أي شجرة ينوطون بها أسلحتهم . فقال لهم الرسول ﷺ : « قلتم والذي نفسي بيـده كما قال بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهـة ..** ﴾[1] فبين ﷺ أن هذا من عمل المشركين ، وأن مشابهتهم في هذا شرك بالله تبارك وتعالى ، إذ طلب البركة والنصر من غير الله عز وجل شرك به تعالى .

١٠ ـ والأدلة السابقة كلها لبيان أن الرسول ﷺ ما كان ليسمح بتاتاً بخدش الأصل الأصيل في الإسلام ، وهو توحيد الله عز وجل ، والقول عليـه بلا علم . وأخذ الهداية من غيره سبحانه وتعالى ، وغير رسوله ﷺ .

١١ ـ وقد سدَّ رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بـاب العرافـة والكهـانـة وادعاء علم الغيب ، وأخبر ﷺ أن مدعي ذلك كافر ، وأن من صدَّق عرافـاً أو كاهنـاً فقـد كفر بمـا أنـزل على محمـد ﷺ ، وقـد سئـل ﷺ عن العرافين فقـال : « ليسـوا بشيء » هكـذا بنفي قيمتهم وتحقيرهم ، فقـال لـه أصحابه رضوان الله عليهم : ولكنهم يخبروننا أحيـانـاً بـالأمر ، فيكون كما قـالوا فـأخبرهم الرسول ﷺ أن الشيـاطين تركب بعضهـا بعضـاً وتصـل إلى العنـان ، وتسمع الملائكـة تتكلم بـالأمر من أمر الله تعـالى ، فيتعلمونـه منهم ، فيرسل الله عليهم الشهب ، فيلحقهم الشهاب أحياناً فيحرقهم ، وأحيـانـاً يلقون الكلمـة إلى من هو أسفل منهم قبـل الشهـاب ، فيكـذب الشيطـان مع هـذه الكلمـة مئـة كذبة ، فلذلك يصدق أولياء الشياطين من الإنس مرة ، ولكنهم يكذبون كثيراً .[2]

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢١٨/٥) والترمذي في (سننـه ـ ٤٠٧/٦ و ٤٠٨ ـ تحفـة) وقـال : « حديث حسن صحيح » قلت : وإسناده صحيح كما قال ، ورجاله رجال الستة غير سنان بن أبي سنان فلم يرو له أبو داود وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم في (صحيحه ٢٢٥/١٤ ـ نوري) ولفظـه : « قـالت عـائشـة : سأل أنـاس رسول الله ﷺ عن الكهـان ، فقـال لهم رسول الله ﷺ : ليسـوا بشيء . قـالوا : يـا رسول الله ، فـإنهم يحـدثون أحيانا الشيء يكون حقاً ؟ قال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفهـا الجني فيقرهـا في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها أكثر من مئة كذبة » . =

١٢ ـ ولما شك الصحابة في (ابن صياد اليهودي) الذي كان يسكن المدينة ، وظنوه الدجال الذي حدث عنه رسول الله ﷺ ، وأخذ الرسول معه جماعة وزاره في منزله قال له الرسول مختبراً : « لقد خبأت لك خبئاً .... »

وكان الرسول ﷺ قد أضمر في نفسه (سورة الدخان) فسأله الرسول عما في نفسه ، فقال عدو الله : « هو الدخ » ولم يستطع ان يكمل الكلمة ، فقال له رسول الله ﷺ : «اخسأ فلن تعدو قدرك » . أي لن تتعدى كونك كاهناً تتصل بالجن . ولذلك قال له رسول الله ﷺ « كيف ترى ؟ » قال : يأتيني أحياناً صادق وكاذب . أي تأتيه أخبار من الشيطان صادقة أحياناً ، وكاذبة أخرى ، فقال رسول الله : «لقد لُبِّس عليه »[1].

وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان من الممكن أن يطلع على ما في نفس المؤمن ، ويخبر وليه من الإنس ، وأننا مأمورون ألا نصدق من الغيب إلا ما أتانا من طريق الله ، ومن طريق رسوله ﷺ فقط .

وكل هذه الأدلة التي ذكرناها ، وغيرها لا يحصى ، إنما كانت لتثبت الجانب العقائدي الايماني في دعوة الرسول ﷺ ، وبيان أن العقيدة والايمان بالغيب مصدره الله تبارك وتعالى ، وأنه لا يجوز لمسلم بتاتاً أن يتخذ طريقاً آخر للغيب يتلقى عنه ، وأن من فعل ذلك فقد خرج من الايمان بالله تعالى .

= وأما صعود الشياطين إلى السماء لاستراق السمع ، وقذفهم بالشهب فقد ورد في حديث آخر رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه ، منها كتاب التفسير (٤٥٢/٩ ـ فتح) عن ابي هريرة ، وعزاه ابن كثير إلى ابي داود والترمذي وابن ماجه أيضاً . كما ورد مثله في حديث رواه مسلم في صحيحه (٣٦/٧ و ٣٧ نووي) واحمد وغيرهما عن ابن عباس عن رجل من الأنصار .

(١) رواه بنحوه مطولا البخاري (٤٦٢/٣ و ٥١٢/٦ و ١٨٠/١٣ ـ من الفتح) ومسلم (٤٦/١٨ و ٥٨ ـ بشرح النووي) وغيرهما .

ب ـ الكتاب والسنة منهجا

للتشريع ميادين كثيرة منها العبادات ، والمعاملات ، والسياسة وأمور المعاش والحياة ، وباب الاجتهاد مفتوح فيها جميعاً إلا العبادات فليس فيها اجتهاد ، فكل ما يتقرب به الى الله تبارك وتعالى من أعمال يجب الوقوف فيها عند الحد المشروع ، ولم يسمح الرسول ﷺ لأحد أن يزيد على ما قال فيها ، أو أن يبدل شيئاً منها ، وهاك بعض الأدلة التي تثبت هذا الأصل من أصول الايمان :

أ ـ رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي في الحج بين رجلين يسندانه فقال ﷺ : «ما هذا؟ » فقالوا : يا رسول الله نذر أن يحج ماشياً . فقال ﷺ : «إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني !! مروه فليركب »[1] فنهى ﷺ عن فعل لم يشرعه الله عز وجل ، وان كان فاعله قاصداً به التعبد والتقرب الى الله عز وجل .

ب ـ ورأى رسول الله ﷺ رجلاً آخر يجلس في الشمس فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله نذر أن يصوم ، ولا يتكلم ويجلس في الشمس فقال صلوات الله وسلامه عليه : « ليتم صومه ، وليتكلم وليجلس في الظل »[2] فأقره رسول الله ﷺ على الصوم الشرعي فقط ، ونهاه عن الصوم المبتدع وهو السكوت ، وان كان مشروعاً في شريعة سابقة كما في قصة زكريا وقول مريم عليها السلام : ﴿**إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾[3] ولكن الله عز وجل لم يتعبدنا بهذه الشريعة وأمره بأن يتحول الى الظل ، لأن الجلوس في الشمس مع وجود الظل تكلف سخيف ، وخروج عن

---

(١) رواه بنحوه البخاري (٤/٤٥٠ و ٤٥١ ـ فتح) ومسلم (١١/١٠٢ و103) وغيرهما عن أنس .

(٢) رواه بنحوه البخاري (١٢/٤٠١ و ٤٠٢) وابو داود (٣٣٠٠) وغيرهما عن ابن عباس .

(٣) سورة مريم : الآية ٢٦ .

جادة الحق ، وعبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالى .

جـ - وأبلغ من الدليلين السابقين حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن أباه شكاه الى الرسول ﷺ بأنه زوجه امرأة من أشراف العرب ، ومكث يسألها كل يوم : كيف رأيت زوجك ؟ فقالت : صالحاً غير أنه لم يطأ لنا فراشاً .. وذلك لخمس عشرة ليلة ، فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص . بلغني أنك تصوم النهار وتقوم الليل فقال : نعم يا رسول الله . ثم قال له الرسول ﷺ: صم من كل شهر ثلاثة أيام فقال: يا رسول الله! قال ﷺ : خمساً . قال : يا رسول الله ! قال سبعاً .. قال : يا رسول الله ! قال : تسعاً : ثم قال له في النهاية : صم صيام أخي داود كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى » .[1]

وفي هذا الحديث من الفقه أن منهج الاسلام هو الاعتدال بين حاجات الانسان كلها فيعطي الانسان حق ربه ، ولا ينسى في سبيل ذلك حق زوجه ونفسه ، وعينه وقوته . ولذلك جاء في الحديث الصحيح : « إن لربك عليك حقاً ، ولزوجك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه»[2] .

وهنا لفظة في الحديث يجب ان نقف عندها طويلاً ، وهي أن المسلم لا يجوز أن يصوم صوما يضعفه حتى إنه ليفر من العدو ، ولذلك قال الرسول لعبد الله : «فصم صيام داود كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى» وهذه القوة البدنية للقاء العدو مطلوبة في الاسلام ، لأن الجهاد هو من أعلى مراتب الاسلام . فالذين يميتون قواهم بالتعبد ولو كان أصله مشروعاً ، ويطغى هذا على جانب آخر من العبادة فإنهم مفرطون بهذا الفعل ، عاصون لله تبارك وتعالى من جهة أخرى .

---

(١) هذا الحديث مركب من روايتين رواهما مسلم في صحيحه (٤٤/٨ - ٤٧ نووي) بنحوه ، كما روى نحوه البخاري (١٢٤/٥ فتح) .

(٢) رواه البخاري (١١٤/٥ فتح) في قصة سلمان وابي الدرداء ، وفيه ان المتكلم بهذا هو سلمان ، وقد صدق النبي (ص) كلامه هذا . وفي قصة ابن عمرو الجملتان الأوليان منه مرفوعتين .

د ـ وفي الحديث الصحيح الآخر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صومه ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، وجلس عمر بن الخطاب يقول : رضينا بالله ربا ، وبالاسلام دينا حتى سكن غضب النبي ﷺ [1] ، وسِرُّ غضبه صلوات الله وسلامه عليه أن هذا السائل أراد أن يضاهي فعل الرسول في هذه العبادة التي كان له فيها خصوصية ، وهي أنه يواصل اليوم واليومين والثلاثة ، وكان يُسأل ﷺ عن ذلك فيقول : «لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» [2] .

هـ ـ وأبلغ هذه الأدلة كلها في مسألة التعبد والتقرب ، وأنه لا يجوز فيه إلا اتباع المشروع ، والتقيد بالكتاب والسنة هو حديث النفر الثلاثة الذين أتوا الى بيوت النبي ﷺ ، فسألوا عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقال أحدهم : وأين نحن من رسول الله ﷺ ! إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. أما أنا فأقوم ، ولا أنام وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الثالث : أما أنا فلا أتزوج النساء . فلما رجع رسول الله ﷺ وأخبر خبرهم صعد المنبر ، وجمع الناس ثم قال : ما بال أقوام يقولون كذا .. أما إن أعلمكم بالله ، وأتقاكم لله أنا ، أما إني لأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » [3] .

وفي هذا الحديث من الفقه شيء كثير ويهمنا الآن ما نحن بصدده ، وهو أن أي تجاوز فيما شرعه رسول الله ﷺ في العبادات التي يتقرب بها الى الله عز وجل ، فمعنى ذلك الخروج من منهج الإسلام إلى منهج آخر حتى ولو صلحت النيات ، وأريد بذلك وجه الله عز وجل ، فإن الرب تبارك وتعالى لا يُعبد إلا بما شرع .

وأمر آخر وهو أن تجاوز فعل الرسول ﷺ ، سواء كان بتشريع جديد

---

(١) رواه مسلم (٤٩/١ ـ ٥١) عن ابي قتادة الانصاري رضي الله عنه بنحوه مطولاً .

(٢) رواه مسلم (٢١٢/٧ و ٢١٥) بنحوه عن أبي هريرة وعائشة وأنس رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن انس رضي الله عنه وليس فيه صعود المنبر وجمع الناس .

كالترهُّب ، أو الزيادة في المشروع كالصيام أبداً ، وقيام الليل كله هو اتهام للرسول ﷺ أنه لم يكن في القمة من معرفة الله تبارك وتعالى ، والقيام بحقه . ولذلك قال أولئك النفر : وأين نحن من رسول الله ﷺ !؟ إنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، يعنون أن الله قد غفر ذنوبه ، فليس بحتاج الى اجتهاد في العبادة ، ومعنى هذا أن الرسول قد ترك شيئاً من وسعه في العبادة استنادا إلى هذه المغفرة ، والحظوة عند الله تبارك وتعالى ، وهذا من الاعتقادات التي لا تليق في حق الرسول ﷺ الذي مترك وسعاً في عبادة الله وطاعته ، وكان ﷺ في القمة دائماً ، وفي المقدمة دائماً كما أمره بذلك ربنا سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين**﴾[1]فهو ﷺ أول المسلمين في كل شيء ، فلا يجوز لمسلم أن يظن فيه غير ذلك ، والزيادة على ما شرعه انما هي اتهام له ﷺ ، ولذلك قال : «إن أعلمكم بالله ، وأتقاكم لله أنا » ثم فاصل بين من أراد طريقه بالالتزام ، ومن لم يلتزم قال له «فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

١٦ ـ ولم يكتف الرسول ﷺ ببيان كل ذلك ، بل أعلن في كل خطبة من خطبه للناس : « وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار »[2]وقال أيضاً : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »[3] فكل عمل محدث يراد به التقرب إلى الله عز وجل فهو مردود على صاحبه ، والتعبد هو بالمشروع فقط .

١٧ ـ ولقد أصل الرسول ﷺ بعد ذلك أصلا خطيراً ، وهو تعمد مخالفة أهل الكتاب والأمم الأخرى ، وذلك حتى تتحقق ميزة الأمة بالمنهج المستقل والأفعال المستقلة ، وحتى لا تختلط أفعال الأمة وعباداتها بأفعال الأمم الأخرى

---

(١) سورة الانعام : الآيتان ١٦٢ و ٦٣ .

(٢) هاتان الجملتان جزء من خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه ، والجملة الاولى عند مسلم والبيهقي ، وهي الجملة الثانية عند النسائي ، واسناده صحيح ، وانظر رسالة (خطبة الحاجة) لاستاذنا الالباني فقد جمع فيها طرقها ورواياتها .

(٣) رواه البخاري مسلم .

وعباداتها ، فأمر أن نصلي بالنعال والخفاف مع العلم أن خلعها أتم لمعاني الخضوع والذلة ، وذلك مخالفة لليهود والنصارى الذين لا يصلون في خفافهم ونعالهم . فقال : «إن أهل الكتاب لا يصلون في خفافهم ونعالهم ، فصلوا في خفافكم ونعالكم »[1] .

ولهذا الأصل أدلة وشواهد لا تحصى كثرة[2] ، والمراد هنا التنبيه إلى أن الأمة الاسلامية يجب أن تكون أمة مستقلة في كل شيء : المنهج والعبادة ، والسلوك والآداب والعبادات ، وحتى اللباس والمظاهر والعادات .

١٨ ـ وأرجو أن أكون بهذه المقدمة قد أوضحت جانباً من هذه القضية : قضية الالتزام بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة ، وسلوكاً وآداباً بالمشروع فقط .

الصحابة رضوان الله عليهم والأصلان السابقان :

١٩ ـ فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الأصل الأصيل لأنه مقتضى قولهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فاتبعوا هذا الأصل ، وكانوا حراساً له ، فما شاهدوا انحرافاً ولو يسيراً إلا شددوا نكيرهم على فاعليه ، وبتروه من أصله . ومن أكبر الأدلة على ذلك أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد في الكوفة فرأى حلقاً ، وفي وسط كل حلقة كوماً من الحصى ، ورجل قائم على كل حلقة يقول لهم : سبحوا مئة فيسبحون مئة . احمدوا مئة فيحمدون مئة . كبروا مئة ، فيكبرون مئة فقال لهم بن مسعود رضي الله عنه : يا قوم ! والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله أو مقتحمو باب ضلالة[3] ، وهذه

---

(١) رواه ابو داود (٦٥٢) عن شداد بن أوس ، وإسناده صحيح ، ولفظه : «خالفوا اليهود ، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» . وصححه الالباني في (صحيح الجامع ـ ٣٢٠٥) و (تخريج المشكاة ـ ٧٦٥) .

(٢) من أجمع الكتب المؤلفة في ذلك كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » لشيخ الإسلام ابن تيمية والفصل الخاص بحرمة التشبه بالكفار من « حجاب المرأة المسلمة » للألباني .

(٣) رواه الدارمي (٦٨/١) بتمامه مع بعض اختلاف ، وإسناده جيد ، وصححه استاذنا الالباني في رسالة (الرد على التعقب الحثيث ص ٤٥) .

قضية منطقية سليمة ، فهؤلاء إما أن يكونوا أهدى من الرسول ﷺ ، لأنهم قد وفقوا لعمل لم يصل اليه علم رسول الله ﷺ ، واما أن يكونوا في ضلالة ، والفرض الأول منتف حتماً ، لأنه لا احد أفضل من رسول الله ﷺ ، فلم يبق إلا الفرض الآخر ، وهو أنهم قد اقتحموا باب ضلالة ، فقالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير ، وهذا دليل منهم على صلاح نياتهم ، وإرادتهم وجه الله تبارك وتعالى بهذا العمل المبتدع . ولكن عبد الله بن مسعود قال لهم : «وكم من مريد للخير لم يبلغه» !! وهذا معناه أن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل ، بل لا بد أن ينضاف الى ذلك التقيد بالمشروع .

٢٠ ـ وبالغ الصحابة رضوان الله عليهم في حماية جناب الدين وجانبه أن يدخل فيه الغريب ، وماليس منه حتى يصفو للناس التأدب بالأدب الخالص ، والتخلق بالخلق الكامل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فطرد علي بن أبي طالب رضي الله عنه القصاصين من المساجد ، وهم الوعاظ الذين يعظون الناس ، ويزعمون ترقيق قلوبهم بالقصص الخيالي ، والحكايات والأساطير ، وأنكر ابن عمر على رجل عطس ، فقال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قائلا له : ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ بل قال اذا عطس أحدكم فليحمد لله ولم يقل : وليصل على رسول الله [1] !!

الحقائق ... والموازين :

وبمجموع هذه الأدلة يتضح لنا الحقائق التالية لفهم قضية الكتاب والسنة :

أولا ـ الهدى هو ما كان من الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ فقط ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾ ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾

---

(١) رواه بنحوه الترمذي (٩/٨تحفة) وفيه ضعف ، ورواه أيضا الطبراني والبزار فينظر اسنادهفيهما ، فلعله يقوي به .

وإن هذا الهدى محصور في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقط ، وليس وراء هذا طريق ثالث يقرب إلي الله ، ويباعد عن النار .

ثانيا ـ ان كل عقيدة تخلف كتاب الله وسنة رسوله فهي عقيدة باطلة ، يجب حربها والقضاء عليها .

ثالثا ـ إن كل زيادة أو نقص في تشريع العبادات والسلوك يراد به التقرب إلي الله تبارك وتعالى ، وإصلاح النفس إنما هو بدعة مرفوضة ، حتى لو كان صدر هذا ممن ينتسبون إلي الإسلام ويدعون إليه .

رابعا ـ إن كل من ادعى علما غيبيا في كتاب الله وسنة رسوله ، زاعما أنه قد وصل بطريق الجن أو الفيض أو الفتح ، أو الإتصال بالسماء فإنما هو كاذب مارق .

خامسا ـ أن أقوال العلماء في أمور الدين لا تؤخذ قضية مسلمة قط ، بل لا بد من عرضها على الكتاب والسنة ، فما وافق أخذ وما خالف ذلك رد ، وإذا جاز لنا أحياناً الأخذ بها والعمل بها إذا لم نعلم الدليل ، فإنما ذلك إلي حين معرفتنا بالدليل ، ومتى عرفنا الدليل حكمنا به على القول .

سادسا ـ أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أعبد الناس ، وأتقى الناس ، وأنهم تحققوا بهذين الأصلين : الكتاب والسنة ، وأن من كان على مثل ما كانوا عليه فقد إهتدى ، ومن شذ يمينا أو يساراً فقد ظل .



الباب الثاني :

مجمل تاريخ الشريعة الصوفية

الفصل الأول : لمحة سريعة عن تاريخ التصوف

لا يعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأمة الاسلامية ومن هو أول متصوف وإن كان الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما دخل مصر : قال تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع .. والزنادقة الذين عناهم الشافعي هُنا هُم المتصوفة «والسماع» وهو وهو الغناء والمواجيد والمواويل التي ينشدونها ومعلوم ان الشافعي دخل مصر سنة ١٩٩ هـ وكلمة الشافعي توحي بأن قضية السماع هذه قضية جديدة ولكن أمر هؤلاء الزنادقة يبدوا أنه كان معلوماً قبل ذلك . بدليل ان الشافعي قال كلاماً كثيراً عنهم كقوله مثلاً (لو ان رجلا تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يكون احمق)[1] وقال أيضاً : ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد إليه عقله أبداً[2]، وكل هذا يدل على أنه قد كان هناك قبل نهاية القرن الثاني الهجري فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحيانا بالزنادقة وأحيانا بالمتصوفة ...

.وأما الإمام أحمد فقد كان معاصراً للشافعي وتلميذاً له في أول الأمر فقد أثر عنه أقوال كثيرة في التنفير من أفراد معينين نسبوا إلي التصوف . كقوله في رجل جاء يستفتيه في كلام الحارث المحاسبي : قال أحمد بن حنبل :«لا أرى لك أن تجالسهم» وذلك بعد أن اطلع أحمد ابن حنبل على مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها للبكاء ـ ومحاسبة النفس كما يزعمون ـ والكلام على الوساوس وخطرات القلوب . فلما اطلع الإمام أحمد على ذلك قال لسائله محذراً إياه من

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزي ص ٣٧٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٠

مجـالستهم وكتبهم «إيـاك وهـذه الكتب ، هـذه كتب بـدع وضـلالات»

. والذي يبـدو أن الإمام أحمـد بن حنبل رضي الله عنـه قـال هـذا الكلام في مطلع القرن الثالث ، ولكن هـذا القرن مـا كاد يكتمل حتى ظهر التصوف على حقيقته ، وانتشر في الأمة انتشاراً ذريعـاً ، واستطـاع المتصوفـة أن يظهروا مـا كانوا يخفونه سابقاً .

.والمطلع على الحركة الصوفية من أول نشأتهـا إلي حين ظهورهـا العلني علي ذلك النحو يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم بلا إستثنـاء في القرن الثـالث والرابع الهجري كانوا من الفرس ولم يكن فيهم عربي قط ، وعند مقابلـة الـدين الصوفي ستجد أن التصوف هو الوجه الآخر للتشيع (اقرأ الفصل الخاص بذلك : الصلة بين التصـوف والتشيـع) وأن أهـداف التصـوف والتشيـع كانت واحـدة تقريباً ، في السياسة والدين ،....... ، والمهم هنـا هو التـذكير أن التصوف بلغ غـايتـه وذروتـه من حيث العقيـدة والتشريـع في نهايـة القرن الثـالث حيث استطـاع الحسين بن منصـور الحـلاج أن يظهر معتقـده على المـلأ ولـذلـك أفتى علماء العصر بكفره وقتله فقتل سنـة ٣٠٩ هـ وصلب على جسر بغـداد ، وسئل الصوفية الآخرون فلم يظهروا ما أظهر الحلاج .. وسيأتي وصف تفصيلي لعقيـدة الحلاج عند بيان العقيدة الصوفية .

.وبالرغم من ذلك فإن الصوفية ظلت تواصل انتشارها في أرض فـارس على الخصوص ثم في العراق ... وساعد على انتشارها في فـارس أن أقـام رجل يسمى أبو سعيد الميهني نظاما خاصاً للخانات الـذي أصبح فيا بعـد مركزاً للصوفيـة ، وقلده في ذلك عامة رجـال التصوف ومن هنـا نشـأت في منتصف القرن الرابع الهجري بـدايـات الطرق الصـوفيـة التي سرعـان مـا انتشرت في العراق ومصر ، والمغرب ، وفي القرن السادس ظهرت مجموعـة من رجـال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل الرسول ﷺ حيث استطاع كل منهم أن يقيم لـه طريقـة صوفيـة خاصة واتباعاً مخصوصين ، فظهر الرفاعي في العراق ، والبدوي في مصر وأصلـه من المغرب ولا يعرف لـه أم ولا أب ولا أسرة ولا هو من المغرب، وكـذلـك

الشاذلي في مصر وأصله كذلك من المغرب وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هذه الطرق ، وفي القرن السادس والسابع والثامن..بلغت الفتنة الصوفية أقصاها وانشئوا فرقاً خاصة للدراويش ، وظهر المجاذيب وبنيت القباب على القبور في كل ناحية ، وذلك بقيام الدولة الفاطمية في مصر وبسط سيطرتها على أقاليم واسعة من العالم الإسلامي ، وبنائها للمزارات والقبور المفتراة كقبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في مصر والسيدة زينب ، واقامتهم بعد ذلك للموالد والبدع والخرافات الكثيرة ، وتأليههم في النهاية للحاكم بأمر الله الفاطمي ، لقد بدأت الدعوة الفاطمية بالمغرب لتكون بديلاً للحكم العباسي السني ، واستطاعت هذه الدولة تجنيد هذه الفرق الصوفية وغزو العالم الإسلامي بهذه الجيوش الباطنية التي كان لها أعظم الأثر بعد ذلك في تمكين الجيوش الصليبية من أرض الإسلام كما ستطالعه بأدلته في هذه الرسالة .

وأخيراً عم الخطب وطم في القرون المتأخرة التاسع والعاشر عشر حيث ظهرت آلاف الطرق الصوفية ، وانتشرت العقيدة والشريعة الصوفية في الأمة ، واستمر ذلك إلي عصر النهضة الإسلامية الحديثة .

لقد بدأت طلائع هذه النهضة ومقدماتها في آخر القرن السابع وبداية القرن الثامن على يد الإمام المجدد أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الذي صاول كل العقائد المنحرفة بقلمه وبيانه ومن جملة ذلك عقائد المتصوفة وشرائعهم المبتدعة ولاقى في هذا ما لاقى (اقرأ الفصل الخاص بمناظرة ابن تيمية للرفاعية البطائحية) وجاء تلاميذه من بعده مجاهدين في هذا الصدد كابن القيم ، وابن كثير ، والحافظ الذهبي ، والحافظ المزني ، وغيرهم.. ، ولكن شوكة التصوف والتخريف والعقائد الباطلة كانت قد تمكنت من الأمة تمكناً عظيماً ، ولكن الله سبحانه وتعالى هيأ للأمة في القرن الثاني عشر الهجري الإمام الجليل محمد بن عبد الوهاب الذي تتلمذ على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية فقام مصاولاً هذا الباطل الذي عم الآفاق وقد حقق الله على يديه ظهور النهضة الإسلامية الحديثة فقد استجاب لدعوته المخلصون في كل أنحاء العالم الإسلامي وتردد صداها في الهند والسودان ومصر والشام وكل بلاد الإسلام ، ومنذ ذلك الوقت

بدأت الحركة الصوفية تتعرى أوراقها شيئاً فشيئاً ، وتبدد عقيدة التوحيد ظلامها ، وتزيل من نفوس الأمة ترهاتها وخرافاتها.. .

.واليوم بحمد الله يكتسح طوفان الحق جيش الباطل ويعود التصوف مرة أخرى إلي الانجحار والاستتار كما بدأ وكما هو دائماً شأن العقائد الباطنية ، ولكن ما زالت دولة الصوفية قوية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي وخاصة في أفريقيا ودول من آسيا ، حيث العربية غير معلومة وحيث الجهل بالتوحيد والدين الصحيح ما زال قائماً ، ثم إن رموز التصوف ما زالت موجودة وأعني برموزه القبور والمزارات والشيوخ الضالين والعقائد الفاسدة في كل ذلك ما زال موجود ، وهو يحتاج إلي جهد جهيد وجهاد طويل لإقتلاع آثاره في القلوب والنفوس والأرض . وفي الفصل الخاص بالطرق الصوفية سيرى القارئ بعض هذا الواقع القائم إلي اليوم .

..هذه لمحة سريعة مجملة لنشأة الفكر الصوفي وتطوره ...

☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الفصل الثاني :

لمحة عن العقيدة والشريعة الصوفية

تختلف العقيدة الصوفية في صورتها الأخيرة عن عقيدة الكتاب والسنة من كل وجه من حيث التلقي والمصادر أعني مصدر المعرفة الدينية ، ففي الإسلام لا تثبت عقيدة إلا بقرآن أو سنة لكن في التصوف تثبت العقيدة بالإلهام والوحي المزعوم للأولياء والإتصال بالجن الذين يسمونهم الروحانيين ، وبعروج الروح الي السماوات ، وبالفناء في الله ، وانجلاء مرآة القلب حتى يظهر الغيب كله للولي الصوفي حسب زعمهم ، وبالكشف ، وبربط القلب بالرسول حيث يستمد العلوم منه في زعمهم ، وبلقاء الرسول في اليقظة والمنام حسب زعمهم ، وبالرؤى..... ، وبالجملة فالمصادر الصوفية للغيب كثيرة جداً .

ولما تعددت هذه المصادر على هذا النحو ، كانت العقيدة نفسها واسعة متطورة متغيرة مختلفة بل ومتناقضة بين صوفي وصوفي حيث كل منهم يزعم أنه يخبر بما أداه إليه كشفه هو ، وما ورد على خاطره وما قاله له الرسول ﷺ ، أو ألقاه الملك إليه أو اطلع عليه بنفسه في اللوح المحفوظ ....

وأما القرآن والسنة فإن للصوفية فيهما تفسيراً باطنياً حيث يسموه أحياناً تفسير الإشارة ، ومعاني الحروف فيزعمون أن لكل حرف في القرآن معنى لا يطلع على معناه إلا الصوفي المتبحر ، المكشوف عن قلبه...وعلى هذا الأساس كان للمتصوفة دينهم الخاص الذي يختلف في أصوله وفروعه عن الدين الذي جاء به الرسول ﷺ وهذه باختصار هي جملة عقائدهم في الله والرسول والأولياء والجنة والنار وفرعون وابليس ، وكذلك جملة اعتقاداتهم في الشرائع .

١) عقيدتهم في الله :

يعتقد المتصوفة في الله عقائد شتى منها الحلول كما هو مذهب الحلاج ومنها وحدة الوجود حيث لا إنفصال بين الخالق والمخلوق وهذه هي العقيدة

الأخيرة التي انتشرت منذ القرن الثالث وإلي يومنا هذا وأطبق عليها أخيراً كل رجال التصوف وأعلام هذهالعقيدة هم بن عربي وابن سبعين ، والتلمساني وعبد الكريم الجيلي ، وعبد الغني النابلسي ، وعامة رجال الطرق الصوفية المحدثين .

٢) وفي الرسول ﷺ :

يعتقد الصوفية في الرسول ﷺ أيضاً عقائد شتى فمنهم من يزعم أن الرسول ﷺ لا يصل إلي مرتبتهم وحالهم ، وأنه كان جاهلا بعلوم رجال التصوف كما قال البسطامي :(خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله) ومنهم من يعتقد أن الرسول محمد هو قبة الكون وهو الله المستوي على العرش وأن السموات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره وأنه أول موجود وهو المستوي على عرش الله وهذه عقيدة ابن عربي ومن جاء بعده .

٣) وفي الأولياء :

يعتقد الصوفية في الأولياء عقائد شتى فمنهم من يفضل الولي علي النبي وعامتهم يجعل الولي مساوياً لله في كل صفاته فهو يخلق ويرزق ويحي ويميت ويتصرف في الكون ولهم تقسيمات للولاية فهناك الغوث المتحكم في كل شيء في العالم والأقطاب الأربعة الذين يمسكون الأركان الأربعة في العالم بأمر الغوث ، والأبدال السبعة الذين يتحكم كل واحد منهم في قارة من القارات السبع بأمر الغوث والنجباء كل واحد منهم يتصرف في ناحيه تتحكم في مصائر الخلق ولهم ديوان يجتمعون فيه في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير ، وباختصار الأولياء عالم خرافي كامل .

وهذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى وعمل الصالحات والعبودية الكاملة لله والفقر إليه وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً فضلاً أنه يملك لغيره قال تعالى لرسوله **﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ (الجن ٢١)** .

٤) وفي الجنة والنار :

وأما الجنة فان الصوفية جميعاً يعتقدون أن طلبها منقصة عظيمة وأنه لا يجوز للولي أن يسعى إليها ولا أن يطلبها ومن طلبها فهو ناقص ، وإنما الطلب عندهم والرغبة في الفناء المزعوم في الله ، والاطلاع على الغيب والتصريف في الكون .. هذه جنة الصوفي المزعومة .

وأما النار فان الصوفية يعتقدون أيضاً أن الفرار منها لا يليق بالصوفي الكامل لأن الخوف، منها طبع العبيد وليس الأحرار بل منهم من تبجح أنه لو بصق على النار لأطفأها ، كما قال البسطامي . وأما من يعتقد بوحدة الوجود منهم فإنه يعتقد أن النار بالنسبة لمن يدخلها تكون عذوبة ونعيماً لا يقل عن نعيم من يدخل الجنة . وهذه عقيدة ابن عربي كما ذكر ذلك في الفصوص .

٥) وفي إبليس وفرعون :

وأما ابليس فيعتقد عامة الصوفية أنه أكمل العباد وأفضل الخلق توحيداً لأنه لم يسجد إلا لله بزعمهم وأن الله قد غفر له ذنوبه وأدخله الجنة ، وكذلك فرعون عندهم أفضل الموحدين لأنه قال ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ فعرف الحقيقة لأن كل موجود هو الله ثم هو في زعمهم من آمن ودخل الجنة .

وأما الشريعة الصوفية :

١ - ففي العبادات :

يعتقد الصوفية أن الصلاة والصوم والحج والزكاة هي عبادات العوام وأما هم فيسمون أنفسهم الخاصة ، أو خاصة الخاصة ولذلك فإن لهم عبادات مخصوصة .

وقد شرع كل قوم منهم شرائع خاصة بهم كالذكر المخصوص بهيئات مخصوصة ، والخلوة والأطعمة المخصوصة ، والملابس المخصوصة والحلقات الخاصة .

واذا كانت العبادات في الإسلام لتزكية النفس وتطهير المجتمع فإن العبادات

في التصوف هدفها ربط القلب بالله للتلقي عنه مباشرة حسب زعمهم ، والفناء فيه واستمداد الغيب من الرسول والتخلق بأخلاق الله حتى يقول الصوفي للشيء كن فيكون ويطلع على أسرار الخلق ، وينظر في كل الملكوت ، ويتصرف في الكون .

ولا يهم في التصوف أن تخالف الشريعة الصوفية ظاهر الشريعة المحمدية الاسلامية . فالحشيش والخمر واختلاط النساء بالرجال في الموالد وحلقات الذكر كل ذلك لا يهم لأن للولي شريعته تلقاها من الله مباشرة فلا يهم أن يوافق ما شرعه الرسول محمد ﷺ لأن لكل واحد شريعته فشريعة محمد للعوام وشريعة الشيخ الصوفي للخواص .

٢ ـ وفي الحلال والحرام :

وكذلك الشأن في الحلال والحرام فأهل وحدة الوجود في الصوفية لا شيء يحرم عندهم لأن لكل عين واحدة ...ولذلك كان منهم الزناة واللوطية ، ومن يأتون الحمير جهاراً نهاراً . ومنهم من اعتقد أن الله قد أسقط عنه التكاليف وأحل له كل ما حرم على غيره .

٣ ـ وفي الحكم والسلطان والسياسة :

وأما في الحكم والسلطان والسياسة فان المنهج الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالية السلاطين لأن الله في زعمهم أقام العباد فيما أراد .

٤ ـ وفي التربية :

ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية حيث يستحوذون على عقول الناس ، ويلغونها وذلك بادخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأنيس ، ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله ثم بالتلبيس على

الشخص ثم بالزرق إلي علوم التصوف شيئاً فشيئاً ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج .

ولكن كيف بدأت هذه العقائد الصوفية وتطورت على هذا النحو..؟!

تعالوا نشاهد كيف بدأت العقيدة الصوفية وتطورت ..

☆ ☆ ☆

الباب الثالث
نشأة العقيدة الصوفية وتطورها

الفصل الأول : طريق الهداية الصوفي

روى أبو عبد الرحمن السلمي صاحب كتاب طبقات الصوفية المتوفي سنة ٤١٢ هـ حكاية في كتابه هذا الطبقات عن إبراهيم بن أدهم لو صحت لكانت هي البداية للفكر الصوفي ولكن السلمي هذا متهم عند علماء الحديث بوضع الحكايات للصوفية ، وبوضع تفسير نسب إليهم فيه كل هذه الخرافات والخزعبلات من التأويل الباطني للقرآن ، ويبدو أن هذه الحكايات المزعومة عن إبراهيم بن أدهم يمكن أن تكون مكذوبة عليه ولكن هذه الحكايات يبدو أنها كانت معلومة مشهورة ...وعلى كل حال هذه الحكايات قد أصبحت عمدة ومرجعاً في الفكر الصوفي وهي تشكل في نظرنا البداية الظاهرة لنشأة هذا الفكر فلنقرأ هذه الحكاية ونناقشها نقاشاً علمياً موضوعياً على ضوء الكتاب والسنة .

(١) قال أبو عبد الرحمن السلمي : سمعت آبا العباس محمد بن الحسن الخشاب قال حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد المصري ، قال حدثني أبو سعيد أحمد بن عيسي الخراز قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال :«صحبت ابراهيم بن أدهم[(١)] بالشام ، أنا وأبو يوسف الغسولي ، وأبو عبد الله السنجاري ، فقلت : يا أبا إسحاق ! خبرني عن بدأ أمرك كيف كان ؟ قال : كان أبي من ملوك خراسان ، وكنت شاباً فركبت إلي الصيد ، فخرجت يوماً على دابة لي ، ومعي كلب ، فأثرت أرنباً أو ثعلباً ، فبينما أنا أطلبه ، إذ هتف بي هاتف لا أراه ، فقال يا إبراهيم : ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ ففزعت ، ووقفت ثم

---

(١) ابراهيم بن أدهم من بلخ فارس مات سنة ١٦١ هـ .

عدت ، فركضت الثانية ، ففعل بي مثل ذلك ثلاث مرات ، ثم هتف بي هاتف من قربوس[1] السرج :والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت .قال : فنزلت فصادفت راعياً لأبي يرعى الغنم ، فأخذت جبته الصوف ، فلبستها ودفعت إليه الفرس ، وما كان معي وتوجهت إلي مكة فبينما أنا في البادية ، إذ أنا برجل يسير ليس معه إناء ولا زاد ، فلما أمسى وصلى المغرب ، حرك شفتيه بكلام لم أفهمه ، فإذا أنا بإناء فيه طعام ، وإناء فيه شراب ، فأكلت وشربت ، وكنت معه على هذا أياماً ، وعلمني «اسم الله الأعظم» ثم غاب عني وبقيت وحدي ، فبينما أنا ذات يوم مستوحش من الوحدة ، دعوت الله به ، فإذا أنا بشخص آخذ بحجزتي وقال : سل تعطه !! فراعني قوله ، فقال : لا روع عليك ، أنا أخوك الخضر ، إن أخي داود علمك اسم الله الأعظم ، فلا تدعو به على أحد بينك وبينه شحناء ، فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة . ولكن ادعو الله أن يشجع به جبنك ، ويقوي به ضعفك ، ويؤنس به وحشتك ، ويجدد في كل ساعة رغبتك ، ثم انصرف وتركني»[2] .

وهذا خبر آخر :

(٢) سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول : سمعت علي بن الحسن بن أحمد المصري يقول ، سمعت أحمد بن عيسي الخراز يقول : حدثني غير واحد من أصحابنا منهم : سعيد بن جعفر الوراق ، وهارون الآدمي ، وعثمان النجار ، قالوا : حدثناعثمان بن عمارة قال حدثني ابراهيم بن أدهم عن رجل من أهل الإسكندرية يقال له أسلم بن يزيد الجهني قال : لقيته بالإسكندرية فقال لي : من أنت يا غلام ؟ قلت : شاب من أهل خراسان . قال : وما حملك على الخروج من الدنيا ؟ قلت زهداً فيها ، ورجاء لثواب الله تعالى . فقال : إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر .فقال رجل ممن كان معه : وأي شيء الصبر ؟ فقال : إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس . قال ؛قلت : ثم مه ؟ قال : إن كان

---

(١) قربوس السرج كحلزون : حنو السرج ومنعطفه ، وهما قربوسان .

(٢) طبقات السلمي ص ٢٩ ـ ٣١ .

محتملا للمكاره أورث الله قلبه نوراً . قلت :وما ذلك النور ؟ قال سراج يكون في قلبه ، يفرق به بين الحق والباطل ، والناسخ والمتشابه ، قلت : هذه صفة أولياء رب العالمين . قال : استغفر الله ، صدق عيسى بن مريم عليه السلام حين قال : لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتضيعوها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها !!

فبصصت إليه ، وطلبت إليه ، وطلب معي أصحابه إليه ، فقال عند ذلك : يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار أو حادثت الأبرار أن تغضبهم عليك ، فإن الله يغضب لغضبهم ، ويرضى لرضاهم ، وذلك أن الحكماء هم العلماء ، وهم الراضون عن الله عز وجل إذا سخط الناس ، وهم جلساء الله غداً بعد النبيين والصديقين .

يا غلام احفظ عني واعقل ، واحتمل ولا تعجل ، فإن التأني معه الحلم والحياء ، وإن السفه معه الخرق والشؤم ، قال ؛ فسالت عيناي ، وقلت : والله ما حملني على مفارقة أبوي ، والخروج من مالي ، إلا حب الأثرة لله ، ومع ذلك الزهد في الدنيا ، والرغبة في جوار الله تعالى .

قال : فإياك والبخل ، قلت : وما البخل ؟ فقال : أما البخل عند أهل الدنيا هو أن يكون الرجل بخيلا بماله ، وأما الذي عند أهل الآخرة فهو الذي يبخل بنفسه عن الله تعالى .ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله ، أورث قلبه الهدى والتقى ، وأعطى السكينة والوقار ، والعلم الراجح ، والعقل الكامل ، ومع ذلك تفتح له أبواب السماء ، فهو ينظر إلي أبوابها بقلبه كيف تفتح ، وإن كان في طريق الدنيا مطروحاً ، فقال له رجل من أصحابه : «اضربه فأوجعه ، فإنا نراه غلاماً قد وفق لولاية الله تعالى !!» قال ؛ فتعجب الشيخ من قول أصحابه :«قد وفق لولاية الله تعالى» فقال لي : يا غلام أما إنك ستصحب الأخيار ، فكن لهم أرضاً يطأون عليها ، وإن ضربوك وشتموك وطردوك ، وأسمعوك القبيح ، فإذا فعلوا بك ذلك ففكر في نفسك : من أين أتيت ، فإنك إذا فعلت ذلك يؤيدك الله بنصره ، ويقبل بقلوبهم عليك ،

واعلم أن العبد إذا قلاه[1] الأخيار ، واجتنب صحبته الورعون وأبغضه الزاهدون ، فإن ذلك استعتاب من الله تعالى لكي يعتبه ، فان أعتب الله عز وجل أقبل بقلوبهم عليه ، وإن تمرد على الله أورث قلبه الضلالة ، مع حرمان الرزق ، وجفاء من الأهل ، ومقت من الملائكة ، وإعراض من الرسل بوجوههم ، ثم لم يبال الله في أي واد يهلكه .

قال ؛ قلت : إني صحبت ـ وأنا ماشي بين الكوفة ومكة ـ رجلاً فرأيته إذا أمسى يصلي ركعتين فيهما تجاوز ، ثم يتكلم بكلام خفي بينه وبين نفسه ، فإذا جفنة من ثريد عن يمينه ، وكوز من ماء ، فكان يأكل ويطعمني .قال ؛ فبكى الشيخ عند ذلك ، وبكى من حوله ، ثم قال : يا بني أو يا أخي ذاك أخي داود ، ومسكنه من وراء بلخ ، بقرية يقال لها (الباردة الطيبة) وذلك أن البقاع تفاخرت بكينونة داود فيها ، يا غلام : ما قال لك ؟ وما علمك ؟ قال ؛ قلت : علمني اسم الله الأعظم ، فسأل الشيخ ما هو ؟ فقلت : إنه يتعاظم علّى أن أنطق به . فإني سألت به مرة ، فإذا برجل آخذ بحجزتي وقال : سل تعطه ، فراعني ، فقال : لا روع عليك : أنا أخوك الخضر ، إن أخي داود علمك إياه ، فإياك أن تدعو به إلا في بر ، ثم قال : يا غلام إن الزاهدين في الدنيا ، قد اتخذوا الرضا على الله لباساً ، وحبه دثاراً ، والأثرة له شعاراً ، فتفضّل الله تعالى عليهم ليس كتفضله على غيرهم ، ثم ذهب عني . فتعجب الشيخ من قولي ، ثم قال : إن الله سيبلغ بمن كان في مثالك ومن تبعك من المهتدين ، ثم قال يا غلام إنا قد أفدناك ومهدناك ، وعلمناك علماً .

ثم قال بعضهم : يا إلهنا أحجبه عنا ، واحجبنا عنه ، قال ابراهيم : فما أدري أين ذهبوا ؟!!» (أ هـ من طبقات السلمي بنصه)

لقد وضع من وضع هاتين الحكايتين أصول التصوف ، ومنها تفرع الفكر الصوفي فيا بعد ، ولنستعرض معاً أصول هذا الفكر :

أولا : إن الهداية قد جاءت لإبراهيم من هاتف هتف به أولاً ، ثم من

(١) أي أبغضه وهجره .

كلام خرج من قربوس السرج ، ولست مناقشاً الآن صحة هذه الدعوى أو بطلانها ، ولكني أريد أن أذكر الآن أن هذا طريق للهداية يغاير ويخالف الطريق الذي جاء به الرسول ﷺ ، فالهداية في الإسلام إنما تكون دائماً عن طريق كتاب الله الذي أنزل للناس هدى ونور . والدعوة إلي الايمان في شريعة الرسول محمد ﷺ إنما تكون بالحجة والإقناع ، وبتقديم الدليل على إعجاز القرآن ، وصدق رسول الله ﷺ .

ثانياً : الهداية التي ادعاها ابراهيم بن أدهم حسب الحكاية قد حملته على ترك أبيه وأمه وبلدته وخلع ثيابه ، وترك الدنيا على حد تعبيره ، ولبس ملابس الصوف التي كانت على جسم الراعي ، ومن هنا سمي هذا المنهج بالتصوف ، وليس من شروط الهداية في الإسلام أن يترك المهتدي الدنيا ، ويفر بدينه من وطنه ، إلا إذا قابل فيه اضطهاداً أو منعاً من أداء الشعائر ، أو كان في بلد كثير المعاصي وأراد النقلة إلي بلد آخر يكثر فيه الصالحون ، ولم تكن (بلخ) التي هجرها إبراهيم كذلك ؛ لأنه اعترف في حكايته أنها مسكن (داود) وان البقاع قد تفاخرت بكينونة داود فيها ، هكذا قال ، فكيف يترك هذه البقعة الطيبة ، والقرية التي سماها (الباردة الطيبة) التي يسكن فيها داود ويخرج إلي البراري والقفار ، وليس من سبب شرعي لهذا التحول ؟

ثالثاً : أخبر إبرهيم في حكايته أنه لقى رجلاً بالبادية يسير ، وليس معه زاد ولا طعام ، وأنه صاحبه ، وكان يطعمه من الطعام الذي يأتيه هكذا من الغيب ، وأن هذا الرجل علمه اسم الله الأعظم ، ثم أخبر أن هذا الرجل إنما هو داود عليه السلام ، وأنه لما دعى باسم الله الأعظم حضر الخضر إليه في الحال ، وسأله عن طلبه .

ولست أدري شرعاً ما الذي يدعو داود عليه السلام أن يعود إلي الدنيا ،(إن كان ذلك في مكنته) ويتجاوز حدود رسالته ونبوته ، ليعلم رجلاً من أمة محمد ﷺ اسم الله الأعظم ، مع العلم أن الرسول ﷺ قال لعمر :«والله لو كان موسى حيا لما وسعه إلا ان يتبعني» فكذلك لو عاد

داود حياً لوجب أن يتبع رسول الله ﷺ ، ولا يجوز لـه أن يعلم النـاس شيئـاً من الدين لم يعلّمه رسول الله ﷺ .

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يـدعو قـائلاً : اللهم أني أسـألـك بـأني أشهـد أنـك أنت الله [1] الـذي لا إلـه الا أنت ، الأحـد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . فقـال ﷺ : قـد سـأل الله باسمه الأعظم ، الذي إذا سأل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب» .

فـالرسول ﷺ أخبر أن اسم الله الأعظم في هـذا الـدعـاء ، وأن الله تبـارك وتعالى إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ، ولم يقل ﷺ : إن هـذا الإسم من دعـا بـه أتـاه الخضر في التـو والحـال ، وقـال : سل تعطـه !! هكـذا على الإطلاق : اسأل ما بدالك .. ما أشبه هذا الكلام بـالقصص الخرافي الـذي يزعم بـأن سليمـان نبي الله عليـه السـلام كان لـه خـاتم إذا حركـه أتـاه عفريت من الجان !!

ثم لو فرضنا صحـة الحكايـة ، أليس لنـا أن نسـأل : لمـاذا خص داود عليـه السلام إبراهيم بن أدهم باسم الله الأعظم ، ولم يخص به أحداً قبلـه من الصحـابـة والتابعين ؟

ثم لمـاذا يقـول الخضر لإبراهيم بن أدهم : لقـــد تعلمت اسم الله الأعظم ، فـلا تدع به على أحد بينك وبينه شحناء ، فتهلكه هلاك الـدنيـا والآخرة ، هكـذا وإبراهيم بن أدهم ليس معصوماً ، فربما تخـاصم مع رجل مسلم ، فـإذا دعـا بـاسم الله الأعظم على هـذا الرجل هلـك هلاك الـدنيـا والآخرة ، وحرم جنـة الله ، وبـاء بـالنـار ، لأنـه خـاصم إبراهيم بن أدهم فقـط ، وهـذا ليس للرسول ، لأن الرسول دعا على أنـاس فقـال لـه الله :﴿**ليس لـك من الأمر شيء**﴾ [1] (☆) ، هـذا مع أن الحـال في الخصومـة بين النبي ﷺ وبين أعـدائـه إنمـا هو من أجـل

---

(١) رواه أحمد (٣٤٩/٥ ـ ٣٥٠) وأبو داود (١٤٩٩٣) وغيرهما عن بريـدة بن الحصيب رضي الله عنـه وتمته :«

(٢) آل عمران : الآية ١٢٨ .

(☆) انظر حديث البخاري في شأن نزول هذه الآية .

العقيدة والدين ، وليس كخصومة غيره من أهل الدنيا) .

رابعاً : لقد أطلق إبراهيم بن أدهم على طريقه ومنهجه الذي سلكه في تعبده أنه «الخروج من الدنيا» ولقد علمنا نتائج هذا الخروج ، وهي خلع ملابسه ، ولبس الصوف وترك دياره ، ووطنه ، والدخول في البادية ، ولن نناقش الآن مدى قرب هذا المسلك أو بعده عن الرسالة التي بعث بها محمد بن عبد الله ﷺ ، ولكننا سنناقش الآثار التي ترتبت على ذلك ، وهي أن إبراهيم زعم أن أسلم بن يزيد الجهني أخبره في الإسكندرية أنه إذا كان حقاً طالباً لثواب الله فلا بد له من تحمل الصبر ، وأنه إن فعل ذلك أورث الله قلبه نوراً يفرق به بين الحق والباطل ، والناسخ والمتشابه (هكذا) !! وهنا يضع ابراهيم الأصل الرابع في التصوف ، وهو أنه بالمجاهدة والصبر يحصل النور الذي يعرف به علم الحق والباطل ، والناسخ والمتشابه ، والمعروف أن المجاهدة بالصبر مهما عظمت لا تعلم الإنسان الآيات الناسخة والمنسوخة ، والمحكم والمتشابه من كلام الله تبارك وتعالى ، ولا تجعله يفرق بين حق وباطل ، بل لا بد من التعلم ، لأن رسول الله ﷺ يقول : «إنما العلم بالتعلم»[1] ولم يقل : إنما العلم بالصبر . وأما أن الله تبارك وتعالى يوفق العامل بعلمه ، والقائم بتقواه إلي الهداية والعلم فنعم ، وذلك بتيسيير أسباب العلم الجديد فقوله تعالى :﴿**واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم**﴾[2]

هي ختام أطول آية في كتاب الله ، وقد نزلت بشأن الدين وكتابته والإشهاد عليه ، والتعلم المقصود في الآية هو هذا التعلم الذي أنزله الله على رسوله ﷺ . ويستحيل شرعاً وعقلاً أن يبلغ المسلم علم شيء بالصبر أو

---

(١) ذكره البخاري في (صحيحه ـ ١ / ١٧٠ من فتح الباري) معلقاً ، وبين الحافظ بنحجر من وصله في شرحه عليه ، وحسن اسناده ، وأورده أستاذنا الألباني في (السلسلة الصحيحة ـ ٣٤٢)بأتم منه ، وصححه وقال في مختصره لصحيح البخاري (١ / ٢٨) : «هو طرف من حديث رواه ابن خيثمة (١١٤) بسند صحيح عن أبي الدرداء موقوفاً ، ورواه غيره عنه مرفوعاً ، وله شاهد من حديث معاوية» .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

الصيام مثلاً دون بذل السبب الموصل إلي هذا العلم . فالعلم الشرعي بالتعلم ، والعلم الدنيوي أيضاً بالتعلم ، وليس شيء من ذلك يورث بالصبر والمجاهدة .

ولا شك أن إبراهيم بن أدهم عندما نوه بهذا العلم فإنما أراد علماً آخر ، لأنه قال على لسان أسلم بن يزيد : «وذلك أن الحكماء هم العلماء» فهو يعني طائفة أخرى لها تقاليدها وعاداتها ، ومجاهداتها المستقلة وعلمها المستقل أيضاً ، وستعلم هذا بأدلته فيما يأتي إن شاء الله تعالى . ولم يعن بالطبع علماء الشريعة الذين يعلمون الكتاب والسنة ، لأن علم هؤلاء لا يتأتى إلا بالدرس والنقل والكتابة والحفظ ، وسؤال الله الفهم والعمل والتوفيق ، وأما طريق القوم الذين عناهم إبراهيم بن أدهم فإنما هو المجاهدة بأسلوب خاص ، وعادات خاصة ، ومنهج خاص ليصل الإنسان منهم إلي علم خاص ، وفهم خاص ، ووجد خاص ، لا يستطيع علماء الشريعة مهما بلغ علمهم أن يصلوا إلي شيء منه . وباب هذا العلم الخاص الذي عناه إبراهيم هو ما عبر عنه بقوله :«وأن العبد إذا جاد بنفسه لله ، أورث قلبه الهدى والتقى ، وأعطي السكينة والوقار ، والعلم الراجح ، والعقل الكامل ، ومع ذلك يفتح له أبواب السماء ، فهو ينظر إلي أبوابها بقلبه كيف تفتح ، وإن كان في طريق الدنيا مطروحاً» !!

فهذا العلم الخاص بابه السماء ، وينظر أهل هذا العلم إلي فتح هذه الأبواب بقلوبهم حتى لو كانوا مطروحين في طريق الدنيا ، وقبل أن نحكم على هذا العلم المزعوم بالصحة أو البطلان لا بد أن نرى نماذج منه ، وهذا موعده فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

خامساً : الغاية التي حددها إبراهيم بن أدهم حسب هذه الرواية المزعومة لهذا الطريق الذي شقه ، وهذا المنهج الذي سلكه هو ما قال عنه : «والله ما حملني على مفارقة أبوي ، والخروج من مالي إلا حب الأثرة لله ، ومع ذلك الزهد في الدنيا ، والرغبة في جوار الله تعالى ، وقد فسر له على حد زعمه أسلم بن يزيد (البخيل) بأنه «الذي يبخل بنفسه عن الله تعالى» .

فالأثرة لله التي عناها إبراهيم ليست هي حب الله وإيثار مرضاته، والطمع في جنته، وخوف ناره، بل سنعلم بالنصوص والنقول من مقالات القوم أنهم يعنون بالأثرة لله (الفناء به عن كل ما سواه) وعبادته دون رجاء مثوبة، أو خوف عقوبة، وسنعلم كيف تطور هذا الفكر فيما بعد إلي أن أنتج القول بوحدة الوجود، وأن العابد هو عين المعبود !!

سادساً : من الغرائب في حكاية إبراهيم السابقة أنه قال بأن أصحاب أسلم بن يزيد الجهني قالوا له : «اضربه فأوجعه، فإنا نراه غلاماً قد وفق لولاية الله عز وجل» وكأن إبراهيم قد فاز بكنز لم يفز به أحد قبه، وهو ولاية الله عز وجل، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنه ولي كل مؤمن . قال تعالى :﴿**الله ولي الذين آمنوا**﴾ [1] وأخبر الرسول ﷺ في حديث البخاري الصحيح أن الله تعالى يقول من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ...الحديث» فبين الله تبارك وتعالى طريق ولايته، وهي أداء الفرائض ثم الاستزادة من النوافل، ولم يذكر تبارك وتعالى أن الولاية تأتي بهاتف من قربوس السرج، ثم بلقاء مع داود في البادية وتعليم للإسم الأعظم، وسنعلم في جولتنا القادمة في الفكر الصوفي أن الولاية ستصبح قاصرة على أناس مخصوصين، لهم منهج مخصوص وطريق مخصوص، وأن هذه الولاية سيجزم بها جزماً، وسيدعيها من يدعيها بكل إصرار وتشبث !!

سابعاً : زعم إبراهيم بن أدهم حسب ما جاء في الحكاية أن أسلم بن يزيد الجهني نصحه قائلاً «يا غلام أما أنك ستصحب الأخيار، فكن لهم أرضاً يطئون عليك، وإن ضربوك وشتموك، وطردوك وأسمعوك القبيح» ولا نعلم أن صحبة الأخيار تكون كذلك، بل الأخيار إذا صحبتهم أكرموك وسامحوك، وعلموك وقربوك وغفروا إساءتك، وسيعلم القارئ السر وراء هذا

(١) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

المنهج ، في النقول القادمة وفي بيان فرعيات هذا المنهج ودروبه .

ثامناً : زعم إبراهيم أن الشيخ وهو أسلم بن يزيد الجهني قال له : «إن الله سيبلغ بمن كان مثالك ، ومن تبعك من المهتدين ، وانه قال له : يا غلام إنا قد أفدناك ومهدناك وعلمناك علماً» .

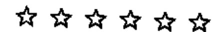
وهذا كله إشعاراً بأن هناك طريقاً آخر ورواداً جدداً قد هيئوا لأمر ما ، ووجهوا وجهة خاصة ، وأن الله سيبلغ بهم ما لم يبلغ بسواهم من قبلهم في رجال القرن الأول ، ومن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، وسيعلم القارئ إن شاء الله تعالى أي مهمة هذه التي توجهت إليها هذه الفئة ، وأي بلاغ عن الله تبارك وتعالى سيبلغون !!

تاسعاً : لقد ختم إبراهيم الحكاية بمثل ما بدأها ، وهي أن قائلاً ممن كانوا حول الشيخ أسلم بن يزيد قال : يا إلهنا أحجبه عنا ، واحجبنا عنه . ففي الحال ذهبوا ، ولا يدري أين ذهبوا ، هكذا كما جاءه الهاتف وقال له : ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت .،

وهذا الأصل من الحكايات الغريبة سيكون بداية لحكايات تعتبر هذه الحكاية بالنسبة إليها أمراً مقبولاً وسائغاً ، فماهذه الحكايات ؟

وبهذه الأضواء يكون أمامنا تسع نقاط يجب أن نكون على ذكر منها في رحلتنا هذه في الفكر الصوفي ، وخلاصة هذه النقاط هي أن هناك طريقاً للهداية هو طريق الهواتف ، وأن هذه الهداية تحمل الإنسان على ترك الدنيا ، وترك الآباء والأمهات والدخول االي البراري والقفار ، وأن المهتدي على هذا النحو يرى الأنبياء ويتكلم معهم ، ويأكل من الغيب لا من الشهادة ، وأن الخضر عليه السلام خادم لاسم الله الأعظم ، هذا الاسم الذي يتعاظم على العارف ان ينطق به ، وأن هذا الطريق الذي يلج فيه الصوفي يتصل به بالسماء فيتعلم العلوم ، وأن هذا الطريق هو المنهج الوحيد للحصول على ولاية الله عز وجل ، وأنه يجب الصبر مع أهل هذا الطريق ، وعدم الإنكار عليهم ،

بل يجب على المهتدي أن يكون أرضاً لهم يطؤون عليها . وأن هؤلاء القوم قد أرسلوا في مهمة خاصة ، وأنهم يتلقون عن الله هكذا رأساً بلا واسطة ، ويبلغون علماً خاصاً ، وأنه بدعاء واحد يختفي الموجود ، ويوجد المفقود !!...



الفصل الثاني

طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفاً

في الفصل السابق علمنا أن التصوف في بدأ نشأته قد جعل قد جعل غايته ما عبر عنه ابراهيم بن أدهم (بالأثرة لله) ، وأنه في سبيل ذلك يجب أن مفارقة الدنيا والانخلاع منها ، وعلى هذا الأصل كان تشريع ترك الزواج والتكسب ، لأنها من أسباب القعود عن تحقيق هذه الغاية . وهذا الإله الذي سعى المتصوفة الأولون ومن بعدهم الى إيثاره على كل شيء ، لا يستمدون معرفته والعلم بذاته وأفعاله عن طريق الكتاب والسنة ، وإنما عن طريق فتح أبواب السماء ـ على حد تعبيرهم ـ بالمجاهدة والسلوك الصوفي ، لينكشف لهم وجه الحق ، ويعلموه على حقيقته ، وعندما نتتبع هذه العقيدة منذ ظهورها إلي أن اكتملت في صورتها النهائية ، وحددت تحديدها الأخير ، فإننا سنعلم الصورة الكاملة للعقيدة الصوفية في الرب سبحانه وتعالى ، والجنة والنار والرسالات والغيب كله .

أولاً : عبادة الله لذاته :

زعم المتصوفة أن العبادة الحقة هي ما كانت دون طلب العوض من الله وأن يشهد فيها فعل الله لا فعل العبد ، وأن من شاهد فعله في الطاعة فقد جحد ، وقد استدلوا على ذلك بأدلة نذكرها فيما يلي :

١ ـ ذكر أبو بكر الكلاباذي في كتابه (التعرف لمذهب أهل التصوف) وهو الموسوعة الفقهية التي نشرها الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ، وشهدا في مقدمة الكتاب بأنه أقدم ما كتب عن هذا العلم ورجاله وأدقه وأصفاه ، أقول ؛ قال الكلاباذي في بيان المعنى الحق للعبادة ، وأنها لا تجوز في حق الصوفي أن تكون عن عوض ، قال : «العوض ما لله عليك في العمل في قوله :﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم**﴾[1] ولم يكمل الآية ثم

---

(١) سورة التوبة : الآية ١١١ .

قال : لتعبدوه بالرق لا بالطمع (ص١٤١) » فرؤية الجنة عندهم معصية ، وطلبها نقص في حق العابد .

ولذلك قال (ص١٥٥) : «دخل جماعة على رابعة يعودونها من شكوى ، فقالوا : ما حالك ؟ قالت : والله ما أعرف لعلتي سبباً ، غير أني عرضت على الجنة (هكذا) فملت بقلبي إليها ، فأحسب أن مولاي غار علي ، فعاتبني فله العتبي» . ومعنى هذا أن مجرد ميل القلب إلي الجنة يعتبره المتصوفة ذنباً يعاقبون عليه . وفي سبيل هذه العقيدة حول المتصوفة معاني الآيات والأحاديث الي ما يريدون إثباته من ذلك . وهذه بعض أدلتهم التي أخذوها من الآيات والأحاديث :

١ ـ قوله تعالى **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم﴾** بهذا المقطع من الآية فقط يستدل الكلاباذي على عقيدة القوم ، ويقول : ليعبدوه بالرق لا بالطمع . ويقطع الآية عن نهايتها التي ترد قوله ، وهي قوله تعالى **﴿بأن لهم الجنة﴾** فشراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم إنما كان بعوض وهو الجنة ، وعمل المؤمنين كان سبباً للوصول إلي هذه الجنة ، وإن كان غير مكافئ لها ، ولكن لا يمنع هذا المؤمن أن يطمع في فضل الله ورحمته ، ودخول الجنة ، وأن يسعى إلي ذلك ، بل هذا هو التعبد الصحيح .

٢ ـ قوله تعالى :**﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾**[1] يقول الكلاباذي : « اي الخالية عن ذكر الله ، لتعلموا أنه بفضله نلتم لا بأعمالكم » (ص ١٤٢) فسر الخالية هنا بمعنى الخالية عن ذكر الله ، أي لأنكم لم تذكروا الله في بعض الأيام استحق هذا مني أن أدخلكم الجنة ، لتعلموا أنما دخلتموها بفضلي لا بعلمكم . وهذا تفسير خاطىء معكوس لمعنى الآية ، فالله عز وجل يقول للمؤمنين يوم القيامة : كلوا واشربوا هنيئاً بسبب ما أسلفتموه في الأيام الخالية أي السابقة التي خلت . والذي أسلفوه هو العمل الصالح .

---

(١) سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

٣ ـ استدل الكلاباذي أيضاً على هذه العقيدة بقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي : «الصوم لي ، وأنا أجزى به »[١] قال : (قال أحد الكبراء : أي أنا الجزاء به » (ص ١٤٣) .

وأحد الكبراء هذا هو الحلاج . وهذا تحريف لمعنى الحديث ، ليوافق هذا المعتقد الباطل .

وقد يظن المسلم في عصرنا الحاضر أن هذه العقيدة في الجنة عقيدة سامية ، وهي أن يعبد الانسان الله ، لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار ، ولكنها عقيدة غير صحيحة اذ هي مخالفة لعقيدة الكتاب والسنة .

فقد وصف الله حال الانبياء في عبادتهم وتقربهم ودعائهم بسأنهم كانوا **(يدعوننا رغباً ورهباً، وكانوا لنا خاشعين)**[٢] والرغب هو الطمع في جنة الله وفضله ، والرهب هو الخوف من عقابه ، والأنبياء هم أكمل الناس عقيدة وإيماناً وحالاً .

وكذلك وصف تبارك وتعالى أكمل المؤمنين ايماناً بقوله تعالى :

﴿انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكّروا بها خروا سجدا ، وسبحوا بحمد ربهم ، وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ، جزاء بما كانوا يعلمون﴾[٣] .

فهؤلاء الذين ادخر الله لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر لا شك أنهم أكمل الناس ايماناً وحالا ، ومع ذلك فهم يدعون ربهم خوفاً وطمعاً : خوفاً من عذابه ، وطمعاً في جنته . وآيات القرآن في هذا المعنى لا تحصى كثرة .

وأما السنة فلا حصر للأحاديث في ذلك ، ومن أبلغها في الدلالة على هذا

---

(١) هو جزء من حديث رواه بنحوه البخاري ومسلم (١٥٧/٣و١٥٨ نووي) والترمذي (٧٦٤) عن أبي هريرة .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٩٠.

(٣) سورة السجدة : الآيات ١٥ ـ ١٧

الأمر أحد الأعراب للنبي ﷺ : والله اني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، وانما اقول : اللهم اني اسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار . فقال ﷺ : «حولها ندندن»[1] فإذا كان الرسول ﷺ يدندن بدعائه حول الجنة ، فهل يتصور عقلا وجود رجل أو امرأة أكمل منه ﷺ ، فيدعو الله ويعبده لا طمعاً في جنة ولا خوفاً من نار ؟

وهذه الحالة التي سعى المتصوفة الى تحقيقها ، أعني عبادة الله مجردة عن الطمع والخوف جرت عليهم البلايا : فقد سعوا الى غاية أخرى بالعبادة وهي القول بالفناء في الرب ، وجرهم هذا الى الجذب ، ثم جرهم هذا الى الحلول ، ثم جرهم هذا في النهاية الى وحدة الوجود .

وفي هذا الفصل من الرسالة سنسوق اليك الأدلة على هذا التسلسل العقائدي .

وقد مر بك أن رابعة العدوية لما اشتكت ، وعادها بعض المتصوفة زعمت أن ذلك بسبب غيرة الله عليها (هكذا) لأنها مالت بقلبها إلى الجنة وانني لأتساءل : من أين لها أن تعلم حب الله لها وقبوله لعملها ، فضلا عن غيرته سبحانه وتعالى عليها ؟ وقد وصف الله تبارك وتعالى المؤمنين بقوله :

﴿ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون . أولئك يسارعون في الخيرات ، وهم لها سابقون﴾[2] .

وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن قوله تعالى : **﴿يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾** فقالت يا رسول الله يسرقون ويزنون ويخافون ؟ قال : «لا يا ابنة الصديق ، ولكن يصومون ويصلون ، ويخافون

---

(١) رواه ابو داود (٧٩٢ و ٧٩٣) وابن ماجه (٩١٠) وأحمد (٤٧٤/٣ و٧٤/٥) وابن خزيمة ، وصحح إسناده الألباني في (صفة الصلاة ـ ٢٠٢) .

(٢) سورة المؤمنون : الآيات ٥٧ ـ ٦١ .

أن لا يتقبل منهم »[2] .

فاذا كان حال المؤمن هو الخوف دائما من الله تبارك وتعالى حتى مع الطاعة ، فمن اين لرابعة العدوية أن تعرف أن الله قد غار عليها ؟ (العياذ بالله ..) لأنها مالت بقلبها الى الجنة ؟ أليس هذا القول من رابعة (إن صح نسبته إليها ، وقد ذكر في أقدس كتب القوم وأنقاها باعترافهم) هو قول على الله بلا علم ، وهو من اتباع خطوات الشيطان التي نهانا الله عنها بقوله :

﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾[1] .

☆ ☆ ☆

(٢) رواه أحمد في (المسند ـ ١٥٩/٦ و ٢٠٥) والترمذي في (سننه ـ ٢٠١/٢) وابن ماجه (٤١٩٨) واسناده ضعيف : منقطع ، عبد الرحمن بن سعيد بن وهب لم يدرك عائشة ، كما قال الحافظ العسقلاني في (التهذيب) ولكن له عند ابن جرير (٢٦/١٨) طرقا وشاهداً موصولاً يتقوى به ، وقد حسنه به الألباني في (الصحيحة ١٦٢) .

الفصل الثالث
التنفير من الطريق الشرعي للهداية

لما كان الدخول في الطريق الصوفي لا يشترط له التوجه الى الكتاب والسنة ، بل ان التوفيق له يأتي أحياناً عن طريق الهاتف ، وأحياناً بطرق أخرى سنعرفها فيما بعد ان شاء الله تعالى ، فان القوم منذ نشأتهم رأوا أن علمهم الذي يحصلون عليه ـ في زعمهم ـ أفضل من علم الكتاب والسنة ، بل رأوا أن علم الكتاب والسنة مشغلة عن طريقهم ومسلكهم ، وهذه بعض عباراتهم في ذلك :

أ ـ قال أبو يزيد البسطامي (مات سنة ٢٦١ هـ) ناعياً على علماء الشريعة مفاخراً لهم :

«أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت ، يقول أمثالنا : حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان ، وأين هو ؟ قالوا : مات ، عن فلان وأين هو ؟ قالوا : مات» (الفتوحات[1] المكية ج ١ ـ ص ٣٦٥) .

ب ـ وهذا الجنيد يقول : « ما أخذنا التصوف عن القيل والقال » (١٥٨ طبقات السلمي) .

جـ ويقول أيضاً : « أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغيرت حاله : التكسب وطلب الحديث والتزوج ، وأحب للصوفي أن لا يقرأ ولا يكتب لأنه أجمع لهمه» (قوت القلوب ١٣٥/٣) .

د ـ وقال أبو سليمان الداراني : « اذا طلب الرجل الحديث ، أو سافر في

---

(١) الفتوحات المكية ج ١ ـ ص ٣٦٥

طلب المعاش ، أو تزوج فقد ركن الى الدنيا » (الفتوحات المكية ٣٧/١) .

وهذه أقوال قليلة مما نسب الى القوم في وجوب ترك علم الشريعة ، والانصراف الى طريقهم الخاص في التلقي والكشف .

ولا يخفي على أي منصف يتقي الله تبارك وتعالى ، ويقول كلمة الحق أن هذه الأقوال كافية في هدم الشريعة الاسلامية ، بل في هدم العمران كله ، لأن الحضارة الانسانية حتى المادية منها لا تقوم الا على هذه الثلاث : العلم، وطلب الكسب والمعاش ، والزواج ، وحضارة الإسلام خاصة تقوم على هذه الثلاث ، وتأمر بطلب علم الآخرة وهو علم الكتاب والسنة ، وكذلك علم الدنيا وهو كل علم نافع لحياة الإنسان ورقيه في هذه الارض .

ولم يكتف أهل هذا المنهج من المتصوفة بالتنفير من علم الشريعة والحديث بل جعلوا كشفهم ، وما يزعمون نقله من العلم عن الله تبارك وتعالى حاكماً على اسناد الحديث فيصححون ما شاؤوا من الأحاديث ، وان كانت ضعيفة عند علماء الحديث والسنة ، ويضعفون ما شاؤوا منها ، وان كانت ثابتة صحيحة حسب الموازين العلمية الدقيقة التي تعارف عليها علماء الحديث ومصطلحه ، والتي هي بحق مفخرة الإسلام ، فليس عند أمة من أمم الأرض قديماً وحديثاً تثبت في النقل على النحو الذي درج عليه علماء هذه الأمة في التعرف على الحديث الصحيح من الضعيف ، وبذلك ـ ولله الحمد ، سلم دين الأمة من دخول أقوال الزنادقة والملاحدة فيه .

أقول عمد رؤساء المتصوفة إلى هدم الإسناد في الحديث ، وهو مفخرة الإسلام بحق ، وذلك عن طريق الحكم على الاسناد بعلمهم الخاص . يقول ابن عربي في رسائله :

«وربما قالوا (أي علماء الشريعة) اذا عاينوهم (أي عاينوا علماء الصوفية) يتكلمون بمواجيدهم مع أصحابهم : دين مكتوم ، دين مشوم ، وما عرفوا جهات الدين . وهؤلاء ما تكتموا بالدين فقط ، وانما تكتموا بنتائجه ، وما وهبهم الحق تعالى في طاعته حين أطاعوه ، وبما صح عندهم من أحاديث الأحكام ما اتفق

على ضعفه ، وتجريح نقلته ، وهم أخذوه عن الكشف[1] عن قائله صحيحاً ، فتعبدوا به أنفسهم على غير ما تقرر عند علماء الرسوم ، فينسبونهم الى الخروج عن الدين ، وما أنصفوا فإن للحق وجوهاً يوصل إليه منها هذا أحدها ، ورب حديث قد صححوه واتفقوا عليه ، وليس بصحيح عندهم من طريق الكشف ، ويتركون العمل به مثل ذلك سواء» .

(رسائل ابن عربي : ص ٤)

ومعنى هذا كله أن للمتصوفة حكمهم الخاص على اسناد الحديث ، فعن طريق الكشف يتصلون رأساً بالنبي ويصححون الحديث أو يضعفونه !! وبهذا الهجوم على قواعد علم الحديث تتهدم السنة ، وتبقى العوبة في يد هؤلاء الذين يحكمون عليها بما شاؤوا وليس من ضابط يرجع اليه ، ولا فيصل يحتكم اليه ما دام أن الكشف هذا علم غيبي ، وقد يكون كشف هذا غير كشف ذاك .

أقول : لم يكتف المتصوفة بوضع الأصول على ترك العلم الشرعي والتنفير منه ، بل أصلوا الأصول أيضاً لهدم علوم الشريعة وزوالها ، وهذا أول معول من معاول الهدم ، هدم الاسناد لمعرفة الحديث الصحيح من الضعيف .

ولم يكتف المتصوفة بالنهي عن العلم ، بل جعلوا العلم عورة يجب أن تستر وتغطى ، حتى إن شيخاً يرى مريداً له ، وقد سقطت منه محبرة ، فيقول له : اخف سوأتك[2] !! .

وبعد ان وضع المتصوفة هذه القواعد لهدم العلم الشرعي والتنفير منه دعوا الناس الى العلم الباطني الذي أطلقوا عليه اسم الحقيقة ، وقالوا : إن طريق الوصول إليه هو الكشف والفتح الرباني والفيض الرحماني . لنعلم أنهم لا يعنون

---

(١) الكشف : هو انكشاف حجاب القلب ورؤيته أشياء من الغيب زعم الصوفية أنه يحصل لهم ، ومراد ابن عربي هنا بالكشف الاتصال بالرسول ، ومعرفة الحديث منه رأساً (أنظر الباب الخاص بالكشف الصوفي) .

(٢) عن (تلبيس ابليس) لابن الجوزي ص ٣٧٠ .

بالعلم الباطن إصلاح حال القلوب كما يزعم البعض منهم ذلك ، بل أنهم يعنون علماً خاصاً يكشفون به حقائق يزعمون رؤيتها والتحقق بها . ولقد بالغوا في تفضيل هذا العلم ، وتشديد النكير على من نفاه أو خالفه . وقد كانوا يخفون هذا العلم والكشف في أول أمرهم ، ويجعلونه من الأسرار والخصوصيات ، ولكنهم سرعان ما أعلنوا عنه وكشفوه بعد أن تحولت دفة الناس اليهم .

☆ ☆ ☆

الفصل الرابع
القـــول بالحـــلول

لما كان طلب الجنة والفرار من النار ليس هدفاً عند المتصوفة بل كان هـذا هو طلب العامة والدهماء في زعمهم فـان المتصوفـة جعلوا لهم أهـدافـاً أخرى غير ذلك وهو أن يكون كل منهم الها وربا يعلم الغيب كلـه كما يعلمـه الله سبحـانـه وتعـــالى و يتصرف في الكـــون كلـــه كما يتصرف الله فيحيي و يميت و يخفض و يرفع ، و يعز و يذل ..

لقـد اصبح الهدف الصوفي هـو الـوصـول الى مقـام النبـوة أولا ثم الترقي حتى يصل الفرد منهم في زعمهم الى مقام الألوهية والربوبية .

فهذا مثلاً أبو يزيد البسطـامي وهو من أئمـة القوم ومقـدميهم ، توفي سنـة ٢٦١ ، فهو من أعلام القرن الثالث في التصوف ، وقد مر بك كلامـه في شـأن الرجل الذي استفتاه في أنه لا يجد في نفسه من علوم القوم شيئاً ، فأفناه بتلك الفتوى العجيبة . يذكر عن نفسه ما يأتي :

«رفعني مرة فأقامني بين يديه ، وقال لي : يا أبا يزيـد ! إن خلقي يحبون أن يروك ، فقلت : زيني بـوحـدانيتـــك ، وألبسني أنـــانيتـــك ، وارفعني الى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا » .

(اللمع ص ٤٦١)

وهذا الكلام لا يحتاج الى تفسير وتأويل ، والاعتذار عنه مشاركة لصاحبـه في الباطل الذي يسعى اليـه ، ولنترك سيـد الطـائفـة في وقتـه (الجنيـد) يفسر كلام صاحبه أبي يزيد البسطامي يقول الجنيد في تفسير الكلام السابق :

---

(١) سورة البقرة : الايتان ١٦٨ ـ ١٦٩ .

«هـذا كلام من لم يلبسـه حقـائق وحـدة التفريـد في كال حق التـوحيـد ، فيكون مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سـألـه .. وسؤالـه لـذلـك يـدل على أنـه مقارب لما هناك ، وليس المقارب للمكان بكائن فيـه على الامكان والاستمكان .. وقوله : ألبسني وزيني ، وارفعني يدل على حقيقـة مـا وجـده مما هـذا مقـداره ومكانه ، ولم ينل الحظوة إلا بقدر ما استبانه » أ هـ (اللمع ص ٤٦١)

وبالطبع لن يستطيع أحد أن يفهم شرح الجنيـد لكلام صـاحبـه أبي يزيـد إلا من فهم عقيـدة القوم ، وعرف محتواهـا على الحقيقـة ، واليـك شرح كلامـه حتى كأنك تحسه وتراه إن شاء الله .

أقول : حكم الجنيد على صاحبه أبي يزيد بأنه لم يصل بعـد إلى كال حقيقـة التفريد (ومعنى التفريد أن يعتقد الصوفي أنه مـا ثم في الحيـاة الا فرد واحـد ، هو الله ، تعـددت وجـوداتـه بحسب مـا يظهر للنـاس ، ولكن الحـق واحـد !! ولذلك قـال عن أبي يزيـد : «هذا كلام من لم يُلْبِسْهُ (أي الله تعـالى) حقـائق وحدة التفريد ، أي لم ير غير الله غيراً كما مر من كلام الحلاج .. ولـذلـك قـال عنه أيضاً بأنه لو رأى التفريد على الحقيقة لكان مستغنياً بما ألبسه عن كون ما سأله ، فقد سأل البسطامي ربه أن يلبسه أنانيته ، ويرفعه الى أحديتـه .. ولو كان متحققاً من القول بوحـدة الوجود لم يقل ذلـك ، ولم يطلبـه ، لأنـه سيعلم يقينا أنه هو الله .. ولذلك رآه الجنيد بسؤالـه هـذا مقـاربـاً للحقيقـة الصوفيـة النهائية ، فقال : «وسؤاله لذلك يدل على أنـه مقـارب لمـا هنـاك .. » ثم شرح هذا القول بقوله :

« وقوله ألبسني وزيني وارفعني : يدل على حقيقة ما وجده مما هذا مقـداره ومكانه ، ولم ينل الحظوة الا بقدر ما استبانه » أي فهذا مكان أبي يزيد في فهم الحقيقة الصوفية ، ولم يصل بعد الى فهمنا على الحقيقة .

فانظر أيها الأخ المنصف أين كان الجنيد سيد الطـائفـة الصوفيـة من قضيـة التوحيد في الاسلام ..

ولم يكن حكم الجنيد على أبي يزيد البسطامي في قوله السـابق منفرداً بـه ، بل حكم بهذا الحكم صاحبها الشبلي الذي كان أوحد القوم حالاً كما قالوا .

روى صاحب اللمع الحكاية الآتية ص ٧٤٩ : « حكي عن الشلبي رحمه الله .. أنه سئل عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله . وعرض عليه ما حكي عنه مما ذكرناه وغير ذلك ، فقال الشبلى رحمه الله : لو كان أبو يزيد رحمه الله هاهنا لأسلم على يد بعض صبياننا ..، وقال : لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددت الزنانير» .

فانظر كيف حكم الشبلي على أبي يزيد بأنه لا يصلح تلميذاً له ، بل لو كان موجوداً معه الآن في وقته لأسلم على يد بعض صبيان الشبلي .. وأنا أجزم الآن أنه يقصد بهذا الاسلام أن يعلمه أنه لا موجود الا الله .. ولذلك قال بعد ذلك : « لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددت الزنانير» ومعنى شد الزنار أن يلبس لباس أهل الذمة من اليهود والنصاري والمجوس ، لأنه كان يعتقد ـ بما لبس على الناس ـ أن أحداً من معاصريه لا يفهم ما يشير اليه بهذه الأقوال .. وهذا حق ، لأن القوم لبسوا على الناس بما ادعوه من الصلاح والتقوى ومحبة الله ورسوله . وقد مر بك أن هذا الشبلي كان سميناً بديناً ، ومع ذلك كان يزعم أنه يحمي المرود ويكتحل به حتى لا ينام .

ومما يدلك على ما جزمت به سالفاً من تفسير قول الشبلي الآنف ما فسر به أيضاً الجنيد حال أبي يزيد البسطامي قائلا :

« ان ابا يزيد رحمه الله .. مع عظم حاله ، وعلو اشارته لم يخرج من حال البداية ، ولم أسمع منه كلمة تدل على كال النهاية » (اللمع ص ٤٧٩) .

فانظر وتيقن الآن معتقد القوم الذين يشهدون على البسطامي بأنه لم يجاوز حال البداية ، وهو الذي قال الأقوال السالفة .. ولا غرو في ذلك ما دام الشبلي يقول عن نفسه لأبي عبد الله بن جابان بعد أن زاره ، واراد أن يخرج من عنده هو وبعض زملائه : «مروا أنا معكم حيثما كنتم ، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي» (اللمع ص ٤٧٨) .

فالذي وصل الى هذه النهاية لا شك أنه يحكم على كلام البسطامي أنه ما جاوز البداية ..

وقد يظن ظان أن الجنيد كان دون الشبلي في هذه الأقوال ، وهذا من

الجهل والغفلة ، وعدم تتبع القضية الصوفية ، والغوص على مغاليقها وأسرارها ، والأمر على غير ذلك ، فالجنيد كان أسبق أولئك القوم الى العقيدة الصوفية ، وأعلم الناس بها ، ويدلك على هذا أن الشبلي يسأله يوماً ، فيقول له : يا أبا القاسم ما تقول فيمن كان الله حسبه قولا وحقيقة ؟ فقال الجنيد رحمه الله .. يا أبا بكر (وهي كنية الشبلي) بينك وبين أكابر الناس في سؤالك هذا عشرة آلاف مقام ، أوله محو ما بدأت به . (اللمع ص ٤٨٧) .

فانظر كيف سأل الجنيد عن حقيقة من حقائق الاسلام ، وهي أن يكون الله حسب المرء في اعتقاده وقوله وكل شؤونه ، أي أن يعتقد المسلم أن الله كافيه في كل ما يهمه وما يشغله ، وهذا من كال التوحيد كما قال تعالى : (**أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ..**)[1] وقال الرسول ﷺ عندما قيل له : ان قريشاً عزمت أن ترجع لتستأصل شافة المسلمين بعد هزيمة أحد قال ﷺ : « حسبنا الله ونعم الوكيل » أي الله كافينا ومنجينا سبحانه وتعالى . انظر كيف حكم الجنيد على هذه الحقيقة الشرعية بأن سؤال الشبلي عنها يدل على أن بينه وبين أكابر الناس أي (كبراء الصوفية) عشرة آلاف مقام ، أول هذه المقامات محو هذه الحقيقة الشرعية التي بدأ الشبلي بالسؤال عنها ..

☆ ☆ ☆

(١) سورة الزمر : الاية ٣٦ .

الفصل الخامس
القول بوحدة الوجود

● لما بدأ القول بالحلول ، وجعل المتصوفة غايتهم من التصوف أن يتشبهوا بصفات الله في زعمهم فيكون أحدهم إلها يعلم كل شيء ، ويتصرف في كل شيء فان هذا الحال استمر بهم حتى وصلوا في النهاية الى القول بوحدة الوجود ، وأن كل شيء انما هو الله وأن الله هو الذي في الكون وحده وليس هناك شيء آخر معه .

ووحدة الوجود هذه الكلمة تعني في العقيدة الصوفية أنه ليس هناك موجود الا الله فليس غيره في الكون ، وما هذه الظواهر التي نراها الا مظاهر لحقيقة واحدة ، هي الحقيقة الإلهية (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ، هذه الحقيقة التي تنوعت وجوداتها ومظاهرها في هذا الكون المشاهد ، وليس هذا الكون ـ في هذه العقيدة الباطلة ـ إلا الله في زعمهم ، تعالى الله عن ذلك .

وقد رأينا كيف عبر الحلاج عن هذه العقيدة بكل صراحة ووضوح فيما نقلناه عنه آنفاً ، وكيف عبر عنها الشبلي بشيء من التعمية واللف والدوران ، وكيف جاءت في الكلام المنسوب الى الجنيد في شيء من الحذر والحيطة .

ولقد استمرت هذه العقيدة معلومة عند أناس مخصوصين فقط ممن بلغوا النهاية في الطريق الصوفي ، ولكنهم لم يعبروا عنها الا بتعبيرات ملفوفة غامضة ، لا يفهمها الا من سار سيرتهم ، وذاق ذوقهم ، وكشف غوامض كلامهم .

ولكن القرن السادس الهجري شهد في أواخره ، وبداية القرن الذي يليه رجلا عجيباً استطاع أن يصوغ هذه العقيدة صياغة كاملة ، ويضرب لها آلاف الأمثلة ، ويبني عليها فروعها المختلفة في الاعتقاد والتصور ، ويؤلف فيها عشرات الكتب ، ذلك الرجل هو محي الدين بن عربي المتوفي سنة ٦٣٨ هـ ،

نشأ هذا الرجل في الأندلس ، واستقر به المقام في الشام ، ورمي بالكفر والزندقة والالحاد والكذب ، ولكن عقيدته ومذهبه وجدت المشيعين والمروجين الذين استطاعوا أن يرفعوه ـ كما رفع نفسه ـ الى مرتبة الولاية ، بل الى ختم الولاية ومرتبة المشيخة الكبرى واحياء الدين .

وبالرغم من أن ابن عربي هذا قد زعم أنه نقل علمه وكتبه عن الرسول ﷺ مباشرة ، وكتب عن اللوح المحفوظ بلا واسطة ، وصاغ عقيدة وحدة الوجود بكل جرأة وبلا مواربة ، بل بقليل من التدليس والمراوغة ، واستطاع أن يحرف آيات القرآن فيزعم أن قوم هود الكافرين كانوا على الصراط المستقيم ، وأن فرعون كان مؤمناً كامل الأيمان ، وأن قوم نوح كانوا مؤمنين ، فجازاهم الله بأن أغرقهم في بحار الوحدة ، وأدخلهم نار الحب الالهي ليتنعموا فيها ، وأن هارون أخطأ لأنه نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل ، وما كان العجل الا المعبود الحق ، أو صورة من صور المعبود الحق ، وأن قوم نوح أصابوا في عدم تركهم وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا لأنها مظاهر للإله الواحد ، وأن النار عُذُبة لا عذاب ، وأنه ما من إنسان الا وهو مرحوم مرضي عنه ، وأن الله لا يعلم شيئاً قبل وجوده ، لأن وجود الشيء هو وجود العلم ، بل وجود كل شيء هو ترجمة لوجود الله (تعالى الله عن ذلك) أقول : بالرغم من أن ابن عربي قال هذا الكلام كله ، بل هذا جزء يسير جداً مما قال ، فإنه ادعى بأن كل ذلك قد نقله بلا زيادة ولا نقصان عن الرسول الذي أمره بتبليغ ذلك للناس ، وبالرغم أيضاً من كل ذلك فقد وجد هذا الرجل من المروجين والأتباع ما لا يقع تحت الحصر منذ ظهوره الى زماننا هذا ، ومن أمة الاسلام الذين يشهدون في كل يوم مرات كثيرة بأن لا اله الا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وهذا من أعجب العجب .

وهاك الآن نقولا صوفية من كتبه تدلك على هذه العقيدة .

(١) قال في مطلع كتابه « فصوص الحكم » وهو الكتاب الذي جعله خاتمة لأعماله جامعاً لعقيدته : « أما بعد فإني رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق ، وبيده

ﷺ كتاب ، فقال لي : هذا « كتاب فصوص الحكم خذه واخرج به الى النـاس ينتفعون به ، فقلت : السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنـا » ثم يقول »:

«فحققت الامنية ، وأخلصت النية ، وجردت القصـد والهمـة الى ابراز هـذا الكتـاب كما حـده لي الرسـول ﷺ من غير زيـادة ولا نقصـان » ص ٤٧ (الفصوص طبع بيروت بتعليق د. أبو العلا عفيفي) .

ويقول في مكان آخر بعـد أن ذكر مواضيع الكتـاب : (فـاقتصرت على مـا ذكرتـه من هـذه الحكم في هـذا الكتـاب على حـد مـا ثبت في ام الكتـاب ، فامتثلت ما رسم لي ، ووقفت عندما حد لي ، ولو رمت زيـادة على ذلـك مـا استطعت فان الحضرة تمنع من ذلك » (ص ٥٨) .

ويقول أيضاً في « فص حكمة علوية في كلمة موسوية» : « وأنا ان شـاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الالهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفهت به من هذا الباب » . ص ١٩٧ .

وهذه النقول من مقدمة الكتاب ومن ثناياه تعلمك اصرار الرجل أنه ينقل عن الله مبـاشرة بل مشـافهـة ، وعن اللوح المحفوظ رأسـاً ، وعن الرسول الـذي أمره في تلك الرؤيا المزعومة أن يخرج على الناس بهذا الكتـاب ، فـماذا في هـذا الكتاب من العلم بالله ورسالاته والهدى والنور ؟ لننظر .

(٢) يزعم ابن عربي أن قوم نوح أجابوا رسولهم اجابـة حقيقيـة ، وأن نوحـاً مكر بهم فمكروا به ، وأن تمسكهم بآلهتهم انما هو تمسك بحق أراد نوح أن يُزيلهم عنه ، وهاك نص عباراته في ذلك :

« علم العلماء بالله ما أشـار اليـه نوح عليـه السلام في حق قومـه من الثنـاء عليهم بلسان الذم ، وعلم أنهم انما لم يجيبوا دعوته لما فيهـا من الفرقـان ، والأمر قرآن لا فرقان ، ومن أقيم في القرآن لا يصغي الى الفرقـان وان كان فيـه ... ، دعـاهم ليغفر لهم ، لا ليكشف لهم ، وفهمـوا ذلـك منـه ﷺ . لـذلـك (جعلـوا أصابعهم في آذانهم ، واستغشوا ثيابهم) وهذه كلها صورة الستر التي دعـاهم اليهـا ، فأجابوا دعوته بالفعل ، لا بلبيك .

قال نوح في حكمته لقومه : ﴿ **يرسل السماء عليكم مدرارا** ﴾وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري ، ﴿**ويمددكم بأموال**﴾ أي بما يميل بكم اليه ، فاذا مال بكم اليه رأيتم صورتكم فيه ، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرف ، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف » (ص ٧١)

فانظر كيف جعل المطر والخصب الذي هو نتيجة للصلاح والتقوى والايمان والاستغفار هو المعارف العقلية .. وكيف جعل الأموال أي ما يميل بهم اليه فيرون صورتهم فيه ، وهذه هي وحدة الوجود ، ولذلك يقول بعدها : « فمن تخيل أنه رآه فما عرف وأما من رأى نفسه فهو العارف » .

ثم يقول : ﴿**ومكروا مكرا كباراً**﴾ لأن الدعوة الى الله تعالى مكر بالمدعو ، أدعو الى الله ، فهذا عين المكر ، فأجابوه مكراً كما دعاهم» (ص ٧٢) فانظر كيف جعل الدعوة الى الله مكراً بالمدعوين ، بل عين المكر ثم بين نوع المكر الذي قابل به قوم نوح نوحا ، فيقول : « فقالوا في مكرهم : لا تذرن آلهتكم ، ولا تذرن ودا ولا سواعاً ، ولا يغوث ويعوق ونسراً ، فانهم اذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحق في كل معبود وجها يعرفه من يعرفه ، ويجهله من يجهله .. ، فما عبد غير الله في كل معبود » (ص ٧٢) .

وبهذا يجعل ابن عربي تلك الآلهة الباطلة التي عبدها قوم نوح آلهة حقة ، لأنها في زعمه وجه من وجوه الحق .

ثم يقول مكملا تبديل آيات الله : « ﴿**ولا تزد الظالمين**﴾ لأنفسهم (المصطفين) الذين أورثوا الكتاب أول الثلاثة ، فقدمه على المقتصد والسابق ﴿**إلا ضلالا** ﴾ إلا حيرة » (٧٣) .

وهنا يجعل ابن عربي قول الله في شأن قوم نوح : ﴿ **ولا تزد الظالمين الا خسارا** ﴾ وهو الدعاء الذي دعا به نوح على قومه ، يجعل ابن عربي هذا الظلم كالظلم الذي وصف الله به طائفة من الذين أورثهم الكتاب حيث قال : **(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق الخيرات)** فيجعل هذا الظلم كذلك الظلم ،

وهذا غاية التلبيس والثعلبية .

ثم يقول ابن عربي :«(مما خطيئاتهم) فهي التي خطت بهم ، فغرقوا في بحار العلم بالله .. ﴿**فلم يجدوا من دون الله أنصاراً**﴾ فكان الله عين أنصارهم ، فهلكوا فيه الى الأبد » (ص ٧٣ الفصوص) ثم يحرف قول الله تعالى : ﴿**إنك إن تذرهم يضلوا عبادك**﴾ قائلا : «أي يحيروهم، فيخرجوهم من العبودية الى ما هم فيه من أسرار الربوبية ، فينظرون أنفسهم أربابا بعد ما كانوا عند أنفسهم عبيداً ، فهم العبيد الأرباب » (ص ٧٤) .

فيجعل ضلال قوم نوح انما هو حيرة ، لأنهم عرفوا أسرار الربوبية ، وأن كل موجود هو الله ، فأصبحوا بذلك أرباباً عند أنفسهم ..

ثم يحرف كلمات الآية الباقية فيجعل (رب اغفرلي) وهو بقية كلام نوح أي استرني ، (ولوالدي) يعني العقل والطبيعة و (لمن دخل بيتي) يعني قلبي ، (وللمؤمنين) أي العقول ، (والمؤمنات) أي النفوس (ولا تزد الظالمين) أي أهل الغيب، (الا تبارا) أي هلاكا ، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم ، ثم يقول بعد ذلك : « ومن أراد ان يعرف أسرار نوح فعليه بالرقي في فلك نوح ، وهو في (التنزلات الموصلية) لنا والله يقول الحق» ا هـ (٧٤ الفصوص) .

(٣) لم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكذبين ، بل عمد الى جميع كفار الأرض فجعلهم مؤمنين موحدين عارفين واصلين ، وعمد الى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بأجزاء أخرى ، ولم ينس ابن عربي فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم ، فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث يقول :

« ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت ، وأنه الخليفة بالسيف ، وان جار في العرف الناموسي ، لذلك قال : (أنا ربكم الأعلى) أي وان كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا ربكم الأعلى منهم ، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه ، بل أقروا له بذلك ، فقالوا : (انما تقضى هذه الحياة الدنيا). (فاقض ما أنت قاض) فالدولة لك ، فصح قوله : أنا ربكم الأعلى» (ص ٢١٠ ، ٢١١) .

وهذا الكلام واضح ، وقارن بينه وبين كلام الحلاج الآنف في شأن فرعون ، لتعلم وحدة العقيدة التي دعا اليها هؤلاء الأقوام ، بقي أن تعلم اشاراته الخبيثة في كلامه ، نحو : ان فرعون كان الخليفة بالسيف ، ويعني بالخليفة قول الله لداود : (إنا جعلناك خليفة في الأرض) فيقيس الخلافة الشرعية النبوية على الملك المتسلط الفاجر ، ثم شريعة موسى عُرفاً ، أي ما يعرفه موسى ، ولذلك اتهم بعض الصوفية الآخرين موسى عليه السلام بالجهل ، وفرعون بالعلم والمعرفة ، فقال : كان فرعون أعلم بالله من موسى ، لأنه عرف حقيقة الحق ، وأما موسى فما عرف الا وجهاً واحداً ، ولم يعرف ان الكل أرباب وأنهم مخلوقون في نفس الوقت ،فالانسان عندهم هو الحق والخلق ، كما سيأتي بالنص ان شاء الله من كلام ابن عربي ، ولذلك قال ابن عربي مغللا كلمة فرعون : (أنا ربكم الاعلى) أن الكل أرباب بنسبة ما ، وفرعون أعلى هؤلاء الأرباب ، لأنه الملك المطاع في ذلك الوقت .

وعلى هذا فقد حكم له بالإيمان والجنة زاعماً أنه آمن عندما رأى انفلاق البحر لبني اسرائيل ، فنجاه الله من العذاب الآخروي ، وعمته النجاة حساً ومعنى ، وأنكر على من يقول : إنه من المعذبين قائلاً : ليس لديهم نص في هذا المعنى ، مع العلم أن الله يقول عنه : **﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلي فرعون وملئه ، فاتبعوا أمر فرعون ، وما أمر فرعون برشيد ، يقدم قومه يوم القيامة ، فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود ، وأتبعوا في هذا لعنة، ويوم القيامة ، بئس الرفد المرفود﴾** (هود ٩٦ ـ ٩٩) .

وما غاب هذا النص عن ابن عربي ، ولكنه التلبيس والثعلبية والمكر ، ومخالفة سبيل المؤمنين من أولهم إلي آخرهم .

وعلى هذه العقيدة الباطلة أيضاً صحح ابن عربي موقف السامري ، وصناعته للعجل الذي فتن به بنو اسرائيل ، فعبدوه من دون الله ، وخطّأ ابن عربي هارون عليه الصلاة والسلام ، لأنه ما عرف الحق ، وأنكر على بني اسرائيل ، وزعم ابن عربي أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري أن يحصر

الإله في شيء واحد فقط ، لأن عين كل شيء هي عين الإلـه ، وهي عين الحق (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) .

يقول ابن عربي في ذلك :«ثم قال هـارون لموسى عليـه السلام :(إني خشيت أن تقـول فرقت بين بني اسرائيـل) فتجعلني سببـاً في تفريقهم ، فـإن عبـادة العجل فرقت بينهم ، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليـداً لـه ، ومنهم من توقف عن عبـادتـه حتى يرجع إليهم مـوسى فيسـألـونـه عن ذلـك ، فخشي هـارون أن ينسب ذلـك الفرقـان بينهم إليــه ، فكان مـوسى أعلم بـالأمر من هارون ، لأنه علم ما عبـده أصحـاب العجل ، لعلمـه أن الله قضى ألا يعبـد إلا إيـاه...ومـا حكم الله بشيء إلا وقع...فكان عتب مـوسى أخـاه هـارون لما وقـع الأمر في إنكاره وعدم اتسـاعـه ، فـإن العـارف من يرى الحق في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء» ا هـ (ص ١٩٢ الفصوص) .

فـانظر كيف زعم الخبيث أن موسى علم أن أصحـاب العجـل مـا عبـدوا إلا الله ، لأن الله قـال : ﴿**وقضى ربـك ألا تعبـدوا إلا إيـاه**﴾[1]فجعـل هــذا القضاء قضاءاً كونياً قدرياً ، وأن الله ما حكم بشيء إلا وقع ، ومعنى هذا عنـده أن كل معبود في الأرض إنما هو الله ، وما عبد الإنسان شيئـاً حجراً أو غيره إلا وقـد عبـد الله ، مستـدلا بـالآيـة السـالفـة بمعنى حكم وأمر ، وهـذا الحكم والأمر حكم شرعي ، فمن هـداه الله ووفقـه إليـه امتثلـه ، ومن اتبـع سبيـل الغـوايـة والشيطان انحرف ومال عنـه ، كبقيـة الأوامر الشرعيـة ، نحو وأقيموا والصلاة ، وآتوا الزكاة ، ونحو قولـه تعـالى : ﴿**ومـا كان لمؤمن ولا مـؤمنـة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾[2] وقد خـالف قضـاء الله وأمره كثير من الكفار والملاحدة والجاحدين ، وخالف بعض المؤمنين بعض ما قضى الله به ورسوله ، وكثيراً مما أمر به .

وها قد رأيت أن ابن عربي ختم عبارته بقولـه :« فـالعـارف من يرى الحق

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

في كل شيء ، بل يراه عين كل شيء» وهذا منتهى العقيدة الصوفيـة ، والفـارق هو الإصطلاح الصوفي لمن تحقق من هذه العقيدة الخبيثـة ، ووصل النهـايـة في هـذا العلم الخبيث (والحق) هو الله في زعمهم ، تعـالى الله عن ذلـك وسبحـانـه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ثم يتم ابن عربي شرح عقيدته البـاطلـة ، فيحرف معنى قـول الله تعـالى : ﴿**فما خطبك يا سامري؟**﴾قائلاً : «يعني فيما صنعت من عـدولـك الي صورة العجل على الإختصـاص» .أهـ ، أي لمـاذا خصصت العجل فقـط بكونـه إلهـاً ، والحال في هذه العقيدة أن كل شيء هو الله ، ولـذلـك حرق موسى العجل حتى لا يحصر الإله في شيء واحد (تعالى الله عن ذلـك) ثم يستطرد الخبيث قـائلاً :« وقال له :(وانظر إلي إلهك) فسماه إلهـاً بطريق التنبيـه للتعليم أنـه بعض لمجـالي الإلهية» أ هـ .

فـانظر كيف زعم أن قـول مـوسى للسـامري :(وانظر إلي إلهــك) أن هــذا اعتراف من موسى بألوهيـة العجل ، لأنـه بعض الأشيـاء التي يتجلى فيهـا الرب (سبحـانـك هـذا بهتـان عظيم ، كبرت كلمـة تخرج من أفواههم إن يقـولـون إلا كذبا) .

ثم يفلسف ابن عربي عـدم تسلـط هــارون على نسف العجـل وإحراقــه ، وكون موسى هو الذي سلـط على ذلـك ، زاعمـاً أن هـذا كان ليعبـد الله في كل صورة ، والعجل هو إحدى هذه الصور التي يجب عنده ـ لعنـه الله ـ أن يعبـد الله فيها ، ويحرف في ذلك قول الله تعالى :﴿**رفيـع الدرجات**﴾ فلله درجـات يعبد فيها ، وكل صنم وإله عبد في الأرض ، فهو إحدى درجـات الله في زعمـه (تعالى الله عن ذلك) ثم يجعل عبادة الهوى أعظم هذه الدرجات وأسماهـا وهـاك نص عبـارتـه في ذلـك :« فكان عـدم قـوة إرداع هـارون بـالفعـل أن ينفـذ في أصحاب العجل بالتسليط على العجل كما سلط موسى عليه حكمـة من الله تعـالى ظاهرة في الوجود ، ليعبد في كل صورة وإن ذهبت تلـك الصـورة بعـد ذلك ، فما ذهبت إلا بعد ما تلبست عند عابدها بالألوهية» ثم يقول «وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بـالرفعـة عنـد العـابـد ، والظهور بـالـدرجـة في

قلبه ، وكذلك تسمى الحق لنا برفيع الدرجات ، ولم يقل..رفيع الدرجة ، فكثر الدرجات في عين واحدة ، فإنه قضى أن لا يعبد إلا إياه في درجات كثيرة مختلفة ، أعطت كل درجة مجلى إلهياً عبد فيها ، وأعظم مجلى عبد فيه وأعلاه «الهوى» كما قال :﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾[1]وهو أعظم معبود ، فانه لا يعبد شيء إلا به .. ولا يعبد هو إلا بذاته ، وفيه أقول :

وحـــق الهـــوى إن الهـــوى سبب الهـــوى
ولـــولا الهـــوى في القلب مـــا عبـــد الهـــوى

(ص١٩٤ فصوص)

ثم يقول بعد ذلك :«والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر ، أو حيوان أو إنسان ، أو كوكب أو ملك» (ص١٩٥) .

ثم جعل ابن عربي بعد ذلك كفار قريش الذين تمسكوا بآلهتهم الباطلة قائلين ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى**﴾[2]غير منكرين لله ، بل متعجبين لأنهم وقفوا مع كثرة الصور ، ونسبوا الألوهية لها ، ثم يزعم أن الرسول محمد ﷺ قد جاء داعياً لهم إلي إله يعرف ، ولا يشهد..ثم يصف ابن عربي هذا الإله قائلاً :«فدعا (أي الرسول محمد ﷺ) إلي إله يصمد إليه ويعلم من حيث الجملة...ولا يشهد ولا تدركه الأبصار ، للطفه وسريانه في أعيان الأشياء ، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تدرك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة ، وهو الطيف الخبير ، والخبرة ذوق ، والذوق تجلي ، والتجلي في صور فلا بد منها ، ولا بد منه ، فلا بد أن يعبده من رآه بهواه إن فهمت...»ا هـ (ص١٩٦) ثم يقول مستهزئاً بعقول الجاهلين :«وعلى الله قصد السبيل...» .

وأظنك أيها القارئ قد فهمت الآن العقيدة التي دعا إليها ابن عربي ،

---

(١) سورة الجاثية :الآية ١٢٣ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٣ .

والإله الذي تخيله ، وهو ما زعم أنه الروح الذي يسرى في جميع الموجودات ، بل الموجودات هي صورته الظاهرة...وهي عينه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ولم يكتف أن ينسب هذا إلي نفسه ، ومن شايعه ، بل زعم أن هذه هي عقيدة موسى وعيسى ومحمد ، بل وجميع الأنبياء والمرسلين الذين عرفوا الأمر على حقيقته ، وأن الرسول قد أعطاه هذا الكتاب ، ليخرج به على الناس ليبلغهم الدين الحق ، والرسالة الصحيحة ، وأنه نقل فقط ، وما تصرف في شيء ، بل سار في حدود ما أمر به ، ولم يزد حرفاً واحداً .

(٤) ولم تستطع عقبة أن تقف أمام ابن عربي لترده إلي صوابه ، وليعلم العقيدة الحقة ، ولكنه مضى في شوط التلبيس والتخطيط إلى منتهاه .

وكانت من هذه العقبات العقيدة في النار : جهنم التي أعدها الله للكافرين ، والتي يصطرخون بها : ﴿**ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون**﴾[1] والتي يتمنون فيها الموت ، بل يكون هو منتهى آمالهم وغاية مطلبهم ﴿**ونادوا : يا مالك ليقض علينا ربك**﴾ فيرد عليهم مالك قائلاً ﴿ **انكم ماكثون** ﴾[2] ، جهنم التي يدعو أهلها على أنفسهم بالويل والثبور ، ويرد الله عليهم قائلاً :

﴿**لا تدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً**﴾[3] لأنه لا استجابة لهم ، ولا خروج منها ، فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وآيات كثيرة في وصف جهنم ، وبشاعتها وحرقتها ، وعذاب أهلها بها ، كل هذه الآيات لم تمنع ابن عربي الذي حكم لقوم نوح بالمعرفة والإيمان ، ولقوم فرعون ولكفار مكة كذلك ، بل لكل كافر على الأرض أنه ما عبد إلا الله في صورة من الصور ، أقول ؛ كل هذه الآيات لم تمنع ابن عربي أن يحكم لأهل النار بالنعيم المقيم ، والسعادة والهناء !!

---

(١) سورة المؤمنون : الآية ١٠٧ .

(٢) الزخرف ٧٧ .

(٣) سورة الفرقان : الآية ١٤ .

وأين ذلك ؟..في النار نفسها ، هذه النار التي وصفها الله بما وصف ، ووصف أهلها بما وصف.. هذه النار دار سعادة عند ابن عربي ، لا دار شقاوة وعذاب ، بل دار عذوبة وهناء . وهاك نص عبارته في ذلك :

«وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد ، فالأمر واحد وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعَمه وذاك له كالقشر والقشر صاين»

(ص٩٤)

فانظر كيف جعل نعيم النار كنعيم الجنة ، لأن الأمر واحد في زعمه ، وأن العذاب من العذوبة ، وأن النار قشرة تخفي وراءها النعيم المقيم لأهل النار .

ويقول أيضاً ص ١١٤ : «فمن عباد الله من تدركهم تلك الآلام في الحياة الأخرى في دار تسمى جهنم ، ومع هذا لا يقطع أحد من أهل العلم الذين كشفوا الأمر على ما هو عليه أنه لا يكون لهم في تلك الدار نعيم خاص بهم ، إما بفقد ألم كانوا يجدونه ، فارتفع عنهم ، فيكون نعيمهم راحتهم عن وجدان ذلك الألم...أو أن يكون النعيم مستقل زائد كنعيم أهل الجنان في الجنان والله أعلم» .انتهى .

ومع أنه تناقض هنا مع ما قرره في أبياته السابقة ، وقال : يكون النعيم لأهل النار بفقد آلام سابقة ، أو بحصول لذة ومتاع بالنار كنعيم الجنة و(أو) تقتضي الشك ، ولذلك قال : والله أعلم ، مع العلم أنه قال في مطلع الكتاب وفي ثناياه أنه ينقل عن الله بلا زيادة ولا نقصان..فانظر هذا التهافت والتخبط والعمى..نعوذ بالله من الخذلان .

ثم يعود ويقرر دون شك أن النار ستكون برداً وسلاماً على أهلها ، كما كانت نار إبراهيم برداً وسلاماً عليه ، يقول في ص١٦٩ :« وأما أهل النار فمآلهم إلي النعيم ولكن في النار ..إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها ، وهذا نعيمهم ، فينعم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقي في النار ، فإنه عليه السلام تعذب برؤيتها ،

وبما تعود في علمه ، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان»! هـ .

٤ ـ أظنك أيها القارئ الكريم قد عرفت الآن فرعيات هذه العقيدة الصوفية الباطلة ، ولمزيد من هذه المعرفة والتوضيح سأنقل إليك بياناً واضحاً من كلام ابن عربي أو «الشيخ الأكفر أو الأكبر» كما يسمونه ، مما تتصور به هذه العقيدة ، ويكفي في إبطالها أن تتصورها ، فهذه العقيدة لا تحتاج إلي رد يبطلها ، وإنما تصورها تصوراً صحيحاً يكفي لبطلانها ، فما عرف البشر في تاريخهم الطويل كفراً وإلحاداً أعظم من هذا الكفر ، فإن الله تبارك وتعالى استعظم مقالة من قالوا :﴿**اتخذ الله ولداً**﴾سبحانه وتعالى عن ذلك قائلاً :﴿**وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً**﴾(الكهف ٤،٥) .

وقال جل وعلا :﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدّا ، تكاد السموات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ، أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ، إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً**﴾ (مريم ٨٨ ـ ٩٥) .

فإذا كانت السماوات تكاد تنفطر من تلك المقالة الخبيثة ، بل وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، فكيف بمن نسب كل شيء خبيث في الأرض إلي ذات الله ، بل جعله عين الله ؟!..فالذين نسبوا لله ولداً نسبوا شيئاً صالحاً كنبي أو ملك ، أما الذي جعل الله عين كل شيء!..

أقول :إن تصور هذه العقيدة يكفي لبطلانها عند من له أدنى حس أو شعور ، ولا أقول عقل ولب ، فالقضية لا تحتاج معقولية لردها ، وإنما تحتاج قليلاً من الإحساس والشعور ، والحياء والخجل ، وقد لبّس هؤلاء الشياطين على الناس زاعمين أن كلامهم لا يفقهه إلا من ذاق ذوقهم ، ووجد وجدهم ، وعرف معرفتهم ، وها أنا ذا أعطيك مفاتيح هذه المعارف الباطلة ، والذوق الخبيث ، والوجد اللعين ، لتعرف الأمر عندهم على ما هو

عليه ، ولذلك فسأسرد لك طائفة أخرى من الشرح التفصيلي لهذه العقيدة ، وكل هذا الشرح من كلام القوم حتى لا يبقى عندك في الحق لبساً ، ولتعلم أيضاً أن من زعم منهم أن هذا الكلام المنقول عن أساتذة الضلال إنما هو شطح فقط ، وغلبة حال فزعمه باطل ، لأن الأمر ليس شطحاً ، وإنما هو عقيدة فلسفية مقررة مشروحة في عشرات الكتب ، وأن كل آي القرآن قد حرفوها ، واستدلوا بها ، ليغيروا عقيدة المسلمين الحقة في إلههم سبحانه وتعالى ، الذي يتصف بصفات الكمال ، والذي لا يشبه أحداً من خلقه ، بل هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

يقول ابن عربي شارحاً عقيدته مستدلاً عليها بالحديث الموضوع :«من عرف نفسه عرف ربه» قال :«قال عليه السلام : من عرف نفسه عرف ربه» ، وهو أعلم الخلق بالله ، فإن بعض الحكماء وأبا حامد ادعوا أنه يعرف الإله من غير نظر في العالم ، وهذا غلط ، نعم تعرف ذات قديمة أزلية ، لا تعرف أنها إله حتى يعرف المألوه ، فهو الدليل عليه ، ثم بعد هذا في ثاني حال يعطيك الكشف أن الحق نفسه كان عين الدليل على نفسه وعلى ألوهيته ، وأن العالم ليس سوى تجليّه في صور أعيانهم الثابتة التي يستحيل وجودها بدونه ، وأنه يتنوع ويتصور بحسب حقائق هذه الأعيان وأحوالها ، وهذا بعد العلم به منا أنه إله لنا ، ثم يأتي الكشف الآخر ، فيظهر لك صورنا فيه ، فيظهر بعضنا لبعض في الحق ، فيعرف بعضنا بعضاً»(ا هـ ص٨١،٨٢) .

فهنا قد أنكر ابن عربي علي أبي حامد وبعض المتصوفة الآخرين الذين قالوا : إن الحق لا يشترط لمعرفته النظر في الكون ، بل قد يأتي ذلك عن طريق الكشف رأساً دون استدلال بالكون المشاهد على الخالق سبحانه وتعالى . قال ابن عربي : إن هذا لا يكفي إلا لمعرفة ذات قديمة أزلية ، ولكن لا بد من النظر في الكون لتعلم أن الذي تشاهده هو الحق ، وهو الدليل على الحق ، أي أن الصور المشاهدة في الكون هي الله ، وهي الدليل عليه ، ثم يأتي بعد ذلك الكشف الآخر الذي يتحقق الإنسان فيه من نفسه أيضاً بأنه نفسه صورة من صور الحق ، فعند ذلك يعرف نفسه ، فيعرف ربه ، يعرف نفسه أنه

الله ، فيعرف الله أنه كل موجود....

ولم يكتف ابن عربي بأن يتبع أسلوب الثعالب في اللف والدوران والمراوغة ، بل اتبع أيضاً اسلوب الإستفزاز لكل مؤمن ، والنيل من عقيدة الإسلام بكل احتقار واستهزاء ، ويدلك على ذلك أن اسم الله عز وجل (العلي) يفهم منه سلف الأمة وعلماؤها الأفاضل أن المقصود به العلو الحقيقي المستلزم مباينته تعالى لخلقه ، والعلو المجازي الذي هو علو المكانة ، فالله علي بذاته سبحانه وتعالى لأنه فوق عرشه ، والعرش سقف المخلوقات ، كما مدح نفسه بذلك في سبع آيات من كتابه الكريم ، وكما قال مالك بن أنس :

الإستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، وأما المكانة فمنزلة الله عز وجل فوق كل منزلة ، فهو العلي العظيم سبحانه وتعالى ، والخالق القوي القدير ، وما سواه معبود مربوب مقهور ، فحتى العلماء الذين نفوا عن الله العلو الحقيقي ، وأثبتوا علو المكانة فقط ما نفوا عن الله هذه الصفة ، ولكن انظر إلي ابن عربي كيف فهم هذه الصفة ، وطبقها حسب عقيدته الباطلة :

قال في ص٧٦ :« ومن أسمائه الحسنى العليّ ، على من... وما ثم إلا هو ؟، فهو العلي لذاته . أو عن ماذا. وما هو إلا هو ؟ فعلوه لنفسه ، وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى المحدثات هي العلّية لذاتها ، وليست إلا هو ، فهو العلي ، لا علو إضافة ، لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الجود ، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات ، والعين واحدة من المجموع في المجموع ، فوجود الكثرة في الأسماء ، وهي النسب ، وهي أمور عدمية ، وليس إلا العين الذي هو الذات ، فهو العلي لنفسه لا بالإضافة ، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة ، لكن الوجوه الوجودية متفاضلة ، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة ، لذلك نقول فيه : هو لا هو ، أنت لا أنت ، قال الخراز (رحمه الله تعالى) وهو وجه من وجوه الحق ، ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها ، فهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ،

فهو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن في حال ظهوره ، وما ثم من يراه غيره ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه ، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات»(انتهى ص٧٦ ، ٧٧) .

فانظر استهزاءه باسم الله (العلي) حيث يقول : على من ؟ وعن ماذا ؟ وليس في الوجود غيره ، فهو المحدثات ، بل هو المسمى أبو سعيد الخراز ، وأبو سعيد هذا أحد أئمة القوم في القرن الثالث الهجري...وانظر كيف جعلوا العلو إنما هو لبعض المحدثات على بعض ، وما دام أن جميع المحدثات هو الحق ، وهو الله عندهم ، فلا يوصف الله بالعلو إضافة أبداً ، لأنه ليس شيء غيره في الكون ، ولكن يوصف ـ عندهم ـ بالعلو لذاته فقط .

ولا يتورع ابن عربي مع ذلك أن ينسب ما في الوجود من شر وقبائح وظلم وسفك دم إلي الله ، بل يجعل كل ذلك هو الله فيقول :« فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية ، حيث لا يمكن أن يفوته نعت منها ، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة» انتهى ص ٧٩ .

فانظر كيف جعل مسمى الله يستغرق جميع الأمور الوجودية ، سواء كانت ممدوحة في العرف والعقل والشرع ، أم كانت مذمومة في العرف والعقل والشرع ، وليس هناك كفر على الأرض أكبر من هذا الكفر ، بل ليس هناك وقاحة وسوء أدب مع الله أعظم من هذا ، فاللهم رحمتك بنا ونقمتك بأولئك ، أبعدهم الله....

ولقد كرر هذا المعنى كثيراً في كتابه فقال أيضاً :« ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص وبصفات الذم ؟ »ص٨٠ .

ولم يكتف بهذا القول المجمل ، بل فصل ذلك أيضاً حيث جعل الكبش الذي أنزله الله فداءاً لإسماعيل من الذبح هو الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) .

قال ابن عربي :

فيا ليت شعري كيف ناب بذاته   شخيص كبيش عن خليفة رحمان
(ص ٨٤)

ويقول أيضاً :

فوقتاً يكون العبد رباً بلا شك   ووقتاً يكون العبد عبداً بلا إفك
فإن كان عبداً كان بالحق واسعاً   وإن كان رباً كان في عيشة ضنك

(ص٩٠ الفصوص)

بل لم يكتف بهذا أيضاً حتى زعم أن الحق لا يُشهد أتم شهود ، ولا يعرف حق المعرفة إلا في المرأة...حال اللذة والشهوة...وهاك نصوص عباراته القبيحة في ذلك ، ووالله لولا وجوب بيان هذا الباطل ، وتحذير الأمة منه ما كان لي أن أخط قلماً بهذا الإثم والفجور ، ولكن ما حيلتنا وبين أظهرنا من يدافع عن هذا الباطل ، ويعتقد الولاية لقائليه ، بل ويكفّر من تعرض لهذا الإثم والفجور ، ويرميهم بالكفر والزندقة ، وهؤلاء الضالون قد ملؤوا أكبر المراكز الدينية في بلادنا ، واتبعهم عوام الناس دون وعي منهم بما خلف هذه العمائم الفارغة ، والشهادات الزائفة من الإثم والفجور والباطل ؟!.

هذا ابن عربي سيد الصوفية وشيخها من لدنه إلي هذا يفسر حديث الرسول ﷺ :«حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة» فيقول :

«»اشتق الله من الإنسان شخصاً على صورته سماه إمرأة ، فظهرت بصورته ، فحن إليها حنين الشيء إلي نفسه ، وحنت إليه حنين الشيء إلي وطنه ، فحببت إليه النساء ، فإن الله أحب من خلقه على صورته ، وأسجد له ملائكته النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم ، وعلو نشأتهم الطبيعية ، فمن هناك وقعت المناسبة والصورة أعظم مناسبة ، وأجلها وأكملها .»» ا هـ ص ٢١٦

وقبل أن نستطرد في النقل عن ابن عربي أشرح لك الإفك الذي أفكه

هنا ، فقد زعم أن الإنسان أحب المرأة ، لأنها جزء منه ولا مانع في ذلك ، وقد يكون هذا قولا صحيحاً ، ثم قاس على هذا أن الله أحب الإنسان لأنه خلقه على صورته ، يعني أن ابن آدم ظهر في الوجود على صورة الرحمن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فكان ابن عربي مشبهاً لله بخلقه أيضاً ، وهذا القول منه يخالف عقيدته السابقة في وحدة الوجود ، وأن جميع الموجودات هي صورة للحق ، ولا تنفرد صورة واحدة بأن تكون مثلاً للخالق م بل جميع الصور ذاتها ذات الخالق ، وهذا يدلك على تناقضه وخبثه وثعلبيته ، ويجعل السبب الذي من أجله أحب الله الإنسان أن الصورة التي خلق عليها هي أعظم مناسبة واقرأ عبارته السابقة مرة أخرى حتى تفهم ما يقول . ثم يستطرد ابن عربي شارحاً ومفلسفاً عقيدته قائلاً :

«فإنها زوج (أي صورة الإنسان آدم) أي شفعت وجود الحق كما كانت المرأة شفعت بوجودها الرجل ، فصيرته زوجاً ، فظهرت الثلاثة : حق ورجل وامرأة !!! فحن الرجل إلي ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه ، فحبب إليه ربه النساء ، كما أحب الله من هو على صورته ، فما وقع الحب إلا لمن تكوّن عنه ، وقد كان حبه لمن تكوّن منه ، وهو الحق ، فلهذا قال «حبب» ولم يقل «أحببت» من نفسه ، لتعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لإمرأته ، فإنه أحبها بحب الله إياه تخلقاً إلهياً» ا هـ .

فانظر كيف جعل حب الرجل للمرأة من التخلق بأخلاق الله في زعمه ، لأن الله قد أحب محمداً الذي خلقه على صورته (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ، ولأن محمداً هو أول موجود حسب عقيدة ابن عربي .

ثم يستطرد ابن عربي في عباراته الوقحة الكافرة القبيحة قائلاً :

«ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة أي غاية الوصل التي تكون في المحبة ، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح ، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها ، ولذلك أمر بالإغتسال منه ، فعمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره !! فطهره بالغسل ، ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه ، إذ لا يكون إلا

ذلك ، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل ، وإذا شاهد في نفسه ـ من حيث ظهور المرأة عنه ـ شاهده في فاعل ، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكوّن عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل...لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل..ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ، فلهذا أحب الرسول ﷺ النساء ، لكمال شهود الحق فيهن..إذ لا يشهد الحق مجرداً عن المواد أبداً....»»(ص٢١٧ فصوص الحكم) .

وأظن ليس بعد هذا الكلام كلام ، وليس بعد هذا البيان بيان ، ولا يملك المسلم الذي عصمه الله من هذا التردي الخلقي والعقلي إلا أن يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»

ويستطرد ابن عربي مقرراً هذا المعنى شارحاً له بمثل هذه العبارات :«فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكمله....»»

وقائلاً أيضاً :«فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي» .وقائلاً بعد هذا أيضاً :

صح عند الناس أني عاشق غير أن لم يعرفوا عشقي لمن

(ص٢١٨ الفصوص)

☆ ☆ ☆

الفصل السادس
طريقة المتصوفة في الاعراب عن عقيدتهم الباطنية

مع بداية القرن الثالث الهجري ابتدأ المتصوفة بالتصريح بشيء من علومهم الباطنة فأنكر بعضهم على بعض ، فهذا الجنيد يقول للشبلي : «نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ، ثم خبأناه في السراديب ، فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ» فرد عليه الشبلي بقوله :« أنا أقول وأنا أسمع فهل في الدارين غيري» » !!(التعرف على مذهب التصوف ١٤٥) .

وقول الشبلي هذا هو بدايات القول بوحدة الوجود .

ثم ابتدأت جماعة من المتصوفة تصرح بشيء من هذا العلم الباطن الذي لم يكن في حقيقته إلا القول بالحلول ، والفناء في ذات الله الذي تقول به العقيدة الهندية البرهمية . والقول بوحدة الوجود ، وكان هذا في نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع . وهذه طائفة من هذه الأقوال التي ظهرت على أفواه القوم ، وكانت تخفي تحتها العقيدة الباطنة التي زعموا أنها في منتهى الكمال والرقي في سلم التعبد الاسلامي .

أ ـ ذكر أبو نصر السراج الطوسي صاحب كتاب اللمع في التصوف ، وهو الكتاب الذي نشره الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ص ٤٩٥ أن أبا حمزة الصوفي دخل دار الحارث المحاسبي فثغت[1] شاة الحارث ، فشهق أبو حمزة شهقة وقال : «لبيك يا سيدي» !! فأنكر عليه الحارث المحاسبي ، فقال له أبو حمزة : إن إنكارك علي يشبه أحوال المريدين المبتدئين» أي الذين لم يصلوا بعد الى التحقق من وحدة الوجود .

ب ـ وهذا أبو الحسين النوري يسمع كلباً يعوي فيقول : «لبيك

---

(١) ثغاء الشاه : صوتها

وسعديك » (اللمع ص ٤٩٢) .

جـ وهذا الشبلي أيضاً يقول لأحـد زواره عنـد خروجـه : «أنـا معكم حيثمـا كنتم ، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي» (اللمع ص ٤٧٨) .

د ـ وكان من أجرأ هؤلاء الـذين صرحـوا بهـذا العلم البـاطن الحـلاج ، وقبل أن أستشهد بشيء من أقواله أحب أن أقدم هذه المقدمة عنه :

نشأ الحلاج في أواخر القرن الثالث الهجري ، وهو من أهل بيضـاء فـارس ، ونشأ بواسط بالعراق ، وصحب الجنيد الذي يعتبر سيد الطائفة الصوفية ، وأبـا الحسين النوري والفوطي ، وقد قتل ببغداد ، وصلب يوم الثلاثاء السـادس من ذي القعدة سنة تسع وثلاث مئـة : ٣٠٩ هـ وعموم المتصوفـة راضون عنـه ، وان كان قد رده بعضهم بعد قتلـه خوفـاً على أنفسهم ، ولكـن ذكر الأقـدمون منهم أقوالـه في كتبهم دون ذكر اسمـه ، بـأن يقولـوا مثـلاً : قـال أحـد الكبراء [1] ولم يستطيعوا التصريح باسمه ، وهذا صنيع أكبر رجلين كتبا في التصوف في القرن الرابع ، وهمـا أبو بكر محمـد الكلابـاذي المتـوفي سنـة ٣٨٠ هـ وأبـو نصر السراج الطوسي المتوفي سنة ٣٧٨ هـ ، وقد بالغت طائفة منهم بـالثنـاء عليـه حتى قـال عنه محمـد بن خفيف : «الحسين بن منصور عـالم ربـاني» (طبقـات الصوفيـة ص ٣٠٨) .

وفي القرن الخامس وما يليه ابتـدأ المتصوفـة يصرحون بـاسمـه ، ويـذكرون مقالاته ، ويشهدون بفضلـة وسعتـه ، فقـد أشـاد بـه أبو حـامـد الغزالي ، وابن عربي ، وعبد الغني النابلسي وكل المتصوفة منذ القرن الخـامس ، وأمـا في العصر الحديث فقد كتب فيه طـه عبـد البـاقي سرور كتـابـاً بعنوان : (الحلاج شهيـد التصوف الاسلامي) وقد جعلـه في هـذا الكتـاب ثائراً على الفسـاد ، ومصلحـاً اجتماعياً ، وداعية إسلامياً إلى الله سبحانه وتعالى .

---

(١) وهذا صنيع أبي بكر محمد الكلاباذي الذي ألف الموسوعة الصوفية الثانية بعد اللمع ، وهو كتابه (التعرف على مذهب أهل التصوف) وكذلك صنيع السراج الطوسي صـاحب الموسوعـة الصوفيـة الاولى (اللمع) وقد استشهد بكلام الحلاج في أكثر من خمسين موضعـاً من كتـابـه مصـدراً القول بقولـه : قـال بعضهم ، أو قال القائل . (انظر مقدمة كتاب الحلاج ص ١١) .

وبعد هذه المقدمة أعود الى سياق البحث ، وهو أن أجرأ الناس في اظهار العقيدة الباطنية للفكر الصوفي كان الحسين بن منصور الحلاج ، وهذه الجرأة هي التي أدت بعد ذلك إلى القتل والصلب ، ولقد كان هناك من المتصوفة من هم على عقيدته ولكنهم كتموا : يقول الشبلي :

« كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً ، إلا أنه أظهر وكتمت» (ص ١٠٤ الحلاج لطه عبد الباقي سرور) ومن أبرز ما صرح به الحلاج عن المعتقد الباطن للتصوف ما أنقله بنصه عن كتاب الطواسين للحلاج (نشر لويس ماسنيون) قال الحلاج (طاسين الأزل والالتباس) :

« ما صحت الدعاوي لأحد الا لإبليس وأحمد ، غير أن إبليس سقط عن العين ، وأحمد كشف له عن عين العين ، قيل لابليس : اسجد ، ولأحمد : انظر . هذا ما سجد ، وأحمد ما نظر ، ما التفت يميناً ولا شمالاً ، ﴿**ما زاغ البصر وما طغى**﴾ أما ابليس فانه دعا لكنه ما رجع عن حوله، وأحمد ادعى ورجع عن حوله بقوله : «بك أحول وبك أصول » وبقوله : « يا مقلب القلوب » وقوله : « لا أحصي ثناء عليك » .

وما كان في أهل السماء موحد مثل إبليس ، حيث إبليس تغير عليه العين ، وهجر الألحاظ في السير ، وعبد المعبود على التجريد ، ولُعن حين وصل إلي التفريد ، وطُلب حين طلب المزيد .

فقال له : (اسجد) قال :«لا غير» قال له :«وإن عليك لعنتي» قال :«لا غير» ، مالي إلي غيرك سبيل ، وإني محب ذليل ، قال له : «استكبرت» قال : لو كان لي معك لحظة لكان يليق بي التكبر والتجبر ، وأنا الذي عرفتك في الأزل (أنا خير منه) لأن لي قدمة في الخدمة ، وليس في الكونين أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، إرادتك فيّ سابقة ، إن سجدت لغيرك ، فإن لم أسجد لا بد من الرجوع إلي الأصل ، لأنك خلقتني من النار ، والنار ترجع إلي النار ، ولك التقدير والإختيار ، تيقنت أن القرب والبعد واحد !!» ثم يستطرد الحلاج قائلاً :

« التقى موسى وإبليس على عقبة الطور ، فقال له : يا إبليس ما منعك

عن السجود ؟ قال : منعني الدعوة بمعبود واحد ، ولو سجدت له لكنت مثلك ، فإنك نوديت مرة واحدة..انظر إلي الجبل..فنظرت ، ونوديت أنا ألف مرة أن أسجد فما سجدت لدعواي بمعناي ، فقال : تركت الأمر ؟ قال : كان ذلك ابتلاء لا أمراً ، فقال له : لا جرم قد غير صورتك . قال : يا موسى ذا وذا تلبيس ، والحال لا يعول عليه فإنه يحول ، لكن المعرفة صحيحة كا كانت وما تغيرت وإن الشخص قد تغير .

فقال موسى : الآن تذكره ؟ فقال : يا موسى الفكرة تذكر ، أنا مذكور وهو مذكور ، ذكره ذكري ، وذكري ذكره ، وهل يكون الذاكرون إلا معاً .

خدمتي الآن أصفى ، ووقتي أخلى ، وذكري أجلى ، لأني كنت أخدمه في القدم لحظي ، والآن أخدمه لحظّه» .

ثم استطرد بعد ذلك قائلاً : « وفي أقوال عزازيل[1]أقاويل أحدها أنه كان في السماء داعياً وفي الأرض داعياً : في السماء دعى الملائكة بربهم المحاسن ، وفي الأرض دعا الإنس بربهم القبائح ، لأن الأشياء تعرف بأضدادها » .

وفي هذه الصياغة الطويلة لمعصية إبليس تستطيع الآن أن تلم بملامح العقيدة الصوفية الباطنية ، ونستطيع أن نلخصها على النحو التالي :

١ ـ أعبد الناس في كلام الحلاج هو إبليس والرسول ﷺ ، وانظر كيف ينظمها عدو الله في سلك واحد. ثم يستدل على ذلك بأن إبليس أمر بالسجود فلم يسجد ، والذي منعه من ذلك هو مشيئة الرب فيه وجبر الرب له ، وتحققه أن لا موجود إلا هو ، وأن القرب والبعد من الرب واحد ، لأنه ليس على الحقيقة إلا الله ، وأن إبليس قد كان داعياً للملائكة إلي المحاسن ، باقامة الله له ، وفي الأرض إنما هو داعٍ إلي القبائح ، وما هو في الحقيقة إلا قائم بمراد الرب ومشيئته .

وأما الرسول ﷺ ـ وحاشاه ـ فقد أصبح أعبد الناس عند الحلاج ـ وهذا

---

(١) زعم المتصوفة أن إبليس كان يسمى في السماء عزازيل قبل أن يطرد من رحمة الله .

من التلبيس ـ لأن الله أمره في السماء أن ينظر إليه ، فما نظر ، واستدل على ذلك بقوله تعالى :﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ والآية في أن رسول الله ﷺ قد رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها ، وأن البصر ما زاغ ولا طغى ، وهو ينظر إلي جبريل[١] .

وأما الدليل الآخر الذي ساقه الحلاج ، فهو قول الرسول ﷺ :« اللهم بك أصول وبك أجول وبك أقول»[٢] والمعنى الذي هو مراد الرسول ﷺ هو معنى لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلا يستطيع أحد أن يفعل خيراً ، أو يوفق إلي خير إلا بحول الله وقوته ولكن الحلاج قلب هذا المعنى إلي عقيدته الخبيثة في الرب جل وعلا ، وجعل معناها أن الرسول قال ذلك لأنه كان متحققاً أنه هو هو ، أي أنه هو الله !!

وأما موسى في نظر الحلاج فلم يكن على معرفة بحقيقة الرب ، ولذلك قال له : (رب أرني أنظر إليك) .

ولقد كان من الجرأة بمكان أن يظهر الحلاج دعوته وعقيدته على هذا النحو من الصراحة والوضوح ، ولقد كان يعاصره عدد كبير من المتصوفة في العراق وإيران والشام ، ولكنهم قنعوا بالإشارات والرموز إلي عقيدتهم ، ولم يقنع هو إلا بالتصريح ، وقد سمى هو هذا المقام الذي وصل إليه مقام الفتوة ، وفي ذلك يقول :

(تناظرت مع إبليس وفرعون في الفتوة[٣] ، فقال إبليس :(إن سجدت سقط

---

(١) فانظر كيف حول الحلاج الآية عن معناها ، وأن المقصود بها هو : ما زاغ البصر أي ما نظر إلي الله ، لأنه ليست هناك ذات مستقلة لله تبارك وتعالى في زعم الصوفية ، بل ذاته هي ذات موجوداته . وانظر هذا في كلام النابلسي الآتي .

(٢) هو جزء محرف من حديث رواه أبو داود في «سننه ـ ٢٦٣٢» عن أنس بن مالك ، ولفظه :« كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال : اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول ، وبك أصول ، وبك أقاتل» وصحح اسناده استاذنا الألباني في «تخريج الكلم الطيب ص٧٥» كما رواه ببعض إختصار الترمذي «٢٧٨/٢» وحسنه ، وأحمد (١٦/٦) .

(٣) الفتوة التي عناها الحلاج هنا هي الجرأة في إظهار معتقده ، وأستاذه في ذلك كما يقول إبليس وفرعون !!

عني اسم الفتوة ، وقال فرعون : ان آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة ، وقلت أنا أيضاً : ان رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة !! وقال إبليس : أنا خير منه ، حين لم ير غيره غيراً ، وقال فرعون : (ما علمت لكم من إله غيري) حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل !! وقلت أنا : إن لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر ، وأنا الحق لأني ما زلت أبداً بالحق حقاً !! فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون ، وإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه ، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه ، ولم يقر بالواسطة أبداً ، وان قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ، ما رجعت عن دعواي » .

(الطواسين ص ٥٢)

وهذا الذي وصل الحلاج إليه قد كان عقيدة لكثير من معاصريه ، ولكنهم لم يستطيعوا التصريح به بنفس الوضوح والصراحة التي صرح بها الحلاج ، يقول الشبلي :« كنت والحسين بن منصور شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت » ، وقد مرّ بك هذا القول .

ولقد حاول الحلاج أن ينقل عموم المتصوفة إلي موقفه ، ولذلك لم يفتأ يحركهم نحو هذه الغاية ، ففي الرسالة القشيرية أنه لقى إبراهيم الخواص فقال له الحلاج : ماذا صنعت في هذه الأسفار ، وقطع هذه المفاوز ؟ قال : بقيت في التوكل أصحح نفسي عليه . فقال الحلاج : أفنيت عمرك في عمران باطنك ، فأين الفناء في التوحيد !!

ويدخل الحلاج مسجد بغداد ، ويرى الجنيد يتكلم على المنبر ، والجنيد سيد الطائفة في وقته فيقول له: يا أبا القاسم إن الله لا يرضى من العالم بالعلم حتى يجده في العلم ، فإن كنت في العلم فالزم مكانك ، وإلا فانزل ، فنزل الجنيد ولم يتكلم على الناس شهراً » .

(أخبار الحلاج طبع ماسنيون)

وهذا القول من الحلاج للجنيد إنكار شديد عليه ، وأمر له بأن يظهر ما يعتقده ، وبأن يتحقق ظاهراً فيما تحقق فيه باطناً . وهذا معنى قوله :« فإن

كنت في العلم فالزم مكانك» أي إن كنت قد وصلت إلى حقيقة معتقد التصوف فالزم هذا المكان ، واظهر ما تعتقد . والحلاج هنا لم ينكر على الجنيد معصية شرعية ظاهرة ، ولكنه أنكر عليه إظهاره من علوم الشريعة للعامة ما يخالف ما وصل إليه من عقيدة التصوف ، ولذلك احتجب الجنيد عن الناس شهراً لا يكلمهم ، ولم يستطع الجنيد أن يظهر ما أظهر الحلاج ، لأنه كان يعلم نهاية الإفصاح عن حقيقة المعتقد .

ولذلك روى أبو عبد الرحمن السلمي في طبقاته في ترجمة الشبلي أن الجنيد قال للشبلي «لو رددت أمرك إلى الله لاسترحت» فقال الشبلي : «يا أبا القاسم لو ردّ الله أمرك اليك لاسترحت» فقال الجنيد : «سيوف الشبلي تقطر دماً!!».

(الطبقات ص ٣٤٣)

والمعنى الذي عناه الجنيد في كلامه للشبلي أنه إذا استسلم لأمر الله ، واسترسل معه كما يقولون : التصوف الاسترسال مع الله[1] أي ترك الإختيار معه لاسترحت وهدأت ،

فرد الشبلي عليه بعكس العبارة ونفس المعنى !! ومعنى عبارة الشبلي أن الله قد جبر العبد وأقامه بما هو فيه ، ولم يردّ أمره إليه ، بل جعل أمر العبد إليه هو ، ولو رد أمر العبد الي نفسه لاستراح ، واختار ما يحلو له . وكانت عبارة الشبلي للدلالة على المعنى أصرح من عبارة الجنيد ، ولذلك قال الجنيد رداً على ذلك : سيوف الشبلي تقطر دماً . أي أنه بهذا التصريح عن معتقده سيعرض نفسه للقتل !!

ومما يدل على ذلك أن الحلاج عندما أحضر للقتل والصلب جمعت المتصوفة ، وأرغموا على النيل من الحلاج وسبه ، وكان ممن أحضروا لذلك الشبلي ، وضعوا المنديل في رقبته ، وسحبوه إلي الحسين بن منصور الحلاج

---

(١) يعني المتصوفة بهذا القول أن لا يكون لك إختيار وفعل ، بل تترك مشيئة الرب تسيرك ، وهذا معناه هدم الإرادة البشرية وترك الوسائل كلها .

ليلعنه فتأبى من ذلك ، فأمره الجند بأن يذهب بنفسه أو يرسل من يلعن الحلاج ، فأرسل امرأة متصوفة ، وأمرها أن تقول للحلاج : ان الله قد ائتمنك على سر من أسراره فأذعته ؛ فأذاقك طعم الحديد !!

(ماسنيون وانظر منشورات الصوفية)

وهذه الروايات كلها تدل على أن أفراد الطائفة في القرن الثالث الهجري كانوا على علم باطني واحد قد تفاوتوا في إظهاره وإعلانه !!

(طريق الوصول إلي العلم الباطن) :

ولقد ظن كثير من الناس أن هذا العلم الباطني كان نتيجة للصلاح والتقوى ، والمداومة على التسبيح والذكر ، فداوم على هذا وسار في طريقهم زماناً عله يظفر بما يظفرون به ، ولكنه لم يصل إلي شيء ، من هؤلاء من يحدثنا عنه أبو حامد الغزالي في كتابه الأحياء (جـ ٤ ص ٣٥٨) يقول : حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل (بسطام) كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي فقال يوماً : أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر ، وأقوم ولا أنام ، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً ، وأنا أصدق به وأحبه !

فقال أبو يزيد : ولو صمت ثلاثمائة سنة ، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة !! قال : ولم ؟ قال : لأنك محجوب بنفسك . قال : فلهذا دواء ؟ قال : نعم . قال : قل لي حتى أعمله . قال : لا تقبله . قال : فاذكره لي حتى أعمل . قال : اذهب إلي المزين فاحلق رأسك ولحيتك ، وانزع هذا اللباس ، واتزر بعباءة ، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً ، واجمع الصبيان حولك ، وقل..كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة ، وادخل السوق ، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك ، وأنت على ذلك !!

فقال الرجل : سبحان الله ، تقول لي مثل هذا ؟ فقال أبو يزيد : قولك..«سبحان الله» شرك !! قال : وكيف ؟ قال : لأنك عظمت نفسك ، فسبحتها ، وما سبحت ربك . فقال : هذا لا أفعله ، ولكن دلني على غيره . فقال : ابتدئ بهذا قبل كل شيء . فقال : لا أطيقه . فقال : قد قلت لك..إنك لا تقبل..! .

والعجيب أن أبا حامد الغزالي يعقب على هذه القصة بقوله : فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو جزاء من اعتل بنظره إلي نفسه .

فهذا الرجل الصالح الذي صام دهره وأقام ليله ، يرجو الوصول إلي علوم القوم ، وما جاءه خاطر ، ولا مرّ به هاتف ، تعجب من هذا وشكا إلي أبي يزيد ، فقال له : لن تصل إلي شيء لأنك محجوب بنفسك . ومعنى ذلك أنه يرى أنه القائم بالعبادة فيرى نفسه عابداً لله ، وعقيدة الصوفية أن تعتقد أن الله قد أقامك فيها ، وأنه اختارها لك ، وتلك إرادته ، ولا إرادة لك معه ، وبالمقابل لا بد أن تعتقد أن الله قد أقام العصاة في معاصيهم ، والكفرة في كفرهم ، وإبليس في إغوائه (كما مرّ بنا في كلام الحلاج) ، وكذلك أيضاً قال أبو يزيد لذلك الرجل عندما قال : سبحان الله : سبحان الله شرك . ثم لما قال له : كيف ؟ قال : لأنك نزهت نفسك عن فعل السوء ، ولم تنزه الله الذي يفعل السوء ويريده ، ويقيم الناس فيه ، فقد عظم الرجل نفسه في عقيدة أبي يزيد وطائفته عندما امتنع عن عمل يقوم الله به ويريده ويحبه !!

ولهذا أمر أبو يزيد البسطامي ذلك الرجل ليصل إلي هذه الحقيقة الصوفية أن يفعل بنفسه ذلك الفعل المرعب ، وبهذه الوسيلة التي تعتبر مجاهدة في عرف التصوف سيتحقق يقيناً بهذا العلم الباطني ، وهو أن الكون على هذا النحو مراد لله سبحانه . ولذلك قالوا :«أقام العباد فيما أراد» !!

ولا شك أن الخطأ في فهم قضية القضاء والقدر قد جرّت البلايا والفتن على كثير من الناس ، والعياذ بالله ، والسبب في ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يفرقوا بين علم الله الأزلي سبحانه وتعالى ، وما سطّره من مقادير الكون وفق هذا العلم ، وأنه سبحانه يعلم ما سيكون كيف يكون ، وبين الإختيار والمشيئة للعبد التي جعلها الرب تبارك وتعالى أساساً ومناطاً للتكليف والحساب . فللعبد مشيئة خاصة يوقع بها الفعل الذي يريده ، ولكنه لا يوقعه جبراً على الله ورغماً عنه ((وسيأتي لقضية القضاء والقدر رسالة مستقلة إن شاء الله أرجو عون الله في إتمامها)) .

فالطاعة بتوفيقه وهدايته ، والمعصية بإذنه سبحانه ومشيئته ، إذ لا يقع في

ملكه إلا ما شاء ، وهو سبحانه وتعالى القادر على منع الكافر من الكفر ، والفاجر من الفجور ، ولكنه الابتلاء والإختيار والتكليف :﴿**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً**﴾:(**٩٩ يونس**) وقد جعل سبحانه وتعالى الهداية حقاً عليه لمن جاهد في سبيلها ، قال تعالى : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ وقال:﴿**فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى**﴾ وجعل سبحانه وتعالى الضلال أيضاً ثمرة للسعي في طريقه ، والحيدة عن هدى الله . قال تعالى : ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم**﴾ وقال تعالى ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة**﴾ .

وقال عز وجل : ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً ، فهو له قرين**﴾ وقال تعالى : ﴿**وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم**﴾ إلي آخر الآيات التي تدل على أن الرب تبارك وتعالى لا يعجل الشر ابتداء ، ولكنه يعاقب به جزاءاً ، وسبحانه وتعالى أن يبدأ الإنسان بالشر ، تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً .

فهؤلاء لم يفهموا هذه العقيدة الشرعية التي بينها الله في كتابه أتم البيان ، وشرحها رسوله ﷺ غاية الشرح . ظنوا ـ وخابت ظنونهم ـ أن الشر والمعاصي والفجور مرادة لله تبارك وتعالى إرادة حب وقبول ورضى ، فقالوا ما قالوا ، ولم يعلموا أنها مرادة لله أن تقع في ملكه فقط ، فليست تفعل من فاعليها رغماً عن الله سبحانه وتعالى ، وعجزاً عن دفعها ومنعها ، وحاشاه ربنا سبحانه وتعالى من ذلك ، ولكنها إرادة وقوع ، ومشيئة إذن وسماح ، ووراء ذلك كله العقوبة لأهلها في الدنيا والآخرة ، والمذمة واللعنة والطرد والإبعاد لأهلها ، وحاشا الله أن ينسب هذا إليه «والشر ليس إليك»[1] .

---

(١) هو جزء من حديث رواه مسلم في (صحيحه ـ ٥٧/٦ ـ ٥٩ بشرح النووي) وأبو داود (٧٦٠) وأحمد وغيرهم ، وأوله :«وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً......» وهو من أدعية استفتاح الصلاة المأثور عنه ﷺ .

أقول أن هؤلاء المتصوفة لما لم يفهموا هذه الحقيقة الشرعية ، رأوا أن فعل الكفرة والفجرة موافق للرب في إرادته ومحبته ، وكذلك قال الحلاج عن إبليس وفرعون : إنهما عرفا الحقيقة ، وأنهما قائمان بأمر الله في ذلك ، ولهذا ما سجد إبليس ، وما آمن فرعون إلا بأنه هو الله ، ولهذا أيضاً ما رجع هو عن قوله .

والعجيب بعد هذا كله أن المتصوفة الذين جرهم سوء الفهم لقضية القضاء والقدر إلي هذه العقيدة الباطلة ، والمعتقد السيء ، زعموا أنهم وصلوا إلي هذا الفهم عن طريق الكشف والعلم اللدني والفيض الرحماني[1] ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أوحى لهم بهذا .

وبعد أن قدس المتصوفة الأقدمون علمهم الباطن على هذا النحو ، وأظهره البعض منهم بذلك الوضوح ، وجعلوا علم الشريعة المنزلة على رسوله ﷺ علماً خاصاً بالعوام ، وجعلوا علمهم الباطني علماً خاصاً بالخواص يتلقى رأساً عن الله بطريق انكشاف حجاب الغفلة - في زعمهم - لم يكتف المتأخرون منهم بهذا التقسيم ، بل غالوا إلي أن جعلوا علوم الشريعة مرحلة فقط لعلمهم الباطني ، وجزموا بأن من وقف عند علم الشريعة ، وتقيد بظاهره فقط فلا ينجو في الآخرة ، بل هو غافل عن دين محمد ، شأنه كشأن الكافرين .

يقول الشيخ عبد الغني النابلسي ، وهو كما ترجم له صاحب (الأعلام) من كبار العلماء المتأخرين ، له مصنفات كثيرة جداً في علوم الشريعة والتصوف والأدب ، ولد ونشأ في دمشق ، وتوفي بها سنة ١١٤٣ هـ يقول في كتابه :«الفتح الرباني والفيض الرحماني ص١٣٣» :

«فكل من اشتغل بالعلوم الظاهرة ، ولم يعتقد أن وراء ما هو ساع في تعلمه من الفقه والحديث والتفسير حقائق وعلوماً باطنة ، رمزها الشارع تحت ما أظهر من هذه الرسوم هي مقصودة له ، لأنها المنجية عند الله تعالى ، فهو غافل

---

(١) العلم اللدني نسبة في زعمهم إلي قوله تعالى عن الخضر : ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ وهو بمعنى الفيض عندهم ، ويعنون بكل ذلك انفتاح علم الغيب وحقائق الدنيا والآخرة عليهم !!

عن الله تعالى ، جاهل بدين محمد ﷺ ، داخل تحت قوله تعالى :﴿**يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون**﴾ أ هـ .

وقد ساغ في كلام الشيخ كما ترى أن يستدل بالآية السابقة على أن علوم الشريعة من الفقه والحديث والتفسير ، العلم بها كالعلم بظاهر الحياة الدنيا ، والغفلة بها عن العلم الباطني كالغفلة بعلوم الدنيا وزخرفها عن حقائق الآخرة !!

(الذنب عند النابلسي) :

لقد كتب الشيخ عبد الغني النابلسي هذا الكلام في كتابه الفتح الرباني ، وقد قال في مقدمته : إنه يكتب كتابه هذا مترجماً عن الإلقاء الرحماني له مباشرة ، وبغير واسطة ، فهو وحي أو إلهام أو كشف حسب ما يدعيه ، قال النابلسي في تعريف الذنب حسب العلم الباطني :

«اعلم أن الذنب له حقيقة متى علمت علم سره ، ومتى علم سره علم جهره ، وله حال ومقام ، وله أقسام ، وأنا أتكلم لك الآن في ذلك بحسب الوارد ترجمة عن الإلقاء الرحماني» .

فالنابلسي عندما قرر في (ص ١٣٣ من كتابه الفتح الرباني) أن علوم الشريعة لا تنجي وحدها من عذاب الآخرة ، بل لا بد وأن يدخل المتعلم إلي الحقائق والعلوم الباطنية التي ذكرت في الشريعة بالرمز فقط ، ولم ينص عليها نصاً ؛ وذلك لينجو من عذاب الله يوم القيامة ، عندما قرر النابلسي كل ذلك فانما قرره ترجمة عن الإلقاء الرحماني في زعمه ، ولم يقرر ذلك اجتهاداً ورأياً !!

ولعلك أخي القارئ تحب أن تقف على نماذج من هذا الإلقاء الرحماني على الشيخ عبد الغني النابلسي ، لتعلم الحقيقة الباطنة التي أرادها الله ، وأرادها رسوله ﷺ - في زعم القوم - والتي تكلم الله ورسوله عنها بطريق الرمز في زعمهم ، والتي فهمها وعقلها ، بل نزل الفيض الرحماني والفتح الرباني بها على الشيخ عبد الغني النابلسي !! يقول الشيخ في بيان حقيقة الذنب :

«وأما الذنب بحسب باطن الأمر الإلهي المسمى الحقيقة فهو : الموافقة للرب

سبحانه وتعالى في شيء مما أراد بنفسه من نفسه بعد وصول التبليغ عن نفسه بنفسه إلي نفسه ، ويرجع ذلك إلي تعين وجود العبد» اهـ .

(ونفسه) هذه التي تكررت في العبارة خمس مرات هي مضمون وحدة الوجود ، فالله نفسه هو المريد ، وما أراد شيئاً بغيره ، وإنما أراد بنفسه ، والمبلّغ عنه هو الرسول ، وهو الله نفسه في زعمهم ، والمبلغ إليهم هم البشر ، وهم الله نفسه أيضاً ـ في زعمهم ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وحتى لا يظن القارئ أن تفسيري هذا تجنٍ على الرجل أنقل نص عبارة الشيخ النابلسي في تفسيره للفقرة السابقة . يقول : «ما ثم إلا ذات وصفات ، وصفات صفات ، وهي الأفعال ، ومنفعلات وهي العالم فالأول هو المعبود ، والثاني الموصل إليه وهو الواسطة ، والثالث هو العابد ، والرابع هو العائق والمانع ، والأول مرتبة الله تعالى ، والثاني مرتبة محمد ﷺ ، والثالث مرتبة المؤمنين ، والرابع مرتبة الشيطان ، وهذه الأربعة في الحقيقة شيء واحد ، لكنه تنزل وتفصل ، فظهرت له هذه الأطوار وتعددت وجوداته» (الفتح ص٥١)

فهذا شرح واضح لوحدة الوجود التي ينقلها الشيخ عبد الغني النابلسي عن شيخه الأكبر ابن عربي ، فليس في الوجود عندهم إلا الله ، وهذه الموجودات المشاهدة جميعها صفاته ، تعددت وتنوعت لتعرب عن الصفات الكثيرة التي يتصف بها الرب في زعمهم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

فالمعبود والرسول والمؤمنين والشياطين كلهم بنص النابلسي شيء واحد ، ولذلك فالذنب عند النابلسي هو «الموافقة للرب سبحانه» وهذا راجع بنص كلامه إلي « تعين وجود العبد » . ويشرح النابلسي «تعين الوجود» هذا بقوله :

«فمن تعين عنده وجوده مع الله تعالى ظاهراً أو باطناً فقد أفحش ، وبغى وقال ما لم يعلم (كذا !!) وذلك لأن التعينات في الوجود الحادث إنما هي

لبيان امتياز الحضرات الصفاتية ، لتنفصل مجملاتها ، وتبين كمالاتها ، وليست المغايرة أمراً مقصوراً ، وإنما لزمت من ظهور حقائق بعض الصفات كالغفور والحليم والمنتقم بواسطة تحقق الذنب . قال الجنيد : ما انتفعت بشيء كانتفاعي بأبيات سمعتها ، وأنا مار ببعض الطرقات منها :

وإن قلت : ما ذنبي إليك ؟ أجبتني
وجودك ذنب لا يقاس به ذنب »

أهـ (الفتح ص٤٩)

فالذنب عند النابلسي بمقتضى كلامه السابق هو أن يظن العبد أن له وجوداً مستقلاً عن وجود الله !! ومن ظن ذلك فقد أفحش وبغى ، وقال ما لم يعلم ، واستدل على ذلك ببيت الشعر الذي سمعه الجنيد .

ويبالغ النابلسي أكثر من ذلك ، فيزعم أن حال الذنب هو القرب من الله ، وليس البعد منه . ولذلك يقول بالنص :

«فالمذنب في حال ذنبه أقرب إلي الله منه في حال طاعته» !! (ص٥٨ الفتح)

(الفرق بين الصديق والزنديق) :

وقد أوضح النابلسي هذه العقيدة الباطنية أكثر من ذلك عندما عقد فصلاً مطولاً قارن فيه بين الزنديق والصديق ، وكانت خلاصة هذا الفصل أن الزنديق من يرى أن كفره وفسقه صادر منه فقط ، وأنه مستقل بهذا الكفر . وأما الصديق فهو من يرى أن كل أفعال العباد صادرة من الله سبحانه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ وأن المؤمن والكافر والفاسق والبار ما هم جميعاً إلا مظاهرمختلفة لحقيقة الرب الموجود وحده ، واستدل على ذلك بقوله تعالى :﴿**ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾[1] فالمؤمن عنده والكافر من خلق الله ، ولا فرق بين هذا وذاك ، ومن عرف هذه الحقيقة فهو الصديق ، ومن جهلها وظن أن الكافر يصنع كفره ، ويخلق فعله، ويستقل

---

(١) سورة الملك : الآية ٣ .

بأمر نفسه فهو الزنديق !!

ويحسن أن أنقل كلامه في هذه المسألة بنصه حتى تتضح صورة هذه العقيدة الباطنية وضوحاً لا شك فيه . يقول الشيخ النابلسي :

«واعلم أن الأديان كلها التي في العالم بالنسبة إلي المتدينين بها من الخلق تنقسم إلي قسمين : دين واحد حق وهو الإسلام ، وأديان جميعها باطلة ، وهي ما عدا دين الإسلام .

وأما بالنسبة إلي الخالق سبحانه وتعالى فجميع الأديان الباطلة والحقة مخلوقة له تعالى ، وهو خالقها ، وقد قال تعالى :﴿**وله أسلم من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً**﴾[1]أي انقادوا إليه طائعين في حق المؤمنين ، ومكروهين ، لأنه لا خالق غيره ، في حق الكافرين .

فمن نظر الى ما يظهر من كلا الفريقين ، وقال : إن جميع ذلك صواب وحق فهو الزنديق ، ومن لم ينظر الى ما يظهر من كلا الفريقين ، وانما نظر الى يد الله العليا التي فوق ايديهم جميعاً ، واعتقد أن جميع ما يصدر منها صواب وحق فهو الصديق ، والفرق بينهما دقيق ، لا يدرك الا بعناية من الله تعالى وتوفيق .

فربما يظهر الصديق في حلية الزنديق ، وربما يظهر الزنديق في حلية الصديق ، وموقع النظر واحد ، وهو الخلق . فمن نظر الى الخلق وقال : انهم كلهم على الصواب : فاما أن ينظر اليهم من حيث صدورهم عن الصانع القديم ، ويقول ذلك فهو الصديق . واما أن ينظر اليهم من حيث ذواتهم ويقول ذلك فهو الزنديق .

وسبب ذلك أن من نظر اليهم من حيث صدورهم عن الصانع القديم ، فحكم بالتساوي بينهم ، لأن الله تعالى يقول : ﴿**ما ترى في خلق الرحمن**

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٨٣ .

من تفاوت﴾ (☆)[1]، (الله خالق كل شيء)[2] فلا يكلف الى الفرق والتميز حينئذ ، وهو صادق في حكمه بذلك التساوي ، لأنه مأمور بالايمان بذلك .

وأما من نظر اليهم من حيث ذواتهم ، وما هم عليه من الأحوال ، فحكمه بالتساوي بينهم خطأ محض وجهل . قال تعالى : ﴿**أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ، أم نجعل المتقين كالفجار**﴾[4] وانما يكلف الى الفرق والتميز حينئذ ، وهو كاذب في حكمه بالتساوي بينهم ، وقد يشتبه كلام الصديق بالزنديق ، والقصد هو الفارق ، ويعرف ذلك من كلام آخر في موضع آخر كقول الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي (رضي الله عنه) من أبيات الفتوحات المكية :

عقد البرية في الاله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ومراده جميع ما اعتقدوه من حيث صدور ذلك عن الصانع القديم ، فان جميع ذلك آثار دالة عليه تعالى ، لا من حيث صدور ذلك عن المعتقدين لأنها من حيث هم دالة عليهم لا عليه ، وعقيدة اهل الاختصاص فيها الغفلة عن الآثار ، والنظر الى المؤثر ، يعلم ذلك في مواضع شتى في كلامه» . (الفتح ٨٥ ، ٨٦ لعبد الغني النابلسي) .

وبهذا النقل المطول عن الشيخ النابلسي تتضح أمامنا الآن صورة العقيدة

(☆) انظر كيف قطع النابلسي هذا المقطع من الآية عن موضعه ، فبدل معناه ، وموضعه هكذا : (الذي خلق سبع سماوات طباقا ، ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر هل ترى من فطور؟) والتفاوت المقصود هنا هو التفاوت في خلق السموات والارض ، لا في فعل البشر ، لان كل عاقل يعلم أن فعل البشر متفاوت ، فكم بين الايمان والكفر من تفاوت !!

(١) سورة الملك : الاية ٣

(٢) سورة الرعد : الآية ١٨

(٣) سورة القلم : الآيتان ٣٥ و ٣٦ .

(٤) سورة ص : الآية ٢٨ .

الباطنية التي سعى القوم الى غرسها وبنائها . وأنها التحقق - في زعمهم من أن الموجودات ما هي الا مظاهر لحقيقة واحدة هي الله ، وأن الأفعال لا تتفاضل ولا تتناقض الا بالنظر الى الخلق ، وأما بالنظر الى الله الفاعل الحقيقي - في زعمهم - فانما هي شيء واحد يدل على ذات واحدة .

وبهذه العقيدة هدموا جميع الأديان ، وأبطلوا جميع الشرائع واستحلوا كل الحرمات ، وهذا الذي أقرره هنا لا أقرره أيضاً استنباطاً واجتهاداً ، وتحميلاً لألفاظ القوم مالا تحتمل ، فقد مر بك بيت الشعر المنسوب الى ابن عربي :

عقد البرية في الاله عقائداً وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وقد فسره ابن عربي بأن من اعتقد بأن هناك ديناً واحداً حقاً، وبقية الأديان باطلة فقد فاته خير كثير ، لأنه آمن بجزء من الحقيقة ، ولم ير الحقيقة كاملة ، وهي أن كل هذه الأديان التي ظنها باطلة هي مرادة لله تبارك وتعالى ، بل هو خالقها وبارئها .

وأصرح من هذا كله ما وصل اليه الشيخ النابلسي ، وهو أن مقام الزهد المشهور في التصوف ما هو الا مرحلة في الطريق الصوفي ، وأما المرحلة النهائية فهو ترك الزهد ، والاستمتاع بالمقسوم على أتم وجه ، وفي ذلك يقول النص :

«وأما النظر الى غير الله تعالى فهو اشتغال الروحانية بما يرد عليها من أسئلة الأكوان السائرة للكون الحق ، والستر هو الكفر ، وأصحاب هذا الاشتغال المذكور هم الزهاد الذين يزهدون في الأشياء ، فانهم لولا ملاحظتهم للأشياء وادعاؤهم بثبوتها ما زهدوا فيها ، فقد استتر الحق عنهم بزهدهم في الأشياء ، فكفروا كفراً خفياً ، ولو عقلوا لمّا زهدوا في شيء ،لأن الذي ليس لهم عدم ، فكيف يزهدون في العدم وهو غير مقدور ، والذي لهم لا بد أن يصيبهم ، فلو زهدوا فيه ، لما أمكنهم وعاندوا الأقدار فهم مشغولون بزهدهم عن الله تعالى ، فمتى يتفرغون له تعالى ؟ ولله در القائل :

تجرد عن مقام الزهد قلبي فأنت الحق وحدك في شهودي
أأزهد في سواك ، وليس شيء أراه سواك يا سر الوجود

« ص ١٢٤ الفتح الرباني »

فانظر كيف نسب الكفر الخفي الى الزهاد ، لأنهم اشتغلوا بزهدهم في الأشياء ، لأن الذي ليس لهم عدم ، أي أن ما قدر لهم لا بد أن يكون . ولذلك يقول : «والذي لهم لا بد أن يصيبهم ، فلو زهدوا فيه لما أمكنهم» .

ولذلك رآهم النابلسي معارضين للأقدار ، مشغولين بزهدهم عن الله تبارك وتعالى .

وأحب أن أكرر هنا أن النابلسي ليس رجلا مغموراً جاهلاً ، بل هو مقدم عند القوم ، مستشهد بأقواله عند الجميع وبعضهم يعتذر عن مثل مقالاته هذه بأنها من الشطح ، والشطح مغفور لهؤلاء ، لأن ذلك من غلبة وجدهم وحبهم لمولاهم .

وأقول : اذا كان ثمة شطح مغفور عند الله ، معذور صاحبه ، فهو أن تصدر كلمة أو جملة في غلبة حال كما يقولون . أما أن يؤلف رجل مئتي كتاب ، كلها على هذا النحو ، وذلك يستغرق آلاف الساعات والأيام ، فكيف يكون التأليف والتحقيق شطحاً وسكراً ؟ فافهم أخي المسلم هذه الحقيقة فانها سهم قاتل لهذا الباطل .

وبعد هذا الاستطراد أعود الى السياق الأصلي ، وهو أن القوم في نهاية مطافهم وصلوا الى هدم الأديان ، والتسوية بين الكفر والايمان ، بل وجعل مرتبة الزهد التي هي بداية للطريق الصوفي ، ومرحلة من مراحله شركاً خفياً بالله ، لأن ذلك غيبة بالزهد عن الله تعالى .

ولعل ظاناً يظن أن هذه العقيدة الباطنية التي وصل اليها كانت عقيدة نظرية فقط ، ولم يكن لها واقع عملي في حياة القوم ، وهذا الظن ساذج ومريض ، بل ان القوم قد مارسوا هذه العقيدة الباطنية ممارسة واقعية ، وقد جاءت ممارستهم الواقعية لهذه العقيدة شيئاً صارخاً لا يكاد العقل يصدق به . ولكن ماذا نفعل والحقيقة قد أصبحت أكبر من الخيال .

الفصل السابع
الحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي

يستحيل علينا أن نفهم ما يريده المتصرفة بقولهم (الحقيقة المحمدية) إلا بمعرفة عقيدتهم في الله . فالنظرية الصوفية الفلسفية قد وصلت في نهاية القرن الثالث إلي القول بأن الله هو هذا الوجود القائم المتجدد المتغير فهو السموات والأرض والعرش والكرسي والملائكة والإنسان والحيوان والنبات وهو الأزل والأبد ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ وإن كانت عباراتهم تختلف أحياناً فمرة يقولون : هو الروح الساري في الموجودات ويشبهون هذا السريان بأنه كرائحة الورد في الورد ، ووجود الروح في الجسم الحي . وتارة يقولون نفس وجود الموجودات هو وجود الله فليس هناك اثنان في الوجود خالق ومخلوق بل المخلوق هو عين الخالق ، والخالق هو نفس المخلوق . اعتقد بذلك ونشره في الناس كبار الصوفية من أهل الزندقة والإلحاد كابن عربي ، والحلاج والجيلي وابن سبعين ومن على شاكلتهم ، وهؤلاء الصوفية أنكروا في كتبهم على من يشهد بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله القائم بنفسه المستوي على عرشه البائن من خلقه والذي هو معتقد المسلمين في ربهم سبحانه وتعالى . وقد كان هذا المعتقد أيضاً هو معتقد بعض من نسب إلي التصوف ولذلك شدد ابن عربي عليهم النكير أيضاً وخطأهم ونسبهم إلي القصور وعدم الفهم (اقرأ كتاب ابن عربي التجليات الذي يزعم فيه أنه التقى برجال التصوف السابقين في البرزخ وناقشهم عقائدهم هذه في التوحيد وبين لهم خطأهم وعرفهم في النهاية أنه لا موجود إلا الله ، وأن الله والعبد شيء واحد ، وأنهم أقروا جميعاً بذلك وكل ذلك ذكره في كتاب التجليات) والمهم أن هؤلاء المتصوفة الذين نقلوا عقيدة وحدة الوجود عن الفلسفة الأفلاطونية واعتقدوها وجعلوها هي الحقيقة الصوفية وسر الأسرار وهي معتقد أهل الإسلام في زعمهم ، نقلوا ما قاله هؤلاء الفلاسفة في نظرياتهم في بدء الخلق فقد قال الفلاسفة الأقدمون «إن أول شيء

بدأ في الخلق هو الهباء (أي الذرات) وإن أول موجود وجد هو العقل الأول وسمونه (العقل الفعال) ، وأنه عن هذا العقل الأول نشأ العالم العلوي السموات والكواكب ثم العالم السفلي.....الخ .

هذه النظرية الفلسفية القديمة جاء ابن عربي ونقلها هي نفسها إلي الفكر الصوفي ولكنه استبدل بدلاً من العقل الفعال عند الفلاسفة ما أسماه هو الحقيقة المحمدية فزعم أن أول الخلق كان هباء ، - نفس كلام الفلاسفة وأن أول موجود هو «الحقيقة المحمدية» وهذه (الحقيقة المحمدية) التي زعم ابن عربي أنها أول الموجودات وعلى حد تعبيره أول التعينات - أي أول عين تشكلت وتصورت من الذرات - يتطاول ابن عربي ويقول إن هذه (الحقيقة المحمدية) هي التي استوت على العرش الإلهي . فيجعل ما حدثنا الله سبحانه وتعالى به عن نفسه من أنه خالق الخلق ، وأنه المستوي على العرش....يلوي ابن عربي كل ذلك ويلبس على المسلمين وينقل لهم كلام الفلاسفة الملحدين في أسلوب جديد بغطاء إسلامي وآيات قرآنية فيقول إن ذات محمد هي أول ذات تكونت من الهباء وهي التي استوت على العرش الإلهي . ومن نور هذه الذات خلق الله الخلق جميعاً بعد ذلك فالملائكة والسموات والأرض كل ذلك قد خلق من نور الذات الأولى وهي الذات المحمدية عند ابن عربي ، والعقل الفعال في الفكر الفلسفي ، وهكذا استطاع ابن عربي أن ينقل ترهات الفلاسفة وتخيلاتهم المريضة إلي دنيا المسلمين وعقائدهم بل جعل هذه العقيدة الإلحادية هي العقيدة الأساسية التي قام الفكر الصوفي كله بعد ذلك عليها ، فإذا علمنا ماذا يعنيه المتصوفة المتفلسفون بوحدة الوجود وأن الله عندهم ليس ذاتاً يراها المؤمنون في الآخرة وتستوي على العرش ، وإنما هو نفس الوجود بكل درجاته وتناقضاته ، فالله عندهم هو عين وجود المَلَك والشيطان والإنس والجان ، والحيوان والنبات ، أقول إذا علمنا حقيقة هذه النظرية الفلسفية الكافرة التي نقلها ملاحدة التصوف الى الإسلام علمنا بعد ذلك ماذا يريد المتصوفة من قولهم بالحقيقة المحمدية المستوية على العرش

وجعل النبي محمداً ﷺ هو المخلوق الأول قبل الأكوان جميعاً وهو الذي

استوى على العرش ومن نور النبي ﷺ خلق الله جميع الأكوان بعد ذلك السموات والأرض والملائكة والإنس والجن وسائر المخلوقات ، فأصبحت الحقيقة المحمدية - في زعمه - هو الصورة الكاملة المتجسدة للذات الإلهية التي لا ترى بذاتها ، ولا تنفصل عن هذا الوجود....فالنبي محمد ﷺ عند ابن عربي ومشايخ التصوف الذين جاؤوا بعده هو الله المتجلي عل العرش . أو - قل - هو صورة الله المصغرة وهو الذي منه استمدت كل الموجودات وجوداتها وانفلقت عنه كل الأنوار وكل الأكوان وكل الموجودات ... وهو يعني أن محمداً ﷺ هو البذرة الأولى لكل موجود فكأنه بذرة لشجرة كان منها بعد ذلك الساق والفروع والأوراق والثمار والأشواك ، فهكذا بدأ الوجود بمحمد ﷺ ثم خلق من نوره العرش والكرسي والسماوات والأرض وآدم وذريته وتفرع الخلق وتدرج بعد ذلك من المخلوقات التي خلقت من نور النبي محمد ﷺ ، فالموجودات كلها في عقيدة التصوف شيء واحد متفرع عن أصل واحد أو قل شجرة واحدة متفرعة عن بذرة واحدة . وإليك الآن نصوص عبارات هؤلاء الملاحدة الكافرين في هذه العقيدة الكفرية الزندقية :

قال القاشاني شارح فصوص الحكم لابن عربي :«إن محمداً أول التعينات التي عين به الذات الأحدية قبل كل تعين فظهر به ما لا نهاية من التعينات ، فهو يشمل جميع التعينات ، فهو واحد فرد في الوجود لا نظير له : إذ لا يتعين من يساويه في المرتبة ، وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحدّ ونعت ، فله الفردية المطلقة ، ومن هذا يعلم أن الاسم الأعظم لا يكون إلا له دون غيره من الأنبياء ، ومن فرديته يعلم سر قوله :(كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) كونه خاتم النبيين وأول الأولين وآخر الآخرين ، ومن أوليته وجمعيته سر قوله :(أوتيت جوامع الكلم) وكونه أفضل الأنبياء فانهم في التصاعد وسعة الإستعداد والمرتبة ينتهون إلي التعين الأول ولا يبلغونه ، والتعين الأول هو محمد الذي يرجع إليه جميع التعينات فهو البرزخ بين الذات الأحدية وبين سائر الموجودات[1] .

(١) شرح القاشاني على الفصوص ص٢٦٦ ، ٢٦٧ .

ومعنى أول التعينات أي أول موجود معين له ذات وجسم وقبله لم يكن هناك أي ذات لا عرش ولا كرسي ولا سموات ولا أرض . وقول القاشاني شارح الفصوص (وليس فوقه إلا الذات الأحدية المطلقة المنزهة عن كل تعين وصفة واسم ورسم وحد ونعت...الخ) يعني أنه ليس فوق مرتبة الرسول شيءإلا الذات الإلهية التي لا توصف بأي صفةبتاتاً لأن ذات الله عنده مطلقة عن كل قيد ـ في زعمه ـ منزهة عن أن تكون ذات معينة محدودة مثلاً كأن يقول لله وجه أو يد أو ساق ، أو استوى على العرش ، أو يأتي يوم القيامة لأن الذات الإلهية في العقيدة الصوفية هي المطلقة عن كل هذه القيود لأنها كل الموجودات . ويشرح ابن عربي نفسه عقيدته هذه بقوله : « بدء الخلق الهباء وأول موجود فيه الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالإستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي»[1] .

فالخلق في زعمه بدأ بالهباء أي الذرات وأول موجود وجد بذات قائمة محدودة هي ذات الرسول التي سماها الحقيقة المحمدية الرحمانية الموصوفة بالإستواء على العرش الرحماني وهو العرش الإلهي .

وجاء بعد ابن عربي من شرح هذه العقيدة واستفاض فيها ، قال أحمد بن مبارك السلجماسي في كتابه الأبريز فيما يرويه عن شيخه عبد العزيز الدباغ :«(وسمعته) رضي الله عنه يقول في قوله وانفلقت الأنوار أن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ أما العرش فانه خلقه تعالى من نور وخلق ذلك النور من النور المكرم نور نبينا ومولانا محمد ﷺ وخلقه أي العرش ياقوتة عظيمة لا يقاس قدرها وعظمها وخلق في وسط هذه الياقوتة جوهرة فصار مجموع الياقوتة والجوهرة كبيضة بياضها هو الياقوتة وصفارها هو الجوهرة ثم إن الله تعالى أمد تلك الجوهرة وسقاها بنوره ﷺ فجعل يخرق الياقوتة ويسقي الجوهرة فسقاها مرة

---

(١) الفتوحات المكية ج١ ص١٥٢ .

ثم مرة ثم مرة إلي أن انتهى إلي سبع مرات فسالت الجوهرة بإذن الله تعالى فرجعت ماء ونزلت إلي أسفل الياقوتة التي هي العرش ثم إن النور المكرم الذي خرق العرش إلي الجوهرة التي سالت ماء لم يرجع فخلق الله منه ملائكة ثمانية وهم حملة العرش فخلقهم من صفائه وخلق من ثقله الريح وله قوة وجهد عظيم فأمرها تعالى أن تنزل تحت الماء فسكنت تحته فحملته ثم جعلت تخدم وجعل البرد يقوى في الماء فاراد الماء أن يرجع إلي أصله ويجمد فلم تدعه الرياح بل جعلت تكسر شقوقه التي تجمد وجعلت تلك الشقوق تتعفن ويدخلها الثقل والنتونة وشقوق تزيد على شقوق ثم جعلت تكبر وتتسع وذهبت إلي جهات سبع وأماكن سبع فخلق الله منه الأرضين السبع ودخل الماء بينها والبحور وجعل الضباب يتصاعد من الماء لقوة جهد الريح ثم جعل يتراكم فخلق الله منه السموات السبع ثم جعلت الريح تخدم خدمة عظيمة على عادتها أولاً وآخراً فجعلت النار تزيد في الهواء من قوة حرق الريح للماء والهواء وكلما زندت نار أخذتها الملائكة وذهبت بها إلي محل جهنم اليوم فذلك أصل جهنم فالشقوق التي تكونت منها الأرضون تركوها على حالها والضباب التي تكونت منه السموات تركوه على حاله والنار التي زندت في الهواء أخذوها ونقلوها إلي محل آخر لأنهم لو تركوها لأكلت الشقوق التي منها الأرضون السبع والضباب الذي منه السموات السبع بل وتأكل الماء وتشربه بالكلية لقوة جهد الريح ثم إن الله تعالى خلق ملائكة الأرضين من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها وخلق ملائكة السموات من نوره ﷺ وأمرهم أن يعبدوه عليها وأما الأرواح والجنة إلا مواضع منها فإنها أيضاً خلقت من نور وخلق ذلك النور من نوره ﷺ وأما البرزخ فنصفه الأعلى من نوره ﷺ فخرج من هذا أن القلم واللوح ونصف البرزخ والحجب السبعين وجميع ملائكتها وجميع ملائكة السموات والأرضين كلها خلقت من نوره ﷺ بلا واسطة وأن العرش والماء والجنة والأرواح خلقت من نور خلق من نوره ﷺ ثم بعد هذا فلهذه المخلوقات أيضاً سقي من نوره ﷺ ، أما القلم فإنه سقي سبع مرات سقياً عظيماً وهو أعظم المخلوقات بحيث أنه لو كشف نوره لجرم الأرض لتدكدكت

وصارت رمياً وكذا الماء فإنه سقي سبع مرات ولكن ليس كسقي القلم وأما الحجب السبعون فانها في سقي دائم وأما العرش فإنه سقي مرتين مرة في بدأ خلقه ومرة عند تمام خلقه لتستمسك ذاته وكذا الجنة فإنها سقيت مرتين مرة في بدأ خلقها ومرة بعد تمام خلقها لتستمسك ذاتها وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا سائر المؤمنين من الأمم السابقة ومن هذه الأمة فانهم سقوا ثمان مرات الأولى في عالم الأرواح حين خلق الله نور الأرواح جملة فسقاه الثانية حين جعل يصور منه الأرواح فعند تصور كل روح سقاها بنوره ﷺ الثالثة يوم ألست بربكم فإن كل من أجاب لله تعالى من أرواح المؤمنين والأنبياء عليهم الصلاة والسلام سقي من نوره ﷺ لكن منهم من سقي كثيراً ومنهم من سقي قليلاً فمن هنا وقع التفاوت بين المؤمنين حتى كان منهم أولياء وغيرهم وأما أرواح الكفار فانها كرهت شرب ذلك النور وامتنعت منه فلما رأت ما وقع للأرواح التي شربت منه من السعادة الأبدية والإرتقاآت السرمدية ندمت وطلبت سقيا فسقيت من الظلام والعياذ بالله الرابعة عند تصويره في بطن أمه وتركيب مفاصله وشق بصره فان ذاته تسقي من النور الكريم لتلين مفاصله وتنفتح أسماعها وأبصارها ولولا ذلك ما لانت مفاصلها الخامسة عند خروجه من بطن أمه فإنه يسقى من النور الكريم ليلهم الأكل من فمه ولولا ذلك ما أكل من فمه أبداً السادسة عند التقامه ثدي أمه في أول وضعه فانه يسقى من النور الكريم أيضاً السابعة عند نفخ الروح فيه فانه لولا سقي الذات بالنور الكريم ما دخلت فيها الروح أبداً ومع ذلك فلا تدخل فيها إلا بكلفة عظيمة وتعب يحصل للملائكة معها ولولا أمر الله تعالى لها ومعرفتها به ما قدر ملك على ادخالها بالذات . انتهى .

منه بلفظه[1] .

وهذا الهذيان الكامل ، والتخريف الكامل شرح لعقيدة الصوفية فيما يسمونه بالحقيقة المحمدية ، وأنها الذات الأولى التي انطلقت منها بعد ذلك كل الذوات

---

(١) الأبريز ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

والكائنات والموجودات .

ويستطرد أحمد مبارك شارحاً عقيدة الصوفية فيما يسمونه بالحقيقة المحمدية فيقول أيضا :

(وسمعته) رضي الله عنه يقول مرة أخرى أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإن سقوا من نوره لم يشربوه بتمامه بل كل واحد يشرب منه ما يناسبه وكتب له فإن النور المكرم ذو ألوان كثيرة وأحوال عديدة وأقسام كثيرة فكل واحد شرب لوناً خاصاً ونوعاً خاصاً ، قال رضي الله عنه فسيدنا عيسى ﷺ شرب من النور المكرم فحصل له مقام الغربة وهو مقام يحمل صاحبه على السياحة وعدم القرار في موضع واحد وسيدنا ابراهيم ﷺ شرب من النور المكرم فحصل له مقام الرحمة والتواضع مع المشاهدة الكاملة فتراه إذا تكلم مع أحد يخاطبه بلين ويكلمه بتواضع عظيم فيظن المتكلم أنه يتواضع له وهو إنما يتواضع لله عز وجل لقوة مشاهدته وسيدنا موسى ﷺ شرب من النور المكرم فحصل له مقام مشاهدة الحق سبحانه في نعمه وخيراته وعطاياه التي لا يقدر قدرها وهكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والملائكة الكرام والله أعلم[1] .

ويقول كذلك :

(وسمعته)[2] رضي الله عنه يقول إني لم أزل أتعجب من الوالي الذي يقول أنه يملأ الكون وذلك لأن للكون باباً منه يقع الدخول إليه وهو النبي ﷺ ولا يطيق مخلوق من المخلوقات أن يحمل نوره ﷺ ومن عجز عن الباب فكيف يطيق غيره اللهم إلا أن يكون دخل من غير باب يعني فيكون فتحه شيطانياً ظلمانياً وهذا لا يملأ بيته فضلاً عن داره فضلاً عن شيء آخر قال رضي الله عنه واعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسموات وأرضين وجنات وحجب وما فوقها وما تحتها إذا جمعت كلها وجدت بعضا من نور النبي ﷺ وان مجموع نوره ﷺ لو وضع على العرش لذاب ولو وضع على

---

(١) الأبريز ص ٢٢٦ .

(٢) أي شيخه عبد العزيز الدباغ .

الحجب السبعين التي فوق العرش لتهافتت ولو جمعت المخلوقات كلها ووضع عليها ذلك النور العظيم لتهافتت وتساقطت وإذا كان هذا شأن نوره ﷺ فكيف يقول من يقول أنه يملأ الكون فأين تكون ذاته اذا بلغت المدينة المنورة وقربت من القبر الشريف أم كيف تكون إذا تصاعدت نحو البرزخ وقربت من الموضع الذي فيه النور العظيم القائم بالروح الشريفة أفتكون ذاته حاملة له والمخلوقات بجملتها عاجزة عنه أم يتخطى ذلك الموضع فلم يملأ الكون والغرض أن الموضع المذكور آخذ من القبر الشريف إلي قبة البرزخ تحت العرش ولعله أراد بالكون ما بين السماء والأرض ما عدا موضع البرزخ الذي فيه النور المعظم فقلت ولعله أنه يملؤه من حيث النور أي يملؤه بنوره لا بذاته كالشمس التي سطعت على السموات والأرض فقال رضي الله عنه وما مراده إلا أنه يملؤه بنوره ولا يريد أنه يملؤه بذاته ولكن أين نوره من نور المصطفى ﷺ فإن ذلك النور من النور المكرم بمنزلة الفتيلة في وسط النهار وقت الظهيرة وهل يصح أن يقال أن تلك الفتيلة كسفت نور الشمس فقلت ونور الشمس من النور المكرم بمنزلة الفتيلة فما باله ملأ الأكوان فقال رضي الله عنه لم يملأ الأكوان بمعنى أن النور المكرم ذهب بسببه واضحل فكيف ونور الشمس إنما هو من نور أرواح المؤمنين الذي هو من نوره ﷺ وانما سبب ذلك انا حجبنا عن مشاهدة النور المكرم كما حجبنا عن مشاهدة أنوار الأولياءفلو كشف الحجاب لكانت له أنوار من النور المكرم بمنزلة الفتائل وسط النهار ولم يظهر للشمس ولا لغيرها نور إلا كما يظهر للفتائل وسط النهار[٢] .إ هـ

ويقول أيضاً في شرح قول الشاذلي (اللهم صلي على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار) قال في شرح ذلك :

☆(الباب السابع في تفسيره رضي الله عنه لبعض ما أشكل علينا من كلام الأشياخ رضي الله عنهم)☆ فمن ذلك أنه شرح لنا رضي الله عنه بعض الألفاظ من صلاة القطب الكامل الوارث الواصل مولانا عبد السلام ابن مشيش رضي

---

(١) الأبريز ص ٢٣٠ .

الله عنـه فسمعتـه رضي الله عنـه يقول في شرح قـولـه (اللهم صلي على من منـه انشقت الأسرار) حاكياً عن سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي رضي الله عنـه أن الله تعالى لما أراد إخراج بركات الأرض وأسرارهـا مثل مـا فيهـا من العيون والآبار والأنهار والأشجـار والثمار والأزهـار أرسل سبعين ألف ملـك إلي سبعين ألف ملك إلي سبعين ألف ملك ثلاث سبعينـات من الألوف فنزلوا يطوفون في الأرض فالسبعون الأولى يذكرون اسم النبي ﷺ ومرادنا بالإسم الإسم العـــالي ما يـأتي في شرح وتنزلت علوم آدم والسبعون الثـانيـة يـذكرون قربـه ﷺ من ربه عز وجل ومنزلته ﷺ منه والسبعون الثالثة تصلي عليهـه ﷺ ونوره ﷺ مع الطوائف الثلاث فتكونت الكائنـات ببركـة ذكر اسمـه ﷺ وحضوره بينهـا ومشاهدتهـا قربـه ﷺ من ربـه عز وجل قـال وذكروه على الأرض فـاستقرت وعلى السموات فاستقلت وعلى مفاصل ذات ابن آدم فلانت بإذن الله تعالى وعلى مواضع عينيه ففتحت بـالأنوار التي فيهـا فهـذا معنى قولـه منـه انشقت الأسرار فقلت فهـذا معنى قول دلائل الخيرات وبـالإسم الـذي وضعتـه على الليل فـأظلم وعلى النهـار فاستنـار وعلى السمـوات فـاستقلت وعلى الأرض فـاستقرت وعلى الجبال فرست وعلىالبحار فجرت وعلى العيون فنبعت وعلى السحاب فـأمطرت فقال رضي الله عنه نعم ذلـك الإسم هو إسم نبينـا ومولانـا محمـد ﷺ فببركتـه تكـونت الكائنـات والله أعلم قلت وقـد سبـق كـلام سيـدي أحمـد بن عبـد الله الغوث رضي الله عنه وقوله لمريده يا ولدي لولا نور سيدنا محمـد ﷺ مـا ظهر سر من أسرار الأرض فلـولا هـو مـا تفجرت عين من العيـون ولا جرى نهر من الأنهـار وأن نوره ﷺ يـا ولـدي يفوح في شهر مـارس ثلاث مرات على سـائر الحبوب فيقع لها الإثمار ببركته ﷺ ولولا نوره ﷺ مـا أثمرت ويـا ولـدي إن أقل الناس إيماناً من يرى ايمانه على ذاتـه مثل الجبل وأعظم منـه فـأحرى غيره وأن الذات تكل أحياناً عن حمل الإيمان فتريد أن ترميـه فيفوح نور النبي ﷺ عليها فيكون معيناً لها على حمل الإيمان فتستحليه وتستطيبه[1] .أهـ

وصلاة ابن مشيش هذه يقول فيها :

---

(١) الأبريز ص ٢٢٢ .

«اللهم صل على من منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم بأعجز الخلائق ، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه سابق ولا لاحق ، فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة ، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ، ولا شيء إلا هو به منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط[1]» .

والحق أن هذه العبارات في وصف (الحقيقة المحمدية) حسب المفهوم الصوفي الفلسفي ، قد يختلف بعضها عن بعض قليلاً ولكنها جميعها مجمعة على شيء واحد وهو أن الرسول هو أول موجود فمنهم من يقول نور الرسول هو أول موجود ، ومنهم من يقول بل وأيضاً ذاته النورانية المستوية على العرش ، وأن وجوده البشري في وقته إنما كان مجرد تعين جديد ، وتجسد جديد لذات الرسول ﷺ وبعض الصوفية أيضاً يجعل عين الرسول وذاته هي عين الله وذاته ، وأنه ليس هناك حقيقة إلهية غير الحقيقة المحمدية ومن ذهب إلي ذلك عبد الكريم الجيلي وغيره ، وبعضهم يفرق بين الذات الإلهية التي ليس لها تعين ذاتي ووجود منفصل عن الخلائق بل هي كل الموجودات بل هي في زعمهم الروح الخفي الساري في الموجودات
وأن هذه الذات الإلهية خلقت النبي محمداً أولاً قبل المخلوقات جميعاً ثم خلقت المخلوقات بعد ذلك من نور ذات الرسول ، وأن ذات الرسول هذه هي المستوية على العرش الرحماني كما قال ابن عربي . ومنهم وخاصة المتأخرين يجعل ذات الرسول والحقيقة المحمدية هي عين الحقيقة الإلهية ، ويجعلون الرسول بصورته البشرية صورة كاملة أو هو أكمل صورة للحقيقة الإلهية ، ويجعلون كذلك الصورة البشرية المحمدية هي إحدى الصور الممكنة للرسول ، ويعتقدون أنه يتشكل كثيراً في أي صورة يشاء وهذا نص عبارة عبد الكريم الجيلي في ذلك قال في الباب الستين :

«اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك

---

(١) أذكار الطريقة الشاذلية .

الوجود من أوله إلي آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلي أبد الآبدين ، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس[1] ، فيسمى به بإعتبار لباس ، ولا يسمى به بإعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الدين ، ثم له باعتبار ملابس أخر أسام ، وله في كل زمان اسم مّا يليق بلباسه في ذلك الزمان ، فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتي ، ولست أعلم أنه النبي ﷺ ، وكنت أعلم أنه الشيخ ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة ، وسرّ هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة ، فالأديب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فإنه يسميه بإسمه ، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد ، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية . ألا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قال الشلبي لتلميذه أشهد أني رسول الله وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه ، فقال : أشهد أنك رسول الله ، وهذا أمر غير منكور ، وهو كما يرى النائم فلان في صورة فلان ، وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ، ولكن بين الكشف والنوم فرق ، وهو أن الصورة التي يرى فيها محمد ﷺ في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة على الحقيقة المحمدية ، لأن عالم المثال يقع في التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلي حقيقة تلك الصورة في اليقظة ، بخلاف الكشف فإنه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين ، فيلزمك إيقاع إسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ ، لما أعطاك الكشف أن محمداً ﷺ متصور بتلك الصورة ، فلا يجوز لك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل ، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ذلك مرادي ، بل إن

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي .

رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ليعلي شأنهم ويقيم مَيَلاَنَهمُ ، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم .أهـ

وأظن أنه قد وضح الآن حقيقة المعتقد الصوفي الفلسفي في النبي ﷺ وحتى تتضح الصورة أمامنا أكثر من ذلك نجمل ما قدمناه فيما يلي : فنقول..معتقد المتصوفة في النبي محمد ﷺ على ثلاث درجات :

١ ـ من يقولون بوحدة الوجود وأن الله هو ذات الموجودات فيجعلون الرسول هو المخلوق الأول ومنه وعنه صدرت الموجودات جميعاً وهو الإله المستوي على العرش ، وهذا هو معتقد ابن عربي ومن على شاكلته .

٢ ـ من يقولون أن نور الرسول هو أول موجود فعلاً ومنه انشقت الأنوار وخلق الخلق جميعاً لكن لا يقولون بأن ذات الرسول مستوية على العرش .

٣ ـ من يقولون بأن نور الرسول أول موجود وهو أكرم الخلق ومن أجله خلق الله الكون جميعاً دون أن يصرحوا بأن العوالم قد خلقت من نوره ، وإنما يقولون خلقت لأجله .

هذا وبالرغم من أن الصوفية على هذه الدرجات الثلاث في الاعتقاد بالنبي محمد ﷺ فإنهم متفقون ومجمعون تقريباً إلا ما شذّ منهم أن ذات الرسول الذات التي منها تفيض كل العلوم وتنزل كل الرسالات ، فالرسل لا ينزل عليهم الوحي إلا من الرسول ويعبرون عن ذلك بقولهم أن الرسل جميعاً والأولياء أيضاً لا تفيض وتنزل عليهم العلوم الإلهية إلا من ذات الرسول في الأزل والأبد أي قبل أن يوجد الرسول بذاته الترابية في الأرض وبعد أن وجد ثم بعد أن خرجت ما يسمونه بذاته الترابية من هذه الأرض....وهذا بالطبع هو حاصل اعتقادهم في أن الرسول أول موجود وأن العوالم من نوره ، أو أن الكون خلق لأجله .

وكذلك مفهوم المتصوفة ـ المعتدلين ـ منهم يعتقدون أن الرسول يعلم الغيب كله ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السموات .

ولا شك أن المتصوفة الذين يعتقدون مثل هذه العقائد في الرسول ﷺ لم

يتأثروا فقط بالفلاسفة في نظريتهم في الخلق وقولهم بالهباء ، والعقل الأول أو العقل الفعال....بل إنهم تأثروا أيضاً بما قاله النصارى في عيسى ، ولا شك أن نظرية النصرانية في المسيح متأثرة بقول الفلاسفة أيضاً في العقل الفعال . ولقد استطاع المتصوفة نقل هذه النظرية بالرغم من غموضها الفلسفي ، وصعوبة التدليل عليها بدليل منطقي يقبله العقل ، وبمجافاة هذه النظرية عن عقيدة الإسلام الواضحة السهلة ، أقول بالرغم من كل ذلك فإن المتصوفة استطاعوا أن يجعلوا هذه العقيدة هي عقيدة العوام والكثرة من المسلمين وذلك بصياغتها في عبارات سهلة ، وفي شعر سلس يجري على الألسنة سريعاً كقولهم مثلاً :(لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) !!..وكنت مرة أخطب في الحرم النبوي في نحو سنة ١٣٨١هـ الموّافقة ١٩٦٠م تقريباً مبيناً العقيدة الواجبة في الرسول ﷺ فقام إلي أحد الحجاج من كبار السن وقال لي : أليس يقول الله تعالى (لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك) فقلت له ليست هذه بآية من القرآن ، ولا بحديث أيضاً واعتقادها شرك بالله !! فانظر كيف جرى هذا المعتقد على ألسنة الناس بكلام مسجوع يظنه العامي قرآناً وما هو بقرآن .

فكيف إذا كان شعراً من أمثال شعر البوصيري الذي سارت به الركبان كقوله :

وإن من جودك الدنيا وضرّتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله :

وكل آي أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

وهذا البيت يعبر عن معتقد الصوفية في أن علم الرسل كله من الرسول محمد مأخوذ من ذاته الأولى قبل أن تخلق ذاته الترابية كما يقولون . والبيت الأول يجعل الدنيا والآخرة نفحة من نفحات الرسول ، وما سطره القلم ووعاه اللوح المحفوظ جزء وبعض من علوم الرسول ﷺ ...

وكذلك وصفوا مثل هذه العقيدة في أذكار تقرأ صباحاً ومساءاً لا أقول عشرات المرات بل يوجبون قراءاتها أحياناً على مريديهم آلاف المرات نحو قولهم في

صلاة ابن مشيس :

«اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتفعت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة ولا شيء إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط صلاة تليق بك إليه كما هو أهله اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك اللهم الحقني بنسبه وحققني بحسبه وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل واحملني على سبيله إلي حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك واقذف بي على الباطل فأدمغه ،**وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد» أهـ**

وكذلك لقولهم في مناجاة الرسول :« يا أول خلق الله يا نور عرش الله» ومثل هذه الكلمات كان وما زال المؤذنون في أماكن شتى من العالم الإسلامي يقولونها في المآذن قبل الأذان وخاصة أذان الفجر... فالعامي يفهم معنى عاماً من هذه الكلمات وأما الصوفي المتمرس القارئ أو المريد المترقي في سلم التصوف فإنه يظل يأخذ من هذه العقيدة حتى يتشربها أخيراً وتنطبع في نفسه ويظن ـ حقاً ـ أن الرسول هو أول موجود أو متعين ومنه انفلقت أنوار الوجود فكان العرش والكرسي والسموات والأرض والملائكة والجن والإنس وأن الله ما خلق هذا الخلق إلا من أجله وحتى يستوي هو أي الرسول على عرش الكون ويكون كما قال ابن عربي قبة الكون.. !!

ولو أن المسلمين يقرأون القرآن ويفهمونه ، ويتعلمون أحاديث الرسول ويدرسون سيرته كما استشرت وانتشرت مثل هذه العقيدة الباطلة في أوساطهم ولكن الصوفية كانوا قد أحكموا الطوق على المسلمين فزعموا أن القرآن كله أسرار وأن أسراره في الفاتحة ، وأن سر الفاتحة في البسملة وسر البسملة في الباء وسر الباء في النقطة !!!

ومن هذا الذي يستطيع أن يفتح نقطة الباء حتى يعلم أسرار القرآن ، وكذلك جعلوا قراءة الحديث تبركاً فقط دون محاولة فهم لأن من حاول الفهم

لا بد أن يكون مجتهداً ولا اجتهاد بعد الأئمة الأربعة ، وجعل المتصوفة قراءة السيرة لا تعدوا أن تكون ترديداً لمنظومات ملئوها بالكفر والشرك والغلو والتغزل في عيون الرسول الكحلية وخدوده الوردية ، وقوامه الممشوق .. هكذا والله .. واما سيرته وجهاده وحياته ومعاناته ﷺ فإنهم شغلوا الناس عن كل ذلك بهذه الترهات والخرافات ، ولذلك ضاعت حقيقة الرسول ﷺ من أوساط عامة المسلمين إلا من رحم الله ، وحل مكانها هذه العقيدة الصوفية الكفرية .

المعتقد الواجب في الرسول محمد ﷺ وسائر الرسل :

من المعلوم أن الإيمان بالرسل من أركان الإيمان الستة كما جاء في حديث جبريل لما سأل النبي عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن باقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى «متفق عليه» وقد وصف الله الرسل في القرآن بأنهم بشر اختارهم لدعوة الناس إليه وأنهم كانوا يأكلون الطعام وكانوا يعالجون المعاش والسعي في الأرض كبقية البشر ، ولم يكن أحد منهم يعلم من الغيب ، أو يتصرف في الأكوان كما يشاء ، أو يأتيه الطعام من الغيب وقتما يشاء إلا آية واحدة جعلها الله لعبده عيسى بعد تهديد ووعيد من الله بأن من يكفر بعد تنزل هذه الآية فإنه يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين كما قال تعالى :﴿**إذ قال الحواريون يعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وءاخرنا وءاية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . قال الله إني منزّلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين .**﴾(**المائدة ١١٢ ـ ١١٥**) .

وهكذا لم تكن هذه الآية والكرامة إلا علامة على الرسالة وصدق عيسى فيما دعا قومه إليه وأنه عبد الله ورسوله ، لقد كانت سيرة الرسل وعلى رأسهم محمد

ﷺ مبينة أنهم بشر قاسوا ما قاساه البشر من الآلام والأسقام والأوجاع والفتن والبلايا وتضرعوا إلي ربهم ودعوه ، وخافوه ، وأحبوه كذلك وطلبوا نصرته وعونه سبحانه وتعالى ، وكان خاتمهم وخيرهم محمداً ﷺ أكمل الرسل في تحقيق عبودية الله سبحانه وتعالى على نفسه فقد قام من الليل حتى تفطرت قدماه ، وأوذي بالله أشد الأذي ، وأخرجه كفار مكة منها ، وعاداه المنافقون في المدينة عداءاً شديداً فسبوه أقذع السباب ، ورموا زوجته بأشنع فرية ، وقال قائلهم : لئن رجعنا إلي المدينة ليخرجن الأعز منها الأزل.. !!..وعاش ﷺ على الكفاف ، وقال عائشة رضي الله عنها «كان يأتي الهلال والهلال والهلال ثلاثة أهلة في شهرين ولا يوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار..!! قيل لها فما كان طعامكم ؟ قالت الأسودان التمر والماء» رواه البخاري ، وربط رسول الله الحجر بل الحجرين على بطنه..وجاع مع أصحابه وصبر معهم..وكان في المرض يتألم ويوعك كما يوعك رجلان من المسلمين..... وحياة الرسول ﷺ لا تخفى فأموره أغلبها من المعلوم من الدين ضرورة.... وأشهر ذلك أنه لم يطلب من أحد أن يعظمه أو يعطيه حقاً لله فيسجد له أو يركع له ، أو يقوم على رأسه أو يقوم لمقدمه كما قال أنس «كان أصحاب النبي ﷺ يحبونه وكانوا لا يقومون له لما يعلمون من شدة كراهيته لذلك» ، ومعلوم كذلك أن الرسل لا يعلمون الغيب كما قال تعالى ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيان يبعثون**﴾ (اقرأ الفصل الخاص بذلك في باب الكشف الصوفي) وكذلك لم تكن كل دعواتهم تستجاب لهم فقد دعا نوح وشفع في ابنه قائلاً ﴿ **رب ان ابني من أهلي** ﴾ فقيل له ﴿ **يا نوح إنه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين**﴾ ودعا ابراهيم لأبيه فلم يستجب له وجاء في صحيح البخاري أن ابراهيم يلقى أباه آزر يوم القيامة وقد سربل بسربال من قطران وقد علت وجه آزر غَبَرَةٌ وقترة فيقول له ابراهيم : يا أبت ألم أقل لك لا تعصني . فيقول له آزر : يا بني الآن لا أعصيك. فينادي ابراهيم ربه قائلاً : ربي لقد وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أكبر من أبي

الأبعد ، فيقال له يا ابراهيم إني حرمت الجنة على الكافرين..وانظر تنظر تحت قدميك فينظر تحت قدميه فإذا هو بمزيخ متلطخ بالدماء ـ والزيخ هو ذكر الضبع ـ فيؤخذ من قوائمه ويلقى في النار ، وكذلك امرأة نوح وامرأة لوط كانتا كافريتين ولم ينفعهما القرب من الأنبياء ، وأما النبي محمد ﷺ فقد شفع في أبي طالب فلم يستجب الله له إلا بأن أخرجه من مكانه في النار إلي مكان آخر في ضحضاح من النار يغلي منه رأسه ، وقال أيضاً ﷺ «استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته أن استغفر لها فلم يأذن لي» وقال ﷺ لإبنته فاطمة «لا أغني عنك من الله شيئاً سليني من مالي ما شئت»..!!

وقال أيضاً ﷺ «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله» قالوا ولا أنت يا رسول الله . قال ولا أنا ما لم يتغمدني الله برحمة منه وفضل»وكل هذه الأحاديث مما أخرجه أهل الصحيحين وما تضمنته هو من المعلوم في الإسلام ضرورة فإن الآيات القرآنية التي وصفت حال الرسل وافتقارهم إلي ربهم ، ومعاتبته إياهم على مجرد فعلهم لخلاف الأولى كثيرٌ ، كقوله تعالى لرسوله محمد ﷺ ﴿**ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**﴾ (الإسراء ٧٣ ـ ٧٥) وكذلك قوله تعالى ﴿**ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضرون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً** ﴾ (النساء ١١٣) .وكذلك قوله تعالى ﴿**عفاالله عنك لم أذنت لهم**﴾ وقوله تعالى ﴿**عبس وتولى أن جاءه الأعمى**﴾ وقوله تعالى ﴿**وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه**﴾ .

وأما الآيات التي يبين الله تعالى فيها فضله على عبده ورسوله محمد ﷺ فكثيرة جداً يصعب حصرها وسردها في هذا المقام ومنها قوله تعالى ﴿**ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى**﴾ فكيف يقول تعالى ﴿ووجدك

ضالا فهدى﴾ وتقول الصوفية وجد محمد قبل الخلق جميعاً ومن نوره استمد جميع الأنبياء علومهم!؟ ويقول تعالى أيضاً له ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا**﴾ **(الشورى)** .

والمهم أن من قرأ القرآن وعلم شيئاً من الإسلام ودرس سيرة الرسول ﷺ حصل العلم الضروري الذي لا يدافع بأن محمداً ﷺ هو عبد الله ورسوله وأنه وجد يوم وجد على الأرض بشراً كالبشر لا علم له بشيءٍ مما كان في الملأ الأعلى كما قال تعالى : ﴿**قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ، ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون ، إن يوحى إلي ألا أنما نذير مبين ، إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .....**﴾**(سورة ص ٦٧ ـ إلي آخره) ،** فالرسول أمره الله أن يقول هنا ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ والملأ الأعلى هم الملائكة عندما أمرهم الله بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فكان بينه وبين الرب سبحانه وتعالى ما كان مما قصه على رسوله على رسوله محمد ﷺ ومما لم يكن عن الرسول قبل بعثته وقبل نزول هذا الوحى أوفى علم عنه... بل إن رسول الله عندما جاءه جبريل بالوحي ظنه شيطاناً وجاء أهله ترتعد فرائصه وهو يقول زملوني زملوني وقال للسيدة خديجة رضي الله عنها : لقد خشيت على نفسي !!

وظن أن الذي أتاه في غار حراء شيطان من الذين ينزلون على الكهان والسحرة فلو كان جبريل مخلوقاً من نور الرسول كما زعمت المتصوفة لقال الرسول لجبريل عندما نزل إليه أهلاً بمن خلقه الله من نوري ، ولم يكن شأن الرسول أمام جبريل كما كان حيث يأمره بأن يقرأ ما في يده من آيات فيقول ما أنا بقارئ..فيضمه جبريل حتى تكاد أنفاس الرسول تنقطع ثم يرسله ويقول له مرة ثانية اقرأ ويفعل ذلك ثلاث مرات ، وما كان ذلك إلا لإشعار الرسول أن ما يراه وما يسمعه ليس خيالاً ولا رؤيا منامية وإنما هو حق..أقول لا شك أن من قرأ سيرة الرسول ﷺ وعلم شيئاً يسيراً من عقيدة الإسلام استحال

عليه الإيمان بما آمنت به الصوفية في شأن الرسول ، ولكن هؤلاء لأنهم تركوا الكتاب والسنة وراءهم ظهرياً وتركوا العقول أيضاً وراءهم وألقوها واتبعوا ما كتبه شياطين الإنس من الفلاسفة مما توهموه بعقولهم في قولهم بالهباء والهيولي والعقل الأول ، والعلة ، وواجب الوجود الذي لا يوصف بصفة ثبوتية وإنما يوصف بالصفة وضدها ..

كالوجود والعدم ، والحياة والموت ، والفوق والتحت ، وغير ذلك من هذه الأوهام والخرافات ، والمتناقضات .

أقول.عندما آمن فلاسفة التصوف بهذه الخرافات الإغريقية وتركوا الإسلام والعقل فإنهم خرجوا على الناس بهذه الخرافات وأدخلوا في الدين الإسلامي هذه الخزعبلات والعجيب أنهم استطاعوا بفنهم الشيطاني أن يجعلوا عقيدتهم هذه وما سموه (بالحقيقة المحمدية) هو عقيدة العامة والدهماء من المسلمين الذين أحسنوا الظن برجال التصوف الذين لبسوا لهم مسوح الرهبان وأضمروا لهم عقائد الشيطان ، وخرجوا على الناس بجلود الضأن ، وقد أخفوا عنهم قلوب الذئاب...

وقد تذرع المتصوفة لنشر عقيدتهم فيما سموه (بالحقيقة المحمدية) أيضاً بحديث موضوع وهو (كنت أول النبين في الخلق وآخرهم في البعث)وذكره الشوكاني في الأحاديث الموضوعة ص ٣٢٦ ، وحديث آخر (كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد) ذكرهاالحاكم وقال الصنعاني هو موضوع وكذا قال ابن تيمية ، وعلى فرض صحة هذا الحديث الأخير فإنه لا شاهد فيه على عقائد الصوفية وإنما يعني أن الرسول قد قدر الله كونه نبياً عندما خلق آدم ، ولا شك أن الله قد قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما جاء في الحديث (أن أول شيء خلقه الله تعالى القلم وأمره أن يكتب كل شيء يكون) رواه أبو يعلى والبيهقي وصححه الألباني واخرجه في الصحيحة برقم ١٣٣ . وبهذا يتضح لك أن ما ذكره الصوفية في عقائدهم عن (الحقيقة المحمدية) ما هو إلا هذيان وأقوال فلاسفة وكهان ، وليس هو في شيء من دين الإسلام .

وصلى الله على عبده محمد إمام أهل الإيمان .

الفصل الثامن

الخضر عليه السلام في الفكر الصوفي

قصة الخضر عليه السلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف ووردت في السنة في البخاري وغيره ، حرف المتصوفة معانيها وأهدافها ومراميها وجعلوها عموداً من أعمدة العقيدة الصوفية ، فقد جعلوا هذه القصة دليلاً على أن هناك ظاهراً شرعياً ، وحقيقة صوفية تخالف الظاهر ، وجعلوا إنكار علماء الشريعة على علماء الحقيقة أمراً مستغرباً (فقد أنكر موسى من قبل على الخضر وكان كل منهما على شريعة خاصة) وجعل الصوفية الخضر مصدراً للوحي والإلهام والعقائد والتشريع . ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إلي الخضر ، وليس منهم صغير أو كبير ممن دخل في طريقهم إلا وادعى لقيا الخضر والأخذ عنه .

ولما كان لهذه القصة هذا الدور العظيم في الفكر الصوفي فقد أحببت أن أجلي هذا الأمر وأوقف الأخوة القراء على حقيقة الأمر ولنبدأ أولاً في القصة من القرآن والسنة :

الخضر في القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ

رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ
عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا
تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا
حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا
لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ
صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى
عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا
زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ
لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ
أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا
يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا
فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ
أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ
أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ

فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾

وقبل أن نتعرض لبعض ما جاء في هذه الآيات الكريمة بالشرح والتفسير نستعرض ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه في شأن هذه القصة . قال الإمام البخاري :

باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام :

١ ـ **حدثنا** عمرو بن محمد حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال حدثني أبي عن صالح عن أبي شهاب أن عبيد الله بن عبد الله أخبره «عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى ، قال ابن عباس : هو خضرٌ ، فمر بهما ابي بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيّه ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما موسى في ملإٍ من بني اسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحد أعلم منك ؟ قال : لا . فأوحى الله إلي موسى بلى عبدنا خضرٌ ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل له الحوت آية ، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه . فكان يتبع الحوت في البحر ، فقال لموسى فتاه : أرأيت إذ أوينا إلي الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره . فقال موسى : ذلك ما كنا نبغي ، فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا خضراً ، فكان من شأنهما الذي قص الله في كتابه»

٢ ـ **حدثنا** علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال «قلت لابن عباس أن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اسرائيل ، إنما هو موسى آخر . فقال : كذب عدو الله ، حدثنا أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني

اسرائيل فسئـل : أي النـاس أعلم ؟ فقـال أنـا . فعتب الله عليـه إذ لم يردّ العلم إليه فقال له : بلى ، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك . قـال أي ربّ ومن لي بـه ؟ ـ وربمـا قـال سفيـان :أي ربّ وكيف لي بـه ؟ ـ قـال تـأخـذ حوتـاً فتجعله في مكتلٍ ، حيثما فقدت الحوت فهو ثم ـ وربما قـال : فهو ثمـه ـ وأخـذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق هو وفتـاه يوشع بن نون حتى إذا أتيـا الصخرة وضعا رءوسهما ، فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر ، فـأتخذ سبيله في البحر سرباً ، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصـار مثل الطـاق ـ فقال هكذا مثل الطاق ـ فانطلقـا يمشيـان بقيـة ليلتهما ويومهما ، حتى إذا كان من الغد قال لفتاه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هـذا نصبـاً . ولم يجـد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله ، قال لـه فتـاه أرأيت إذ أوينـا إلي الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيلـه في البحر عجبـاً ، فكان للحوت سربـاً ولهما عجبـاً ، قـال لـه موسى ذلـك مـا كنـا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا ـ رجعـا يقصـان آثـارهمـا ـ حتى انتهيـا إلي الصخر ، فاذا رجل مسجّى بثوب ، فسلم موسى فرد عليه فقال : وأنّى بأرضـك السلام ، قال أنا موسى ، قال : موسى بني اسرائيل ؟ قال نعم ، أتيتك لتعلّمني مما علمت رشداً . قـال يـا موسى إني على علم من علم الله علمنيـه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمّكه الله لا أعلمه . قال هل أتبعك؟ قـال : إنـك لن تستطيع معي صبراً ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ـ إلي قولـه ـ إمرا . فـانطلقـا يمشيان على سـاحل البحر ، فمرت بهما سفينـة كلموهم أن يحملوهم،فعرفوا الخضر فحملـوه بغير نـول . فلمـا ركبـا في السفينــة جــاء عصفـور فـوقـع على حرف السفينة ، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين ، قـال لـه الخضر يـا موسى ، مـا نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا ٱلعصفور بمنقاره من البحر . إذ أخذالفأس فنزعلوحاً، قال فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقـدوم ، فقـال لـه موسى : مـا صنعت ؟ قوم حملـونـا بغير نـول عمـدت إلي سفينتهم فخرقتهـا لتغرق أهلها ، لقد جئت شيئاً إمراً . قال : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ قال لا تؤاخـذني بمـا نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً . فكانت الأولى

من موسى نسياناً ، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان ، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً ـ فقال له موسى : أقتلت نفساً زكية بغير نفسٍ لقد جئت شيئاً نكرا . قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ؟ قال : إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً . فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض مائلاً ـ أومأ بيده هكذا ، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلي فوق ، فلم أسمع سفيان يذكر «مائلاً» إلا مرة ـ قال : قومٌ أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ، عمدت إلي حائطهم ، لو شئت لأتخذت عليه أجراً . قال هذا فراق بيني وبينك ، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ، قال النبي ﷺ :«وددنا لو أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما . قال سفيان : قال النبي ﷺ :يرحم الله موسى لو كان صبر يقص علينا من أمرهما . وقرأ ابن عباس : أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً . وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين . ثم قال لي سفيان : سمعته منه مرتين وحفظته منه . قيل لسفيان : حفظته قبل أن تسمعه من عمرو أو تحفظته من إنسان ؟ فقال ممن أتحفظه ، ورواه أحدٌ عن عمرو غيري ؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثاً وحفظته منه»

٣ ـ **حدثنا** محمد بن سعيد الأصبهاني أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :«إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» قال الحموي قال محمد بن يوسف بن مطر الفربري حدثنا علي بن خشرم عن سفيان بطوله

فقه القصة كما وردت في الكتاب والسنة :

ومن هذا العرض الكامل لنصوص القصة في القرآن وفي صحيح البخاري نستخلص الفوائد التالية :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤدب نبيه موسى ﷺ الذي قال جواباً عن سؤال (لا أعلم على الأرض أعلم مني)!!أن كان يجب أن يرد علم ذلك إلي الله

سبحانه وتعالى ، فأراه الله جل وعلا أن هناك عبداً لا يعلمه موسى هو على علم من علم الله لا يعلمه موسى وكان من أجل ذلك هذا اللقاء بين موسى والخضر .

٢ ـ أن الخضر بعد أن تم اللقاء بينه وبين موسى أخبره أن علم الخضر وعلم موسى بجوار علم الله سبحانه لا شيء وأنهما لم ينقصا من علم الله إلا كما شرب العصفور من ماء النهر .

٣ ـ أن الشريعة التي كان عليها الخضر لم تكن في حقيقتها مخالفة للشريعة التي عليها موسى ، وإنما كان يخفى على موسى فقط الخلفية التي من أجلها فعل الخضر ما فعله ، ولذلك فإن الخضر عندما بين لموسى الأسباب الذي دفعته إلي خرق السفينة ، وقتل الغلام ، وبناء الجدار لم يستنكر موسى شيئاً من ذلك لأن هذا كله سائغ في الشريعة ، فإتلاف بعض المال لاستنقاذ بعضه جائز فلو وكلت مثلاً رجلاً على عمل لك ثم جاء لصوص أو ظلمة قطاع طريق ليستولوا على المال كله ولم يجد هذا الوكيل وسيلة لدفعهم إلا بأن يدفع لهم بعض المال ويتركوا بعضه لما كان ملوماً شرعاً ، ولا يلام ممن وكله بل يستحسن فعله ، وما فعله الخضر بالنسبة للسفينة لا يعدو ذلك فهو إنما أفسد السفينة فساداً جزئياً لتظهر لأعوان ذلك الملك الظالم أنها غير صالحة فيتركوها وبذلك تسلم من الغصب ، ولا شك أن ما فعله الخضر في حقيقته إحسان لأصحاب السفينة لأن الله أطلعه على شيء من المستقبل في أن ذلك الملك الظالم سيصادر السفن لأمر ما كما هو حال كثير من الرؤساء والملوك الظلمة يصادرون وسائل النقل أحياناً إما لمصالحهم أو لمصلحة عامة.....

فما فعله الخضر بالنسبة للسفينة موافق للشرع الإلهي تماماً في كل دين وملة وليس مخالفاً للتشريع ، وإنكار موسى في أول الأمر ناشيء من أنه لم يعرف الخلفية الغيبية التي كان الله قد أطلع عليها الخضر بوحي من عنده

وأما قتل الغلام فهو كذلك سائغ في الشريعة إذا كان هذا الغلام سيكون ظالماً لوالديه ، مجبراً لهما على الكفر وكان هذا مما علمه الله مستقبلاً ، وأطلع عليه الخضر ، فكان قتله أيضاً سائغاً ، وقد جاءت الشريعة بقتل الصائل المعتدي . حقاً إن الشريعة لا تأمر بقتل الصائل إلا إذا باشر العدوان ،

والطفل هنا لم يباشر العدوان بعد ، ولكن القتل هنا بأمر الله سبحانه وتعالى الذي يعلم ما سيكون ، وقد كان هذا منه سبحانه وتعالى رحمة بعبدين من عباده صالحين أراد الله جل وعلا أن لا يتعرضا لفتنة هذا الولد العاق فيتألما ألمين الألم الأول أنه ولدهما وعقوق الأولاد شديد على قلوب الآباء ، والثاني أنهما قد يبلغا الكفر ويتعبا في التمسك بالإيمان وهذا عذاب آخر ، فجمع الله سبحانه وتعالى لهما عذاباً واحداً فقط وهو فقد الولد ، وفيه خيرٌ لهما ولا شك لأن صبرهما أيضاً على فقده فيه خير لهما . فلما علم الله ذلك ، وأطلع الخضر عليه ، ونفذ هذا بأمر الله كان ذلك كله موافقاً للشريعة التي عليها موسى وعليها محمد ﷺ وعليها سائر الأنبياء .

ولذلك لما قيل لابن عباس على هذه الحادثة أيجوز أن نقتل الأولاد ؟..قال : إذا علمت منهم ما علم الخضر فافعل ..أي إن ذلك سائغ في الشريعة ولكن أين من يطلعه الله على الغيب كما أطلع الخضر عليه السلام .

.وأما مسألة بناء جدار لقوم بخلاء لم يبذلوا القرى (بكسر القاف) والضيافة الواجبة ، فإن ذلك من باب مقابلة الإساءة بالإحسان ، وهذا خلق من أخلاق الشريعة الإسلامية والمسيحية واليهودية ففي القرآن ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**﴾ وفي الأنجيل (أحسنوا إلي من أساء إليكم وباركوا لاعنيكم) ، وقال تعالى فيما أوحاه لموسى ﴿**وقولوا للناس حسناً**﴾ ، وما فعله الخضر هو من باب الاحسان إلى قوم قدموا الإساءة .

ثم أن احسانه هذا لغلامين لم يتأت منهم اساءة وكان أبوهما رجلاً صالحاً وهم في قرية ظالمة بخيلة ولو هدم جدار بيتهم لانكشف كنزهم ولاستولى عليه هؤلاء القوم البخلاء ، فلا شك أن ما فعله الخضر من بناء الجدار هو عين ما تأمر به كل شرائع الأنبياء التي أمرت بالفضل والإحسان ، ورعاية اليتامى وحفظ حقوقهم.....

فأي شيء يستغرب مما فعله الخضر ، وأي حقيقة اطلع عليها الخضر تخالف ظاهر شريعة كان عليها موسى بل ما فعله الخضر موافق تماماً لشريعة موسى

ولشـريعـة عيسـى ولشريعـة محمـد ولكل شرائع الله المنزلـة ، ولم يقل الخضر أو يفعل شيئـاً يخـالف مـا كان عليـه الأنبيـاء صلوات الله عليهم ، وإنمـا فقـط أطلعـه الله على بعض أسرار المقـادير ففعل مـا فعـل من الحـق الـذي لا تنكره الشرائع بناءاً على هـذه الأخبـار والأنبـاء التي أطلعـه الله عليهـا وبـاختصـار لم يفعل الخضر شيئاً مخالفاً لشريعة موسى فافهم هذا جيداً وتمسك به .

٤ ـ وجود الخضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمراً سائغاً وسنـة من سنن الله قبل بعثـة محمـد ﷺ لأن النبي كان يبعث إلي قومـه خـاصـة ، ولـذلـك كان موسى رسولاً إلي بني اسرائيـل فقـط ، ولم يكن رسـولاً للعـالمين ، ولـذلـك لمـا سلم مـوسى عليـه السـلام على الخضر قـال الخضر : وأنى بأرضك السلام . قال له موسى أنا موسى . قال الخضر : موسى بني اسرائيل !؟ قال : نعم...أي أنت مبعوث إلي بني اسرائيل ومنهم ، ولذلـك لم تكن شريعـة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه ، وأما بعد ـة محمد ﷺ فـإنـه لا يجوز شرعـاً أن يكون هنـاك من هو خـارج عن شريعتـه ، لأن الرسـول ﷺ رسول للعالمين ، فلا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلف عن الإيمان به واتبـاعـه . ولذلك فلا وجود بتاتاً للخضر أو أمثاله بعد بعثة الرسول محمد ﷺ .

٥ ـ لا شك أن ما فعلـه الخضر فعلـه عن وحي حقيقي من الله وليس عن مجرد خيال أو الهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن ، ولذلك قال الخضر : ومـا فعلتـه عن أمري....فلم يفعل إلا عن أمر الله الصـادق ووحيـه القطعي . ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفـاة النبي ﷺ فلا وحي بعـده ، ومن ادعى شيئـاً من ذلـك فقـد كفر لأنـه بـذلـك خـالف القرآن الـذي يقـول الله فيـه :﴿**مـا كان محمـد أبـا أحـد من رجـالكم ولكن رسـول الله وخـاتم النبيين● وكان الله بكل شيءٍ عليماً**﴾ [1] .

وقـال أيضـاً رسـول الله ﷺ (وختم بي النبيـون فـلا نبي بعـدي)[2] .

---

(١) الأحزاب ٤٠ .

(٢) رواه مسلم .

من بيان الحقائق السالفة يتضح لنا الصورة الحقيقية لقصة الخضر عليه السلام . والاعتقاد الواجب فيه حسب الكتاب والسنة . ولكن المتصوفة جعلوا من هذه القصة شيئاً مختلفاً تماماً . فقد زعموا أن الخضر حي إلي أبد الدهر ، وأنه صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة الظاهرية ، وأنه ولّي وليس بنبي ، وأن علمه علم لدنى موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت قبل بعثة الرسول محمد ﷺ وبعد بعثته ، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء ، بل وعلوم الأنبياء لا تدانيها ولا تضاهيها ، فكما أن الخضر وهو ولّي فقط في زعمهم كان أعلم من موسى فكذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد ﷺ لأن محمد عالم بالشريعة الظاهرة فقط ، والولي عالم بالحقيقة الصوفية ، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة ، وزعموا كذلك أن الخضر يلتقي بالأولياء ويعلمهم هذه الحقائق ويأخذ لهم العهود الصوفية ، وأن الحقائق الصوفية تختلف عن الحقيقة المحمدية ولذلك فلكل ولي شريعته المستقلة فما يكون معصية في الشريعة كشرب الخمر والزنا واللواط ، قد يكون حقيقة صوفية وقربة إلي الله حسب العلم الباطني ، وكذلك في أمر العقائد ومسائل الإيمان فلكل ولي كشفه الخاص ، وعلمه الخاص اللدني الذي قد يختلف مع الوحي النبوي....

وهكذا جعل المتصوفة من قصة الخضر باباً عظيماً لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف ،...بل بلغ الهذيان حده عندهم حيث يوجد من زعم منهم أن الخضر لا يصلي لأنه على شريعته خاصة !! ومنهم من زعم أن الخضر يصلي ولكن على المذهب الحنفي !!

ولكن صوفياً آخر يزعم أنه رأى الخضر يصلي ولكن على المذهب الشافعي !! بل وأكثر من ذلك زعموا أن الخضر هو الذي يلقنه أذكار الطريقة الإدريسية ، والسنوسية .

وهكذا أصبح الخضر الصوفي هذا ألعوبة عظيمة ، ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا في كل مكان في الأرض تقريباً مكاناً زعموا أن الخضر جلس فيه أو رآه صوفي عنده ، ولذلك أصبح له في كل أرض من أراضي الإسلام مقاماً ومزاراً ،

تذبح فيه الذبائح ، وتقدم فيه القرابين ، وينتفع بذلك الكذابون والغشاشون .

باختصار لقد تحول الخضر إلي قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبرمان الذي يطير في كل مكان ، ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان ، ويشرع للناس ما شاء من عبادات وقربات ، ويلقن الأذكار وينشئ الطرق الصوفية ، ويعمد الأولياء والأقطاب ، ويولي من يشاء ، ويعزل من يشاء ، وما عليك إذا أردت لقاء الخضر إلا أن تذكر مجموعة من الأذكار فيأتيك الخضر في الحال ، ويبشرك بما تشاء من البشارات ، ويجعلك ولياً من الأولياء ، ويعطيك علوماً لدنية لم يعلمها الرسل أنفسهم ولا خطرت لهم على بال .

ولنذهب معاً في جولة مع الفكر الصوفي وخرافاته حول قصة الخضر :

أول من افترى القصة الصوفية للخضر :

يبدو أن أول من افترى القصة الصوفية للخضر هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم والمتوفي في أواخر القرن الثالث الهجري ـ فالترمذي هذا يقول في كتابه ختم الولاية ـ (وهذا الكتاب بنظري هو أخطر كتاب صوفي على الإطلاق) يقول في جوابه عن علامات الأولياء :

«وللخضر عليه السلام ، قصة عجيبة في شأنهم وقد كان عاين شأنهم في البدء ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم ، فأعطى الحياة حتى بلغ من شأنه انه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم ، حتى يكون تبعاً لمحمد ﷺ ، وهو رجل من قرن ابراهيم الخليل ، وذي القرنين ، وكان على مقدمة جنده ، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاتته واصابها الخضر ، في قصة طويلة .

وهذه آياتهم وعلاماتهم . فأوضح علماتهم ما ينطقون به من العلم من أصوله .

قال له قائل : وما ذلك العلم ؟

قال : علم البدء ، وعلم الميثاق ، وعلم المقادير ، وعلم الحروف .

فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا . وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء

الأولياء ، ويقبله عنهم من له حظ من الولاية .»[1] .

وفي هذا النص يزعم مجرد زعم بلا أدنى دليل أو علم أن الخضر هذا عاين منذ بدأ الخليقة أمور الأولياء وعرفهم منذ كتابة المقادير (انظر) وأحب ـ في زعم الترمذي ـ أن يدرك هؤلاء الأولياء ، فأعطى الحياة حتى يبلغ أمة محمد ﷺ...

وأما هو أي الخضر فكان في قرن ابراهيم أي وجد في زمانه...وزمن ذي القرنين...فانظر هذا الجهل والتخريف والإفتراء...الذي لا يقوم على أدنى دليل إلا الكذب والبهتان...ثم يستطرد في بهتانه فيزعم أن ذا القرنين كان يحارب ويسافر ليصل إلي عين الحياة التي من شرب منها فلا يموت أبداً فلم يستطع الوصول إليها ولكن الخضر وصل إليها...فانظر هذا الكذب والتخريف .

وهذا بالطبع منقول بعضه من تخريف اليهود وافتراءاتهم أن آدم لما خلقه الله في الجنة أكل من شجرة المعرفة فأصبح كالله يعلم الخير والشر ، ثم خاف الله منه أن يأكل من شجرة الحياة فيحي أبداً ولا يموت فلما خاف الله من ذلك طرده من الجنة من أجل ذلك...(انظر التوراة الإصحاح الثالث) .

وقد لفق الترمذي من هذه القصص الخرقاء قصته عن الخضر التي تلقفها الصوفية فيما بعد وزادوا عليها ما شاءوا . والمهم هنا أنه زعم كل هذه المزاعم وأن الخضر حي أبداً وأنه قاتل مع ذي القرنين...ولسنا ندري أين كان ما دام أنه حي يرزق إلي آخر الحياة . أين كان عن شهود غزوة بدر وأحد والخندق والمواقع، ولماذا لم يشارك في فتح القادسية واليرموك ، ولماذا لم يلتقي بأبي بكر وعمر ، ولم يتشرف قبل ذلك برؤيا رسول الله ﷺ ما دام أنه حي أبداً واطلع علي جميع الأولياء منذ البدء ... بل ولماذا لم ينزل ولم يلتق إلا بالكذابين الضالين أمثال هذا الترمذي الذي لم يتنبأ له إلا امرأته التي تنزل عليها الوحي حسب زعمه وبشرته بأنه سيكون من شأنه كذا وكذا إلي أن يكون خاتم الأولياء كما كان محمد خاتم النبيين !!.

والترمذي الذي هذا هو شأنه يذكر أيضاً من صفات أوليائه المزعومين أنه

---

(١) ختم الولاية ص٣٦٢ .

تظهر على أيديهم الآيات كطي الأرض ، والمشي على الماء ، ومحادثة الخضر عليه السلام الذي زعم أيضاً أن الأرض تطوي له برها وبحرها ، سهلها وجبلها ، يبحث عن الأولياء شوقاً إليهم ـ[1] .

ومنذ ذلك الوقت الذي افترى فيه من افترى هذه الفرية عن الخضر عليه السلام سواء كان الترمذي نفسه هذا أو هو ناقل عمن قبله .. أقول سواء كان هذا أو هذا فإن المتصوفة بدأوا ينسجون الخرافات حول قصة الخضر واليك بعضاً من هذه الخزعبلات والخرافات :

الخضر يصلي على المذهب الشافعي :

من أطرف القصص ما ذكره أحمد الفاروقي السرهندي في كتابه المنتخبات أنه رأى الخضر والياس عليهما السلام حضرا عنده في حلقة الدرس وأن الخضر قال له أنهما من عالم الأرواح وأنهما يتشكلان بما شاءا من الصور...وأنه أي السرهندي هذا سأل الخضر هل تصلون بمذهب الشافعي فقال له الخضر لسنا مكلفين بالشرائع !! ولكن لأن قطب الزمان شافعي فنحن نصلي وراءه على مذهبه الشافعي...ويعلن السرهندي على ذلك فيقول إن كالات الولاية مختصة بالمذهب الشافعي ، وأما كالات النبوة فهي من اختصاص المذهب الحنفي !! ولذلك عندما يتزل عيسى ابن مريم فانه يصلي ويعمل بالمذهب الحنفي !! وإليك نص أحمد السرهندي في هذه الخرافات قال :

﴿المكتوب الثاني والثمانون والمائتين الي الملا بديع في بيان ملاقاة الخضر والياس عليهما السلام وبيان نبذة من أحوالهما﴾

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قد مضت مدة من استفسار الأصحاب عن أحوال الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام ولما لم يكن للفقير اطلاع على أحواله كما ينبغي كنت متوقفاً في الجواب فرأيت اليوم في حلقة الصبح أن الالياس والخضر عليهما السلام حضرا في صورة الروحانيين فقال

---

(١) ختم الولاية ص٣٦١ .

الخضر بالإلقاء الروحاني نحن من عالم الأرواح قد أعطى الحق سبحانه أرواحنا قدرة كاملة بحيث تتشكل وتتمثل بصورة الأجسام ويصدر عنها ما يصدر عن الأجسام من الحركات والسكنات الجسمانية والطاعات والعبادات الجسدية فقلت له في تلك الأثناء أنتم تصلون الصلاة بالمذهب الشافعي فقال نحن لسنا مكلفين بالشرائع ولكن لما كانت كفاية مهمات قطب الدار مربوطة بنا وهو على مذهب الإمام الشافعي نصلي نحن أيضاً وراءه بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه فعلم في ذلك الوقت أنه لا يترتب الجزاء على طاعتهم بل تصدر عنهم الطاعة والعبادة موافقة لأهل الطاعة ومراعاة لصورة العبادة وعلم أيضاً أن كمالات الولاية موافقة لفقه الشافعي وكمالات النبوة موافقة لفقه الحنفي فعلم في ذلك الوقت حقيقة كلام الخواجة محمد پارسا قدس سره حيث ذكر في الفصول الستة نقلاً أن عيسى على نبينا ﷺ يعمل بعد نزوله بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه فوقع في الخاطر في ذلك الوقت ان نستمد بهما وان نطلب منهما الدعاء فقال اذا كانت عناية الحق سبحانه شاملة لحال الشخص فلا مدخل لنا هناك وكأنهم أخذوا أنفسهم من البين واما الياس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلم يتكلم في ذلك الوقت أصلاً والسلام[1] .

الخضر حنفي وليس شافعياً :

ويبدو أن الكشف السابق لما يسمونه بالعالم الرباني أحمد السرهندي الذي أراد به التنقص من المذهب الشافعي واعلاء منزلة المذهب الحنفي وذلك أنه جعل المذهب الحنفي للأنبياء ، والمذهب الشافعي للأولياء... أقول يبدو أنه لم يطلع على كشف الشعراني الذي زعم أن الخضر كان حنفياً ولم يكن شافعياً حيث ذكر في كتابه معارج الألباب عن بعض شيوخه أنه ذكر له أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة فلما مات (أي أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يرد روح أبي حنيفة

---

(١) المنتخبات من المكتوبات لأحمد الفاروقي ص٩١ طبع تركيا .

إلى قبره حيث يتم له علم الشريعة وأن الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة[1] .

فانظر أي تخليط وكذب سمج ، فهذا الخضر المزعوم اين هو من تعلم الشريعة على يد محمد ﷺ وهو يزعمون أنه كان حياً ذلك الوقت ولماذا لم يتتلمذ على الخلفاء الراشدين وهم أعلم الناس بالشريعة...ولقد قال أبو حنيفة نفسه..دعوا قولي لقول أصحاب رسول الله فانهم كانوا أعلم بالتنزيل !! فاذا كان أبو حنيفة يأمرنا أن نترك قوله لقول رسول الله ﷺ وقول أصحابه فكيف يترك الخضر المزعوم تعلم الشريعة عن الرسول وأصحابه وينتظر حياً حتى يأتي أبو حنيفة ليتعلم منه الشريعة...ثم أي تلميذ بليد هذا الخضر الصوفي المزعوم حتى يمكث مع أبي حنيفة كل حياته ولا يستطيع أن يتعلم علمه...ويدعو الله أن يظل أبو حنيفة حياً في قبره ليستكمل الدراسة ويستمر على التردد على القبر يومياً لمدة خمسة عشر سنة ليتعلم علم أبو حنيفة فضلاً عن عشرات السنين قبل ذلك !!

ثم كيف يكون الخضر هو ممد الأولياء ومعلمهم وهو بهذه البلادة وقلة الحفظ !!..

لقد فات الذين يفترون هذه القصص كل هذه الأمور ، ولكن لأنهم لم تكن لهم عقول سليمة فانهم كذبوا مثل هذا الكذب السمج ورحم الله الإمام الشافعي القائل :«لا أرى أن رجلاً يتصوف أول النهار حتى يكون أحمق في آخره»...وقال :«لا أرى أن رجلاً يصاحب الصوفية أربعين يوماً فيعود إليه عقله أبداً..»

وهؤلاء لا شك أنهم كانوا كذلك حمقى مجانين ذهبت عقولهم ولم ترجع لهم أبداً .

والعجيب أن مثل هذه الخرافات تظل تسري وتجري فقد زعم الحصفكي

---

(١) معارج الألباب ص٤٤ .

الحنفي في مقدمة كتابه الدر المختار أن الخضر أودع أوراق المذهب الحنفي في نهر جيحون إلي وقت نزول عيسى عليه السلام حتى إذا نزل أخذ هذه الصحائف وتعلم منها المذهب الحنفي حتى يحكم به في آخر الزمان !!

الخضر يعلم الأذكار الصوفية :

الخضر الصوفي المزعوم يكاد أن يكون في كل ميدان من ميادين التصوف ، فهو صاحب الكشف وهو نقيب الأولياء ، وهو آخذ العهود ، وهو مرشد الأنام ، وهو معلم الأذكار . يقول أحمد بن إدريس :«اجتمعت بالنبي ﷺ اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي عليه السلام الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته ﷺ »[1] ويستطرد أيضاً قائلاً : « ثم قال ﷺ للخضر عليه السلام يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار »[2] .

قلت اعلم أن أذكار الطريقة الشاذلية هذه فيها كفر وشرك فمن أذكارها صلاة ابن مشيش (اللهم انشلني من أوحال التوحيد ، وأغرقني في عين بحر الوحدة) وفيها أن محمد ﷺ هو أصل هذا الوجود وأول مخلوق فيه ومنه انشقت كل الأنوار وظهرت كل الموجودات (اقرأ الباب الخاص بالحقيقة المحمدية ، والباب الخاص بالذكر الصوفي)

والمهم هنا التنبيه أن الخضر الصوفي يختلف تماماً عن الخضر الذي ذكره الله في القرآن وقص علينا النبي ﷺ قصته . فذاك نبي عبد موحد مؤمن على علم من علم الله بالوحي عاش ومات لوقته وزمانه وفعل ما فعل موافقاً للحق والشريعة أما الخضر الصوفي فهو ما رأينا مصدراً للخرافة والجهل والشرك ولذلك أخبر الإمام ابن تيمية بأن الخضر المزعوم هذا لا حقيقة له شأنه في ذلك

---

(١) مفاتيح كنوز السموات والأرض لصالح محمد الجعفري ص٨ .

(٢) المصدر السابق ص٨ .

شأن الغوث والقطب الصوفي ، ومنتظر الرافضة .

الخضر الصوفي خرافة لا حقيقة :

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في رسالة زيارة القبور والإستنجاد بالمقبور مانصه :

«ثلاثة أشياء ما لها من أصل باب النصيرية ، ومنتظر الرافضة ، وغوث الجهال ، فان النصيرية تدعي في الباب الذي لهم أنه الذي يقيم العالم فذاك شخصه موجود ولكن دعوى النصيرية فيه باطلة ، وأما محمد بن الحسن المنتظر ، والغوث المقيم بمكة ونحو هذا فانه باطل ليس له وجود ، وكذلك ما يزعمه بعضهم من أن القطب الغوث الجامع يمد أولياء الله ويعرفهم كلهم ونحو هذا فهذا باطل ، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يعرفان جميع أولياء الله ولا يمدانهم فكيف بهؤلاء الضالين المغترين الكذابين ، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم انما عرف الذين لم يكن رآهم من أمته بسيماء الوضوء هو الغرة والتحجيل ومن هؤلاء من أولياء الله لا يحصيه إلا الله عز وجل وأنبياء الله الذي هو إمامهم وخطيبهم لم يكن يعرف أكثرهم بل قال الله تعالى :﴿**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك**﴾ وموسى لم يكن يعرف الخضر والخضر لم يكن يعرف موسى بل لما سلم عليه موسى قال له الخضر :واني بأرضك السلام ، فقال له:أنا موسى ، قال:موسى بني اسرائيل ؟ قال: نعم ، وقد كان بلغه اسمه وخبره ولم يكن يعرف عينه ومن قال أنه نقيب الأولياء أو أنه يعلمهم كلهم فقد قال الباطل . والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت وأنه لم يدرك الإسلام ولو كان موجوداً في زمان النبي ﷺ لوجب عليه أن يؤمن به ويجاهد معه كما أوجب الله ذلك عليه وعلى غيره ولكان يكون في مكة والمدينة ولكان يكون حضوره مع الصحابة للجهاد معهم واعانتهم على الدين أولى به من حضوره عند قوم كفار ليرفع لهم سفينتهم ولم يكن مختفياً عن خير أمة أخرجت للناس وهو قد كان بين المشركين ولم يحتجب عنهم ثم ليس للمسلمين به وأمثاله حاجة في دينهم ودنياهم ، فان دينهم

أخذوه عن الرسول ﷺ النبي الأمي الذي علمهم الكتاب والحكمة وقال لهم نبيهم (لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم) وعيسى بن مريم عليه السلام اذا نزل من السماء انما يحكم فيهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم فاي حاجة لهم مع هذا الي الخضر وغيره والنبي ﷺ قد أخبرهم بنزول عيسى عليه السلام من السماء وحضوره مع المسلمين وقال (كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى في آخرها) فاذا كان النبيان الكريمان اللذان هم مع ابراهيم وموسى ونوح أفضل الرسل ومحمد ﷺ سيد ولد آدم ولم يحتجبوا عن هذه الأمة لا عوامهم ولا خواصهم فكيف يحتجب عنهم من ليس مثلهم ، واذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك فقط ، ولا خلفاؤه الراشدون

وقول قائل أنه نقيب الأولياء ، فيقال له ، من ولاه النقابة وأفضل الأولياء أصحاب محمد ﷺ وليس فيهم الخضر ، وغاية ما يحكى في هذا الباب من الحكايات بعضها كذب وبعضها مبني على ظن رجال مثل شخص رأى رجلاً ظن أنه الخضر ، وقال أنه الخضر ، كما أن الرافضة ترى شخصاً تظن أنه الإمام المنتظر المعصوم أو تدعي ذلك ، وروي عن الإمام أحمد ابن حنبل أنه قال وقد ذكر له الخضر من أحالك على غائب فما أنصفك ، وما ألقي هذا على ألسنة الناس إلاالشيطان انتهى المراد منه .



الفصل التاسع
الكشف الصوفي

الإيمان بالغيب في الكتاب والسنة :

من أصول الدين وقواعد الإيمان أن تعتقد أن الغيب علمه لله تعالى وحده سبحانه وتعالى وأنه يطلع سبحانه وتعالى على ما شاء من الغيب من شاء من أنبيائه ورسله فقط ، وأن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله إياه كما قال سبحانه تعالى لرسوله : ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون**﴾ (١٨٨) الأعراف .

وقال جل وعلا : ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً(٢٦) إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً(٢٧) ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا(٢٨)**﴾ (الجن) .

وأمر رسوله محمداً ﷺ أن يخبر الناس أنه ليس ملكاً ولا يملك خزائن الله ولا يعلم الغيب قال تعالى : ﴿ **قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملك ان اتبع ألا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون(٥٠)**﴾ الأعراف .

وهذا الذي قاله الرسول ﷺ هو ما قاله نوح قبل ذلك . قال تعالى على لسان نوح : ﴿**ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم اني اذاً لمن الظالمين(٣١)**﴾ هود .

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : قال

مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله : لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحداً إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله . وهذا الحديث يقرر قوله تعالى :﴿**إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير**﴾ .

وفي صحيح البخاري أيضاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب وهو يقول :(لا تدركه الأبصار) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب وهو يقول (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله) .

فهذه الآيات والأحاديث ومثلها كثير جداً قاطع بأنه لا يعلم أحد في السموات والأرض الغيب إلا اللهلا ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وأنه لا يعلم أحد من هؤلاء الغيب إلا ما أطلعه الله سبحانه عليه ، فهاهم الملائكة يخلق الله آدم ولا يعلمون الحكمة من خلقه ، ويعرض الله عليهم مسميات معينة ويقول لهم أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، فيقولون سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، ويعلم الله آدم النبي الأسماء فيعلمها لهم ، وآدم نبي مكلم كما جاء في الحديث الشريف ، وهؤلاء الأنبياء لا يعلمون الغيب بنص القرآن ومئات بل بآلاف الوقائع ، فنوح لم يعلم أن ابنه ليس من أهله وأن زوجته على غير دينه ، وابراهيم لم يعلم بأنه يولد له ولد من زوجته سارة الا بعد أن جاءته الملائكة ولقد جاءته الملائكة في صورة بشر فذبح لهم عجلاً وقربه إليهم وهو لا يعلم حقيقتهم حتى أعلموه ، ولم يكن يعرف مقصدهم حتى أعلموه أنهم ذاهبون لتدمير قرى لوط ، وأما لوط فانه ساءته رؤية الملائكة علماً أنهم قد أتوا لانجائه وانجاء أهله ، ولم يعلم حقيقة أمرهم الا بعد أن أعلموه ولم يكن له كشف خاص ، ولا علم خاص يستطيع أن يعرف من القوم ، وأما محمد ﷺ فقد حدث له مئات بل آلاف الوقائع التي تدل يقيناً أنه لم يكن يعلم في الغيب إلا ما أعلمه الله إياه........فقد ظن أن جبريل الذي أتاه في الغار

شيطاناً وقال لخديجة لقد خفت على نفسي ، ولم يعرف أنه الملك حتى أتى ورقة بن نوفل فأخبره أن الكلام الذي جاء به يشبه الكلام الذي نَزل على الأنبياء من قبله....ولم يدر بخلد النبي أنه سيؤذى ويخرج من مكة أبداً علماً بأن النبي قد مكث يتعبد في غار حراء سنوات طويلة ، وعند الصوفية من لف رأسه بخرقة وجلس في مكان مظلم رأى الله ، وعرف كل شيء وشاهد الكون أعلاه وأسفله....بل النبي محمد ﷺ مكث ثلاث عشرة سنة في مكة لا يعلم أين سيهاجر بعد ذلك ، وبعد الهجرة خرج إلي أبي سفيان ففاته واصطدم بجيش المشركين وجاءه المشركون في المدينة المرة تلو المرة يزعمون أنهم قد آمنوا ويطلبون منه أن يرسل لهم من يعلمهم القرآن فكان يرسل معهم خيرة القراء ، فيغدرون بهم في الطريق.....فغدر المشركون بأربعين رجلاً من المسلمين مرة واحدة ، وسبعة مرة ، ولو علم رسول الله ما يكون من أمر الله بل لو علم أن هؤلاء الكفرة الأعراب يكذبون عليه لما أسلم لهم أصحابه وحبس المشركون يوماً وليلة في مكان ليس فيه ماء لأن السيدة عائشة رضي الله عنها قد فقدت عقداً لها ولو كان هناك كشف صوفي على ما يصوره الصوفية ويزعمونه لعلموا أين عقد السيدة عائشة الذي كان تحت بعيرها ولم يفطن إليه أحد من المسلمين من أصحاب النبي....ورمى المنافقون السيدة عائشة بالزنا ـ شرفها الله وحماها وبرأها ولعن الله من سبها ـ ....ومكث رسول الله شهراً كاملاً لا يدري ما يقول ، وكان يستفتي أصحابه ويسأل علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، وبريرة خادمته ومولاته هل رأوا على عائشة شيئاً.....ولم يستطع رسول الله ﷺ أن يعلم حقيقة الأمر حتى أنزل الله براءتها من السماء.....هذا الي العشرات والمئات من الوقائع التي تبين أن رسول الله وأكرم خلق الله من البشر على الله لم يكن يطلع على شيء من الغيب إلا ما أطلعه الله بحكم النبوة....

الغيب في المعتقد الصوفي :

ولكن الصوفية منذ القدم....منذ نشأتهم في الإسلام وإلي يومنا هذا عمدوا

إلي هذا الأصل الأصيل من أصول الدين فهدموا بل اقتلعوا جذوره من قلوب من يسير طريقهم وينتهج منهجهم هذا الأصل اا : فهدموه ، جعله الله أول صفة في كتابه للمتقين حيث يقول تبارك وتعالى في سورة البقرة السورة الثانية في القرآن بعد الفاتحة :

﴿ألم ● ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ......﴾الآية

جعل الله صفة الإيمان بالغيب أول صفة للمتقين المهتدين بالقرآن والسنة وذلك حتى يوحد المؤمنون طريق التلقي فلا يتلقون غيباً إلا من الله ومن أقامه للأخبار بالغيب عنه وهم رسله ، وأنبياؤه فقط ، جاء المتصوفة فكان أول هدم لهم في الإسلام أن يهدموا هذا الأصل فأقاموا شيئاً سموه (الكشف الصوفي) وهو يعني عندهم رفع الحجب أمام قلب الصوفي وبصره ليعلم ما في السموات جميعاً ، وما في الأرض جميعاً ، فلا تسقط ورقة إلا بنظره ولا تقع قطرة ماء من السماء لا يعلمه ، ولا يولد مولود ، أو يعقد معقود ، أو يتحرك ساكن أو يسكن متحرك إلا بعلم الصوفي....هكذا والله وسيرى القارئ في هذا الفصل إلا بعلمه، النقول من كتب القوم كلها تنص على أن الصوفي لا يقف أمامه حجاب ، ولا يوصد أمامه باب ، ولا يعجزه علم شيء في الأرض ولا في السماء . فهو يعلم ما يكتب في اللوح المحفوظ ساعة بساعة ، بل هو يعلم بأي لغة وأي قلم كتب اللوح المحفوظ ، وماذا في أم الكتاب ، وماذا كان منذ الأزل وماذا سيكون إلي الأبد ، لا أقول قد ساوى الصوفية أنفسهم بالأنبياء بالغيب أو ساووا أنفسهم بالخضر الذين يزعمون النقل عنه لا والله بل جعلوا كل زنديق منهم ممن لا وزن له في خلق ولا علم جعلوا هؤلاء هم الله علماً بكل شيء ، واحاطة بما في السموات والأرض ،....

وسيرى القارىء أن أي زندقة وأي كفر في الأرض لم يجرؤ كاتبوه ومؤيدوه أن يكتبوا مثل هذا ولكن الصوفية سبقوا كل الكفار في كل الملل والنحل والأقوام وكتبوا بأقلامهم ما لم يجرؤ أحد بتاتاً أن يكتبه أو يسطره فيما علمنا من الكفرة والزنادقة والملاحدة ......

لقد ترقى المتصوفة في قضية الكشف عندهم فزعموا أولاً أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر والقراطيس والآثار التي ينقلوها عن الموتى،..... وأما هم فيلتقون بالرسول ﷺ يقظة أحياناً ، ومناماً أحياناً ويسألونه ويستفيدون منه هذه العلوم ثم ترقوا فقالوا ان لنا علوماً ليست في الكتاب والسنة نأخذها عن الخضر الذي هو على شريعة الباطن وهو الذي يمد الأولياء بهذه الشريعة ، فموسى ومحمد والأنبياء على شريعة ظاهرة ، وأما الخضر فهو على شريعة باطنة يجوز فيها ما لا يجوز في الظاهر ، فقد قتل الغلام بغير ذنب ، وكسر السفينة لمن حملهم بغير نوال ، وبنى الجدار احساناً منه لمن أساء اليهم .....ومثل هذا ينكره أهل الظاهر كما أنكره موسى ، ونحن في الباطن على شريعة الخضر وهو يلتقي بنا ونتعلم منه علوماً خساصة ينكرها أهل الظاهر لجهلهم ... والعجيب أنه كان من هذا الدين الباطن الذي زعموا أخذه عن الخضر اتيان(الحمارة) والزنا ، وشرب الخمر ، واللواط ، والتعري ، والصراخ في الطرقات ، وسب المؤذنين للصلاة ، وسب الأنبياء والإدعاء بأن كل مخلوق هو الله والقاء السلام على الكلاب والخنازير ، والترحم على ابليس ومحاولة الوصول الي مقامه ، وجعل فرعون أعلم من موسى بالله وتبرئة قوم نوح من الشرك ، وجعل الرسول محمد هو الله المستوي على العرش ......هذه الأشياء قليلة جداً من هذا الدين الباطني الذي زعم المتصوفة أنهم نالوه عن طريق الكشف الصوفي ، وهو رفع الحجب عن القلوب والأبصار لرؤية الحق على ما هو عليه ، وأن الخضر عليه السلام هو مبلغ كل هذا لهم ، وتارة يترقون في هذا الكذب أو بالأحرى يهوون الي أسفل سافلين في دعاوي الكذب هذه فيزعمون أنهم تلقوا هذه العلوم من ملك الإلهام كما تلقى محمد ﷺ علومه من ملك الوحي ، وأخرى يزعمون انهم تلقوا علومهم هذه التي أشرنا الي بعضها آنفاً من الله رأساً وبلا واسطة وأنها انطبعت في نفوسهم من الله رأساً وأنهم مطالعون الأمر في الأزل بأرواحهم ، والأمر في الأبد يرونه كما يكون عليه الحال يرونه كذلك بأرواحهم وبغير

واسطة ، وأن همتهم تصل السموات وما فوقها والأرض وما تحتها ..

ولقد وسع المتصوفة دائرة كشفهم هذه فزعموا أنهم يعلمون أسرار الحروف المقطعة من القرآن بطريق الكشف وقصص الأنبياء يرونها على حقيقتها ويجتمعون بالأنبياء ويسألونهم عن تفاصيل قصصهم وما كان منهم.....فيفيدون فوائد كثيرة دونها كثيراً ما هو موجود فعلاً في القرآن ، وأما الجنة والنار ، فهم وإياها دائماً رأى العين ، بل هي ساقطة أصلاً من عيونهم لان النار وما النار ، لو بزق أحدهم عليها لأطفأها كما قال أبو يزيد وغيره منهم.....وأما الجنة فالنظر إليها شرك وكفر لأنهم ينظرون إلي الله فقط......

ولذلك قال قائلهم معيباً على الصحابة عندما قرأ (منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة) قال ..أف....أليس منكم أحد يريد الله....وقال آخر عن قوله :﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ قال..ألهاهم عنه.....

باختصار لقد اكتشف المتصوفة بزعمهم للقرآن معاني غير التي يعرفها أصحاب النبي ﷺ وعلماء الأمة على مر العصور . لقد اكتشفوا هم عن طريق كشفهم الشيطاني أن للقرآن معاني أخرى وأن فيه علوماً كثيرة جداً لا يعلمها غيرهم....وما هذه العلوم.....أنها كل الفلسفات القديمة ، والخزعبلات والخرافات التي عند فلاسفة الإغريق ، وكهنة الهنادك والهندوس ، وشياطين المجوس واباحية المانوية والمزدكية ، وخرافات القصاص من كل لون وجنس كل هذا وهذا جعله المتصوفة كشفاً وحقيقة صوفية ومعاني للقرآن الكريم ولحديث النبي الشريف......

ومن أراد منهم أن لا ينسب هذه الخرافات والخزعبلات الي القرآن والحديث ، ورأى أنه تحقق بعلوم أكثر بكثير مما فيهما قال :
خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله .. فجعل نفسه أعظم معرفة وتحقيقاً مما لدى الأنبياء .. وذلك لما رأى أنه قد جمع من الخرافات والخزعبلات والأساطير شيئاً نهى الرسل الصادقون عن افترائه وتناقله وتداوله ..

هذه هي حقيقة الكشف الصوفي الذي زعم أصحابه أنه ثمرة العبادة والتقوى والاتصال بالله والملائكة والأنبياء والخضر ، وأنه نتيجة حتمية لسباحة أرواحهم في الأزل والأبد ، والسموات السبع وما فوقها والأراضين السبع وما تحتها....لقد أتونا بعد هذه السباحة الشيطانية بعشرات المجلدات والخرافات والخزعبلات بعد أن لبسوها وخلطوها ببعض العلم الذي جاء به الرسل فخلطوا الأمر على عامة المسلمين ، وأضلوا من لا علم لهم بالكتاب والسنة ، وظنوا فعلاً أن هؤلاء الناس صالحون وأن علومهم هذه قد أتوا بها فعلاً من الغيب ، وخاصة أنهم رأوهم أحياناً تجري على أيديهم بعض الحيل الشيطانية ، وبعض الكرامات الإبليسية من خرق العادات أو الاخبار ببعض المغيبات مما هو عند الهندوس والمجوس والدجال وابن صياد أمثاله وأكثر منه مئات المرات ، لقد أوهم العامة ما جرى على يد هؤلاء من هذه الكرامات الإبليسية التي هي حقاً أمثال شيطانية من ما يجري للكفار والمنافقين والدجالين ، فظنوا أن هؤلاء من أهل الله حقاً ، وأن الحجب ترتفع عنهم صدقاً وأن علومهم هذه آتية من الغيب يقيناً وبذلك راجت يوماً بضاعة هؤلاء الزنادقة وصرفوا المسلمين عن دينهم الحق وعقيدتهم المستقيمة .

وها نحن نورد بعد هذه المقدمة التي لا بد منها طائفة من النقول من كتب القوم المعتمدة التي تبين هذا الباطل الذي يدعونه ويسمونه كشفاً ، وحقيقة ، وعلماً لدنيا ، وتحققاً ، واطلاعاً ليكون القارئ المسلم على بينة مما عليه هولاء الزنادقة .

عبد الكريم الجيلي وكتابه الإنسان الكامل :

هذا عبد الكريم الجيلي يكتب كتابه «الانسان الكامل» زاعماً أيضاً أنه من الله أخذه ، وأن الله أمره باخراج هذا الكتاب للناس وأنه ليس فيه شيء الا وهو مؤيد بالكتاب والسنة يقول :

«....ثم ألتمس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أني ما وضعت شيئاً

في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادي الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقف عن العمل به مع التسليم الي أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته ، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه .

وفائدة التسليم هنا وترك الانكار أن لا يحرم الوصول الي معرفة ذلك ، فان من أنكر شيئاً من علمنا هذا حرم الوصول اليه ما دام منكراً ، ولا سبيل الي غير ذلك ، بل ويخشى عليه حرمان الوصول الي ذلك مطلقاً بالإنكار أول وهلة ، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم .

واعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة ، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده ، فقد يكون العلم في نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة ، ولكن قلة استعدادك منعتك من فهمه فلن تستطيع أن تتناوله له بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة ، فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير انكار الي أن يأخذ الله بيدك اليه .

(الإنسان الكامل ص٨)

علماً بأنه لم يضع فيه شيئاً مطلقاً وافق فيه الكتاب والسنة ، بل جمع فيه من الكفر والزندقة أعظم من كل كفر الأولين والآخرين كيف لا وقد جعل كل من عبد شيئاً في الأرض فما عبد إلا الله ، بل زعم أنه ليس في الوجود إلا الله ، الذي خلق الوجود من نفسه لنفسه فليس هناك إلا هو فهو الرب والعبد ، والشيطان والراهب ، والسماء والأرض ، والظلمات والنور ، والحمل الوديع والذئب الكاسر.......

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً واستغفر الله من تسطير ذلك وكتابته...اللهم رحماك رحماك....لقد قلت في كتابك عن الذين ادعوا الألوهية في عيسى وهو نبي كريم ونفس طيبة ﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا**﴾ وقلت أيضاً ﴿**تكاد السموات يتفطرن من فوقهن وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن**

أن يتخـــذ ولـــدا ان كل من في السمـوات والأرض الا آت الرحمن عبداً﴾...وهذا الزنديق يـاربي وأمثـالـه جعلوا كل كلب وخنزير في الأرض ، وكل شيطـان وابليس وكل كافر وفـاجر جـزءاً منـك ، ومظهراً لـك (ومجلي) ـ حسب عبارتهم ـ من مجاليك وتجليـاتـك ثم أنت ترزقهم وتعـافيهم وتحلم عليهم ـ سبحانك ما أحلمك وأجلك وأعظمك . لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك . ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

نعود إلي الجبلي وكتابه الذي يقول فيه بالنص :

«وكنت قـد أسست الكتـاب على الكشف الصريح وأيدت مسـائلـه بـالخبر الصحيح (....انظر) ـ وسميته بـالإنسـان الكامل في معرفـة الأواخر والأوائل» ثم يقول :«فأمرني الحق الآن بابرازه بين تصريحه والغازه ، ووعدني بعموم الإنتفـاع فقلت طوعاً للأمر المطاع ، وابتـدأت في تـأليفـه متكلاً على الحق في تعريفـه ، فهـا أنـا ذا أكرع من دنـه[1] القـديم ، بكأس الإسم العليم ، في قوابل أهل الإيمـان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم ، مسكرة الموجـود بـالقـديم أهـ ص٦ .

ما الذي يتكلم فيه الجيلى في هذا الكتاب :

ان كتابه من أوله وآخره يـدور حول معنى واحـد وهو وصف الله بصفـات مخلوقاته،وبيان أن المخلوق هو عين الخالق .. هذا كل ما يريـد الجيلي أن يصل إليه وهذا هو ما شرحه شرحاً كاملاً في كتابه، وأضاف أن محمـدﷺهو الإنسـان الكامل والإلـه الكامل الـذي اتصف بكل صفـات الله بعلـوهـا وسفلهـا بحلـوهـا ومرها : فقل هو الله أحد معناها كما يفسرها الجيلي : قل يـا محمـد الإنسـان هو الله أحد . فهـاء الإشـارة في (هو) راجع إلي فـاعل قل وهو أنت...فيكون المعنى قل يا محمد هو أي أنت الله أحد ....هذا هو الكشف الذي كشفه لنا الجيلي من الغيب وهذا هو الكتاب الذي ليس فيه شيء يخالف الكتاب والسنة .

وهذا نص عبارة الجيلي في ذلك :....

«الحرف الخامس من هذا الاسم : هو الهاء ، فهو اشارة الي هوية الحق الـذي

---

(١) الدن : هو وعاء الخمر الذي يخمر فيه .

نوعين الانسان ، قال الله تعالى (قل) يامحمد (هو) أي الانسان (الله أحد) فهاء الإشارة في هو راجع الي فاعل قل وهو أنت ، وإلا فلا يجوز إعادة الضمير الي غير مذكور أقيم المخاطب هنا مقام الغائب التفاتاً بيانياً اشارة الي أن المخاطب بهذا ليس نفس الحاضر وحده ، بل الغائب والحاضر في هذا على السواء .
قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا) ليس المراد به محمد وحده ، بل كل راء ، فاستدارة رأس الهاء اشارة إلي دوران رحى الوجود الحقي والخلقي على الانسان ، فهو في عالم المثال كالدائرة التي أشارت الهاء اليها ، فقل ماشئت إن شئت قلت الدائرة حق وجوفها خلق ، وان شئت قلت الدائرة خلق وجوفها حق فهو حق وهو خلق ، وان شئت قلب الأمر فيه بالإلهام ، فالأمر في الانسان دوري بين أنه مخلوق له ذل العبودية والعجز وبين أنه على صورة الرحمن ، فله الكمال والعز .
قال الله تعالى(والله هو الولي) يعني الانسان الكامل الذي قال فيه(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) لأنه يستحيل الخوف والحزن ، وأمثال ذلك على الله لأن الله هو الولي الحميد (وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير) أي الولى ، فهو حق منصور في صورة خلقية ، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية ، فعلى كل حال وتقدير وفي كل مقال وتقرير هو الجامع لوصفي النقص والكمال ، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال ، فهو السماء والأرض ، وهو الطول والعرض ، وفي هذا المعنى قلت :

لي الملك في الدارين لم أر فيهما ... سواي فأرجو فضله أو فأخشاه
ولا قبل من قبلي فالخلق شأنه ... ولا بعد من بعدي فأسبق معناه
وقد حزت أنواع الكمال وانني ... جمال جلال الكل ما أنسا الا هو
فمها ترى من معدن ونباته ... وحيوانه مع أنه وسجاياه
ومهما ترى من عنصر وطبيعة ... ومن هباء للأصل طيب هيولاه
ومهما ترى من أبحر وقفاره ... ومن شجر أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ... ومن شهد للعين طال محياه

الي أن يقول :

فـاني ذلـك الكل والكل مشهـدي أنـا المتجلي في حقيقتـه لا هـو

أهـ ـ ص ٣١ .

ويشرح الجيلي هذا المعنى المجمل تفصيلياً في البـاب الستين من كتابه فيقـول بالنص :

الباب الملفى ستين : في الانسـان الكامل وأنـه محمـد ﷺ وأنـه مقـابل للحق والخلق .

«اعلم حفظك الله أن الانسان الكامل هو القطب الـذي تـدور عليـه أفلاك الوجود من أوله إلي آخره ، وهو واحد منـذ كان الوجود إلي أبـد الآبـدين ، ثم لـه تنـوع في مـلابس ويظهر في كنـائس[1] ، فيسمى بـه بساعتبـار لبـاس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر ، فاسمه الأصلي الذي هو له محمـد ، وكنيتـه أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الـدين ، ثم لـه بـاعتبـار ملابس أخرى أسام ، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان ، فقـد اجتمعت بـه ﷺ وهو في صـورة شيخي الشيـخ شرف الـدين اسماعيـل الجبرتي ، ولست أعلم أنه النبي ﷺ ، وكنت أعلم أنه الشيخ ، وهذا من جملة مشاهد شـاهـدتـه فيهـا بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائـة وسر هـذا الأمر تمكنـه ﷺ من التصور بكل صورة ، فالأديب إذا رآه في الصورة المحمديـة التي كان عليهـا في حيـاتـه فـانـه يسميه باسمه ، واذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة ، ثم لا يوقع ذلك الإسم الأعلى الحقيقة المحمدية .

الا تراه ﷺ لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه قـال الشبلي لتلميـذه أشهـد أني رسول الله وكان التلميذ صـاحب كشف فعرفـه ، فقـال : أشهـد أنـك رسول الله ، وهـذا أمر غير منكور وهو كما يرى النـائم فلان في صورة فـلان . وأقـل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به في النوم ، ولكن بين النوم والكشف فرق وهو أن الصورة التي يرى فيها محمـد ﷺ في النوم لا يوقع اسمهـا

---

(١) الكنيسـة مكان العبادة عند النصارى . والمعنى المشار اليه هنا أنه يوصف بـالشيء ونقيضـه كما قـال فريـد الـدين العطـار : ومـا الكلب والخنزير إلا الهنـا ومـا الله إلا راهب في كنيسـة

في اليقظة على الحقيقة المحمدية ، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية الي حقيقة تلك الصورة في اليقظة ، بخلاف الكشف فانه إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور الآدميين ، فليزمك ايقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية ، ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب

تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ . لما أعطاك الكشف أن محمد ﷺ متصور بتلك الصورة ، فلا يجوز لك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل ، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من مذهب التناسخ ، حاشا الله وحاشا الرسول ﷺ أن يكون ذلك مرادي ، بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين في التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة ، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليعلى شأنهم ويقيم ميلانهم ، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم أهـ .

ثم يستطرد الجيلى حسب اعتقاده مبيناً كيف يكون محمد ﷺ انسان كامل ، واله تحققت فيه كل مظاهر الربوبية والألوهية وتجلت فيه كل أسماء الله وصفاته......

ولما كان الله عند الجيلي ومن على طريقته من هؤلاء الزنادقة الملحدين هو هذه المخلوقات لا غير...استطرد الجيلي مبيناً أن الكون الوجود في كل شيء منه مقابل للذات المحمدية . ففي ذات الرسول شبيه العرش والكرسي ، والسموات والأرض والملائكة والحيوان والنبات والجماد......وسائر الموجودات التي هي في حقيقتها عند الجيلي هي الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً......

يقول الجيلي شارحاً ذلك :

وأعلم أن الانسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه .

فيقابل الحقائق العلوية بلطافته ، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته ، فأول ما يبدو في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه ، قال ﷺ «قلب المؤمن

من عرش الله» ، ويقابل الكرسي بآنيته ، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه ، ويقابل القلم الأعلى بعقله، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه ، ويقابل العناصر بطبعه ، ويقابل الهيولي بقابليته ، ويقابل الهباء بحيز هيكله ، ويقابل الفلك الأطلس برأيه ، ويقابل الفلك المكوكب بمدركته ، ويقابل السماء الخامسة بهمة ، ويقابل السماء الرابعة بفهمه ، ويقابل السماء الثالثة بخياله ، ويقابل السماء الثانية بفكرة ، ويقابل السماء الأولى بحافظته ، ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة ، ويقابل المشتري بالقوى الدافعة ، ويقابل المريخ بالقوى المحركة ، ويقابل الشمس بالقوى الناظرة ، ويقابل الزهرة بالقوى المتلذذة ، ويقابل عطارد بالقوى الشامة ، ويقابل القمر بالقوى السامعة ، ثم يقابل فلك النار بحرارته ، ويقابل فلك الماء ببرودته ، ويقابل فلك الهواء برطوبته ، ويقابل فلك التراب بيبوسته ، ثم يقابل الملائكة بخواطره ، ويقابل الجن والشياطين بوسواسه ، ويقابل البهائم بحيوانيته ، ويقابل الأسد بالقوى الباطشة ، ويقابل الثعلب بالقوى الماكرة ، ويقابل الذئب بالقوى الخادعة ، ويقابل القرد بالقوى الحاسدة ، ويقابل الفأر بالقوى الحريصة ، وقس على ذلك باقي قواه ، ثم انه يقابل النار بالمادة الصفراوية ، ويقابل الماء بالمادة البلغمية ، ويقابل الريح بالمادة الدموية ، ويقابل التراب بالمادة السوداوية ، ثم يقابل السبعة أبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه ودمعه وبوله والسامع المحيط ، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد ، ومنها تتفرع تلك الستة ، ولكل واحد طعم ، فحلو وحامض ، ومر وممزوج ، ومالح ونتن وطيب ، ثم يقابل الجوهر بهويته وهي ذاته ، ويقابل العرض بوصفة ، ثم يقابل الجمادات بأنيابه ، فان الناب اذا بلغ وأخذ حده في البلوغ بقى شبه الجمادات لا يزيد ولا ينقص واذا كسرته لا يلتحم بشيء ، ثم يقابل النبات بشعره وظفره ، ويقابل الحيوان بشهوانيته ، ويقابل مثله من الآدميين ببشريته وصورته ، ثم يقابل أجناس الناس ، فيقابل الملك بروحه ، ويقابل الوزير بنظره الفكري ، ويقابل القاضي بعلمه المسموع ، ورأيه المطبوع ، ويقابل الشرطي بظنه ، ويقابل الأعوان بعروقه وقواه جميعها ، ويقابل المؤمنين بيقينه ، ويقابل المشركين

بشكه وريبه ، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه ، فقد بينا فيما مضى من الأبواب خلق كل ملك مقرب من كل قوى من الإنسان الكامل ، وبقى أن نتكلم في مقابلة الأسماء والصفات .

اعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر ﷺ حيث قال :«خلق الله آدم على صورة الرحمن» وفي حديث آخر«خلق الله آدم على صورته» وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم ، وكذلك الانسان حي عليم.....الخ .

ثم يقابل الهوية بالهوية ، والانية بالانية ، والذات بالذات ، والكل بالكل ، والشمول بالشمول ، والخصوص بالخصوص ، وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية ، وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب في غير ما موضع ، وأما هنا فلا يجوز لنا أن نترجم عنها ، فيكفي هذا القدر من التنبيه عليها .

ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية ، والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضى الذاتي ، فانه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار الي لطيفته يتلك الأشارات ليس لها مستند في الوجود الا الانسان الكامل ، فمثاله للحق مثال المرآة التي لا يرى الشخص صورته إلا فيها ، والا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسهالا بمرآة الأسم الله فهو مرآته ، والانسان الكامل أيضاً مرآة الحق ، فان الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته الا في الانسان الكامل ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً ﴾ يعني قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة ، جهولا بمقداره لانه محل الأمانه الالهية وهو لا يدري»أ هـ [1] .

ادعاء رؤية العوالم العلوية والسفلية :

ولا يتوقف هذا الهذيان الذي يطالعنا به الجيلي في كتابه لحظة واحدة فهو يزعم أنه قد كشفت له الحجب فرأى العالم عاليه وسافله وشاهد الملائكة جميعاً

---

(١) المصدر السابق ص ٧٦ ، ٧٧ .

وخاطبهم والرسل والأنبياء فها هو يقول و يدعي :«وفي هذا المشهد[1] اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزبيد[2] بشهر ربيع الأول في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين ، والمقربين ، وملائكة التسخير ، ورأيت روحانية الموجودات جميعها ، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل الي الأبد»(انظر) ويستطرد قائلاً «وتحققت بعلوم الهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه» أهـ ص٩٧ ج٢ .،

ويستطرد الجيلي في هذيانه وكفرياته قائلاً عن مشاهداته المزعومة في السماء الثانية :«رأيت نوحاًعليه السلام في هذه السماء جالساً على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلمت عليه وتمثلت بين يديه فرد علي السلام ورحب بي وقام» .

الي أن يقول :«وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان » أهـ ـ ص ١٠٠ .

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء الثالثة وأنه رأى فيها يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما هذا الحديث الذي يزعم الجيلي في آخره انه كان يعلم هذه العلوم التي أخبره يوسف بها قبل أن يتفوه بها يوسف . وما هذه العلوم ..انها نفس هذه الكفريات والهذيانات وهذا نص عبارته في ذلك :

((اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام ، فرأيته على سرير من الأسرار كاشفاً عن رمز الأنوار عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأحبار متحققا بأمر المعاني ، مجاوزاً عن قيد الماء والأواني فسلمت اليه تحية وافد اليه فأجاب وحيا ثم رحب بي وبيا ، فقلت له :سيدي أسألك عن قولك ﴿رب قد آتيتني من

---

(١) يعني بالمشهد اتصال الصوفي بأرواح المخلوقات التي وجدت في الحياة والتي لم توجد أيضاً لان الأرواح في زعمه مخلوقة أبداً لا تفنى .

(٢) زبيد : مدينة من مدن اليمن المشهورة .

الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ أي المملكتين تعني وعن تأويل أي الأحاديث تكني فقال : أردت المملكة الرحمانية المودعة في النكتة الانسانية[1] وتأويل الأحاديث : الأمانات الدائرة في الألسنة الحيوانية ، فقلت له يا سيدي أليس هذا المودع في التلويح حللاً من البيان والتصريح . فقال: اعلم أن للحق تعالى أمانة في العباد يوصلها المتكلمون بها الي أهل الرشاد ، قلت : كيف يكون للحق أمانة وهو أصل الوجود في الظهور والإبانة ، فقال : ذلك وصفه وهذا شأنه ذاك حكمه وهذه عبارته ،والأمانة يجعلها الجاهل في اللسان ويحملها العالم في السر والجنان ، والكل في حيرة عنه ، ولم يفز غير العارف بشيء منه ، فقلت : وكيف ذلك . فقال : اعلم أيدك الله وحماك أن الحق تعالى جعل أسراره كدرر اشارات مودعة في أسرار عبارات[2] فهي ملقاة في الطريق دائرة على ألسن الفريق ، يجهل العام اشاراتها ، ويعرف الخاص ما سكن عبارتها ، فيؤولها على حسب المقتضى ويئول بها الى حيث المرتضى ، وهل تأويل الأحلام إلا رشحة من هذا البحر أو حصاة من جنادل هذا القفر فعلمت ما أشار اليه الصديق ولم أكن قبله جاهلاً بهذا التحقيق ، ثم تركته وانصرفت في الرفيق الأعلى ونعم الرفيق))هـ ص١٠١ .

ثم يزعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها ادريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان وداود وادريس وجرجيس....وغيرهم....الخ .

أسمعتم يا مسلمون نبياً من أنبياء الله يسمى جرجيس...، هنا هو الجبلي اطلع عليه في السماء وجاءكم باسمه كما جاءكم باسم ملك يسمى توحائيل....أنظرتم كيف يكون الكشف وعلم الغيب . هذه هي نماذجه وأما السماء الخامسة عند الجبلي فهي سماء الكوكب المسمى بهرام...وحاكم هذه السماء هوالملك المسمى

---

(١) يعني أن يوسف عليه السلام أجابه بأن الله أطلعه على وجود الرحمن في كيان الانسان .
(٢) يعني أن سر الخلق قد صحبه الله في اسرار العبارات التي يوحيها إلي .

عزرائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ...(هكذا والله...) ويستطرد الجيلي فيصف السماء السادسة فهي عنده كوكب المشتري...ويقول رأيت فيها موسى عليه السلام متمكناً في هذاالمقام واضعاً قدمه على هذه السماء قابضا بيمينه[1] ساق سدرة المنتهى سكران من خمر تجلي الربوبية.....أي موسى انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان وتجتّ فيه ربوبية الملك الديان....وأنه دار بينه وبين الجيلي هذا الحوار...يقول الجيلي بالنص :

«فوقفت متأدباً بين يديه ، وسلمت بتحقيق مرتبته عليه ، فرفع رأسه من سكرة الأزل ورحب بي ثم أهل ، فقلت له : يا سيدي قد أخبر الناطق بالجواب الصادق في الخطاب ، أنه قد برزت لك خلعة لن تراني من ذلك الجناب ، وحالتك هذه غير حالة أهل الحجاب ، فأخبرني بحقيقة هذا الأمر العجاب ، فقال : اعلم أنني لما خرجت من مصر أرضي إلي حقيقة فرضي ، ونوديت من طور قلبي بلسان ربي من جانب شجرة الأحدية في الوادي المقدس بأنوار الأزلية ﴿انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ فلما عبدته كما أمر في الأشياء ، وأثنيت عليه بما يستحقه من الصفات والأسماء تجلت أنوار الربوبية لي فأخذني عني ، فطلبت البقاء في مقام اللقاء ، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم ، فنادى لسان سري مترجماً عن ذلك الأمر العظيم ، فقلت :﴿ربي أرني أنظر اليك﴾ فادخل بانيتي في حضرة القدس عليك فسمعت الجواب من ذلك الجناب ﴿لن تراني ولكن أنظر الي ذلك الجبل﴾ وهي ذاتك المخلوقة من نوري في الأزل ، ﴿فان استقر مكانه﴾ بعد أن أظهر القديم سلطانه ﴿فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل﴾ وجذبتني حقيقة الأزل وظهر القديم على المحدث ﴿جعله دكا ، فخر موسى لذلك صعقاً ﴾ فلم يبق في القديم إلا القديم ، ولم يتجل بالعظمة إلا العظيم ، هذا على أن استيفاؤه غير ممكن وحصره غير

---

(١) يلاحظ في هذا التخليط والتقول على الله أن هؤلاء الكاذبين يعمدون إلي الوحي القرآني والحديثي فيأخذون منه ما يشاءون ويخلطونه بهذه الأكاذيب ويزعمون أن ذلك هو الكشف الذي كشف لهم فيذكر منصبة موسى على ساق سدرة المنتهى مأخوذ من قول الرسول ﷺ أكون أول من يفيق فأجد موسى باطشاً بساق العرش .

جائز ، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعلم كنهه ولا يدري ، فلما اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخبركم به من أم الكتاب[1] فترجم بالحق والصواب ، ثم تركته وانصرفت وقد اغترفت من بحره ما اغترفت . اهـ ص١٠٤ .

ويستطرد الجبلي مبيناً مشاهداته في هذه السماء فيقول : ثم اني رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر ، وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلي عالم الأنوار ، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة ، وعبادة هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة الي فضاء الغيوب ، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب ، وعبادة هذا النوع رفع النفوس الي عالم المعاني من عالم المحسوس ، ومنهم من خلقه الله تعالى علىهيئة البغال والحمير !! وعبادة هذا النوع رفع الحقير وجبر الكسير والعبور من القليل إلي الكثير ، ومنهم من خلقه الله تعالى على صورة الانسان وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأديان ، ومنهم من خلق على صفة بسائط الجواهر والأعراض وعبادة هؤلاء ايصال الصحة إلي الأجسام المراض ، ومنهم من خلق على أنواع الحبوب والمياه وسائر المأكولات والمشروبات ، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلي مرزوقها من سائر المخلوقات ، ثم إني رأيت في هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط مزجاً ، فالنصف من نار والنصف من ماء عقد ثلجاً ، فلا الماء يفعل في اطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار . ص ١٠٥ .

وأما السماء السابعة التي شاهدها الجبلي وجاء يقص علينا مشاهداته فهي السماء السابعة وهي عنده زحل ويحكي أنه شاهد فيها ابراهيم عليه السلام قائماً في هذه السماء وله منصة يجلس عليهل على يمين العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ...﴾

---

(١) أي أن الجيلي اطلع على هذه المكاشفة من أم الكتاب .

ويستطرد الجيلي بعد ذلك تبجحاً أنه صعد إلي سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هيئات مختلفة وأمامهم سبعة ، ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد الله.....وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم ـ هكذا .... علماً بأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه ﴿**فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين**﴾ (الحجر ٣٠ ـ ٣١)

فأكد الله سبحانه سجود الملائكة بكل وجميع ولكن جاءنا الجبلي ليخبرنا بأن الملائكة هؤلاء الذين شاهدهم في السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم فاكتشف ما لم يعلمه الله ولا رسوله وهذا نص عبارته في ذلك :

((ثم رأيت سبعة جملة هذه المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين ، ورأيت واحداً مقدم على جميعهم يسمى عبد الله ، وكل هؤلاء عالون ممن لم يأمروا بالسجود لآدم ، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهم أيضاً عالون ، وبقية ملائكة القرب دونهم ، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل[1] وأمثالهم .

ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه .

ص١٠٧ المصدر السابق .

ولا يكتفي الجيلى ببيان كفرياته وهذيانه في السماء فينتقل الي الأرض وهي عنده ليست ارضاً واحدة بل هو يزعم أنه شاهد سبعة أرضين وسبعة بحار ومحيطات وهاك بعضاً من هذا الهذيان الذي يزعم فيه الجبلي أنه رأى فيه الخضر وموسى ، وافلاطون وارسطو والاسكندر الى هذيان وكفر لا يسع المؤمن عند سماعه وقراءته الا أن يقول «يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك» وأن يقول أيضاً «الحمد لله الذي عافانا ، ومن علينا ووقانا » وهاك أخي القارئ شيئاً من هذا الهذيان :

---

(١) ليس في ملائكة الله عز وجل ملك يسمى عزرائيل ولم يثبت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف ولكنه اسم يجري على ألسنة العامة ، ولكن هؤلاء الجهلة يلتقطون مثل هذه الأسماء ويجعلونها كشفاً وعلماً لدنياً وروحياً والهاماً لهم فانظر وتعجب........

«ان الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر الحوت في هذا البحر يسمى البهموت ، وهو الذي أشار اليه الحق تعالى بقوله ﴿وما تحت الثرى﴾ ومجمع البحرين هذا هو الذي اجتمع فيه موسى عليه السلام بالخضر على شطه ، لأن الله تعالى كان قد وعده بأن يجتمع بعبد من عباده على مجمع البحرين ، فلما ذهب موسى وفتاه حاملاً لغذائه ووصلا الي مجمع البحرين لم يعرفه موسى عليه السلام الا بالحوت الذي نسيه الفتى على الصخرة وكان البحر مدأ ، فلما جزر بلغ الماء الي الصخرة فصارت حقيقة الحياة في الحوت ، فاتخذ سبيله في البحر سرباً ، فعجب موسى من حياة حوت ميت قد طبخ على النار ، وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون ، وهو أكبر من موسى عليه السلام في السن سنة شمسية وقصتها مشهورة ، وقد فصلنا ذلك في رسالتنا الموسومة «بمسامرة الخليل ومسايرة الصحيب» فليتأمل فيه .

سافر الاسكندرية ليشرب من هذا الماء اعتماداً على كلام أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فانه لا يموت ، لأن افلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق الي يومنا هذا في جبل يسمى دواوند ، وكان أرسطو تلميذ أفلاطون وهو استاذ الاسكندر صحب الاسكندر في مسيره الي مجمع البحرين ، فلما وصل الي أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام الباقون في مدينة تسمى ثبت برفع الثاء المثلثة والباء الموحدة واسكان التاء المثناة من فوق وهو حد ما تطلع الشمس عليه ، وكان في جملة من صحب الاسكندر من عسكر الخضر عليه السلام ، فساروا مدة لا يعلمون عددها ور يدركون أمدها وهم على ساحل البحر ، وكلما نزلوا منزلاً شربوا من الماء ، فلما ملوا من طول السفر أخذوا في الرجوع الي حيث أقسام العسكر ، وقد كانوا مرا بمجمع البحرين على طريقهم من غير أن يشعروا به ، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة ، وكان الخضر عليه السلام قد الهم بأن أخذ طيراً فذبحه وربطه على ساقه ، فكان يمشي ورجله في الماء ، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه ، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه ، فكتمه عن الاسكندر وكتم أمره الي أن خرج ، فلما نظر أرسطو إلي الخضر عليه

السلام علم أنه قد فاز من دونهم بذلك ، فلزم خدمته الي أن مات واستفاد من الخضر هو والاسكندر علوما جمة» .

المصدر السابق ص١١٧ .

ويستطرد الجبلي شارحاً له عن طريق كشوفاته وهذيانه فيقول :«....واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم ، خلقه الله تعالى من حقيقته ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ فهو روح الله ، فلهذا عاش الي يوم القيامة ، اجتمعت به وسألته ، ومنه أروي جميع ما في هذا البحر المحيط[1] .

واعلم أن هذا البحر المحيط المذكور ، وما كان منه منفصلاً عن جبل «ق» مما يلي الدنيا فهو مالح وهو البحر المذكور ، وما كان منه متصلاً بالجبل فهو وراء المالح ، فانه البحر الأحمر الطيب الرائحة وما كان من وراء جبل «ق» متصلاً بالجبل الأسود فانه البحر الأخضر ، وهو مر الطعم كالسم القاتل ، ومن شرب منه قطرة هلك ، وفنى لوقته ، وما كان منه وراء الجبل بحكم الانفصال والحيطة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الذي لا يعلم له طعم ولا ريح ولا يبلغه أحد ، بل وقع به الأخبار ، فعلم وانقطع عن الآثار فكتم .

وأما البحر الأحمر الذي نشره كالمسك الأذفر فانه يعرف بالبحر الأسمى ذي الموج الأنمى ، رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين ، ليس لهم عبادة إلا تقريب الخلق الي الحق ، قد جبلوا على ذلك ، فمن عاشرهم أو صاحبهم عرف الله بقدر معاشرتهم ، وتقرب الي الله بقدر مسايرتهم ، وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامع ، يستضيء بهم الحائر في تيهات القفار ، ويهتدي بهم التائه في غيابات البحار ، اذا أرادوا السفر في هذا البحر نصبوا شركاً لحيتانه ، فاذا اصطادوا ركبوا عليها لأن مراكب هذا البحر حيتانه ، ومكتسبه لؤلؤه ومرجانه ، ولكنهم عند أن يستووا على ظهر هذا الحوت ينتعشون بطيب

---

(١) جميع الصوفية يزعمون أن كل ما ينقلونه من علومهم يسمعونه من الخضر ، وقد زاد الجبلي أن الخضر مخلوق من روح الله....ولا يعلم هذا الجاهل أن آدم هو الذي أمر الله جبريل أن ينفخ فيه وجبريل هو روح الله وليس الخضر خلق خاص .

رائحـــة البحر فيغمى عليهم ، فــلا يفيقــون الي أنفسهم ، ولا يرجعــون الي محسوسهم مـا داموا راكبين في هـذا البحر ، فتسير بهم الحيتـان الي أن يـأخـذوا حدها من الساحل ، فتقذف بهم في منزل من تلك المنازل ، فاذا وصلوا الي البر وخرجوا من ذلـك البحر ، رجعت اليهم عقولهم ، وبـان لهم محصولهم فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر ، أقل ما يعبر عنها ، بأنه ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر»أهـ

أهـ ص١١٨ المصدر السابق .

وفي ختام هذا الهذيان يقول الجيلى :

«وأمـا البحر السـابع فهـو الأسـود القـاطـع ، لا يعرف سكانـه ، ولا يعلم حيتـانـه ، فهومستحيل الوصول غير ممكن الحصول ، لأنـه وراء الأطـوار وآخر الأكـوار والأدوار ، لا نهـايـة لعجـائبـه ، ولا آخر لغرائبـه ، قصر عنـه المـدى فطال ، وزاد على العجـائب حتى كأنـه المحـال ، فهو بحر الـذات الـذي حـارت دونـه الصفـات ، وهو المعـدوم والمـوجـود والمـوسـوم والمفقـود والمعلـوم والمجهـول والمنقول والمحتوم والمعقول ، وجوده فقدانه ، وفقده وجدانه ، أوله محيـط بـآخره وباطنه مستو على ظـاهره ، لا يـدرك مـا فيـه ، ولا يعلمـه أحـد فيستوفيـه ، فلنقبض العنان عن الخوض فيـه والبيـان (والله يقول الحق وهو يهـدي السبيل) وعليه التكلان .أهـ ص١١٨ .

وهكذا يكون هذا الهذيان مختوماً بقولـه تعـالى ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل....﴾...أعرفتم الحق الـــذي يدعونا إليـه الجيلى ومن على شـاكلتـه من هؤلاء الملاحدة والزنادقة ؟ أن إنـــه هذا الهذيان الذي لا أول له ولا آخر .

ما الذي يريده هؤلاء الملاحدة

وقد يسأل سائل وما الـذي يريـده هؤلاء من تـأليف هـذه الكتب ، ونشر هذا الجنون والهذيان ، ولست أنا الـذي سـأجيب على هـذا السؤال أيضـاً وانمـا سأثبت الجواب من كلام الجيلى نفسه أنه يقول بالنص :

((اعلم أن الله تعـالى انمـا خلق جميع المـوجـودات لعبـادتـه ، فهم مجبولـون على

ذلك ، مفطورون عليه من حيث الأصالة ، فما في الوجود شيء إلا وهو يعبد الله بحاله ومقاله وفعاله ، بل بذاته وصفاته ، فكل شيء في الوجود مطيع لله تعالى ، لقوله تعالى للسموات والأرض ﴿ائتيا طوعاً أو كرهاً ، قالتا أتينا طائعين﴾ وليس المراد بالسموات إلا أهلها ، ولا بالأرض إلا سكانها ، وقال تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ ثم شهد لهم النبي ﷺ أنهم يعبدونه بقوله «كل ميسر لما خلق له» لأن الجن والانس مخلوقون لعبادته وهم ميسرون لما خلقوا له ، فهم عباد الله بالضرورة ، ولكن تختلف العبادات لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات ، لأن الله تعالى متجل باسمه المضل ، كما هو متجل باسمه الهادي ، فكما يجب ظهور أثر اسمه المنعم ، كذلك يجب ظهور أثر اسمه المنتقم .. واختلاف الناس في أحوالهم لاختلاف أرباب الأسماء والصفات ، قال تعالى ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ يعني عباد الله مجبولون على طاعته من حيث الفطرة الأصلية ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليعبده من اتبع الرسل من حيث اسمه المضل ، فاختلف الناس وافترقت الملل وظهرت النحل ، وذهبت كل طائفة الي ما علمته أنه صواب ،

ولو كان ذلك العلم عند غيرها خطأ ولكن حسنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة في ذلك الأمر ، وهذا معنى قوله ﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها﴾ فهو الفاعل بهم على حسب ما يريده مراده ، وهو عين ما اقتضته صفاته ، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته ، فلا ينفعه اقرار أحد بربوبيته ولا يضره جحود أحد بذلك ، بل هو سبحانه وتعالى يتصرف فيهم على ما هو مستحق لذلك من تنوع عباداته التي تنبغي لكماله ، فكل من في الوجود عابد لله تعالى ، مطيع لقوله تعالى ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ، لأن من تسبيحهم ما يسمى مخالفة ومعصية وجحوداً وغير ذلك ، فلا يفقهه كل أحد ، ثم ان النفي انما وقع على الجملة ، فصح أن يفقهه البعض فقوله ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ يعني من حيث الجملة ، فيجوز أن يفقهه بعضهم . ص١٢٠ المصدر السابق .

وبعد أن يذكر الجبلي طوائف الناس ومللهم يقول :«فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم فهم له كما يستحق ثم انه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق اسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف .

انظر ص ١٢٢

ويشرح هذا المعنى تفصيلياً فيقول :

«فأما الكفار فانهم عبدوه بالذات ، لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود وهو حقيقتهم فكفروا أن يكون لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق ، فعبدوه من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها[1] .

ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذوات الوجود ، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها فما عبدوا إلا الله» .

أهـ ص١٢٢ .

وأظن أنه ليس هناك عبارة أصرح وأوضح من هذه العبارات تبين المقصود والمآل الذي يرمي المتصوفة الوصول إليه .

ويستطرد الجبلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق .فيقول عن اليهود :«وأما اليهود فانهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة في كل يوم مرتين.........ويتعبدون بالإعتكاف يوم السبت ، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخل في بيته شيئاً مما يتمول به ، ولا مما يؤكل ، ولا يخرج منه شيئاً ، ولا يحدث فيه نكاحاً ولا بيعاً ولا عقداً ، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى في التوراة :

---

(١) وما دام أنهم في زعمه وكفره هم عين الله فهم ينفذون لثبته وأمره بل هم الله فلا حاجة بهم الي أن يعلموا ذلك أو لا يعلموه . وبالتالي فكفرهم باله غيرهم وخارج عن طبيعتهم هو عين الإيمان وعين الحق في نظر الجيلى الزنديق ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة الذين لم تعرف الأرض أفجر ولا أكفر منهم .

((أنت وعبــــــدك وأمتـــــك لله تعـــــالى في يــوم السبت)) ، فـــلأجـــل هـــــذا حـــرم عليهم أن يحـــــدثـــوا في يــــوم السبت شيئـاً مما يتعلق بـأمر دنيـاهم ، ويكون مـأكولـه مما جمعـه يوم الجمعـة ، وأول وقتــه عنــدهم اذا غربت الشمس من يــوم الجمعــة ، وآخره الاصفرار من يــوم السبت .

وهـذه حكمـة جليلـة ، فـان الحق تعـالى خلق السموات والأرضين في ستـة أيام ، وابتدأهـا في يوم الأحـد ثم استوى على العرش في اليوم السـابع وهو يوم السبت ، فهو يوم الفراغ ، فلأجل هـذا عبـد الله اليهود بهـذه العبـادة في هـذا اليوم اشارة إلي الاستواء الرحماني وحصوله في هذا اليوم فافهم »

أهـ ص ١٢٧ .

ثم يقول مادحاً النصارى كذلك فيقول :

«وأما النصـارى فـانهم أقرب من جميع الأمم المـاضيـة الي الحق تعـالى ، فهم دون المحمـديين ، سببـه أنهم طلبـوا الله تعـالى فعبـدوه في عيسى ومريم وروح القدس ، ثم قالوا بعدم التجزئة ، ثم قالوا بقدمه على وجوده في محـدث عيسى ، وكل هذا تنزيه في تشبيه لائق بالجناب الالهي» .

أي أن فعل النصـارى هـذا من تشبيـه الله بخلقـه ومن عبـاده الثلاث ومن اتخاذ أرباب مع الله كل ذلـك لائق في عقيـدة عبـد الكريم الجبلي ولكنـه يراهم أيضاً أنهم مقصرون لانهم حصروا الله في ثلاث نقـط ، والله عنـده لا ينحصر في ثلاثة لان كل موجود هو الله .

هذه هي الغاية التي يسعى هؤلاء الزنادقة سعياً حثيثاً اليها انهـا التسوية بين الحق والباطل والهدى والضلال والكفر والايمان وابليس وجبريـل ، ومحمـــد ﷺ وأبـو جهـل ، والخمر والمـــاء ، والأخت والأجنبيـة ، والـزواج والـزنـا واللـواط ، والقتـل ظلمـاً والرحمـة ، والتـوحيـد والشرك ، فـلا ضـلال في الأرض إلا في نظر القـاصرين فقـط ، وأمـا العارفين فكل هـذه المـوجـودات شيء واحـد بـل ذات واحدة تعـددت وجوداتهـا ، وتعـددت أشكالهـا وألوانهـا وهي حقيقـة

واحدة ـ وبهذا الدين الذي لم تعرف البشرية أظلم ولا أفجر ولا أكفر منه ـ اعتقد هؤلاء الزنادقة وألبسوا هذا الدين الفاجر آيات القرآن وأحاديث النبي الكريم ، ويصفون أنفسه بأنهم خير الناس وأعلم وأتقى الناس ، وهذه هي حالهم في الظلم والكفر والفجور ، وهدم دين الإسلام واحلال شرائع الشيطان مكان شريعة الرحمن ، وطمس صفات الله ونوره سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . واستغفر الله من نقل هذا الكفر وتسطيره . فانه كفر لم تقله اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الصابئة .. ورحم الله الامام عبد الله ابن المبارك الذي كان يقول : انا لنحكي كفر اليهود والنصارى ونستعظم أن نحكي كفر الجهمية .. فكيف لو رأى كفر هؤلاء الصوفية الملاحدة ماذا كان يقول في ذلك ؟!

حقا ان هذا لشيء عظيم ولكننا مضطرون أن نذكر كفرهم لندحضه ولنبينه للناس ليحذروه بعد أن عم شرهم البلاد والعباد ، وبعد أن اغتر بهم جمع غفير من المسلمين ، فظنوا أن الحق مع هؤلاء فاتبعوهم حتى صرفوهم عن دين الرسول ﷺ وأوصلوهم إلى هذه النهاية المزرية التي يستحيل على الانسان إذا وصلها أن يميز بين خير وشر ، وهدى وضلالة ، لان كل هذه الأضداد ستكون عنده شيئاً واحداً .

ومع ذلك فان الجيلي يستطرد في هذا الباب شارحاً مراده تماماً فيقول :

(ولم يفتقر في ذلك إلي علمهم ، ولا يحتاج إلي نياتهم ، لأن الحقائق ولو طال اخفاؤها لابد وأن تظهر) أ هـ .

يعنى أن الله لا يحتاج أن يعلم الكافر به ما دام أن وجود هذا الكافر هو وجود الله، وأن‌هذه‌الحقيقة لا به وأن تظهر للعيان يوماً ما..«...... ويمضي الجيلى شارحاً معتقده فيقول..» :

(وأما الطباعية فانهم عبدوه من حيث صفاته الأربع ، .... لأن الأربعة الأوصاف الالهية....التي هي الحياة والعلم والقدرة والارادة أصل بناء الوجود

فاحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها في عالم الأكوان ، فالرطوبة مظهر الحياة والبرودة مظهر العلم ، والحرارة مظهر الارادة واليبوسة مظهر القدرة وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه وتعالى ..... فعبدت هذه الطبائع لهذا السر فمنهم من علم ومنهم من جهل العالم سابق ، والجاهل لاحق فهم عابدون للحق من حيث الصفات ، ويئول أمرهم إلي السعادة كا آل أمر من قبلهم اليها بظهور الحقائق التي بني أمرهم عليها .

(أهـ ١٢٣ ـ ١٢٤) .

وهكذا يقرر الجيلى أن الفلاسفة الطبائعيين الذين قالوا برجوع الطبيعة الي العناصر الأربعة هم عابدون لله شاءوا أم أبوا ، علموا أم جهلوا ، وأن أمرهم الي السعادة الأبدية . ويستدل لهذا الكفر الشنيع أيضاً بالقرآن فيقول : والدليل من القرآن أن الله قال في الأحزاب المختلفين ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ فيقول ان فرحهم هذا في الدنيا والآخرة ، فكل حزب يفرح بما عنده في الدنيا ، ويفرح به أيضاً في الآخرة عندما يطلع الجميع أنه لا ثمة إلا الله وأنهم جميعاً مظاهر للذات الالهية ، ولبسوا شيئاً خارجاً عنها . وهكذا يستخدم القرآن أيضاً في هذا الكفر والباطل الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً في كل تاريخها فقد ارتكز في الفطرة أن هناك حق وباطل ، هدى وضلال ، نور وظلام ، كذب وصدق ، ملك وشيطان ، كفر وإيمان ، ...ولكن عند هؤلاء الصوفية كل هذا شيء واحد وحق واحد اختلفت مظاهره ولم تختلف حقيقته فالجنة والنار كلاهما نعيم ، وابليس وجبريل كلاهما عابد بل ومعبود بل وشيء واحد تعددت صفاته بتعدد موجوداته.........

ويستطرد الجيلى في شرح كفره وفجوره فيقول :

«وأما الثانوية فانهم عبدوه من حيث نفسه تعالى ، لأنه تعالى جمع الأضداد بنفسه ، فشمل المراتب الحقية والمراتب الخلقية ، وظهر في الوصفين بالحكمين ، وظهر في الدارين بالنعتين ، فما كان منسوباً الي الحقيقة الحقية فهو الظاهر في الأنوار ، وما كان منسوباً الي الحقيقة الخلقية فهو عبارة عن الظلمة ، فعبدوا النور والظلمة لهذا السر الالهي الجامع للوصفين والضدين والاعتبارين والحكمين

كيف شئت من أي حكم شئت ، فانه سبحانه يجمعه وضده بنفسه .
فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الالهية مما يقتضيه في نفسه سبحانه وتعالى ، فهو المسمى بالحق وهو المسمى بالخلق ، فهو النور والظلمة » . أهـ ص ١٢٥ .

بهذا الوضوح شرح الجيلي مذهب الفلاسفة الصوفية الزنادقة الملاحدة ، وبهذا التفصيل والبيان يستطرد أيضاً قائلاً :

«وأما المجوس فانهم عبدوه من حيث الأحدية ، فكما أن الأحدية مفنية لجميع المراتب والأسماء والأوصاف ، كذلك النار فانها أقوى **الاستقصاءات** وأرفعها ، فانها مفنية لجميع الطبائع بمحاذاتها ، لا تقاربها طبيعة الا وتستحيل الي النارية الغلبة قوتها ، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف إلا ويندرج فيها ويضمحل ، فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاته تعالى» .
أهـ ص١٢٥ أيضاً .

فيجعل المجوس قسماً غير الثنوية والمعلوم أنهم قسم واحد فالثنوية القائلون بالنور والظلمة واله للخير واله للشر هم أيضاً المجوس عبدة النار التي يجعلونها ستاراً وعلامة لآلهم اله الخير في زعمهم ولكن الجيلى الملحد يجعل هؤلاء أيضاً عبدة النيران من أهل الحق والتوحيد وأن عبادتهم للنار حق أقوى العناصر وأرفعها ويقول والنار حقيقتها ذات الله تعالى . فأي كفر يا قوم في الأرض أعظم من هذا وأكبر ...ويمدح الجيلى المجوس فيقول :

«فلما انتشقت مشام أرواح المجوس لعطر هذا المسك زكمت عن شمه سواه فعبدوا النار وما عبدوا إلا الواحد القهار» أهـ ص١٢٦ .
فأي تصريح عن عقائد القوم أبلغ من هذا .....

ثم يقول :«وأما الدهرية[1] فانهم عبدوه من حيث الهوية[2] فقال عليه السلام

---

(١) أي الاسم .
(٢) الدهرية : هم القائلون بأنه لا اله والحياة مادة فما هي أرحام تدفع وأرض يبلع واسمهم هذا مأخوذ من قوله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم إلا يظنون﴾ الجاثية ٢٤ .

«لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» **قلت : هذا ابليس** والزنادقة لم يصل هذا الحد في الكفر فالمقصود بِقَوْل رسول الله (ان الله هو الدهر) هو أنه سبحانه وتعالى مقدر المقادير فسب الأيام لأنه هو مقدر المقادير سبحانه وتعالى والزمان لا دخل له في ذلك . فنهانا الرسول ﷺ عن سب الزمان لان هذا بالتالي يتوجه إلي الله سبحانه وتعالى . وليس مقصود الرسول حتماً أن الله هو الزمان لأن الله جل وعلا هو خالق الزمان والمكان والخالق غير المخلوق . وأما الدهرية فانهم لا يؤمنون بالله أصلاً والجيلى يجعل هؤلاء الملاحدة عباداً لله ......انظر..

الغزالي ـ وطريق الكشف :

لعل من العجائب والغرائب أن يسقط رجل في طريق التصوف كالغزالي رحمه الله وعفا عنه وعلى ما كان منه فقد كان من علماء الشريعة ، ولكن لقصر باعه ـ رحمه الله ـ في علم السنة ومعرفة صحيح الحديث من ضعيفة فقد اغتر بما عليه الصوفية في ظاهرهم ، وما يبدونه ويعلقونه من الورع والتقوى ، ولما كان عنده من الفلسفة الأولى التي دخل في بطنها ولم يستطع الخروج منها على حد قول تلميذه الامام ابن العربي المالكي رحمه الله فانه قد دون للمتصوفة ما دون في كتابه احياء علوم الدين ومن ذلك ما نقله عنهم في زعمهم بالكشف حيث يقول :

«فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر ، وفاض على صدورهم النور ، لا بالتعليم والدراسة والكتابة للكتب ، بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها ، وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى . فمن كان لله ، كان الله له ـ وزعموا أن الطريق في ذلك ، أولاً بانقطاع علائق الدنيا بالكلية ، وتفريغ القلب منها ، وبقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن ، وعن العالم والولاية والجاه ، بل يصبر قلبه الي حالة يستوي فيها وجود الشيء وعدمه . ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض

والرواتب . ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهم . ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ، ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديث ولا غيره . بل يجتهد ان لا يخطر بباله شيء سوى الله تعالى . فلا يزال ، بعد جلوسه في الخلوة ، قائلاً بلسانه : الله...الله...على الدوام ، مع حضور القلب ، حتى ينتهى الي حالة يترك تحريك اللسان ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه . ثم يصير عليه الي ان يمحى عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ، ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه حاضراً فيه ، كأنه لازم له ، لا يفارقه ، وله اختيار الي أن ينتهي الي هذا الحد ، واختيار في استدامة هذه الحالة بدفع الوسواس . وليس له اختيار في استجلاب رحمة الله تعالى . بل هو بما فعله صار متعرضاً لنفحات رحمة الله ، فلا يبقى إلا الانتظار لما يفتح الله من الرحمة ، كما فتحها على الأنبياء والأولياء بهذه الطريق .

وعند ذلك إذا صدقت ارادته ، وصفت همته ، وحسنت مواظبته ، فلم تجاذبه شهواته ، ولم يشغله حديث النفس بعلائق الدنيا ـ تلمع لوامع الحق في قلبه ، ويكون في ابتدائه كالبرق الخاطف لا يلبث ثم يعود وقد يتأخر . وان عاد فقد يثبت ، وقد يكون مختطفاً . وان ثبت قد يطول ثباته وقد لا يطول ، وقد يتظاهر أمثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد .

ومنازل أولياء الله تعالى فيه لا تحصر ، كما لا يحصى تفاوت خلقهم واخلاقهم ـ وقد رجع هذا الطريق الي تطهير محض من جانبك ، وتصفية وتجليات،ثم استعداد وانتظار فقط» اهـ [1] .

فانظر قول الغزالي عن الصوفي الذي يريد الوصول الي الكشف (ويجلس فارغ القلب ، مجموع الهم ، ولا يفرق فكره بقراءة القرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا يكتب حديثا ولا غيره .....بل يقول....الله الله على الدوام ....)فهل وجد مثل هذا الأمر في كتاب أو سنة أم أنه عمل مبتدع يريد به صاحبه غاية لا تحصل له ، وهي رؤية الله أو أنوار الله ، أو الملائكة أو رسول الله ،.....

---

(١) احياء علوم الدين ١٩/٣ ـ ٢٠ .

وهل يرى الصوفي من وراء هذا الذكر المبتدع غير طوالع نار الشياطين ، وبوارق كيدهم ، ولوائح طلوعهم على من جعل له غاية غير غايات الدين وطريقاً غير طريق المومنين الذي سنه لنا رسول الله ﷺ ولم يسن لنا الرسول أن يجلس أحدنا في زاوية مظلمة ولا يجعل على خاطره شيئاً غير الله وينتظر أن ينزل عليه الوحي والكشف...وبالطبع من جعل له غاية غير غايات الكتاب والسنة تلاعبت به الشياطين وظن أن ما تنزل عليه انما هو من الله وما هو من الله ...والغزالي الذي قرر هذا الكلام للصوفية وساعد في نشر زندقتهم وكفرهم لم يتقدم فيما أعلمه خطوة أخرى وجعل من تنزل الملائكة على الصوفية وذلك فيما أظن وأعلم أن الرجل يعلم أن من قال بنزول الوحي عليه بعد النبي فقد كفر ولذلك أنكر الغزالي أن تكون الملائكة تنزل على الأولياء والصوفية كما تنزل على الأنبياء ، واكتفى بما ذكرناه عنه آنفاً أن الأولياء والصوفية تشرق على قلوبهم هذه العلوم التي يقولونها اشراقاً من الغيب فضلاً من الله لهم ورحمة - في زعمه - بهم لقد اكتفى الغزالي في تقريره الكشف الصوفي باشراق العلوم في القلب وسماع الصوت أيضاً كما قال :«الخلوة لا تكون إلا في بيت مظلم فان لم يكن له مكان مظلم فليقى رأسه بجيبه ، أو يتدثر بكساء أو ابراز ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال - الحضرة البوبية»[1] .

وبالرغم من أن الغزالي جارى الصوفية في مزاعمهم هذه ، وقرر ما ابتدعوه من الخلوة والظلام ولف الرأس وانتظار العلوم بالرغم من ذلك فانما لما أنكر نزول الملك على الصوفي فان كلام الغزالي هذا بالطبع لم يعجب كبار الصوفية وأهل الحقيقة منهم ولذلك عنفوه وجهلوه وجعلوا هذا منه لقلة الذوق وعدم التحقق بنفسه وعدم مقابلته لمن هو أعلى منه مقاماً وأحسن منه حالاً وأنه لو التقى بمن هو أعظم منه وأكبر منه في هذا الطريق لعلم أن الملائكة ينزلون على أولياء الصوفية تماماً كما ينزلون على الأنبياء وأنه لا فرق الا في نوع العلوم فقط لا في كيفية النزول

---

(١) احياء علوم الدين ج٢ ص٦٦ .

ولذلك كتب عبد الوهاب الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر اعتراض الغزالي وانكاره لنزول الملك على الصوفي وأتى بالجواب من ابن عربي الذي خطأ الغزالي ورد عليه في عدم جواز نزول الملك على الصوفي فقال :

((فان قلت)) قد ذكر الغزالي في بعض كتبه أن من الفرق بين تنزل الوحي على قلب الأنبياء وتنزله على قلوب الأولياء نزول الملك فان الولي يلهم ولا ينزل عليه قط والنبي لا بد له في الوحي من نزول الملك به فهل ذلك صحيح (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع والستين وثلاثمائة ان ذلك غلط والحق أن الكلام في الفرق بينهما انما هو في كيفية ما ينزل به الملك لا في نزول الملك اذ الذي ينزل به الملك على الرسول أو النبي خلاف ما ينزل به الملك على الولي التابع فان الملك لا ينزل علي الولي التابع الا بالاتباع لنبيه وبافهام ما جاء به بما لم يتحقق له علمه كحديث قال العلماء بضعفه مثلاً فيخبره ملك الالهام بأنه صحيح فللولي العمل به في حق نفسه بشروط يعرفها أهل الله عز وجل لا مطلقاً وقد ينزل الملك على الولي ببشرى من الله بأنه من أهل السعادة كما قال تعالى في الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهذا وان كان انما يقع عند الموت فقد يعجل الله تعالى به لمن يشاء من عباده ☆ قال الشيخ : وسبب غلط الغزالي وغيره في منع تنزل الملك على الولي عدم الذوق وظنوا بأنهم قد علموا بسلوكهم جميع المقامات فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه وقالوا ذلك خاص بالأنبياء فذوقهم صحيح وحكمهم باطل مع أن هؤلاء هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة وأهل الله كلهم ثقات قال ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا في زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولي لقبلوا ذلك ولم ينكروه قال وقد نزل علينا ملك الالهام بما لا يحصى من العلوم وأخبرنا بذلك جماعات كثيرة ممن كان لا يقول بقولنا فرجعوا الينا فيه ولله الحمد .

وهكذا يقرر ابن عربي الفيلسوف الصوفي والذي يسمونه الشيخ الأكبر يقرر جواز بل وقوع نزول الملائكة على شيوخ الصوفية وأن هذا قد وقع له ومد لمشايخ كثيرين ممن هم على شاكلته من أهل الكذب والزيغ . واليك في

الفصل الآتي طائفة من كلام ابن عربي في هذا الصدد .:

ابن عربي والكشف الصوفي :

لم اطلع فيما اطلعت على كاتب صوفي اكثر تبجحاً فيما زعمه من العلم الباطني أكثر من ابن عربي الأندلسي الأصل المغربي ثم الشامي سكناً ووفاة .

لقد ملأ هذا الكاتب كتبه مدحاً لنفسه وأنه لا يستطيع أحد مجاراته قط فقد زعم لنفسه الاطلاع على كل ما سطره الفلاسفة قديماً وما كتبه اليهود والنصارى ...... والمطالع لكتبه يجد هذا واضحاً جداً في مؤلفاته ، وادعى لنفسه ختم الولاية الكبرى الخاصة وأنه خاتم الأولياء كما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ، وكان في هذا الكذب متبعاً لمن سبقه ممن ادعى ختم الولاية كالترمذي الذي يسمونه الحكيم وهو محمد بن علي الترمذي .... وادعى لنفسه العلم الكامل المحيط بالقرآن والسنة ، وأن تآليفه كلها معصومة من الخطأ ، وأنه لا يكتب شيئاً إلا عن وحي يوحى ، بل زعم أن أبواب كتابه الفتوحات الملكية توقيفي يتبع فيه ما يوحى اليه وليس له يد في ترتيب فصوله وأبوابه ....

وأنه أحياناً يتكلم بشيء بعد شيء لا رابط بينهما كما نزل في القرآن ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ بعد آيات الطلاق ولا رابط بينهما ..... وأن علومه كلها محفوظة من الخطأ ، واليك نصوص عباراته في ذلك كما جمعها الصوفي الكبير عبد الوهاب الشعراني من ثنايا كتاب (الفتوحات المكية) وضمنها عبد الوهاب في كتاب أسماه اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الكبائر :

قال في الباب السادس والستين وثلثمائة من الفتوحات المكية جميع ما أتكلم به في مجالسي وتآليفي انما هو من حضرة القرآن العظيم فاني اعطيت مفاتيح العلم فلا أستمد قط في علم من العلوم الا منه كل ذلك حتى لا أخرج من مجالسة الحق تعالى في مناجاته بكلامه أو بما تضمنه كلامه ☆ وقال في الكلام على الأذان من الفتوحات اعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا ولا غيره

قط أمراً غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء من تصانيفي ☆ وقال في الباب السادس والستين وثلثمائة جميع ما أكتبه في تصانيفي ليس هو عن فكر ولا روية وانما هو عن نفث في روعي من ملك الالهام ☆ وقال في الباب السابع والستين وثلثمائة ليس عندي بحمد الله تقليد لأحد غير رسول الله ﷺ فعلومنا كلها محفوظة من الخطأ ☆ وقال في الباب العاشر من الفتوحات نحن بحمد الله لا نعتمد في جميع ما تقوله الا على ما يلقيه الله تعالى في قلوبنا لا على ما تحتمله الألفاظ ☆ وقال في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة جميع ما كتبته وأكتبه انما هو عن املاء الهي والقاء رباني أو نفث روحاني في روع كياني كل ذلك لي بحكم الارث لا بحكم الاستقلال فان النفث في الروع منحط عن رتبة وحي الكلام ووحي الاشارة والعبارة ففرق يا أخي بين وحي الكلام ووحي الالهام تكن من العلمـــاءالاعلام ☆ وقال في الباب السابع والأربعين من الفتوحات اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر وانما هي من الفيض الالهي ☆ وقال في الباب السادس والأربعين ومائتين منها جميع علومنا من علوم الذوق لا من علم بلا ذوق فان علوم الذوق لا تكون الا عن تجل الهي والعلم قد يحصل لنا بنقل الخبر الصادق وبالنظر الصحيح ☆ وقال في الباب التاسع والثمانين منها والباب الثامن والأربعين وثلثمائة اعلم أن ترتيب أبواب الفتوحات لم يكن عن اختيار مني ولا عن نظر فكري وانما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الالهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاماً بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخر عنها انتهى واطال في ذلك ☆ وقال في الباب الثامن من الفتوحات اعلم أن العارفين رضي الله تعالى عنهم لا يتقيدون في تصانيفهم بالكلام فيما بوبوا عليه فقط وذلك لان قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الالهية مراقبة لما يبرز لهم منها فمهما برز لهم كلام بادروا لالقائه على حسب ما حد لهم فقد يلقون الشيء الي ما ليس في جنسه امتثالاً لأمر ربهم وهو تعالى يعلم حكمة ذلك انتهى فهذه النقول

تــدل على أن كـلام الكمــل لا يقبــل الخطــأ من حيث هــو والله أعلم[1].»
وفي نص آخر ، يقرر الشعراني مـا زعمـه شيخـه ابن عربي في أنــه لا فرق بين وحي الأوليـاء ووحي الأنبيـاء الا أن وحي الأنبيـاء تشريـع جـديـد ، وأمـا الأولياء فان وجهتهم كشف وعلم واتباع لمشرع الأنبياء ....

«وقال في الباب الثالث والخمسين وثلثمائة أعلم أنـه لم يجيء لنـا خبر الهي أن بعـد رسول الله ﷺ وحي تشريـع أبـداً انمـا لنـا وحي الالهـام قال تعالى ولقد أوحي اليك والي الذين من قبلك ولم يذكر أن بعده وحياً أبداً وقـد جـاء الخبر الصحيح في عيسى عليه السلام وكان ممن أوحي اليه قبل رسول الله ﷺ أنه اذا نزل آخر الزمان لا يؤمنا إلا بنا أي بشريعتنا وسنتنا مع أن لـه الكشف التـام اذا نزل زيادة على الالهام الذي يكون له كما الخواص من هذه الأمة .

(فان قلت) فاذن الإلهام خبر الهي (فـالجواب) نعم وهو كـذلـك اذ هو أخبـار من الله تعالى للعبد على يد ملك مغيب عن الملهم ،
(فان قلت) فهل يكون الهام بلا واسطة أحد (فالجواب) نعم قـد يلهم العبـد من الوجه الخاص الذي بين كل انسان وبين ربه عز وجل فلا يعلم به ملك الالهـام لكن علم هـذا الوجـه يتسـارع النـاس الي انكاره ومنـه انكار مـوسى على الخضر عليهما الصلاة والسلام وعذر موسى في انكاره أن الأنبياء مـا تعودوا أخـذ أحكام شرعهم الا على يد ملـك لا يعرف شرعـاً من غير هـذا الطريق فعلم أن الرسول والنبي يشهدان الملك ويريانه رؤيـة بصر عنـدمـا يوحى اليهما وغير الرسول يحس بأثره ولا يراه فيلهمه الله تعالى بواسطته ما شـاء أن يلهمـه أو يعطيه من الوجه الخاص بـارتفـاع الوسـائـط وهو أجل الالقـاء وأشرفـه اذا حصل الحفـظ لصاحبه ويجتمع في هذا الرسول والولي أيضاً» أ هـ [1] .

وقـول ابن عربي هنـا((أو يلهمـه أو يعطيـه من الـوجـه الخـاص بـارتفـاع الوسائط (أي بين الولي والله) وهو أي هذا الالقـاء بهـذه الطريقـة أجل الالقـاء وأشرفه ـ اذا حصل الحفظ لصـاحبـه ـ ويجتمع في هـذا الرسول والولي أيضـاً ...

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٢٤ ، ٢٥ ، جـ ٢ .
(٢) اليواقيت والجواهر ص ٨٤ ج ٢

أهـ ... فانظر كيف جعل الولي كالنبي في تلقي الالقاء الخاص من الله بلا واسطة ولم يكتف ابن عربي بتقرير هذا أيضاً بل راح يزعم أن هناك صورة أخرى للوحي للأولياء وهي انطباع صورة ما يريده الله في ذهن الولي قال الشعراني :

«فان قلت» فما حقيقة الوحي (فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات ان حقيقته هو ما تقع به الاشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة اذا العبارة يتوصل منها الي المعنى المقصود منها ولهذا سميت عبارة بخلاف الاشارة التي هي الوحي فانها ذات المشار اليه والوحي هو المفهوم الأول والافهام الأول ولا عجب من أن يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه فان لم يحصل لك يا أخي معرفة هذه النكتة فليس لك نصيب من معرفة علم الالهام الذي يكون للأولياء ألا ترى أن الوحي هو السرعة ولا أسرع مما ذكرناه انتهى .،

(فان قلت) فما صورة تنزل وحي الالهام على قلوب الأولياء (فالجواب) صورته أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلي ولي من أوليائه بأمر ما تجلى الي قلب ذلك الولي في صورة ذلك الأمر فيفهم من ذلك الولي التجلي بمجرد مشاهدته ما يريد الحق تعالى أن يعلم ذلك الولي به من تفهيم معاني كلامه أو كلام نبيه ﷺ علم في الضر به باليد الالهية ، كما يليق بجلاله تعالى وكما وجد العلم في شربة اللبن ليلة الاسراء ثم ان من الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر بل يقول وجدت كذا وكذا في خاطري ولا يعلم من أتاه به ولكن من عرفه فهو أتم لحفظه حينئذ من الشيطان وأطال في ذلك في الباب الثاني عشر وثلثمائة ☆ (١) .

ويعني بالقربة الالهية حديث النبي ﷺ الثابت في مسند أحمد : رأيت ربي الليلة في أحسن صورة فقال لي يا محمد :«فيم يختصم الملأ الأعلى» فقلت :«الله أعلم» فوضع رب العزة يده على ظهري

---

(١) اليواقيت والجواهر ٨٤ جـ ٢ .

حتى وجدت بردها في صدري فرأيت السموات فقلت :«يا ربي في الكفرا والدرجات ...» الحديث . ويعني ابن عربي بذلك أنه كما أن الرسول ﷺ ارتفع عنه الحجاب عندما وضع يده سبحانه على الكيفية التي شاءها سبحانه - على ظهر النبي فراى النبي لذلك الملأ الأعلى وهم الملائكة - يختصمون أي يتناقشون في الكفارات والدرجات أي ما يكفر الذنوب لبني آدم ، وما يعلي درجاتهم فقال لله سبحانه وتعالى مجيباً بعد رؤيته للملائكة وسماعه لحديثهم أما الكفارات فهي اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى الي المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ..وأما الدرجات فهي اطعام الطعام **والانة** في الكلام والصلاة بالليل والناس نيام ...

أقول أراد ابن عربي أن يجعل للصوفية ما خص الله به الأنبياء من الرؤيا الصادقة في النوم والاطلاع على ما في السموات من الملأ الأعلى والملائكة فزعم أنه يكون للولي الصوفي كذلك ما كان للنبي من كشف قناع قلبه ورؤيته للملأ الأعلى

ولم يكتف ابن عربي بهذا أيضاً بل زعم لنفسه وجماعته الصوفية ما لم يعلمه رسل الله أنفسهم وعلى رأسهم سيدهم وخاتمهم محمد ﷺ فقد زعم أن الصوفية أحياناً ينزل عليهم الوحي مكتوباً من السماء .

وأنه أعني ابن عربي يعلم الفرق بين ما في اللوح المحفوظ من كتابه وما يكتبه المخلوقين وبذلك يستطيع أن يفرق بين المكتوب النازل من السماء والمكتوب في الأرض ...... قلت لم يقل نبي قط ولا أخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هناك بشراً اطلع على ما في اللوح المحفوظ ولكن العجيب أن هؤلاء يزعمون العلم والاحاطة به ، بل نقل الشعراني في كتابه الطبقات الكبرى عن شيخه الخواص أنه كان يعلم ما يكتب في اللوح المحفوظ ساعة بساعة .... وزعم أحمد بن المبارك أن شيخه الأمي عبد العزيز الدباغ يعلم اللوح المحفوظ ويعلم كتابته وأنه بالسريانية والمهم هنا أن ابن عربي يقرر في فتوحاته أن وحي الأولياء كثيراً ما ينزل مكتوباً كما نزلت التوراة مكتوبة ....

يقول الشعراني عن شيخه :

« وقد يكون ذلك كتابة ويقع هذا كثيراً للأولياء وبه كان يوحى لأبي عبد الله قضيب البان وغيره كبقي بن مخلد تلميذ الامام أحمد رضي الله عنه لكنه أضعف الجماعة في ذلك فكان لا يجده الا بعد القيام من النوم مكتوباً في ورقة انتهى (فان قلت) فما علامة كون تلك الكتابة التي في الورقة من عند الله عز وجل حتى يجوز للولي العمل بها (فالجواب) أن علامتها كما قال الشيخ في الباب الخامس عشر وثلثمائة أن تلك الكتابة تقرأ من كل ناحية على السواء لا تتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها قال الشيخ وقد رأيت ورقة نزلت على فقير في المطاف بعتقه من النار على هذه الصفة فلما رآها الناس علموا أنها ليست من كتابة المخلوقين فان وجدت تلك العلامة فتلك الورقة من الله عز وجل لكن لا يعمل بها إلا ان وافقت الشريعة التي بين أظهرنا قال وكذلك وقع لفقيرة من تلامذتنا أنها رأت في المنام أن الحق تعالى أعطاها ورقة فانطبقت كفها حين استيقظت فلم يقدر أحد على فتحها فألهمني الله تعالى أني قلت لها إنْوِ بقلبك أنه إذا فتح الله كفك ان تبتلعيها فنوت وقربت يدها الي فمها فدخلت الورقة في فيها قهراً عليها فقال الولي بم عرفت ذلك فقلت ألهمت أن الله تعالى لم يرد منها أن يطلع أحد عليها وقد أطلعني الله تعالى على الفرق بين كتابة الله تعالى في اللوح المحفوظ وغيره وبين كتابة المخلوقين وهو علم عجيب رأيناه وشاهدناه انتهى ...»[1] .

فانظر هذا الوحي الالهي لهذه المريدة العزيزة الذي نزل في يدها وانطبقت عليه ثم ابتلعته ... وان العالم النحرير والشيخ الكبير عرف بالكشف مراد الله فقال ابتلعيها ... الخ .... سبحانك يا رب لا اله الا أنت نستغفرك ونتوب اليك .....

ولم يكتف ابن عربي بكل ما قرره في هذا الكشف الشيطاني للصوفية من أنه تنزل عليهم الملائكة ، ويشاهدون الله ويسمعون الصوت ويأتيهم الوحي مكتوباً بل قرر أيضاً أن قلوب الأولياء تنكشف عنها الحجب فيشاهدون الجنة

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٨٣ ، ٨٤ جـ ٢ .

وما فيها ، والنار وما فيها تماماً كما حدث للرسول ﷺ :

قال الشعراني :

(فان قلت) فما صورة وصول الأولياء الي العلم بأحوال السموات (فالجواب) يصل الأولياء الي ذلك بانجلاء مرآة قلوبهم كما يكشفون عن أحوال أهل الجنة وأهل النار والآن بحكم الارث لرسول الله ﷺ لما رأى الجنة والنار في صلاة الكسوف ورأى في النار عمرو بن لحى الذي سيب السوائب وصاحب المحجن وصاحبة الهرة التي حبستها حتى ماتت وفي بعض طرق الحديث رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط انتهى والله تعالى أعلم .... أهـ [1] .

باختصار لم يترك ابن عربي صورة من صور الوحي الالهي الذي يوحى به للرسل الا وأثبت مثيله ونظيره بل وأكمل منه للصوفية ، وبالطبع كان لا بد للمتصوفة أن يجيبوا على تكفير علماء الأمة لهم ونسبتهم الي الزندقة والمروق من الدين وذلك لادعائهم ما هو من خصوصيات الرسل رضوان الله عليهم ، اذ لا فرق بين الرسول وبين غيره الا الوحي ،

ولو كان واحد من الأمة يوحى اليه ويطلع على الغيب ، ويكون وارثاً للرسول في هذا الاطلاع والتحقق لما كان للرسالة معنى ، ولا للنبوة منزلة وفائدة ، ما دام كا انسان يستطيع بنفسه أن يصل إلى الله وأن يطلع على الغيب ، وأن يعلم مراد الله على الحقيقة ما مزية الرسول هنا وما منزلته ، ما دام كل أحد اذا فعل بعض المجاهدات يكون مثله وينزل عليه الوحي ويرى الملائكة ويطلع على الملأ الأعلى ، ويشاهد الله ويجلس في حضرته ويطبع الله مراده في ذهنه ، ويكتب له ما شاء من الرسائل كماأدعى الحلاج انه نزلت على رسائل كثيرة بخط الله .. وادعى هذا ابن عربي كما مر سابقاً لماذا يكون مسيلمة اذن كذاباً والقرآن الذي افتراه أحسن حالاً في جوانب كثيرة من حكايات كثيرة من الصوفية التي زعموها أنهم تلقوها من

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٨٨ .

الله وملائكته .. لقد كان مسيلمة أقوى حجة وأكثر تابعاً ، وأعز جيشاً من كل مشايخ التصوف الكاذبين ..

واذا قال هؤلاء بأننا علمنا أن مسيلمة كاذب بتكذيب النبي له قلنا لهم وكذلك يجب أن تحكموا على كل مشايخ التصوف الذين يزعمون نزول الوحي عليهم بتكذيب النبي ﷺ أيضاً لهم . انه ﷺ هو القائل لا تقوم الساعة حتى يقوم كذابون كثيرون يزعم كل منهم أنه نبي .... وأن لا نبي بعدي وأليس كل من زعم أنه يوحى اليه فقد ادعى النبوة فكيف اذا زعم أيضاً أنه يرى الله ؟ ويلتقي بالملائكة ويسمع أصواتهم ، ويلتقي بالخضر ، وينزل عليه الكتب مكتوبة من السماء ، ويطلع بقلبه على الملأ الأعلى والملأ الأسفل ، أليس مسيلمة كان أقل كذباً من هؤلاء بل وأحكم منطقاً وأعظم عقلاً

أقول لما علم ابن عربي ومن على شاكلته أن دعاويهم هذه لن تنطلي الا جاهل من أهل القبلة ، وأن علماء المسلمين لا بد وأن يكفروهم ويزندقوهم فانه احتاط لذلك وأجاب عما رماه به علماء الأمة الصاحون ، ورموا به أيضاً من هم على شاكلته في ادعاء العلم الغيبي والكشف الصوفي اجاب عن ذلك بأنهم على شريعة خاصة ، وأن علماء الشريعة يمكن أن يحملوا كلام الصوفية على خلاف في الرأي كما هو حادث بين الشافعي والحنفي أو ينزلوا كلام المتصوفة كأنه كلام أهل الكتاب فلا يصدقونهم ولا يكذبوهم ...

قال الشعراني .....

(فان قلت) قد رأينا في كلام بعضهم تكفير الأولياء المُحدَّثِينَ بفتح الدال المهملة لكونهم يصححون الأحاديث التى قال الحفاظ بضعفها .

(فالجواب) تكفير الناس للمحدثين المذكورين عدم انصاف منهم لان حكم المحدثين حكم المجتهدين فكما يحرم على كل واحد من المجتهدين أن يخالف ما ثبت عندفكذلكالمحدثون بفتح الدال وكلاهما أشرع بتقرير رسول الله ﷺ قال الشيخ محي الدين في الباب الثالث والسبعين من الجواب السابع والخمسين وقد وقع لنا التكفير مع علماء عصرنا لما صححنا بعض أحاديث قالوا بضعفها قال ونحن نعذرهم في ذلك لانه ما قام عندهم على صدق كل واحد من هذه الطائفة

وهم مخاطبون بغلبة الظن ولو أنهم وفوا النظر معهم حقه لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حكمه ولا ينقض حكم من حكم به من الحكام ومما اعتذروا به قولهم لو صدقت القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك لدخل الخلل في الشريعة لعدم العصمة فيهم فلذلك سددنا الباب وقلنا أن الصادق من هؤلاء لا يضره سدنا هذا الباب قال الشيخ محي الدين ونعم ما فعلوه ونحن نسلم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام على ذلك ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك الولي مخطئ في مخالفتهم فان قطعوا بخطئه فلا عذر لهم فان أقل الأحوال أن ينزلوا الأولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب لا يصدقونهم ولا يكذبونهم انتهى ....[1] .

وهذا الاعتذار والجواب عن تكفير أهل السنة لهؤلاء في غاية الجهالة أيضاً لأن ما أتى به المتصوفة مما يسمونه كشفاً ليس من الخلاف في الرأى ، ولا الخلاف الفرعي ، بل هو مصادم لأحكام الاسلام ومبادئ الايمان .
فالتصديق أصلاً بأنهم يعلمون من طريق الوحي كفر لأنه يناقض ما جاء به القرآن والحديث ، من أن الوحي قاصر على الأنبياء فقط وأن لا نبوة بعد رسول الله ، وأنه من النبوة الرؤيا الصادقة فقط ..... وأما سماع صوت الملك وانقشاع حجاب القلب ونزول الأوراق المكتوبة من السماء كل هذا من خصائص النبوة التي انتهت بوفاة الرسول ﷺ ....
ثم ما جاء به الصوفية مما جعلوه ونسبوه لي الكشف هو في عامته وحي ابليسي شيطاني لم يترك كفراً في الأرض إلا ونسبه الي الدين كتبرئة ابليس من الكفر والقول بنجاة فرعون ودخوله الجنة وأن فلاناً من أهل الجنة ومن الصديقيين والحال أنه شارب الخمر زنديق ، وأن فلاناً يطلع على اللوح المحفوظ ، وأن فلاناً الذي يأتي(الحمارة)في الشارع ولي لله تعالى ، وفلاناً القذر الذي لا يمس الماء ولا يتطهر من حدث أو جنابة ولي صالح ، وفلان الذي يقول أنا الله وما في الجبة إلا الله وسبحانه ولي صالح ....الخ .

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٩٠ ج ٢ .

هذا الكفر كيف يكون هذا من جنس الخلاف بين الشافعي والحنفي في قراءة الفاتحة وراء الامام وفي نقض الوضوء من مس المرأة .... ومثل هذه الفرعيات التي كان فيها خلافاً حول فهم النصوص القرآنية الحديثية .....

وأما قياس ابن عربي ما جاء به المتصوفة أيضاً على كلام أهل الكتاب الذين قال الرسول فيهم لا تصدقونهم ولا تكذبوهم .... فانه قياس بعيد أيضاً لان هذا فيما قاله أهل الكتاب مما لا يناقض عقيدة الاسلام .

والا فكيف لا نكذب أهل الكتاب في قولهم ان الله استراح في اليوم السابع وأنه تصارع مع يعقوب (اسرائيل) وصرعه اسرائيل وأن لوطاً زنى بابنتيه ، وابراهيم قدم زوجته لحاكم مصر ليحصل على ابل وغنم ، وأن المسيح ابن الله وغير ذلك من الخرافات والخزعبلات وصنوف الكذب على الله والأنبياء .

لا شك أن المسلم يكذب اليهود في كل ما زعموه مما هو مناقض لعقيدة الاسلام وما قرر الله سبحانه وتعالى غيره تماماً وضده في القرآن ، كيف نؤمن بكلام الصوفية وكشوفاتها وهو لا يقل في عمومه خبثاً ونجاسة عما افتراه اليهود والنصارى على الله .... كيف نصدق الصوفية في كشفهم أن الخنزير والكلب هو الله وأن المخلوق والخالق شيء واحد ، وأن القائلين بخالق فوق العرش مباين للعالم جاهلون بعقيدة التوحيد ...... كيف يكون الكشف الصوفي هذا الذي يزعم أصحابه أنهم أخذوه عن الله ونقلوه بحرفيته هو الحق وأنه يجب على علماء الشريعة والاسلام أن يعاملوا الصوفية كما يعاملون اليهود والنصارى في أن لا يصدقوهم ولا يكذبوهم ..... أقول بل يجب تكذيبهم في كل ما افتروه على الله وعلى رسوله مما يخالف كلام الله وكلام رسوله .

ومما هو كفر صراح بواح لا يشك ولا يماري فيه من له أدنى علم بالكتاب والسنة عنده بصر وبصيرة يستطيع أن يميز فيه بين كلام الله وكلام الشياطين وبين وحي الله سبحانه الذي ينزل به جبريل الأمين محفوظاً أن يناله الشياطين أو أن يدخلوا معه ما ليس منه وبين وحي ابليس اللعين الذي يلقبه هو وأولاده وأفراخه على أوليائه من هؤلاء الكذابين الأفاكين ....

فيدعون لأنفسهم ما ادعوه من كل كذب وزور وفجور .....

والعجيب أيضاً أن ابن عربي الذي نحن بصدد بيان افتراءاته في الكشوف والعلوم التي له كان يعلم أن هناك وحياً شيطانياً يتنزل على بعض الصوفية ، وأن هناك من يحفظ منهم من تلبيس الشيطان ومنهم من لا يحفظ .

يقول عبد الوهاب الشعراني أيضاً في كتابه اليواقيت فيما ينقله عن ابن عربي :

((فان قلت)) فمتى يحفظ الولي من التلبيس عليه فيما يأتيه من وحي الالهام .

(فالجواب) يعرف ذلك بالعلامات فمن كان له في ذلك علامة بينه وبين الله عرف الوحي الحق الالهامي الملكي من الوحي الباطل الشيطاني حفظ من التلبيس ولكن أهل هذا المقام قليل ،

قال الشيخ في الباب الثالث والثمانين ومائتين مما غلط فيه جماعة من أهل الله عز وجل كأبي حامد الغزالي وابن سيد لون(رجل بوادي أشت)قولهم اذا ارتقى الولي عن عالم العناصر وفتح لقلبه أبواب السماء حفظ من التلبيس قالوا وذلك لأنه حينئذ في عالم الحفظ من المردة والشياطين فكل ما يراه هناك حق قال الشيخ محي الدين وهذا الذي قالوه ليس بصحيح وأنما يصح ذلك أن لو كان المعراج بأجسامهم مع أرواحهم ان صح أن أحداً يرث رسول الله ﷺ في هذا المعراج وأما من عرج به بخاطريته وروحانيته بغير انفصال موت وجسده في بيته مثلاً فقد لا يحفظ من التلبيس الا أن يكون له علامة في ذلك كما مر وأطال في ذلك ثم قال واعلم أن الشيطان لا يزال مراقباً لقلوب أهل الكشف سواء كان أحدهم من أهل العلامات أو لم يكن لأن له حرصاً على الاغواء والتلبيس لعلمه بأن الله تعالى قد يخذل عبده فلا يحفظه فيعيش ابليس بالترجي ويقول لعل وعسى فان رأى ابليس باطن العبد محفوظاً وأنوار الملائكة قد حفت، به انتقل الي جسد ذلك العبد فيظهر له في صورة الحس أموراً عسى أن يأخذ بها فاذا حفظ الله تعالى قلب ذلك العبد ولم ير له على باطنه سبيلاً جلس تجاه قلبه فينتظر غفلة تطرأ عليه فاذا عجز عن أن يوقعه في شيء يقبله منه بلا واسطة نظر في حال ذلك الولي فان رأى أن من عادته

الأخذ للمعارف من الأرض اقام له أرضاً متخيلة ليأخذ منها فان أيد الله تعالى ذلك العبد رده خاسئاً لاطلاعه حينئذ على الفرق بين الأرضين المتخيلة والمحسوسة وقد يأخذ الكامل من ابليس ما ألقاه اليه من الله لا من ابليس فيرده أيضاً خاسئاً وكذلك إن رأى ابليس أن حال ذلك الولي الأخذ من السماء أقام له سماء متخيلة مثل السماء التي يأخذ منها ويدرج له فيها من السموم القاتلة ما يقدر عليه فيعامله العارف بما قلناه في شأن الأرض المتخيلة والأصلية وان راى أن حال ذلك الولي الأخذ من سدرة المنتهى أو من ملك من الملائكة خيل له سدرة مثلها أو صورة ملك مثل ذلك الملك وتسمى له باسمه والقى اليه ما عرف أن ذلك الملك يلقيه اليه من ذلك المقام فان كان ذلك الشخص من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه وان كان محفوظاً حفظ منه فيطردعنه ابليس ويرمى ما جاء به أو يأخذ ذلك عن الله تعالى لا عن ابليس كما مر ويشكر الله تعالى على ذلك وان رأى الشيطان ان حال ذلك الولي الأخذ من العرش أو من العماء أو الاسماء الالهية ألقى اليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً بميزان وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثالث والثمانين ومائتين أ هـ [1]

والعجيب من الغزالي أيضاً كيف ظن أن ما يزعم الصوفي نقله من السموات لا يكون فيه شيء شيطاني لان الله حفظ السماء من الشياطين ، وكأنه قد غاب عنه أن الصوفي الذي يزعم الوصول الي السموات هو جالس هنا في الأرض تستهويه الشياطين وتحف به من كل جانب .

ولم أر ابن عربي صدق في هذا الصدد الا فيما نقلناه عنه آنفاً من بيان تلبيس الشياطين على الصوفية في تصويره لهم سماء متخيلة ، أو سدرة المنتهى أو الملائكة ..... الخ . حتى يظن الصوفي أنه قد رأى ذلك فعلاً وأنه ينقل علمه من هناك والحال أنه ينقل عن الشياطين الذين يزخرفون له ذلك ويحيلون له ما يشاهده مما ليس هنالك هو تماماً ما وقع لهؤلاء الصوفية ومنهم بل أولهم في ذلك هو ابن عربي هذا الذي لم يترك كفراً في الأرض الا وسطره في كتبه

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٨٧ ج ٢

وخاصة كتابه الفصوص (فصوص الحكم) وكتابه (الفتوحات الملكية) .
لقد عرف ابن عربي حقاً الطريق الذي استقى منه هو والصوفية وأنه الشياطين الذين يخيلون لهم هذه الخيالات ويوحون اليهم بهذه الكلمات .

وسيجد القارئ في ثنايا هذا الكتاب نقولاً مستفيضة عن ابن عربي تبين ما هي حقيقة كشوفاته ووحيه الذي أوحي به اليه ولكني أحب أن أختم هذا الفصل في بيان موقف ابن عربي من الكشف بحقيقة موقفه من ابليس لنبين للقارئ بما لا يدع مجالاً للشك أي دين يدين به هؤلاء وأى علم يزعمون الوصول اليه وأي كشف اكتشفوه ....

فمن المعلوم يقيناً عند كل مسلم أن ابليس هو رأس الشر والبلاء وأنه عدو لآدم وذريته منذ امتنع عن السجود لآدم وطرده الله بسبب ذلك من رحمته وجعل الله عليه اللعنة الي يوم يبعثون وأنه يكون في الآخرة في جهنم كما قال تعالى :

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما أشركتموني من قبل ان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ .
(ابراهيم ٢٢) .

والشيطان في هذه الآية هو ابليس باجماع المفسرين وكذلك قوله تعالى :
﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون ، وجنود ابليس أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ، ولا صديق حميم﴾ (الشعراء ٩٤ ـ ١٠١) .

ولا شك أن جنود ابليس يستحيل أن يدخلوا النار ولا يدخل هو معهم اذ كيف يدخل الجنود ويبقى رأس الجند من الناجين ،. ولعل قائل يقول ولماذا هذا التطويل في بيان أن ابليس من أهل الجحيم ان هذا أمر بديهي معلوم عند جميع أبناء الاسلام وأقول ان هذا الأمر البديهي المعلوم من الدين بالضرورة التي

يعتبر جاحدا وناكرا وكافراً مرتداً من نفاه هو ما أثبت ابن عربي تبعاً في زعمه لسهل بن عبد الله التستري ضده ، وهو أن ابليس من الناجين وأنه لن يدخل النار أبداً وأنه أعنى ابليس التقى في زعم ابن عربي بسهل بن عبد الله التسترى الصوفيوكان من كبار مشايخهم في القرن الثالث فناقشهفي هذه المسألة وبين له أنه من الناجين ، وأنه لن يدخل النار وأن الله سبحانه وتعالى سيغير ما أثبته في القرآن لأن الله لا يجب عليه شيء وما دام أنه لا يجب عليه شيء ولا يقيده قيد ، فانه قد قضى بنجاة ابليس يوم القيامة ، وتبرئته من جميع التهم المنسوبة اليه والعفو التام عنه ..

.. انظروا يا مسلمون هذا الكشف الصوفي ما أعظمه وأطرفه بل ما أفجره وأكفره .. ان ما اتعب النبي محمد ﷺ فيه نفسه طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من بيان قصة ابليس وآدم ، ومن لعن ابليس دائماً ، واستفتاح صلاته بالإستعاذه منه ، وقوله ﷺ له عندما خنقه (ألعنك بلعنة الله .. ألعنك بلعنة الله .. ألعنك بلعنة الله .....) وذلك عندما جاء ابليس اللعين هذا بشهاب من نار ووضعه في وجه الرسول ﷺ وهو يصلي ......

هذا الذي أتعب فيه الرسول ﷺ نفسه ومن بعده سائر الصحابة والمسلمين ؛....جاء ابن عربي اليوم ليبين لنا عن شيخه المزعوم التسترى أنه كان خطئاً في خطأ وأنه يوم القيامة يكون في الجنة مع أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .... وان هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة .....

ويعني ابن عربي بذلك الأشاعرة لأنهم يقولون (لا يجب على الله شيء) وما دام لا يجب عليه شيء فيجوز أن يدخل ابليس الجنة .. ..

وهذا الجائز العقلي عند الأشاعرة جعله ابن عربي ممكناً وواقعاً لأن شيخه القشيري التقى بابليس وناقشه في هذه المسألة وتحقق منه أنه سيكون يوم القيامة من الفائزين الفالحين ..... وهذا نص الحكاية المزعومة وتعقيب ابن عربي عليها بنصها من كتاب اليواقيت والجواهر ......

«وذكر الشيخ محي الدين في الباب الثالث والتسعين ومائتين أيضاً ما يؤيد اعتقاد أهل السنة والجماعة من أن الحق تعالى لا يجب عليه شيء وهو أن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه قال لقيت ابليس مرة فعرفته وعرف مني أني عرفته فوقع بيني وبينه مناظرة فقال لي وقلت له وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث أنه وقف ووقفت وحار وحرت فكان آخر ما قال لي يا سهل ان الله تعالى قال ورحمتي وسعت كل شيء نعم ولا يخفى عليك أنني شيء ولفظه كل تقتضي الأحاطة والعموم إلا ما خص وشيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته أنا وجميع العصاة فبأي دليل تقولون ان رحمة الله لا تنالنا ، قال سهل فوالله لقد أخرسني وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية وفهمه منها ما لم أكن أفهمه وعلمه من دلالتها ما لم أكن أعلمه فبقيت حائراً متفكراً وأخذت أردد الآية في نفسي فلما جئت الي قوله تعالى فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الي آخر النسق فسررت بها وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له تعال يا ملعون ان الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجك عن ذلك العموم فقال فسأكتبها للذين يتقون الي آخر النسق فتبسم ابليس وقال يا سهل التقييد صفتك لا صفته تعالى ثم قال يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بالله ما رأيت وما ظننت أنك ههنا ليتك سكّت ، قال سهل فرجعت الي نفسي وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي وما وجدت له جواباً ولا سددت في وجهه باباً وعلمت أنه طمع في مطمع وانصرف وانصرفت ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فان الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقى الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه بذلك إلا بما حكم به على نفسه من حيث وجود الايمان به .انتهى كلام سهل قال الشيخ محي الدين وكنت قديماً أقول ما رأيت أقصر حجة من ابليس ولا أجهل منه فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكاها عنه سهل رضي الله عنه تعجبت وعلمت أن ابليس قد علم علماً لا جهل فيه فله رتبة الافادة لسهل في هذه المسألة انتهى فقد بان لك أن الله تعالى خلق العالم كله من غير حاجة اليه لا موجب أوجب ذلك عليه أ هـ (١)

---

(١) اليواقيت والجواهر ص ٦٠ ج ١

وأظن الآن قد وضح للقارئ تماماً ما هو الكشف الصوفي وأنه عملية هدم منتظمة للدين الحنيف الذي جاء به سيد المرسلين ﷺ. فما دام أن ابليس من الناجين فليس هناك شيء ثابت في هذا الدين .

ولا عجب فيما رووا عن ابليس ، فان استاذهم الخز- وأحد كبرائهم قال في ابليس ما لم يقله أحد منهم في جبريل اذ جعله سيد الملائكة أجمعين ذلك لأنه أبى أن يسجد إلا لله .... لأن عبادته لله خاصة فقط ولذلك كان أعظم الموحدين (١) واليك هذه النماذج الكشف الصوفي اللعين : -

(١) ملك ينزل إلي الأرض على شكل خواجه :

كتب أحمد بن مبارك السلجماسي المغربي كتاباً سماه «الابريز» زعم أنه ينقل ما فيه عن شيخه عبد العزيز الدباغ المغربي أيضاً وهذا الشيخ أمي جاهل لم يكن يحفظ حزباً واحداً من القرآن بشهادة تلميذه أحمد بن مبارك ولكنه مع ذلك كان يستطيع التفريق بين القرآن والحديث بمجرد السماع ، بل كان يستطيع أيضاً أن يفرق بين القرآن والحديث النبوي والحديث القدسي وكل ذلك بالكشف من غير علم ولا تعليم ، وليس كذلك فقط بل كان يستطيع أيضاً أن يفرق ويعلم صحيح الحديث من موضوعه وضعيفه فاذا ألقى اليه الحديث علم هل قاله الرسول أم لا ويقول أحمد بن مبارك أختبرته في ذلك فكنت ألقي عليه الحديث من الجامع الصغير للسيوطي فما قال فيه السيوطي صحيح كان يقول الشيخ عنه صحيح وما قال فيه موضوع يقول موضوع دون أن يتلقى هذا بالعلم وانما بالكشف فقط بل كان يعرف ان كان الحديث في البخاري أو مسلم أو فيهما أو انفرد فيه أحدهما ......الخ ......ولم يكن هذا هو كل علم عبد العزيز الدباغ بل كان يعرف معاني القرآن كلها وتفسيره الباطني وعلم الحروف المقطعة في القرآن ، بل وكان يعلم جميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء ، ويعلم تفاسيرها ومعانيها . ولم يكن هذا فقط هو علم

---

(١) الفتوحات ج١ ص١٥٣ .

الدباغ استاذ أحمد بن مبارك المزعوم بل كان يعلم ما في اللوح المحفوظ كله من المقادير بل كان هذا الذي لا يحفظ حزباً من القرآن بشهادة تلميذه لا تغيب عنه ذرة في الأرض ولا في السماء ، وأنه هو الغوث الأكبر المتحكم بالعالم العلوي والسفلي والوارث للحقيقة المحمدية والحقيقة المحمدية في الفكر الصوفي هو الله المستوي على العرش كما قال ابن عربي :«الحقيقة المحمدية هي الموصوفة بالاستواء على العرش»[1] ، المهم أن أحمد بن مبارك يزعم فيما يزعم أن شيخه هذا الأمي الذي لا يحفظ حزباً من القرآن كان هو الغوث الأكبر وهو رئيس الديوان الصوفي وأنه استفاد منه علوماً جمة من بعضها كتابه الأبريز وسيجد القارئ جانباً كبيراً من هذه العلوم في الفصل الخاص بالديوان الصوفي لأن الدباغ هذا وصف ما سماه بالديوان الصوفي وصفاً عجيباً ... والمهم هنا أن ننقل بعض كشوفات الدباغ ......

قال أحمد بن مبارك : وسمعته رضي الله عنه يقول :

ان في كل مدينة من المدن عدد كبيراً من الملائكة مثل السبعين ملكاً أو أقل أو أكثر يكونون عوناً لأهل التصوف[1] من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي ؛ قال رضي الله عنه وهؤلاء الملائكة الذين يكونون موجودين في المدن يكونون على هيئة بني آدم فمنهم من يلقاك في صورة خواجة ، ومنهم من يلقاك في صورة فقير[2] ، ومنهم من يلقاك في صورة طفل صغير وهم منغمسون في الناس ولكنهم لا يشعرون . أهـ[3] .

فانظر هذا الكشف العجيب الملائكة تنزل الي الأرض تأتمر بأمر الصوفية وهم على أشكال الخواجات والشحاذين والأطفال ... فاذا رأيت خواجة فلا تزعجه في الطريق ولا تنظر اليه شذراً فربما كان ملكاً من ملائكة الله نزل لتنفيذ أوامر مشايخ الصوفية .....

---

(١) أهل التصرف في الفكر الصوفي هم أهل الديوان الذين يتحكمون بالمقادير وهو الغوث والأقطاب الأربعة .. راجع باب الصوفي ص ..

(٢) أي صوفي أو شحاذ .

(٣) الأبريز ص١٦٤ ، ١٦٥ .

٢ ـ تاريخ بناء الأهرام عن طريق الكشف :

الكشف الصوفي لم يترك شيئاً الا وحاول الدخول فيه واليه ومن ذلك تاريخ بناء الأهرام التي بناها خوفو الفرعون قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو أربعة آلاف سنة ولكن بالكشف الصوفي يقول ابن عربي :«بلغنا أنه وجد مكتوباً بالقلم الأول على الأهرام أنها بنيت والنسر الطائر في الأسد ، وهو الآن في الجدي» ....

قال عبد الوهاب الشعراني تعليقاً على كلام ابن عربي « ومعلوم أن النسر الطائر لا ينتقل من برج الي غيره الا بعد مضي ثلاثين ألف سنة قال الشيخ عبد الكريم الجيلى ، وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك الا بعد ثلثمائة ألف سنة» أهـ[١] .

وعلى الكشف الصوفي هذا يصبح عمر الأهرام حسب تخريفاتهم أكثر من ٢٩٥ مائتين وخمس وتسعين ألف سنة فقط من عمرها الحقيقي .

٣ ـ الدباغ يكتشف نبياً جديداً اسمه هويد ويكتشف أنه الغوث ، وأنه جمع جميع علوم الأولين والآخرين

قال أحمد بن مبارك في كتابه الابريز :

«ومما قاله رضي الله عنه في نسب هود محصلة كشف وعيان فانه أمي لا يعرف تاريخاً ، ولا غيره فلا ينبغي لأحد أن يعارضه بما قال أهل التاريخ في نسب هود لأنه مبني على خبر الواحد ، ومع ذلك فقد اضطرب في خبر الواحد في نسب هود فقيل في نسبه هود بن عبد الله بن رياح بن الجارود بن عماد بن عوض بن آدم بن سام بن نوح ، وقيل هو هود بن شارخ بدار فخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فهو على هذا ابن عم أبي عماد دائماً جعل من عاد وان لم يكن منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف لحاله وارغب في اقتفائه .. قال رضي الله

---

(١) الكبريت الأحمر على هامش اليواقيت والجواهر ص٩ .

عنه : وأما عاداً الأولى فكانوا قبل نوح عليه السلام وأرسل الله لهم نبياً يسمى (هويد) وهو رسول مستقل بشرعه بخلاف هود الذي أرسل الى عاد الثانية فانه مجدد لشرع من قبله من المرسلين . قال : وكل رسول مستقلفلا بد أن يكون له كتاب . قال : ولسيدنا (هويد) المذكور كتاب وأنا أحفظه كما أحفظ جميع كتب المرسلين . فقلت له وتعدها . قال أحفظها ولا أعدها اسمعوا مني ثم جعل يعدها كتاباً كتاباً ، قال : (أي الدباغ) ولا يكون الولي ولياً حتى يؤمن بجميع هذه الكتب تفصيلاً ولا يكفيه الاجمال فقلت هذا لسائر الأولياء المفتوح عليهم فقال : بل لواحد فقط وهو الغوث فاستفدت منه في ذلك الوقت أنه رضي الله عنه هو الغوث وعلومه دالة على ذلك فاني لو قيدت جميع ما سمعت منه لملئت أسفاراً ، وكم مرة يقول جميع كلامي معكم على قدر ما تطيقه العقول » أهـ [1] .

وليس هناك من تعليق على مثل هذا الهراء الا أن يقول المسلم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك .....

وانظر بعد ذلك تتمة هذه الفتوح الدباغية كيف أنه اكتشف أيضاً بطريقة الكشف أن بين نوح وآدم سبعين رسولاً لم يقص الله تعالى في القرآن شيئاً من قصصهم ولكن عبد العزيز الدباغ عرفهم بطريق الكشف .....

قال أحمد بن مبارك تلميذ الدباغ :(وسمعته) رضي الله عنه يقول كان قبل نوح سبعمائة رسول من الأنبياء وفي قصصهم من العجائب الكثيرة وانما لم يقصص الله علينا في كتابه العزيز منها شيئاً لعدم اشتهار أهلها في أزمنة الوحي فقلت فما معني قوله في حديث الشفاعة في صفة نوح وأنه أول الرسل فقال رضي الله عنه المراد أنه أول الرسل الي قوم كافرين ومن قبله من المرسلين أرسلوا الي قوم عقيدتهم صحيحة فقلت فلم عوقب قوم هويد بالحجارة والنار اذا كانوا مؤمنين فقال رضي الله عنه كانت عادته تعالى مع القوم الذين قبل نوح ان يهلكهم على ترك أكثر القواعد وان كانوا على العقائد) أهـ .

---

(١) الابريز ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

الابريز ص١٠٤ .

فانظر كيف اكتشف الدباغ سبعين رسولاً قبل نوح وكيف أن الله أهلكهم ليس على الشرك والكفر ومعاندة الرسل بل على المعاصي فقط ......

٤ ـ الأولياء أكثرهم أميون .

الدباغ يفضل نفسه على ابراهيم الدسوقي :

ولا عجب بعد ذلك اذا علمنا أن أهل هذه الكشوف المزعومة في غالبهم أميون كعبد العزيز الدباغ الذي روى عنه أو أفترى عليه أحمد بن مبارك كان رجلاً أمياً ، وشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو الخواص كان أمياً كذلك واسمع ما يقول أحمد بن مبارك عن شيخه الأمي الدباغ .

وسمعته رضي الله عنه يقول مرة أخرى السموات والأرضون بالنسبة الي كالمرونة[1] في فلاة من الأرض يصدر هذا الكلام منه رضي الله عنه ومأشبهه اذا شهدنا منه زيادة بل هو في زيادة دائماً رضي الله عنه وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أمياً فقلت فمن أين تعرفهم فقال رضي الله عنه أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي ابراهيم الدسوقي فقلت هو من الأكابر فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته فقال رضي الله عنه لو عاش سيدي ابراهيم الدسوقي رضي الله عنه من زمنه الي زماننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز يعني نفسه من أمس الي اليوم والله ما قاله أخوك افتخاراً وانما قاله تعريفاً وتحدثاً معكم بالنعمة . أهـ[2] ....

ونسأل ما فيه البرزخ هذه التي تجتمع فيها أرواح الصوفية ... ولماذا لا يختار الله لولاية ـ في زعمهم ـ الا أميون علماً بأن سبحانه وتعالى فضل أهل العلم والعلماء في كتابه وما كان اختياره للرسول محمد ﷺ أمياً إلا ليقيم به الحجة

---

(١) الموزونة : عملة مغربية

(٢) الابريز ص ١٦٨ .

على عباده وحتى لا يتهم بأنه اتى بالقرآن من عند نفسه كما قال تعالى :
﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب ... المبطلون ﴾ (العنكبوت ٤٨).

وأما بعد النبي ﷺ فقد فضل الله علماء هذه الأمة على أهل الجهالة منها ، وجعل تعلم العلم بالكتابة والقراءة والسماع والأسباب الأخرى البشرية المؤدية لذلك .... وليس بطريقة الغيب لأن هذا الطريق خاص بالأنبياء رضوان الله عليهم وما سوى النبي الصادق فمتنبيء كاذب وهذا هو حال هؤلاء المساكين الذين استحوذ عليهم الشيطان فراحوا يهيمون في أودية الضلال على هذا النحو المهين .

٥ ـ الدباغ يكتشف سر ليلة القدر :

ولم يكتف الدباغ بكشوفاته في الأرض فراح يكتشف السماء أيضاً وأتى لنا بهذه الحكاية العجيبة عن سرّ ليلة القدر .

قال تلميذه أحمد بن مبارك :......

« ثم ذكر لنا رضي الله عنه سبب ليلة القدر فقال ان العالم قبل خلق النور في حرم الشمس كان مظلماً والملائكة عامرون له أرضاً وسماه وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالم بها أصبحت ملائكة السماء وملائكة الأرض وخافوا من خراب العالم ومن أمر عظيم ينزل بهم فنزل ملائكة السماء الي الأرض وجعلولوها ملائكة الأرض يفرون من الضوء الي الظل أي من ضوء النهار الي ظل الليل فراراً من الضوء الذي لم يعرفوه الي الظل الذي يعرفوه خائفين متضرعين مجتمعين على الابتهال الي الله تعالى والتضرع له والخوف منه يطلبون منه الرضا ويلجئون اليه في أن لا يسخط عليهم ولم يكن في ظنهم الا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم فجتمعوا على التضرع والابتهال على الصفة السابقة مقدرين في كل لحظة وقوع ما خافوه .

فاذا زاد اليهم الضوء فروا عنه الي الظل ولم يزالوا على تلك الحالة والضوء ينسخ الظل وهم يفرون الي أن طافوا الأرض كلها ورجعوا الي الموضع الذي بدأوا منه فلما لم يروا شيئاً وقع حصل لهم الأمن ورجعوا الي مراكزهم في

الأرض والسماء ثم صاروا يجتمعون ليلة من كل عام فهذا هو سبب ليلة القدر . أهـ [1] .

فهل علمتم ما سر ليلة القدر يا مسلمون ....

٦ ـ طبال ومغفل من أهل الكشف

وبعض الناس قد يظنون أنه هذا الكشف لا يأتي إلا لأناس عقلاء من أهل التقوى والاتزان ولكن الصوفية يقررون غير ذلك فهذا أحمد بن مبارك يحكي عن شيخه الدباغ بأن الفتح جاء الى رجل وهو طبال :

يقول :«وأعرف رجلاً بالرملة من أرض الشام فتح الله عليه وهو بحالة يتضاحك الناس عليه ، كحالة الرجل المشهور بمدينة فاس (بمعيزو) [2] فبقى على حاله بعد الفتح ولم ينتقل عنها قلت : وكانت حالة المتقدم أن الصبيان وغيرهم من ضعفة العقول يتبعونه طول النهار يضحكون عليه ، وقال (رضي الله عنه) واعرف رجلاً آخر فتح الله عليه وكان قبل ذلك طبالاً فبقى على حالته قبل الفتح ولم ينتقل عنها ـ أهـ [3] أي ظل طبالاً كما هو وظل الفتح الصوفي ينزل عليه ولا عجب عند الصوفية في ذلك فالولاية عندهم ليست مسئلة كسبية ينالها المسلم بتقوى الله ومخافته ومحبته والسعي الي مرضاته . بل هي مسئلة يقولون ـ وهبية ـ تنال الشخص هبة له من الله وان لم يكن هناك من الأسباب والدواعي ما يستند عليها ففضل الله عندهم وحسب زعمهم لا حرج عليه فقد ريصيب الطبالين أو الزمارين ، وقد يكون الولي سكيراً أو زنديقاً ، أو طفلاً صغيراً ، أو مجذوباً شاهد الأنوار العلوية فضاع عقله ، أو متخلفاً عقلياً يتضاحك الصبيان منه ولكنه يكون ولياً ربانياً ويحدث الناس بأمور الغيب ، ويشاهد ويطالع الحضرة الالهية والرسولية ، والخضرية (نسبة الي

---

(١) الابريز ص ١٦٥ .

(٢) مدينة في المغرب .

(٣) الابريز ص ١٩٨ .

الخضر) وهكذا قلبوا كل موازين العلم ، وكل قوانين الشريعة ، فالولاية لا شك أنها منحة الهية وتفضيل وفضل رباني ولكنها لا تنال الا محلها ممن كان عنده الاستعداد لذلك ومن سعى لنيل درجات القرب من الله سبحانه وتعالى كما جاء في حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه :

«من عادى لي ولياً فقد آذنته بالمحاربة ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لاعطيته ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه (فجعل الله للولاية طريقاً وهو أداء الفرائض أولاً ثم الاكثار من النوافل حتى يصل المسلم الى مرحلة القرب من الله سبحانه وتعالى،فيحمي الله سمعه وبصره ويده ورجله ، ويجعل ذلك كله في طاعته ومحبته ومرضاته .

ولكن الولاية والفتح والكشف الصوفي بغير ذلك ينال كل هؤلاء ....

٧ ـ الوحي الصوفي لا ينزل اذا كان أحد المنكرين حاضراً :

ومما يدلك يقيناً على أن هذا الكشف الصوفي ما هو إلا القاء شيطاني ،هذه الحكاية التي يرويها أحمد بن مبارك أيضاً عن شيخه الدباغ وأنه كان اذا حضر رجل من أهل التوحيد والايمان الصحيح ممن لا يؤمنون بهذه الخرافات كان وحي الشيخ ينقطع ويعود جاهلاً كما كان لا يتكلم الكلمة .

(قال رضي الله عنه) وما مثلت الولي مع القاصدين إلا كحجر بني اسرائيل فاذا كان بين يدي أولياء الله تعالى انفجرت منه اثنتا عشرة عيناً واذا كان بين أعدائه تعالى لا تخرج منه ولا قطرة واحدة (قلت) وقد شاهدت هذا المعنى في الشيخ رضي الله عنه مراراً فاذا حضر بين يديه بعض من لا يعتقده لا تخرج منه ولا فائدة واحدة ولا يقدر على التكلم بشيء من العلوم اللدنية والمعارف الربانية حتى يقوم ذلك الشخص ويوصينا ويقول اذا حضر مثل هذا الرجل فلا تسألوني عن شيء حتى يقوم وكنا قبل الوصية جاهلين بهذا الأمر فنسأل الشيخ ونريد أن نستخرج منه النفائس والاسرار الربانية كي يسمعها الرجل

الحاضر فيتوب فاذا سألناه رضي الله عنه حينئذٍ وجدناهكأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا فكان العلوم التي تبدو منه لم تكن له على بال أبداً حتى ذكرنا له السبب ففهمنا السر والحمد لله رب العالمين . أهـ [1].

وليس ذلك بالطبع إلا لأن الشيطان يهرب اذا رأى من يؤمن بالله حقاً ، كما قال النبي ﷺ لعمر :« والله ما رآك الشيطان سالكاً فجاً الا سلك فجاً غير فجك» . وهؤلاء الصوفية لا يأتيهم في مكانهم موحدٌ الا انتهت أحوالهم واضمحلت أنوارهم المزعومة وانفض سامرهم الشيطاني .

تقديم مذهب أبي حنيفة على سائر مذاهب الفقهاء بطريق الكشف :

ولعل من أطرف ما تدخل فيه الكشف الصوفي أيضاً تفضيل مذهب فقهي على مدهب آخر كما فعل أحمد الفاروقي السرهندي النقشبندي الحنفي ، كما في النص الآتي الذي يفسر فيه أيضاً قول محمد بارسا أن المسيح عليه السلام اذا نزل يحكم بالمذهب الحنفي يقول

((ومثل أرواح الله[2] مثل الامام الأعظم الكوفي[3] فانه ببركة الورع والتقوى وبدولة متابعة السنة نال في الاجتهاد والاستنباط درجة عليا بحيث يعجز الآخرون عن فهمه ويزعمون مجتهداته بواسطة دقة المعاني مخالفة للكتاب والسنة ويظنونه أصحابه أصحاب الرأي كل ذلك لعدم الوصول الي حقيقة علمه ودرايته وعدم الاطلاع على فهمه وفراسته الا أن الامام الشافعي وجد نبذه من دقة فقاهته عليهما الرضوان حيث قال الناس كلهم عيال في الفقه لأبي حنيفة فويل لقاصري النظر على جراءتهم حيث ينسبون قصورهم إلى الغير[4]

---

(١) الابريز ص ١٦٩ .

(٢) يعني المسيح عليه السلام .

(٣) ابو حنيفة رحمه الله .

(٤) المنتخبات من المكتوبات لأحمد الفاروقي طبع استانبول . ص ١٤٩ ، ١٥٠

(شعر)

لو عابهم قاصر طعناً بهم صفها   برأت ساحتهم عن أفحش الكلم

هل يقطع الثعلب المحتال سلسلة   قيدت بها أسد الدنيا بأسرهم

ويمكن أن يكون ما قاله الخواجه محمد بارسا قدس عمره في الفصول الستة من أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام يعمل بعد النزول بمذهب الامام أبي حنيفة بواسطة هذه المناسبة التي له رضي الله عنه بحضرة روح الله عليه السلام يعني أن اجتهاد روح الله يكون موافقاً لاجتهاد الامام الأعظم لا أنه يقلد مذهبه فان شأنه عليه السلام أعلى وأجل من أن يقلد علماء الامة ونقول من غير شائبة تكلف وتعصب ان نورانية المذهب الحنفي ترى وتظهر في النظر الكشفي كالبحر العظيم وسائر المذاهب تظهر مثل الحياض والجداول أهـ منه بلفظه[1] .



(١) المصدر السابق . ص ١٥٠

الفصل العاشر
المعراج الصوفي

كثيرون من رجال التصوف ادعوا أنهم قد عرج بهم الي السموات العلى . فمنهم عبد الكريم الجيلى وقد ذكرنا بعضاً مما زعم مشاهدته في السموات وذلك في باب الكشف الصوفي وقد سبق الجيلى من زعم مثل هذا ، ويبدو أول من افترى ذلك هو أبو يزيد البسطامي الذي جعل لنفسه معراجاً كمعراج الرسول ﷺ وراح يحدثنا كيف أنه عرج بروحه الي السموات سماءاً سماءاً وان بغيته كانت في الفناء في الله ، او على حد قوله البقاء مع الله الى الأبد .

وهذه نفس الفكرة البرهمية الوثنية في الفناء في الذات الالهية حسب زعمهم .

ولكن البسطامي أول من افترى له أو عليه ذلك يدعي انه عرج به الي السماء السابعة فالكرسي ، فالعرش ، وان الله قال له : الي الي واجلسه على بساط قدسه وقال له : (يا صفي ادن مني واشرف على مشارف بهائي ، وميادين ضيائي واجلس على بساط قدسى........الخ ، وهذا هو نص المعراج الكاذب المنسوب الي أبي يزيد البسطامي .

في رؤيا ابي يزيد : في القصد الي الله تعالى وبيان قصته :

قال أبو القاسم العارف ، رضي الله عنه : اعلموا معاشر القاصدين الي الله سبحانه وتعالى ان لأبي يزيد حالات ومقامات لا تحتملها قلوب اهل الغفلة وعامة الناس ، وله مع الله أسرار لو اطلع عليها اهل الغرة لبهتوا فيها ، واني نظرت في كتاب فيه مناقب أبي يزيد ، فاذا فيه اشياء من حالاته وأوقاته وكلامه ، ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، فكل من أراد أن يعرف كماله

ومنزلته فلينظر الي نومه ورؤيـاه التي هي أصح في المعنى ، وأقرب في التحقيق من يقظة غيره ، فهذا ما حكي ان خادم أبي يزيد رضي الله عنه قال : سمعت أبا يزيـد البسطـامي رضي الله عنـه يقول : اني رأيت في المنـام ، كأني عرجت الي السموات قاصداً الي الله ، طالباً مواصلة الله سبحـانـه وتعـالى ، على أن أقيم معه الي الأبد ، فامتحنت بـامتحـان لا تقوم لـه السموات والأرض ومن فيهما ؛ لأنه بسط لي بساط العطايا نوعاً بعـد نوع ، وعرض علي ملـك كل سماء ، ففي ذلك كنت أغض بصري عنها ، لما علمت أنه بها يجربني ، فكنت لا التفت اليها اجلالاً لحرمة ربي ، وكنت أقول في ذلك : يـا عزيزي مرادي غير مـا تعرض علي ، قال فقلت له : رحمك الله صف لي ممـا عرض عليـك من ملـك كل سماء قال : رأيت في المنـام كأني عرجت الي السموات ، فلمـا أتيت الي السماء الـدنيـا فاذ أنا بطير أخضر ، فنشر جناحاً من أجنحتـه ، فحملني عليـه وطـار بي حتى انتهى بي انتهائي الي صفوف الملائكة ، وهم قيـام متحرقـة أقـدامهم في النجوم يسبحون الله بكرة وعشيـاً ، فسلمت عليهم ، فردوا علي السلام ، فوضعني الطير بينهم ثم مضى فلم أزل اسبح الله تعـالى بينهم ، واحمـد الله تعـالى بلسـانهم وهم يقولون : هذا آدمي لا نوري اذ لجأ الينا وتكلم معنا ، قال : فالهمت كلمات ، وقلت : باسم الله القادر على أن يغنيني عنكم ، ثم لم يزل يعرض علي من الملـك ما كلت الألسن من نعتـه وصفتـه ، فعلمت أن ربهـا يجربني ، ففي ذلـك كنت أقول : مرادي غير ما تعرض علي ، فلم ألتفت اليهـا اجلالاً لحرمتـه ، ثم رأيت : كأني عرجت الي السماء الثانيـة فـاذا جـاءني فوج فوج من الملائكـة ينظرون الي كما ينظر أهـل المـدينـة الي أمير يـدخلهـا ، ثم جـاءني رأس المـلائكـة اسمـه لاويـد[1] وقـال : يـا أبـا يزيـد ، ان ربـك يقرئـك السلام ، ويقول : احببتني فـاحببتـك ،. فـانتهى بي الي روضـة خضرة فيهـا نهر ، يجري حولهـا مـلائكـة طيـارة ، يطيرون كل يـوم الي الأرض مـائـة الف مرة ، ينظرون الي أوليـاء الله ، وجوههم كضيـاء الشمس ، وقـد عرفوني معرفـة الأرض ، أي في الأرض ،

(١) اسم فارسي جعله اسماً من اسماء الملائكة .

فجاؤني وحيوني ، وانزلوني على شط ذلك النهر ، واذا على حافتيه أشجار من نور ، ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء ، واذا على كل غصن منها وكر طير ، أي من الملائكة ، واذا في كل وكر ملك ساجد ، ففي كل ذلك أقول : يـــــــا عـــــزيـــــزي مرادي غير مــــــا تعرض علي ، كن لي يا عزيزي جاراً من جميع المستجيرين ، وجليساً من المجالسين ، ثم هاج من سري شيئ من عطش نارياق ، حتى أن الملائكة مع هذه الأشجار[1] صارت كالبعوضة في جنب همتي ، وكلهم ينظرون الي متعجبين مدهوشين من عظم ما يرون مني .

ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني ، فلم ألتفت اليه اجلالاً لحرمة ربي ، وكنت أقول : يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي ، فلما علم الله تعالى مني صدق الارادة في القصد اليه ، وتجردي عما سواه ، فاذا أنا بملك قد مدّ يده فجذبني ، ثم رأيت كأني عرجت الي السماء الثالثة ، فاذا جميع ملائكة الله تعالى بصفاتهم ونعوتهم قد جاءوني ويسلمون علي ، فاذا ملك منهم له أربعة أوجه : وجه يلي السماء ، وهو يبكي لا تسكن دموعه أصلاً ، ووجه يلي الأرض ينادي : يا عباد الله اعلموا يوم الفراغ[1] يوم الأخذ والحساب ، ووجه يلي يمينه الي الملائكة يسبح بلسانه ، ووجه يلي يساره يبعث جنوده في أقطار السموات يسبحون الله تعالى فيها ، فسلمت عليه ، فرد علي السلام ، ثم قال : من أنت ؟ اذ فضلت علينا ، فقلت : عبد قد من الله تعالى عليه من فضله ، قال : تريد أن تنظر الي عجائب الله ؟ قلت : بلى ، فنشر جناحاً من أجنحته ، فاذا على كل ريشه من ريشه قنديل اظلم ضياء الشمس من ضيئها ، ثم قال : تعال يا أبا يزيد ، واستظل في ظل جناحي ، حتى نسبح الله تعالى ونهلله الي الموت ، فقلت له : الله قادر على أن يغنيني عنك ، ثم هاج من سري نور من ضياء معرفتي اظلم ضوئها : أي ضوء القناديل من ضوئي ، فصار الملك كالبعوضة في جنب كالي ،

---

(١) لعلها «الفزع»

ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي ذلك علمت أنه بها يجربني ، فلم ألتفت الي ذلك اجلالاً لحرمته ، وكنت أقول في كل ذلك : يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي ، فلما علم الله تعالى مني صدق الارادة في القصد اليه ، فاذا أنا بملك مد يده فرفعني ثم رأيت : كأني عرجت الي السماء الرابعة ، فاذا جميع الملائكة بصفاتهم وهيئاتهم ونعوتهم قد جاؤوني و يسلمون علي ، وينظرون الي كما ينظر أهـــــــل البلـــــــــد الي أميرهم في وقت الدخول ، يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل من عظم ما يرون من انقطاعي اليه ، وقلة التفاتي اليهم ، ثم استقبلني ملك يقال له : نيائيل ، فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شاطئ بحر عجاج ، لا ترئ أوائله ولا أواخره ، فالهمت تسبيحه وانطلقت بلسانه ، ولم ألتفت اليه ، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني ، فلم التفت اليه اجلالاً لحرمته ، وكنت أقول يا عزيزي ، مرادي غير ما تعرض علي : فلما علم الله تعالى مني صدق الانفراد به في القصد اليه ، فاذا أنا بملك مد يده فرفعني اليه ثم رأيت كأني عرجت الي السماء الخامسة ، فاذا أنا بملائكة قيام في السماء رؤوسهم في عنان السماء السادسة يقطر منهم نور تبرق منه السموات ، فسلموا كلهم علي بأنواع اللغات ، فرددت عليهم السلام بكل لغة سلموا علي ، فتعجبوا من ذلك ، ثم قالوا : يا أبا يزيد : تعال حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد ، فلم التفت اليهم من اجلال ربي ، فعند ذلك هاج من سري عيون من الشوق ، فصار نور الملائكة فيما التمع مني كسراج يوضع في الشمس ، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني ، وكنت أقول يا عزيزي ، مرادي غير ما تعرض علي ، فلما علم الله تعالى مني صدق الارادة في القصد اليه فاذا أنا بملك مد يده فرفعني اليه ، ثم رأيت كأني عرجت الي السماء السادسة ، فاذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءوني يسلمون علي ويتفخرون بشوقهم الي ، فافتخرت عليهم بشيء من طيران سري ، ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني ، فلم ألتفت اليه ، وكنت

أقول : يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي .

فلما علم الله تعالى مني صدق الارادة في القصد اليه ، فاذا أنا بملك مد يده فرفعني ، ثم رأيت كأني عرجت الي السماء السابعة ، فاذا بمائة الف صف من الملائكة استقبلني ، كل صف مثل الثقلين الف الف مرة ، مع كل ملك لواء من نور ، تحت كل لواء ألف الف ملك ، طول كل ملك مسيرة خمسمائة عام ، وكل على مقدمتهم ملك اسمه بريائيل ، فسلموا علي بلسانهم ولغتهم ، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك ، فاذا مناد ينادي : يا أبا يزيد : قف قف ، فانك قد وصلت الي المنتهى ، فلم التفت الي قوله ثم لم يزل يعرض علي من الملك ما كلت الألسن عن نعته ، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني ، وكنت أقول : يا عزيزي مرادي غير ما تعرض علي ، فلما علم الله تعالى مني صدق الارادة في مقصدي اليه صيرني طيراً ، كأن كل ريشة من جناحي أبعد من الشرق الي الغرب الف الف مرة ، فلم أزل أطير في الملكوت ، واجول في الجبروت ، واقطع مملكة بعد مملكة ، وحجباً بعد حجب ، وميداناً بعد ميدان ، وبحاراً بعد بحار ، واستاراً بعد استار ، حتى اذا أنا بملك المرسى استقبلني ، ومعه عمود من نور ، فسلم علي ثم قال : خذ هذا العمود ، فاخذته فاذا السموات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي ، واستضاء بضياء شوقي ، والملائكة كلهم صارت كالبعوضة عند كمال همتي في القصد اليه ، ففي كل ذلك علمت انه بها يجربني ، فلم التفت اليها اجلالاً لحرمة ربي الله تعالى .

ثم لم أزل أطير وأجول مملكة بعد مملكة ، وحجباً بعد حجب ، وميداناً بعد ميدان ، وبحاراً بعد بحار ، واستاراً بعد استار ، حتى انتهيت الي الكرسي ، فاذا قد استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السموات ، يبرق من كل عين نور تلمع منه ، فتصير تلك الأنوار قناديل ، اسمع من جوف كل قنديل تسبيحاً وتهليلاً ، ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت الي بحر من نور تتلاطم أمواجه يظلم في جنبه ضياء الشمس ، فاذا على البحر سفن من نور ، يظلم في جنب نورها انوار تلك الأبحر ، فلم أزل أعبر بحاراً بعد بحار حتى انتهيت الي البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن ، فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما من العرش

الا الثرى من الملائكة الكروبيين وحملة العرش ، وغيرهم ممن خلق الله سبحانه وتعالى في السموات والأرض ، اصغر من حيث طيران سري في القصد اليه ، من خردلة بين السماء والأرض ، ثم لم يزل يعرض علي من لطائف بر وكمال قدرته وعظم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته ، ففي كل ذلك كنت أقول : يا عزيزي مرادي في غير ما تعرض لي ،فلم التفت اليها اجلالاً لحرمته فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الارادة في القصد اليه فنادى : الي الي ، وقال : يا صفي ادن مني ، واشرف على مشرفات بهائي ، وميادين ضيائي ، واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي في آنائي ، انت صفيي وحبيبي ، وخيرتي من خلقي ، فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص ، ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الانس ، ثم صيرني الي حال لم أقدر على وصفه ، ثم قربني منه ، وقربني حتى صرت اقرب منه من الروح الي الجسد ، ثم استقبلني روح كل نبي ، ويسلمون علي ويعظمون أمري ويكلمونني وأكلمهم ، ثم استقبلني روح محمد ﷺ ، ثم سلم على ، فقال : يا أبا يزيد : مرحباً واهلاً وسهلاً ، فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلاً ، اذا رجعت الي الأرض اقرأ لامتي مني السلام ، وانصحهم ما استطعت ، وادعهم الي الله عز وجل ، ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين ، وبقى الحق بلا كون ولا بين ولا أين ولا حيث ولا كيف ، جل جلاله وتقدست أسماؤه .

قال أبو القاسم العارف رضي الله عنه : معاشر أخواني عرضت هذه الرؤيا على أجلاء أهل المعرفة فكلهم يصدقونها ولا ينكرونها ، بل يستقبلونها عند مراتب أهل الانفراد في القصد اليه، ثم يحتجون بقول النبي ﷺ انه قال « ان العبد لا يزال من الله والله منه ما لم يجزع فاذا جزع وجب عليه العتاب والحساب» وروي أيضاً عنه ﷺ «ان من العلم كهيئة المخزون لا يعرفه الا اهل العلم بالله ولا ينكره الا اهل الغرة بالله أهـ منه بلفظه[1]

---

(١) ملحق رقم (٢) لكتاب المعراج منقول من مخطوطة حيدر آباد بعنوان القصد الى الله .

معراج اسماعيل بن عبد الله السوداني :

ذكرنا في باب الكشف الصوفي ما افتراه عبد الكريم الجيلي في كتابه الانسان الكامل فيما زعمه أنه عرج به الي السموات السبع ورأى هنالك الملائكة والانبياء وكلمهم واستفاد منهم فوائد ، وافادهم كذلك فوائد فيما زعمه ، وقد نقلنا في ذلك الباب نقولاً مستفيضة مما كذبه ، وقد جاء من نسج على منوال الجيلي تماماً وكتب كتاباً يكاد أن يكون نسخة منه وهو اسماعيل بن عبد الله السوداني والذي ألفه سنه ١٢٦١ هـ أي منذ مائة وسبع وثلاثين سنة تقريباً وسماه (مشارق شمس الأنوار ومقارب حسها في معنى العلوم والأسرار) .

وقد سلك اسماعيل بن عبد الله السوداني هذا نفس مسلك الجيلي حيث زعم أنه عرج به الي السماء سماء سماء والعجيب أنه جعل هذه السموات هي الكواكب السبعة التي كانت معروفة في ذلك الوقت (القمر ، والزهرة ، والمشتري ، والمريخ ، وعطارد ، وزحل) .

والتي كان يظن قديماً أنها هي السموات السبع فجعل لكل سماء من هذه (روحانية) كما يعتقده الصابئة عبدة النجوم ، وشوه معراج الرسول ﷺ فنقل منه أسماء الأنبياء والرسل الذين التقى بهم الرسول في معراجه ، فزعم اسماعيل هذا أنه التقى بهم أيضاً وأفادوه وباركوه واحتفلوا بمجيئه اليهم ، وأنه شاهد بعد ذلك العرش والكرسي وسدرةالمنتهى ، والملائكة الذين لم يسجدوا لآدم تماماً كما زعم الجيلي من قبله مكذباً بذلك القرآن حيث يقول سبحانه وتعالى **﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾** ويبدو أنه لم يقرأ هذه الآية قط واكتفى بقراءة كتاب الجيلي ونقل منه مشاهداته وزعمها لنفسه وجعلها كشفاً خاصاً به هو .....

وهذا هو شأن مشايخ التصوف ينقل بعضهم عن بعض نفس الدعاوي التي يدعيها من قبله فاذا قال أحدهم أنا خاتم الأولياء قال من بعده بل أنا خاتم الأولياء ، واذا قال أحدهم رفعني الله واجلسني عنده واعطاني وقربني جاء من يدعي هذه الدعاوي ويزيد على ذلك وهكذا . وهأنذا أنقل فقرات من هذه

الأكاذيب المفتراة التي افتراها اسماعيل بن عبد الله السوداني : قال :

المغرب السابع

في عين العروج الي السماء السادسة

اعلم ايها الابن البار المبرور والمهدي الي طريق الملك الغفور ان العبد اذا طرح جميع الأكوان العارضة له في السماء الخامسة في حالة عروجه الي حضرة الرحمن فان الرب الكريم يصلح له السريرة ويحد له عين البصيرة فيعرج منها الي السماء السادسة فيجد البواب فيسلم عليه فيرد عليه السلام ويرحب به ، ويفتح له الباب .

فافهم يا ابني فانه يدخل فينظر ما فيها من الغرائب ويتعجب من تلك العجائب فان هذه السماء فيها من الكواكب المشتري ولونها في غاية السواد قد يرى وهو جوهر شفاف من بديع الصنائع على الاستوى من غير اختلاف ، ودورها أوسع يزيد على دور سماء المريخ بألفين عام ومائتين سنة وثلاثة سنين وأربعة أشهر ، وفيها نبي الله موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

نفائس حقية من علوم ذوقية :

فنقول بحسب كشفنا ، فان العبد الراقي الي تلك المراقي فاذا وصل الي هذه السماء يرى نفسه مغيباً في أنوار القدس موشحة بأنوار الهيبة والانس حوله جملاً من ملائكة الرحمن ناطقاً بغميض الاسرار والعلوم معهم في حالة عروجه الي حضرة الملك الديان .

فيرى ملائكة هذه السماء متنوعة من عدة اصناف ، فيهم ملائكة الرحمة الألطاف ، يدرون ملائكة هذه السماء في هذه الأرض لرفع الوضيع وزيادة الرفيع ، منهم وكله الله تعالى بايصال الي الرزق الي المرزوق ،ووكل غيرهم بما اقتضته الحكمة بين الخالق والمخلوق ....

وقد اجتمعت بالملك الحاكم عليهم وهو روحانية المشتري[1] ، رأيته جالساً على منبر من نور الحكمة ملتحفاً بثوب أصفر من أنوار الهمة ، وهم مطيعون له في

---

(١) كوكب معروف

سره وجهره وممثلون له في جميع نهيه وأمره لا يفعل منهم أحد شيئاً إلا باذنه ولا يتقدم الا بأمره لتنفيذ ما وكل به من شأنه ،

فسألته عن عدة علوم فأجابني برمز مكتوم ففهمته منه بواسطة مظهر اسم الله القيوم ، بفهم لا من حيث مطلق المفهوم فوثبت قائماً وسرت منه بفضل الله تعالى عالماً ، فاجتمعت من بعده بنبي الله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته فانياً في الشهود والمكالمات غالباً في أنوار المشاهدات جالساً على كرسي من أنوار الوقار ولونه أصفر مخلوط عليه خطوط مرموزة جامعة لما حواه من الفخار من حضرة الأسرار متأدباً مع استهلاكه مع شهود مولاه ، مناجياً له ومستغرقاً في فناه ، تجلي الآنية في حضرة اظهار مظاهر الحق في حقيقة سره ، انني أنا الله ، فقد عرفته بعدما عرفني فسلمت عليه ورد علي السلام وقربني وانتصب لي قائماً واهل بي حيث جئته حافظاً ملازمة أدبي ، فسألته سؤال من دخل حضرة الأدب وعرف سر البسط والغضب .

فقلت له : يا سيدي بحق من نبأك وزكاك واورثك هذا المقام وتولاك بأن تجود علي باجابة مقالي وافادتي في سؤالي ، فان رسولنا الصادق الكريم بلغنا ما قصه له ربه في الكتاب الحكيم بأنك طلبت رؤية مولاك حيث قلت له : أرني أنظر اليك . فاتاك منه الخطاب حيث قال : لن تراني ، فما معنى طلبك له ومجيئ هذا الخطاب اليك فاستفدنا عدم حصول الرؤية لك في حالة مجيئ الخطاب فشتان ما بين حالتك هذه وحالة أهل الحجاب ، فكيف هذا السر ، وباطن هذا الأمر ؟

فقال لي : يا عبد الله ان السر غريب والأمر عجيب ، فافهم أرشدك مولاك وأورثك أسرار علومه وتولاك ، فان ربي حين أمرني بعبادته بمطلق العبودية وعرفني سر طهور أسرار مظاهره في عموم الآنية حين أبصرت نار سر دلالتي ورجوت اتياني لأهلي بشعلة منها كي يصدقوني بها في مقالتي أو أجد عليها هدى من ضلالتي ، فنوديت بعد اتياني بها من جانب طور قلبي بما اقتضت الحكمة من ربي ، يا موسى اني أنا ربك الصادر أمري لك ، فاخلع نعليك الكائنتين في عضويك بان لا تشرك بعبادتي أحداً ولا يدخلك ريب فيا آمرك به أبداً

انك بالواد الذي هو فضاء سر الظهور الظاهر من ربك الي قلبك من جانب الطور المقدس عن حلول الأغيار فيه ، المطهر لك حيث اقتضت الحكمة بانك في هذا الوادي المسمي بطوى توافيه ، وأنا اخترتك حيث امرتك فاستمع لما يوحى من الايحا ، فلما حققت هذا المقال من حضرة القرب على لسان الحال استعددت الي تنزله في داخل قلبي وفنيت نفسي في الاستماع لما يوحى الي من حضرة ربي ، جاءني منه الأمر بالاستفراغ لعبادته حيث قال لي : ﴿انني أنا الله لا اله إلا أنا فاعبدني .﴾ فقبلت ذلك وعبدته كما أمرني ، فلما صدق الاخلاص مني وحسن في الله ظني أردت بقاء نفسي في مقام لقاه وايقنت بان لا اله معبود بحق سواه .

فقلت : ربي أرني أنظر اليك . فما طلبت سوى تجلي الذات للذات ، وذلك من أسرار الكبريائية من التجليات ، فلما علم الله استحالة بقاء القديم في الحادث وما ثم غيري في هذا المقام محادث .

قال لي : لن تراني في الحال بحيث ابقى فيك ، لأني قديم وأنت حادث ولكن أنظر الي الجبل المستقر حولك اذ تنكشف لك حقيقة ذلك ، فان استقر مكانه بعد ظهور سلطاني له فسوف تراني ، فلما تجلي ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً ، أي فلما ظهر سلطان القديم للجبل ساخ في الأرض حيث نزل وقد حصل لموسى ما حصل من الصعق والوجل . وفي هذا المقام سر لطيف وتعلمت من موسى عليه السلام مائة ألف علم من العلوم التي تجول في الأفكار تعذر النطق بها .

ثم تعلمت منه في هذا المشهد علوماً لم يسعني الوقت أن أفشيها فيه ، وما أظن احدا من الأولياء المتقدمين تكلم على حقيقة هذا المشهد على ما هو عليه ابداً الي وقتنا هذا ، وان تكلم البعض عليه فذلك في شيء منه فلا يستطيع أحد منهم أن يستوفيه لشدة ما رأيته من عظمة حقيقته ورقة دقيقته ، وقد اجتمعت برجال من الأولياء الأكابر حين تقييدي لهذا المحل فوجدته له معرفة تامة في بعض المظاهر من هذا المشهد وقدمه موسوى متحقق باحدى وخمسين اسماً من أسماء الله الحسنى وله تعبير لطيف وبحث ظريف فسألته عن مقامه

والذي حازه من علوم هذا المقام ، فأخبرني بدقائق من علومه فحققت أن له حظاً وافراً وأخبرني أنه لما وصل من هذا المقام الي هذا المحل وجدنا سيدنا موسى عليه السلام .
وسأله فبحث له فيه فاستفاد بواسطته خمسة آلاف علماً وفي كل علم أسرار لا تحصى فلما سألني عن علومي في هذا المشهد وبحثت له في ذروته من دقائق العلوم والأسرار والمظاهر والأنوار غاب عن نفسه غيبة عظيمة حتى خفت عليه من أن يذوب ، فلما صحا تعجبت من ثباتي مع شدة التمكين فحمدت على ذلك الملك المعين ، فلما حققت زيادتي عليه وتمكني في المشاهد بالذي ظهر مني اليه طلبني اسماً من المخفيات لاجل التبرك فأعطيته ذلك الاسم بأنواره وعلوم حضراته واسراره فانتفع به[1] انتهى منه بلفظه .

ويستطرد اسماعيل بن عبد الله السوداني مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء السابعة فيقول :

فنقول بحسب كشفنا ، قد اجتمعت فيها [2]بجملة من الملائكة فعرفتهم وعرفوني وسألتهم عن علوم لا تحصى ، ورأيت فيها كوكباً له توقد من شدة عظمته ولكنه خفي عن أعين الناظرين ، لأن معرفته لم تحصل لأحد سوى الكاملين من العارفين أهل الفتح ولم يظفر به إلا أرباب المعارف الراقين ذروة السطح ومن ثم فعلت كيفية حلول زحل في فلكه ، وعلم كيفية سيره فيه ، وعلم السر الذي وضعه الله فيه وغير ذلك .
واجتمعت في هذه السماء بني الله سيدنا ابراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فوجدته جالساً على منبر من نور أحمر متكئ على نمارق من نور أخضر لائحة على وجهه أنوار المعارف والكمال متوجهاً بتاج أسرار النبوة والاجلال بيده قضيب من سر علوم الكنوز معتقلاً سيف فتق طلاسم الرموز مسنداً ظهره الي البيت المعمور مشاهداً ما هو له من

---

(١) كتاب مشارق شموس الأنوار ص ١٢٨ ، ١٣١ .
(٢) أي في السماء السابعة .

حضرة الغفور ، فلما وصلت اليه وسلمت عليه ، رد علي السلام وأكرمني بالقيام اكراماً لنبينا اشرف الأنام فعرفني ورحب بي وبشرني ببلوغ مطلبي ...انتهى منه بلفظه[1] .

ويستطرد اسماعيل هذا في بيان مشاهداته في السماء السابعة والدعوة الي طريقته الخاصة قائلاً :

((وفي باطن هذا سر لا أطيق ذكره في هذا الكتاب وفي هذا المشهد سر لطيف ومقام طريف ما تكلم عليه أحد من الأولياء المتقدمين الي وقتنا هذا ،

وان أردت التكلم على بعض منه في حين تقييدي لهذا المحل اجتمعت بسيدنا ابراهيم عليه السلام فأشار الي بتركه وبشرني بمقام كبير ابلغه وأنال به في الآخرة مما لا يعطي لغير المقربين من الكاملين المحبوبين فانعم به أنا ومن معي من أولادي واخواني واصحابي المجدين في طريقتي)) أهـ[1] .

ويستطرد اسماعيل هذا في بيان مشاهداته المزعومة فيزعم رؤية سدرة المنتهى والعرش والكرسي فيقول :

((فنقول بحسب كشفنا ان العبد الراقي الي مقام هذه السدرة يراها عظيمة جداً وبها (نويراً خارقاً) ممتداً فيعلم السر الذي وضعه الله سبحانه وتعالى فيها وعلم السبب الذي ينتهي اليها الصاعد والهابط ، ويعلم مقام الملائكة الكروبين منها ومنازلهم وكيفية حالتهم ، فهم على أنواع مضعفة ، وحالات مختلفة ، فمنهم مدهوش في هويته ، ومنهم مستغرق في آنيته ، ومنهم واقع على جنبه ، ومنهم واقع على وجهه ، ومنهم جاث على ركبتيه قد غمروا في أنوار المشاهدات وانفنوا في انطباق تكرر التجليات فلا يستطيع أحد منهم حركة لعدم شعورهم وشدة استغراقهم فيما هم فيه ، فهم عالون في الملائكة فما أمروا بالسجود لادم عليه السلام ولا سجدوا له قط ،وقد اجتمعت بالملك الحاكم عليهم وهو مقدمهم الذي يأتي منه الأمر ، والنهي اليهم وينظره من المتقدمين على

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٥ .

غيرهم اعمدة النور لأجل تأديب الدون منهم وغيرهم من الآدميين ، فسألته عن السر الذي سرى في ذوات هؤلاء الملائكة حتى لازمتهم تلك الحالة ، فافادني باحسن مقال ، ثم سألته عن دقائق العلوم ومن خفي السر المكتوم فأفادني بحول الله وقوته فيها وفي بعض أمور مما هي من المستور ، وقد حزت في هذا المشهد علوماً لم أطق ابداءها ولم استطع إفشاءها ،

ثم نرجع الي ما كنا في سبيله فنقول : ان من هنا يرقى العبد الي فلك الكرسي الي كرسي جبريل عليه السلام ، فمن ذلك يعلم حقيقة كل ستر كان وموجبه وسر حقيقته ، فيرى عن ذلك أنهاراً جارية فيغترف من أكبرها وينال الشرب من أشهرها ، فيحصل له بذلك التحقق بما يحويه من الأسرار التي لا تحصى والعلوم التي لا تستقصى ثم يرقى الي الفلك المحيط الذي هو العرش .

وهو أول الأفلاك واعظم السماك ، فمن ثم يتضح له مظهر الاسم الرحمن ، فهنالك يعلم ما شاء الله تعالى من مناسبة مصاحبة بعض الملائكة والأنبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم ، فحينئذ ينظر حملة العرش ، ويتعلم من علم السر الذي يحملونه به م وكيفية صورهم الباقين بها ، وقبل هذا يعرف مظاهراً كثيرة ، منها ما يتعلق بالاجسام المتغذية ، ومنها ما يتعلق بالأرواح ، وفي هذا المقام أشياء لا يصح ابداؤها ولا سبيل للتكلم الي مجاوزة ما فوق ذلك مخافة ان يدعيها أهل الدعاوي المحجوبون الذين لم يصلوا اليها ، فالسكوت عنها أولى والتلذذ بمطالعة مشاهدة تجليات صانعها أحلا ، والله على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل ، انتهى منه بلفظه[(١)] .

وبعد كل هذه السخافات والخرافات التي يسرقها اسماعيل بن عبد الله السوداني من عبد الكريم الجيلى وينقلها أحياناً بالنص وخاصة في ألوان

كل سماء وأن كلا منها كوكب من الكواكب المشهورة يعود فيذكر مشاهداته المزعومة أيضاً في الأرضين السبع ... الي أسفل سافلين تماماً كما فعل عبد الكريم الجيلى ،

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٠ ، ١٤١ .

فيزعم اسماعيل هذا أيضاً أنه طاف بالطبقة الأولى من الأرض وهي أرض في زعمه ناصعة البياض لم يعص فيها الله قط ، وأن الفجر يطلع بعد الغروب بمقدار يسير جداً وذلك على حد زعمه في زمن الشتاء

قلت من يعلم جغرافية الأرض يعلم أن هذا وصف للقطب الشمالي وبياض الأرض هو الثلج الذي يغطيها ، وكون الليل يكون نحو ساعة واحدة نعم ولكن هذا لا يحصل في الشتاء كما زعم اسماعيل هذا ولكنه يحدث في الصيف حيث يصبح الليل ساعة والعكس تماماً في الصيف حتى لا يكون بقاء الشمس الا نحو ساعة أو أقل أحياناً في بعض مناطق القطب ، .... ولكن هذه المعارف الجغرافية العادية التقطها هؤلاء الشيوخ وجعلوها كشفاً صوفياً لا يتأتى الا بالمجاهدة المزعومة وبانكشاف حجب القلب ، وليتهم اذ نقلوها أيضاً نقلوها صحيحة بل لم يستطعوا أن يميزوا بين ما عليه هذه المناطق في الصيف والشتاء .

ثم يذكر اسماعيل هذا أن الأرض الثانية مسكونة بالجن وان ليلهم نهارنا ونهارنا ليل عندهم . وهذا خلط بين معارف الجغرافية وبين أغاليط صوفية .

وأما الطبقة الثالثة من الأرض فيزعم أنها مسكونة بالجن كذلك[1] وينتقل هذا الشيخ الصوفي هكذا بين الأرضين المزعومة أرضاً أرضاً يطلعنا على مشاهدته وتخريفاته فيقول مثلاً ففي الأرض السادسة :

فنقول بحسب كشفنا ان هذه الطبقة مسكونة بالمردة من الشياطين وهم أقوى حالاً من العفاريت وكل منهم مسلط على انسان للعداوة السابقة ، فكثير يدخلون في حوزهم فلا ترى منهم متحركاً ولا ساكناً الا وقد قيده حكمهم بما اقتضته الحكمة الالهية بمثابة تقلباتهم ودخولهم على الخلق بالأنواع المختلفة بحسب أجناسهم ، فمنهم من يظهر للآدميين في الخواطر ، ومنهم من يظهر لهم في عالم المثال لسوقهم الي غاية الخذلان والضلال الي غير ذلك مما لا يدركه على الحقيقة الا الأولياء أهل الكمال وقد يتكلمون بحسب ما يؤذن لهم فيه من هذه

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٣ .

الأبواب والمقامات من العوالم العلويات والسفليات والله على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل .[1] انتهى .

ويستطرد أيضاً فيذكر مشاهداته في الأرض السابعة فيقول :

نقول بحسب كشفنا ، ان هذه الطبقة مسكونة بالحيات والعقارب وهي التي وردت بها الأخبار من أنهاكأمثال الجبال وأعناق البخت وغير ذلك ، فان العبد العارف حين يدخل هذه الطبقة يدخله هم شديد مخافة أن يرى مقاماً في النار لبعض أصحابه ومريديه ، فحينئذ يتطلع على جميع المقامات فاذا وجد مقاماً في النار لبعض مريديه أو بعض أصحابه سعى في هتكه بالتضرع الي الله تعالى الي أن يبدله الله سبحانه وتعالى (له) مقاماً في الجنة .

كما أنه اذا وقف على الفلك الكوكب المسكون بطائفة من الذين هم معدودون في نعم الجنة يتطلع على مقامات الجنات ، فاذا رأى مقاماً من مقامات بعض أصحابه سعى في رفعته وزيادته ، وهذا كله يكون كرامة في حق الولي العارف وشرفاً للواسطة الكبرى والوصلة الفخري عين حقائق السعود وجنة نعيم التجليات والشهود سيدنا ومولانا محمد الاسعد عليه أفضل الصلاة والسلام من البر الأوحد لان بشرفه على أمثاله شرف أمته على سائر الأمم **فان الولي من أمة محمد ﷺ يطوف على جميع العوالم العلويات والسفليات ويطلع على مكنون غيب السبع سموات والسبع طبقات ويعلم منازل أهل الجنة ومنازل أهل النار ، وعلم ما كان وما يكون وما هو كائن وغير ذلك ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ، فانه يعلمهم قدر ما تقتضيه حكمته وتعمهم به رحمته بالوهب والتفضيل ، والله على ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل ،. انتهى منه بلفظه**[2] .

ولا يكتفي أيضاً بكل هذا الافك والتخريف بل يذهب ليطلعنا ايضاً على كشفه المزعوم في بحار العالم ، فيقول :ـ

---

(١) انظر ص ١٤٨

(٢) المصدر السابق ص ١٥٣

« وقد اجتمعت مرة في بقعة من ساحل البحر المحيط الذي هو من وراء جبل قاف برجل من النقبا اصفر اللون مربوع القامة كثيف اللحية صبيح الوجه ، فوجدته فانياً في التجليات ، غائباً في أنوار المشاهدات وقدمه على قدم سيدنا يعقوب عليه السلام ، ووِرده القائم به آخر سورة الحشر ، ﴿وهو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ....الخ﴾السورة .
وهو مسقي بثلاثة عشر اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى ، ولكنه متحير في مقامه ، ويطلب التخلص منه فما وجد له سبيلاً ، فسلمت عليه ، فاذا هو في غاية الاستغراق شاخصاً ببصره الي الطباق ، فانه يشير الي البحر الذي هو بساحله ففهمت منه أنه يشتكي الي بصعوبة تخليصه من هذا المقام ، كأنه يقول أن خلاصه منه أصعب حالاً من شراب ماء هذا البحر ، لأنه هو البحر الأخضر ، ماؤه مر لا يستطيع أحد الشراب منه ، لأن الذي يشرب منه يهلك حالاً من شدة مرارته ، فوجدت بيد الرجل رمانة مغلوقة واكلت معه منها ،
فلما عرفته بوسمه وخاطبته باسمه قلت له ما المقصود ؟
قال :مشاهدة الملك المعبود .
فلما عرفني فهمت لغزه وادركت رمزه ، وتحقق اني مفيده فيما يريده أخذ يطلبني من غير انفكاك عني وصحبني الي محل بعيد ، فأخذت له في المقال واطلقت له لسان الحال الي أن شاهدنا الكنوز المستورة تحت قباب الرموز من البحر الأسود الذي انتهى اليه المورد ، فان هذا البحر رسمه معدوم وظاهره مكتوم فلا أستطيع فيه التعبير ولم أتعرض الي البيان فيه والتفسير فمن ثم أخذ مني بعض أذكار مصاحبة أنوار وانصرف بسبيله الي مشاهدة دليله ، وفي حين تقييدي لهذا المحل اجتمعت معه فوجدته في حال عظيم ومقام فخيم فأخبرني انه حصلت له مني مفاتحات عظيمة وامدادات كريمة حين أكلت معه في تلك الرمانة ، فحكى لي شيئاً من حاله ، ووجدته سقى بخمسة وثلاثين اسماً من اسمائه تعالى ، وصار في زيادة بابتهاج طريقه الأعلى . وقد اجتمعت في ساحل البحر الأحمر برجال من أرباب الأحوال لم يزالوا في دلالة المخلوقين الي طريق معرفة رب العالمين فاذا أمعن ناظرهم فكرة يحقق أنهم ليس لهم اشتغال أبداً بغير

هذا ، ثم أمور لا سبيل الي ذكرهابقصور الوقت وضيقه عنها ، فانتهج ايها العاقل وكابد في خوض المقامات والمنازل فان الله تعالى حكيم كريم يورثك من علم سره العظيم انه واهب جليل والله ما نقول وكيل وهو يهدي السبيل . انتهى[1] .

وقد يسأل سائل ما الداعي لكل هذا الكذب والانحراف ، وما الذي يدفع هؤلاء الي كل هذا التخريف والتكلف ، هل هم عقلاء أم مجانين وان كانوا عقلاء فماذا يريدون ، وقطعاً لهذه التساؤلات يجيب المؤلف نفسه عن مراده وذلك في آخر كتابه فيقول :

المغرب التاسع
في عين خاتمة الكتاب

كيفية صفة خلوة للمؤلف وغير ذلك من الأدعية المرجية .

اعلم أيها الابن المجتهد والمحتسب المقتصد ، ان كل خير لا ترقى ذروته الا بجهد النفس واتعابها فيه ، وقد تكلمنا لك فيما تقدم من المجاهدات والمكابدات وان الطرق الموصلة الي الله تعالى لا تحصى ، وكل صاحب طريقة أدرى بما فيه الصلاح لمن يسلكها ، ولما أنعم الله علي بنيل هذا المقام وجعلني من خواصه الكرام اذن لي في التكلم والظهور وابداء طريقة استقبل بها وأسلك بها المريدين لأجل أن يصلوا بها الي حضرة الغفور . فحصل الأمر كما أمر واشتهر ذلك واستمر ، فلما اذنت من الحضرتين[2] باظهار كل ما نراه يصلح لأهل طريقتي بلامين[3] وأفاض علي الوهاب بوارد تأليف هذا الكتاب أردت أن أختمه بصفة خلوتي التي تصلح لأهل طريقتي كما فعل قبلي أهل الطرق

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٢) أي حضرة الله وحضرة الرسول .

(٣) أى بلا كذب

بنظرهم الذي يصلح لأهل طرائقهم ، وجعلت كيفية هذه الخلوة رسالة مستقرة وأفردتها في هذا المغرب لأجل أن يسهل نقلها ونظرها لمن له رغبة فيها ، فمن أراد نقل جميع الكتاب فهي من جملته ، ومن أراد الاستقلال بها فليفردها منه من أول البسملة الي حد الخاتمة الآتية ، وهي هذه انتهى منه بلفظه[1] .

الخلاصة أن الرجل يريد أن يبني له طريقة خاصة لتسليك المريدين ، وجمع الأغبياء والمغفلين ومن ثم جمع النذور والقرابين ، وبالتالي جعل نفسه في مكان الملوك والسلاطين !!! هذه هي النهاية التي يسعى اليها ملوك التصوف ، وائمة الضلال ومن أجل هذا كذبوا على الله هذا الكذب المبين ولا يسع المسلم إلا أن يحمد الله على العافية مما ابتلى به هؤلاء المارقين الكاذبين والحمد لله رب العالمين .

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

(١) المصدر السابق ص ١٦١ .

الفصل الحادي عشر
الولاية الصوفية

الولاية الرحمانية

أعلن القرآن أن كل مؤمن صادق في الايمان ولي لله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الي النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات اولئك أصحب النار هم فيها خالدون**﴾ .

(البقرة ٢٥٧)

فنصت الآية هنا على أن الله ولي كل مؤمن ، وانه بفضل هذه الولاية يخرج الله المؤمنين من الظلمات الي النور ، وقال تعالى أيضاً :﴿**ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين** ﴾

(الاعراف ١٩٦)

وقال تعالى : ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظلمين بعضهم أولياء بعض ، والله ولي المتقين**﴾

(الجاثية ١٨ ـ ١٩)

فأخبر سبحانه وتعالى انه ولي لكل من اتقاه وخافه ....

وجاء في دعاء موسى عليه السلام لربه ﴿**انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين**﴾

(الاعراف ١٥٥)

وقال تعالى أيضاً ﴿**وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعلمون**﴾ (الانعام ١٢٦ ١٢٧) .

وقال تعالى ﴿**الا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**

الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

(يونس ٦٢ ـ ٦٣)

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً التي تبين ولايته سبحانه وتعالى لكل مؤمن صالح متق لله سبحانه وتعالى . ...

والولاية هي المحبة والنصرة ... فالله سبحانه وتعالى اذا والى عبداً فانه يحبه وينصره ويعزه ويكرمه كما قال تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾ .

وكذلك العبد اذا قيل أنه يوالي الله فمعنى ذلك أنه يحب الله وينصره كما قال تعالى ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ وقال تعالى ﴿**ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ فولي الله من ينصره الله ويحبه ، ومن يحب الله وينصره ، .. فكل من أحب الله ونصره ، وسار في مرضاته ، وحفظ حدوده ، واقام شريعته ودينه ، فهو ولي الله سبحانه وتعالى .

وقد بين النبي ﷺ طريق الولاية فقال ﷺ قال الله تعالى (من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحاربة ، وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه .)

رواه البخاري .

فبين الرسول فيما يرويه عن ربه سبحانه وتعالى أن طريق الولاية للعبد هو ان يقوم بأداء الفرائض أولاً التي هي أحب الطاعات اليه سبحانه وتعالى ، ثم يتدرج في أداء النوافل حتى يحبه الله ، فاذا أحبه الله سبحانه وتعالى كان ولياً حقاً له جل وعلا ، وقد جاء في الحديث الصحيح :(ان الله اذا أحب عبداً قال يا جبريل اني أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في أهل السماء فيقول ان الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له

القبول في الأرض) (رواه مسلم)

ولا شك أن ولاية الله سبحانه وتعالى هذه مبذولة لكل من سعى اليها وسار في طريقها ووفقه الله سبحانه وتعالى الي بلوغها كما قال جل وعلا : ﴿**فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى**﴾ وقال أيضاً جل وعلا :

﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وان الله مع المتقين**﴾ .

ولا شك أنه بالرغم من أن كل مؤمن هو ولي الله جل وعلا فان ولاية الله للعبد ومحبته له تتفاوت بحسب الايمان والتقوى والعمل الصالح فكلما ازداد ايمان العبد وترقى في درجات الكمال والصلاح وتحلى بالتقوى كلما كان أعظم ولاية ، وأقرب من ربه سبحانه وتعالى ، هذا مفهوم الولاية في الاسلام على وجه الاجمال .

الولاية الصوفية الشيطانية

ولكن في التصوف الشيطاني فان الولاية لها معنى آخر تماماً في الشكل والمضمون والموضوع ، فولي الله عند الصوفية الزنادقة من اختاره الله وجذبه اليه ، وليس من شرط ذلك ان يكون عند هذا المختار والمجذوب اية مواصفات للصلاح والتقوى اذ الولاية عندهم نوع من الوهب الالهي دون سبب ، وبغير حكمة ، ويجعلون الولايةالكسبية هي ولايةالعوام والمتنسكين والولاية الحقيقية عندهم هي الولاية الوهبية ، يستدلون لذلك بمثل قوله تعالى ﴿**يختص برحمته من يشاء**﴾ فيقولون الولاية اختصاص وهذا تلبيس منهم لأن اختصاص الله من يشاء برحمته لا يكون الا لحكمة وأسباب اقتضت ذلك كما قال سبحانه وتعالى ﴿**ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة لعلكم ترحمون**﴾ فجعل سبحانه وتعالى تقواه واتخاذ الوسيلة منه هي الطريق الموصلة لرحمته فيستحيل أن تكون رحمةالله التي يختص بها من يشاء كائنة دون حكمة لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أين يجعل رسالته واين يضع هدايته كما قال تعالى ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾ **وقال تعالى**

﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء مّن الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ (الأنعام ٥٣)

فأخبر سبحانه رداً على الكفار الذين احتقروا المؤمنين لفقرهم وقالوا كيف يرزقهم الله التقوى ونحن اكرم على الله منهم لانه رزقنا الاموال والاولاد قال تعالى **﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾**(الانعام) سبحانه وتعالى انه اعلم من يوفق لهدايته وهم الذين يقومون بواجب شكره سبحانه وتعالى ولذلك عبد الرسول ربه حتى أتاه اليقين وهو الموت ، وقام من الليل حتى تفطرت قدماه (وقيل له: يا رسول الله تفعل هذا وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكورا) (متفق عليه)........

فالعباد الذين يعلم الله منهم الطاعة والاخلاص والقيام بشكر نعمته هم الذين يوفقهم الله لطاعته ومحبته وولايته .

ولما اعتقد الصوفية الزنادقة أن الولاية قضية وهبية بلا حكمة ولا معقولية جعلوا المجاذيب والمجانين والفسقة والظلمة والملاحدة المشركين من أهل وحدة الوجود ، جعلوا كل هؤلاء أولياء لله بمجرد أن ظهر على أيديهم بعض خوارق العادات التي ظهر مثلها على الدجال وابن صياد ، وأصناف من المشركين وأهل الالحاد ..... فجعلوا الكرامة الشيطانية الابليسية كالاخبار ببعض المغيبات واحتراف واتقان بعض الحيل والشعوذات كزعم الدخول في النيران وضرب الجسم بالسكاكين والسهام واللعب بالعقارب والحيات ،وأمثال ذلك من المخاريق والترهات جعلوا أولياء الله هم هؤلاء الذين يدجلون على الناس بمثل هذه الخرافات مع ما هم عليه من مخالفة الاسلام ، في الظاهر والباطن فظاهرهم مخالف للشريعة حيث عبدوا الله بالبدع والمظاهر الكاذبة والرياء والسمعة كملبس الخرق الملونة والمرقعات واظهار الفقر والزهد ، وذكر الله بالصياح والهوس والجنون واقامة مشاعر الشرك عند القبور والمزارات والاستعانة بالاموات ، وعبادة المشايخ والذوات ، جعلوا من هذه أحوالهم في ظاهرهم أولياء لله ، ومن أحوالهم في بواطنهم **أشرُّ من ذلك وأمَرُّ** فهم من أهل وحدة الوجود الكافرين والزنادقة الملحدين الذين لا يفرقون بين خالق ومخلوق ورب

وعبد ، ومن يجعلون النبي محمداً ﷺ هو علة الأكوان ، والمستوي على عرش الرحمن ، ومبدع الأرض والسموات الي آخر هذا الكفر والهذيان مما يأباه من عنده أدنى اسلام وايمان ... هذه هي الولاية الصوفية في زعمهم جعلوها لهؤلاء كما جعلوها أيضاً للمجانين والصبيان ولاهل التخريف والهذيان حتى عدوا في أولياءهم من يأتي الحمارة في وضح النهار وأمام الاسماع والابصار وسلكوا في سلك الولاية الشيطانية هذه من يشرب الخمر جهاراً نهاراً ، ويزني ويلوط عياناً بياناً ، ويزعمون في كل ذلك ان هذا ظاهر غير مراد ، وأنه نوع من التخييل للعباد ، وان الولي الصادق لا تضره معصية أبداً ، أو أن الاعيان ينقلب له فالخمر التي يشاهدها الناس خمراً ينقلب في بطن الولي لبناً خالصاً ، والزانية الفاجرة التي يرى الناس الولي بصحبتها تكون زوجته ، ولم يكتفوا بهذا أيضاً في تعريف الولاية عندهم

قالوا في الفكر الصوفي إن الولي يتصرف في الاكوان ويقول للشيء كن فيكون ، وكل ولي عندهم قد وكله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانبه الأربعة ، ويسمون الأقطاب ، وسبعة أولياء أخرون كل منهم في قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء . وعدد آخر من الأولياء في كل إقليم في مصر ثلاثون أو أربعون وفي الشام كذلك ، والعراق وهكذا ، وكل واحد من هؤلاء قد أوكل اليه التصريف في شيء ما ، حتى عدوا منهم من صرفه الله في رعاية الكلاب ، ومنهم من له التصريف في رعاية الحيات ، وفوق هؤلاء الأولياء جميعاً ولي واحد مراد يسمى القطب الأكبر أو الغوث وهو الذي يدبر شأن الملك كله سمواته وأرضه والأولياء جميعاً في بقاع الأرض تحت أمره .

فالارض والسموات تدار حسب الولاية الصوفية وأما الملائكة جميعاً فانهم في خدمة هؤلاء الأولياء ينفذون أوامرهم ويخضعون لمشيئتهم .... هذه هي الولاية الصوفية وهي لا تمت من قريب أو بعيد للولاية الاسلامية القرآنية قط .... فالولي في الاسلام عبد هداه الله ووفقه وسار في مرضاة ربه حسب شريعته ، وهو يخشى على نفسه دائماً من الكفر والنفاق وسوء العاقبة ولا يعلم هل يقبل

الله عمله أم لا .... وأما الولي الصوفي فهو رب كبير أو صغير يتصرف في جانب من جوانب الكون ولا يلتزم بشريعة لان له شريعته المستقلة، والملائكة تحت مشيئته والسموات والأرض كالخلخال برجله!! ولا يعزب عنه شيء في السموات ولا في الأرض ، ولا خوف عليه مطلقاً لانه قد جاءه الامان ، ولا يحزن لشيء مطلقاً لان بيده التصريف .... هذه هي الولاية الصوفية والحق أن الذي قرأ شيئاً من الفلسفة الاغريقية القديمة يعلم يقيناً ان فكرة الولاية الصوفية هذه منقولة عن هذه الفلسفة فآلهة الاغريق قديماً كما صورتها الالياذة والاوديسيا ـ يتصرفون في الكون ولكل منهم جانب خاص من جوانب العالم ، (فمارس) هو اله الحرب ، (وكيوبيد) هو اله الحب و (وافردويت) هي الهة الجمال ، (وأبوللو) هو رب الارباب وهكذا ....

ان فكرة تعدد الالهة عند الاغريق وتصرفهم في الكون هي نفس فكرة الولاية الصوفية تماماً حيث يعبث هؤلاء الولاة الصوفيون بمصائر البشر ، ويتحكمون في أرزاقهم وأعمالهم ، ويتصارعون أيضاً ويتنافسون كما يصنع آلهة الاغريق تماماً ......

والآن أصحبني ايها القارئ لاريك نصوص وعبارات المتصوفة ، وخيالاتهم في وصف ولايتهم الصوفية :

أول من ألف كتاباً مستقلاً في الولاية الصوفيةهو محمد بن علي بن الحسن الترمذي ، الذي يسمونه الحكيم وهو غير الترمذي صاحب السنن المشهورة بسنن الترمذي ، وقد نشأ (الحكيم) هذا في أواخر القرن الثالث الهجري ، وهو مجهول سنة الولادة والوفاة . وكتابه الذي أشرنا اليه يسمى (خاتم الأولياء) ،....(راجع الفصل الخاص بختم الولاية الصوفية)

والمهم هنا أن الترمذي هذا رسم الملامح الخيالية الزندقية للولاية الصوفية ومن أجل هذا الكتاب شهد عليه علماء زمانه بالزندقة والكفر ونفوه من بلده (ترمذ) كما أخبر بذلك صاحب الطبقات الصوفية ابو عبد الرحمن السلمي ، وادعي الترمذي هذا في الولاية ما تابعه بعد ذلك عامة الصوفية عليه من أن الولاية وهب ومنحة الهية لا كسب ومجاهدات ، وان الولي يعلم علم البدء ،

وعلم المقادير وعلم الحروف[1] .

ووضع الترمذي هذا مراتب للولاية ، فجعل منهم المجاذيب وأهل العتة والجنون لأن الله جذبهم اليه وأسقط عنهم التكاليف ، وان هناك أربعين من أولياءهم الذين يتصرفون في شئون العالم ، وأن هناك القطب الأكبر والخاتم للولاية وأن الأولياء هؤلاء محروسون عند الله فلا يلقى في صدورهم الا الوحي الرحماني الملائكي فقط !! وجعل هؤلاء الأولياء منهم من بلغ ثلث النبوة ، ومنهم من بلغ نصفها ومنهم من زاد على ذلك وهو ختم الأولياء[2] ومن هؤلاء الأولياء تظهر لهم الآيات مثل طي الأرض ، والمشي على الماء ومحادثة الخضر[3] وزعم كذلك أن قلوب هؤلاء الأولياء هي كتاب لله يطبع فيه ما يشاء !! وانهم كالانبياء لهم من الله عقد الولاية ، ولذلك كشف عن قلوبهم الغطاء فيرون ملك الله في كل أجزاءه في العالم العلوي والسفلي ، وزعم أن هؤلاء الأولياء يعرفون منازلهم من الجنة ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ويقطعون بذلك وأن الكرامات التي تظهر على أيديهم دليل على صدقهم وايمانهم ، .. يقول الترمذي :

«ما قولك في مُحَدَّث ، بشر بالفوز والنجاة فقال : رب اجعل لي آية تحقق لي ذلك الخبر الذي جاءني لينقطع الشك والاعتراض . فقال (أي الله) : آتيك ان أطوي لك الأرض حتى تبلغ بيني الحرام في ثلاث خطوات ، واجعل لك البحر كالأرض تمشي عليه كيف شئت واجعل لك التراب والجو في يديك ذهباً ، ففعل هذا هل ينبغي له أن يطمئن الي هذه البشرى بعد ظهور هذه الآية أم لا » أهـ منه بلفظه[4]

وهذا الكلام من الحكيم الترمذي تلبيس وتدليس كله .... فمن هذا الذي يخاطبه الله بكلمة بعد محمد ﷺ ؟! ولا نبي بعد رسول الله ، ومن هذا الذي

---

(١) ختم الولاية ص ٣٦٢ .

(٢) ختم الولاية ص ٣٤٧ .

(٣) ختم الولاية ص ٣٦١ .

(٤) ختم الولاية ص ٤٠١ .

يعطيه الله من هـذه الكرامـات المزعومـة مـا لم يعـط رسلـه وأنبيـاءه ... فـان الرسول محمد ﷺ ما سار على الماء ، ولا طار في الهواء ، ولا جعلت لـه الجبـال ذهباً . بل جاع هو وأصحابه وربط الحجر على بطنه أياماً ، وسار على قـدميـه في جيوشه حتى تقطعت أقـدامهم ومـا كان لهم الا الخرق يلفونهـا بـه حتى لقـد سموا غزوة من غزواتهم بغـزوة ذات الرقـاع لانهم مـزقـوا فيهـا بعض مـلا بسهم ليلفوا بها أرجلهم ولقد كانوا أفضل الناس وأفضل الأمة ، أيأتي بعد ذلـك هؤلاء البطالون المتـأكلون الآكلون أموال النـاس بـالبـاطل المعتقدون عقـائـد الوثنيـة والشرك ليعطيهم الله الـولايــة العظمى يمكنهم من الطيران في الهـواء ، والسير على الماء ، وقلب الأحجار فضة وذهباً لا شــك ان الذي يزعم شيئاً من ذلـك قد لبس عليه الشيطان وادى لـه بعض الخـدمـات كأن نقلـه مرة من مكان الي مكان بسرعة الشيطان ، وسرق له بعض الـذهب من مكان وتسمى هـذه أمثلـة كرامة رحمانية وما هي الا حيلاً شيطانية يلبس بها الشيطان على أوليائه .

ولا غرو أن يدعي الترمذي هذا ما يدعي فانه قد ذكر عن نفسه فيما سماه (بـدو شأن الترمذي) ان زوجته قد تنبأت له ، وزعمت له أنها رأت في شأنه عشرات من الرؤى منها أنها رأت أن سطح بيتهاوكانت نائمة عليه قـد هبـط الي الأرض وأنهـا وجـدت داخـل بيتهـا رجـلان قـاعـدان في هيبـة وأنهما قـالا لهـا : قـولي لزوجك : انت وتد من أوتاد الأرض تمسك طائفـة من الأرض !![1] وان هذين الرجلين الذين بشراها هما محـمـد وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، وزوجتـه هـذه أيضاً تنبأت له بأنها كانت نائمة مع زوجهـا في فراش واحـد وجـاء الرسول ﷺ فدخل فراشهما معهما !![2] .

ولا يخفى ان أمثال هذه الرؤيا والتنبؤات انها رؤى شيطانية حتماً فليس هناك شيء يسمى أوتـاد يمسكـون الأرض لان الله سبحـانـه وتعـالى يقـول :﴿**ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا**﴾ .

---

(١) بدو شأن الترمذي مطبوع مع ختم الولاية ص ٢٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ .

واذا كان الله هو الذي يمسك السموات والأرض فمعنى ذلك أنه ليس في حاجة الي الترمذي وغيره ليكون وتداً يمسك جانباً من الأرض !! نعم جعل الله الجبال اوتاداً للأرض ولم يجعل الترمذي الذي ينام ليلة شاخراً وتداً من أوتاد الأرض وأما الرسول ﷺ الذي يقول (من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي) يستحيل أن يأتي ليدخل في فراش رجل مع زوجته ولم يدخل مع زوجة الترمذي في فراشها وهي مع زوجها الا الشيطان حتماً الذي يعلم من هم أولياؤه واسمع الي الترمذي نفسه يحكي عن خرافات زوجته فيقول :

ثم رأت رؤيا أخرى وهي بالفارسية وفي آخرها قالت : فانتبهت فوقع عليها حرص الاستماع الى الموعظة وطلب الحقوق من نفسها . فأول ما ابتدى لها من تحقيق رؤياها انها كانت في البستان قاعدة وذلك لثلاث بقين من ذي القعدة ، بعد أن رأت هذه الرؤيا ، بنحو من خمسة أيام (ستة اذ وقع على قلبها : يا نور كل شيء وهداه انت الذي فلق الظلمات نوره) .

قالت فوجدت كأن شيئاً دخل صدري فدار حول قلبي فأحاط به وامتلأ الصدر الي الحلق ، حتى صرت شبه المخنون من امتلائه ، وله حرارة وحرقات على القلب فتزينت الأشياء كلها لي . فما وقع بصري على أرض ولا سما، وخلق من الخلق إلا رأيته بخلاف ما كنت أراه من الزينة والبهجة والحلاوة .

ثم وقع على قلبي كلمة بالفارسية : نكيني من ترا داذم ، فامتلأت فرحاً وطيب نفس ونشاطاً فاخبرتني بذلك فلما كان اليوم الثاني قالت : وقع على قلبي انا اعطيناك ثلاثة اشياء ، ووقع الكلام بالفارسية : (سه جيزترا داذم جلال من (و) عظمة من وبهاء من [1] وأضاء لي من فوقي فدام هكذا فوق رأسي في الهواء كما كنت رأيته في المنام فترى في ذلك الضوء علم الجلال وعلم العظمة وعلم البهاء ....

فاما الجلال فإني رأيت كأن البيت يتحرك (ايذون جيزي همي بيود، وجمش خلق همه ازوي ، وعظمة بري (و) همه جيزها ازوي ، وبها (و) سرا (ي) همه

(١) ومعنى هذه الكلمات بالعربية : أي أعطيناك ثلاثة أشياء هي جلالي وعظمتي وقدري !!

جيزها همه جيزها (ازوي نخست فر(١) سمانها وبذم او كنده .... تفروذ .)

ثم وقع على قلبها ، اليوم الثالث (ترادادم علم اولين وآخرين) فدام بها هـذا حتى نطقت بعلم أسماء الله فكان يفتح لهـا في كل يـوم اسم الأصـل : ويبدو ، ، ذلك الضوء) على قلبها وينكشف لها باطن ذلك . حتى كان يوم الجمعة ، في أيام العشرة ، حضرت المجلس . فـذكرت أنـه وقع عليهـا اسـم (اللطيف) .

فانظر كيف تنبأت زوجة الترمذي الفارسية وكانت الرؤى تنزل عليها بالفارسية أيضاً وأنها أخبرت انها أخذت من الله الجلال والعظمة والقدر !! وأنها كذلك نالت علم الأولين والآخرين ، وهكذا لم يكتف الترمذي بأن يكون هو الوتد بل رأس الأوتاد الذين زعم أنهم أربعون بل زعم أخيراً أنه خاتم الأولياء جميعاً كما كان محمد ﷺ خاتم الأنبياء ولم يكتف بكل ذلك الا أن جعل زوجته متنبئة كذلك وأنها حصلت على علم الأولين والآخرين وأخذت ثلاث صفات من صفات الله تعالى وهي الجلالة والعظمة والقدر !؟

هـذا هو الزعيم الأول والرائد الأول لفكرة الولاية الصوفية ، وفكرة ختم الولاية والعجيب انه كتب كتابه هذا نحو سنة ٢٦٩ هـ حيث ذكر أن زوجته رأت بعض هـذه الرؤى يـوم السبت ٢٠ من ذي القعـدة سنـة ٢٦٩ هـ .... وبذلك يكون الترمذي هذا أول من وضع لبنات الفكر الصوفي في قضية الولاية المزعومة .... ومن أجل هذا الكتاب رماه علماء بلده بالكفر والزندقة واستطاعوا طرده من ترمذ ولكنه عاد اليها بعد ذلك تحت جناح بعض الظالمين .... وقد أفضنا في بيان هذه القضية من كتاب الترمذي لأنه أول من سنّ هذا الشر المستطير الذي جاء بعده ، وكتابه هو أول كتاب فيما أظن قد وضع الأسس الخبيثة هذه لفكرة الولاية الصوفية .

---

(١) اي أعطيناك علم الأولين والآخرين .

مراتب الولاية عند الصوفية :

وقد ذهب المتصوفة الي تقسيم مراتب الولاية عندهم فمنهم من قالوا أنهم يتقسمون الي الغوث وهو أكبر الأولياء جميعاً وهو واحد في كل زمان وتحته الأوتاد الأربعة وكل واحد منهم في ركن من أركان العالم يقوم به ويحفظه والأقطاب السبعة وكل منهم في اقليم من اقاليم الأرض السبعة أي في قارة من القارات السبع ، (والابدال) وزعموا أنهم أربعون وهم يعيشون في العالم ، وكلما هلك واحد منهم أبدله الله بغيره لحفظ الكون !! (والنجباء) وهم ثلاثمائة كل منهم يتولى شأناً من شئون الخلق ....

ولا يشك مسلم يعلم شيئاً من الكتاب والسنة ولا عالم قد اطلع على علوم الكتاب والسنة ان ما قاله الصوفية في هذا الصدد هراء وكذب لا أساس له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ولكن الصوفية أرادوا أن يؤسسوا لهم دولة في الباطن تحكم وتنفذ وتتحكم في شئون الناس فبنوا هذه الدولة العجيبة الباطنية التي تتحكم فيها هؤلاء الذين سموهم بالغوث والأقطاب والأبدال والنجباء والأوتاد ، ... ويتعجب الانسان وهو يطالع الفكر الصوفي في هذا الصدد كيف أن المتصوفة أحكموا خطتهم للسيطرة على عقول الناس ، ولادخالهم الي دينهم العجيب حيث أوهموهم أن التصريف في الأرض والسماء والخلق أجمعين انما هو لدولتهم الخفية التي يتحكم فيها أولياء الصوفية ... هؤلاء الأولياء الذين قد يكونون أحياناً أميين لا يعرفون قراءة ولا كتابة وأحياناً مجاذيب يصرخون ويبولون في الطرقات وأحياناً زناة وشاربي خمور قد رفعت عنهم التكاليف الطاهرة وان منهم من يعيش طيلة عمره قذراً وسخاً لا يتطهر بماء قط أو صابون ليوفر الماء (انظر) للفقراء !! ومع ذلك فهولاء الأولياء يعلمون الغيب كله ولا يخفي عليهم شيء في الأرض ولا في السماء ولا يعجزهم شيء ولا يقف امام أرادتهم احد أبداً .... وتعال معي في جولة مع خرافات القوم وترهاتهم

لتعلم أي عالم يعيش فيه رجال التصوف .

وقد كفانا عبد الوهاب الشعراني مئونة تجميع أقوالهم في مراتب الولاية حيث جمع أقوال ابن عربي في الفتوحات ولنبدأ أولاً بمفهوم القطب الغوث أو القطب الأكبر عند الصوفية :

يقول الشعراني :

« وأما القطب فقد ذكر الشيخ في الباب الخامس وخمسين ومائتين أنه لا يتمكن القطب ان يقوم في القطابة الا بعد أن يحصل معاني الحروف التي في أوائل السور المقطعة مثل ألم ، والمص ، ونحوهما فاذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها تعينت له الخلافة وكان أهلاً لها .

(فان قلت) فما علامة القطب فان جماعة في عصرنا ادعوا القطبية وليس معنا علم برد دعواهم .

(فالجواب) قد ذكر الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أن للقطب خمسة عشر علامة أن يُمَدَّ بمدد العصمة والرحمة والخلافة والنيابةومدد حملة العرش العظيم ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفضل بين الموجودين وانفصال الأول عن الأول وما انفصل عنه الي منتهاه وما ثبت فيه حكم ما قبل وما بعد وحكم من لاقبل له ولا يعدو علم الاحاطة بكل علم ومعلوم ما بدا من السر الأول الي منتهاه ثم يعود اليه ...انتهى ☆

وقال في الفتوحات في الباب السبعين ومائتين ان اسم القطب في كل زمان عبد الله وعبد الجامع المنعوت بالتخلق والتحقق بمعاني جميع الأسماء الالهية[1] بحكم الخلافةوهو مرآة الحق تعالى ومجلي النعوت المقدسة ومحل المظاهر الالهية[2] وصاحب الوقت[3] وعين الزمان وصاحب علم سر القدر وله علم دهر الدهور[4] ومن شأنه أن يكون الغالب عليه الخفاء لأنه محفوظ في خزائن الغيرة

---

(١) أي أن يتصف بما يتصف به الله من السمع والبصر والقدرة .....الخ .

(٢) يعني ظهور صفات الله فيه

(٣) أي المتصرف في الخلق .

(٤) فهو يعلم ما مضى وما يأتي .

ملتحف بأردية الصون لا يعتريه شبهة في دينه قط ولا يخطر له خاطر يناقض مقامه كثير النكاح وراغب فيه محب للنساء يوفي الطبيعة حقها على الحد المشروع له ويوفي الروحانية حقها على الحد الالهي يضع الموازين ويتصرف على المقدار المعين الموقت له لا يحكم عليه وقت انما هو لله وحده حاله دائماً العبودية والافتقار يقبح القبيح ويحسن الحسن يحب الجمال المقيد في الزينة والأشخاص تأتيه الأرواح في أحسن الصور يذوب عشقاً يغار الله عز وجل ويغضب له تعالى له الاطلاق في المظاهر من غير تقييد لا تظهر[1] روحانيته الا من خاف حجاب الشهادة والغيب لا يرى من الأشياء الا محل نظر الحق فيها يضع الأسباب ويقيمها ويدل عليها ويجري بحكمها ينزل اليها حتى يحكم عليه ويؤثر فيه رياسة على أحد من الخلق بوجه من الوجوه مصاحب لهذا الحال دائماً ان كان صاحب دنيا وثروة تصرف فيها تصرف عبد في مال سيد كريم وان لم يكن بيده دنيا وكان على ما يفتح الله تعالى له به لم تستشرف له نفس بل يقصد بنفسه عند الحاجة بيت صديق ممن يعرفه يعرض عليه ما تحتاج اليه طبيعته كالشافع لها عنده فيتناول لها منه قدر ما تحتاج اليه ثم ينصرف لا يجلس عن حاجته الا لضرورة فان لم يجد حاجته لجأ الي الله تعالى في حاجة طبيعة لانه مسئول عنها ومتول عليها ثم ينتظر الاجابة من الله فيما سأل فان شاء الله تعالى أعطاه ما سأل عاجلاً أو آجلاً فرتبته الالحاح في الدعاء والشفاعة في حق طبيعته بخلاف أصحاب الأحوال فان الأشياء كلها تتكون عن هممهم لان الله تعالى عجل لهم نصيباً من أحوالهم في الجنة فهم ربانيون والقطب منزه عن الحال ثابت في العلم فان أطلعه الله على ما يكون أخبر بذلك على وجه الافتقار لله لا على وجه الافتخار لا تطوى له أرض ولا يمشي في هواء ولا على ماء ولا يأكل من غير سبب ولا يطرأ عليه شيء من خرق العوائد الا في النادر لا ما يراه الحق تعالى فيفعله باذن الله من غير أن

---

(١) أي هو معصوم عصمة كاملة .

يكون ذلك مطلوبا له وكذلك من شأنه أن يجوع اضطراراً لا اختياراً ويصير على النكاح كذلك لعدم الطول يعلم من تجلي النكاح ما يحرضه على طلبه والتعشق به لا يتحقق قط بالعبودية في شيء أكثر مما يتحقق به في النكاح لا يرغب في النكاح للنسْل وانما يرغب فيه لمجرد الشهوة واحضار التناسل في نفسه لامر مشروع فنكاحه لمجرد اللذة كنكاح أهل الجنة وقد غاب عن هذه الحقيقة أكثر العارفين لما فيه من شهود الضعف وقهر اللذة المغيبة له عن احساسه فهو قهر لذيذ وذلك من خصائص الأنبياء ولعلو مراقي هذا المقام جهله أكثر الأولياء وجعلوا النكاح شهوة حيوانية ونزهوا أنفسهم عن الاكثار منها . أهـ [١]

فانظر كيف لبس على الناس ووصف الولي المزعوم بصفات الربوبية الكاملة ثم راح يصفه بصفات العبودية أيضاً تلبيساً على الناس .

ويستطرد الشعراني ناقلاً عن ابن عربي وصفه للغوث فيقول :

((واعلم أن من مقام القطب أن يتلقى أنفاسه اذا دخلت واذا خرجت بأحسن الأدب لأنها رسل الله اليه فترجع منه الي ربها شاكرة له لا يتكلف لذلك[٢] .

وأطال الشيخ في ذلك ثم قال فاذن القطب هو الرجل الكامل الذي حصل الأربعة دنانير منها خمسة وعشرون قيراطاً وبها توزن الرجال والأربعة هم الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون فهو وارثهم كلهم رضي الله عنه ☆

وقال الشيخ في الباب الحادي والخمسين وثلثمائة من شأن القطب الوقوف دائماً خلف الحجاب الذي بينه وبين الحق جل وعلا فلا يرتفع حجابه حتى يموت فان مات لقى الله عز وجل فهو كالحجاب الذي ينفذ أوامر الملك وليس له من الله تعالى إلا صفة الخطاب لا الشهود[٣].

---

(١) اليواقيت والجواهر ج ٢ ص ٧٩ .

(٢) وهذا كذب محض فالتنفس عملية لاارادية شأنها واحد في كل انسان وليس هناك نفس مسبح ونفس غير مسبح الا أنه يعتقد المؤمن ان حياته لا تقوم الا بالله فيؤجر على ذلك ويكون عائداً لله من هذا الوجه .

(٣) عاد الي التلبيس مرة ثانية فزعم أن الولي يتصرف في الخلق بأمر الله له .

القطب الغوث واحد في الزمان فقط :

ويستطرد أيضاً مبيناً أن القطب الأكبر أو ما يسمونه بالغوث واحد في كل زمان فيقول :

« قال الشيخ في الباب الخامس والخمسين ومائتين :

ومن خصائص القطب أن يختلي بالله تعالى وحده ولا تكون هذه المرتبة لغيره من الأولياء أبداً ثم اذا مات القطب الغوث انفرد تعالى بتلك الخلوة لقطب آخر لا ينفرد قط بالخلوة لشخصين في زمان واحد أبداً وهذه الخلوة من علوم الأسرار واما ما ورد في الآخرة من أن الحق تعالى يخلو بعبده ويعاتبه فذلك من باب انفراد العبد بالحق تعالى لا من باب انفراد الحق بالعبد فافهم واكتم. انتهى[1] .

وحتى لا يقع المتصوفة في الأشكال المعروفة وهو ان كان أقطاب التصوف في عهد الخلافة الراشدة لذلك بادر ابن عربي للقول أن أبا بكر وعمر كانوا أقطاباً بالمعنى الصوفي ... ونقول حاشا الصحابة أن يدخلوا في هذا الزور والبهتان .

يقول ابن عربي :

((ثم اعلم أنه لما كان نصب الامام واجباً لاقامة الدين وجب ان يكون واحداً لئلا يقع التنازع والتضادد والفساد فحكم هذا الامام في الوجود حكم القطب قال وقد يكون من ظهر من الائمة بالسيف أيضاً قطب الوقت كأبي بكر وعمر في وقته وقد لا يكون قطب الوقت فتكون الخلافة لقطب الوقت الذي لا يكون إلا بصفة العدل ويكون هذا الخليفة الظاهر من جملة نواب القطب في الباطن من حيث لا يشعر فان الجور والعدل يقع من أئمة الظاهر ولا يكون القطب إلا عادلاً واعلم أن القطبية كما أنها قد تكون لولاة الأمور

---

(١) المصدر السابق .

كذلك قد تكون في الائمة المجتهدين من الأربعة وغيرهم بل هي فيهم أظهر ويكون تظاهرهم بالاشتغال بالعلم الكسبي حجاباً عليهم لكون القطب من شأنه الخفاء رضي الله عنهم أجمعين[1] .

وهكذا يجعل ابن عربي بعض الخلفاء أقطاباً وبعض الفقهاء كذلك ولقد مَنَّ ابن عربي على الامام الشافعي فأعطاه رتبة (الوتد) في مملكته الصوفية ، أي أنه كان يسيطر على ربع العالم واما الامام أحمد فان ابن عربي لم يمن عليه بشيء من هذه الرتب الصوفية واكتفى بأن جعله مجرد (صديق) !! وهي منزلة العامة عندهم ممن يؤمن بالخرافات الصوفية .

يقول الشعراني ؛

« قال الشيخ محي الدين وقد اجتمعت بالخضر عليه السلام وسألته عن مقام الأمام الشافعي فقال كان من الأوتاد الأربعة فسألته عن مقام الامام أحمد فقال هو صديق وأطال في ذلك ثم قال في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ المراد بأولي الأمر الأقطاب والخلفاء والولاة لكن فيما لايخالف شرعاً مأموراً به وذلك هو المباح الذي لا أجر فيه ولا وزر فان الواجب والمندوب والحرام والمكروه من طاعة الله ورسوله فما بقى لأولي الأمر الا المباح فاذا أمرك الامام الذي بايعته على السمع والطاعة بمباح من المباحات وجب عليك طاعته في ذلك وحرمت عليك مخالفته وصار حكم الاباحة الوجوب فيحصل لمن عمل بذلك أجر الواجب لارتفاع حكم الاباحة منه بأمر هذا الامام الذي بايعته))أهـ[1] .

ولا شك أن الامام أحمد لم يكن ممن يؤمن بهذه الخرافات بل قال لمن سأله عن كتب الحارث المحاسبي هذه كتب بدع وضلالات ولكن الصوفية لا يستطيعون أن يسبوا أحد الأئمة الأربعة المتبعين لا ينفروا الناس منهم وذلك لمنزلة هؤلاء الأئمة من قلوب الناس .

---

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص ٨٠ .

والمهم أن الصوفية قد بنوا لهم دولة في الباطن على هذا النحو الذي أسلفناه ... وأيضاً لأجل التلبيس على الناس وتمريغ عقولهم في الأوحال والالقاء بهم بعيداً في مهاوي الضلال زعم ابن عربي أيضاً أن الأوتاد الأربعة يكونون على قلوب الرسل الأربعة الذين زعم أنهم مازالوا أحياء وهم :
ادريس ، والياس ، وعيسى ، والخضر ، وان هؤلاء جميعاً يرجعون في الأخذ من القطب الأكبر (الغوث) الذي هو واحد في الأرض فقط وأنه اذا مات أقام الله غيره فهؤلاء الأولياء الأربعة (الأوتاد) الذين طبعوا على قلوب الأنبياء الأربعة الأحياء يرجعون في أحكام للقطب الغوث ....

وكل هذه الخرافات والخزعبلات قد عرفها ابن عربي عن طريقة الكشف الخاص له والعلم اللدني ولذلك سماه المتصوفة بالشيخ الأكبر والكبريت الأحمر !!

يقول الشعراني عن شيخه ابن عربي في بيان هذه الخرافات :
(فان قلت) فالمراد بقولهم القطب لا يموت
(فالجواب) كما قال الشيخ في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات :
أن المراد به من ان العالم لا يخلو زماناً واحداً من قطب يكون فيه كما هو في الرسل عليهم الصلاة والسلام ولذلك أبقى الله تعالى من الرسل الأحياء بأجسادهم في الدنيا اربعة : ثلاثة مشرعون ، وهو ادريس والياس وعيسى ، وواحد حامل العلم اللدني هو الخضر عليه السلام وايضاح ذلك أن الدين الحنيف له أربعة اركان كأركان البيت وهم الرسل والأنبياء والأولياء والمؤمنون والرسالة هي الركن الجامع للبيت وأركانه فلا يخلو زمان من رسول يكون فيه وذلك هو القطب الذي هو محل النظر الحق سبحانه وتعالى من العالم كما يليق بجلاله ومن هذا القطب يتفرع جميع الامداد الالهية على جميع العالم العلوي والسفلي .
قال الشيخ محي الدين ومن شرطه أن يكون ذا جسم طبيعي وروح ويكون موجوداً فيهذه الدار الدنيا بجسده وحقيقته فلا بد أن يكون موجوداً في هذه الدار بجسده وروحه من عهد آدم الي يوم القيامة ولما كان الأمر على ما

ذكرناه ومات رسول الله ﷺ بعد ما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يتبدل دخلت الرسل كلها في شريعته ليقوموا بها فلا تخلو الأرض من رسول حي جسمه اذ هو قطب العالم الانساني ولو كانوا في العدد ألف رسول فان المقصود من هؤلاء هو الواحد فادريس في السماء الرابعة وعيسى في السماء الثانية والياس والخضر في الأرض ومعلوم أن السموات السبع من عالم الدنيا لكونها تبقى بقاء الدنيا بفنائها صورة فهي جزء من دار الدنيا بخلاف الفلك الأطلس فانه معدودة من الآخرة في يوم القيامة تبدل الأرض غير الأرض والسموات يعني يبدلن بغيرهن ، كما تبدل هذه النشأة الترابية منا أيها السعداء بنشأة أخرى أرق وأصفى وألطف فهي نشأة طبيعية جسمية لا يبول أهلها ولا يتغوطون كما وردت بذلك الأخبار وقد أبقى الله في الأرض الياس والخضر وكذلك عيسى اذا نزل وهم من المرسلين فهم القائمون في الأرض بسالدين الحنيف فما زال المرسلون لا يزولون في هذه الدار لكن من باطنية شرع محمد ﷺ ولكن أكثر الناس لا يعلمون فالقطب هو الواحد من عيسى وادريس والياس والخضر وهو أحد أركان بيت الدين وهو كركن الحجر الأسود واثنان منهم هما الأمامان واربعتهم هم الأوتاد فبالواحد يحفظ الله الايمان وبالثاني يحفظ الله الولاية وبالثالث يحفظ الله النبوة وبالرابع يحفظ الله الرسالة وبالمجموع يحفظ الله الدين الحنيفي فالقطب من هؤلاء واحد لا بعينه قال الشيخ ولكل واحد من هؤلاء الأربعة من هذه الأمة من كل زمان شخص على قلبه نائباً عنه مع وجودهم وأكثر الأولياء لا يعرفون القطب والامامين والأوتاد ولا النواب ولا هؤلاء المرسلون الذين ذكرناهم ولهذا يتطاول كل أحد لنيل هذه المقامات ثم اذا خصوا بها عرفوا عند ذلك انهم نواب لذلك القطب فاعرف هذه النكتة فانك لا تراها في كلام أحد غيرنا ولولا ما ألقى في سري من اظهارها ما أظهرتها انتهي منه بلفظه .[1]

---

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص٨١ .

ولعلك ايها القارئ بعد هذه الجولة الخرافية الصوفية تريد أن تعرف أين يسكن القطب ويجيبك ابن عربي قائلاً :

((فان قيل هل يكون محل اقامة القطب بمكة دائماً كما هو مشهور .

(فالجواب) هو بجسمه حيث شاء الله لا يتقيد بالمكث في مكان بخصوصه ومن شأنه الخفاء فتارة يكون حداداً وتارة تاجراً وتارة يبيع الفول ، ونحو ذلك والله أعلم ....أهـ [1]

ولعلك الآن أيها القارئ تريد أن تعرف كيفية تولى القطب منصبه الباطني هذا وهل تكون له مبايعة كما يبايع الأمراء والخلفاء ....

وقد تفضل ابن عربي أيضاً فأجاب عن هذا التساؤل بقوله :

((فان قلت فهل يحتاج القطب في توليته الي مبايعة في دولة الباطن كما هي الخلافة في الظاهر ؟

(فالجواب) نعم كما قاله الشيخ في الباب السادس والثلاثين وثلثمائة وعبارته :

«اعلم أن الحق تعالى لا يولي قط عبداً مرتبة القطابة إلا وينصب له سرير في حضرة المثال يقعده عليه ينبي صورة ذلك المكان عن صورة المكانة كما ينبي صورة الاستواء على العرش عن صورة احاطته تعالى علماً بكل شيء ولله المثل الأعلى فاذا نصب له ذلك السرير فلا بد أن يخلع عليه جميع الأسماء التي يطلبها العالم وتطلبه فيظهر بها حللاً وزينة متوجاً مسوراً من ملجأ لتعمّه الزينة علواً وسفلاً ووسطاً وظاهراً وباطناً فاذا قعد عليه وقعد بصورة الخلافة وأمر الله العالم ببيعته على السمع والطاعة في المنشط والمكره دخل في تلك البيعة كل مأمور من أدنى وأعلى الا العالون وهو المهينون في جلال الله عز وجل العابدون لله تعالى بالذات لا بأمر الهي ظاهر على لسان رسول واعلم أن أول من يدخل عليه الملا الأعلى على مراتبهم الأول فيأخذون يده على السمع والطاعة ولا يتقيدون بمنشط ولا مكره لأنهم لا يعرفون هاتين الصفتين فيهم اذ لا يعرف شيء الا بضده فهم في منشط لا يعرفون لها طعماً لعدم ذوقهم للمكره وما منهم روح يدخل عليه للمبايعة الا ويسأله عن مسئلة من العلم الالهي فيقول له يا هذا أنت القائل كذا وكذا فيقول له نعم فيقول له في هذه المسئلة

وجهان يتعلقان بالعلم بالله تعالى أحدهما أعلى من الذي كان عند ذلك الشخص فيستفيد منه كل من بايعه علماً ليس عنده ثم يخرج قال الشيخ وقد ذكرنا جميع سؤالات القطابة في جزء مستقل ما سبقنا أحد اليه وليست هذه المسائل معينة يتحرر السؤال بها لكل قطب وانما يخطر الله تعالى ذلك لمن يسأل القطب حال السؤال بعد أن جرى ذلك على خاطره فيما مضى من الزمان .

قال الشيخ وأول من يبايعه العقل الأول ثم النفس ثم المقدمون من عمار السموات والأرض من الملائكة المسخرة ثم الأرواح المدبرة للهياكل التي فارقت أجسامها بالموت ثم الجن ثم المولدات ثم سائر ما سبح الله تعالى من مكان ومتمكن ومحل حال فيه إلا العالون من الملائكة كما مر ، وكذلك الأفراد من البشر لا يدخلون تحت دائرة القطب وماله فيهم تصرف اذ هم كل مثله مؤهلون لما ناله هذا الشخص من القطبية لكن لما كان الأمر يقتضي أن لا يكون في الزمان الا واحد يقوم بهذا الأمر تعين ذلك الواحد لكن لا بأولية وانما هو بسبق العلم فيه بأن يكون هو الوالي وفي الأفراد من يكون أكبر منه في العلم بالله تعالى وحده ☆انتهى بلفظه[1]

فانظر أيها المسلم هذا التهريج والتخريف والخبط الذي يريد هؤلاء الأفاكون جذب الناس اليه وايقاع الناس فيه ، واحمد الله على نعمة العقل التي أعطاك اياها ونعمة الايمان والاسلام ان كنت من أهله ، وانظر كيف يتلاعب الشيطان بهؤلاء المتهوكين الفارغين الا من الخرافات والخزعبلات والزندقة والكفر الذي ليس له مثيل في الأرض والعجيب أن ابن عربي لا يقف خياله الزندقي عند حد مطلقاً فقد ذهب ليزعم أيضاً أنه عرف أسماء الأقطاب منذ آدم وحتى بعثة رسولنا ﷺ حيث ينقل عنه الشعراني انه قال في الفتوحات ما نصه :

((فان قلت فهل كان قبل محمد ﷺ أقطاب وكم عددهم (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الرابع عشر من الفتوحات :

---

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص٧٩ ، ٨٠ .

«ان الأقطاب لا يخلو عصر منهم قال وجملة الأقطاب المكملين من الأمم السالفة من عهد آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام خمسة وعشرون قطب أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد قدس في حضرة برزخية وانا بمدينة قرطبة وهم : الفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفار والماضي والماحق والعاقب والمنحور وسجر الماء وعنصر الحياة والشريد والصائغ والمراجع والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والراقي والواسع والبحر والمنصف والهادي والأصلح والباقي فهؤلاء هم الأقطاب الذين سموا لنا من آدم الي محمد عليهما الصلاة والسلام واما القطب الواحد الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حيث النشء الانساني الي يوم القيامة فهو روح محمد ﷺ أهـ [1] .

فانظر كيف اكتشف ابن عربي أسماء الأقطاب المزعومين منذ آدم الي النبي ﷺ وكيف راح يزعم أن هؤلاء جميعاً الذين افترى اسماءهم يستمدون علومهم من روح الرسول التي زعم أنها هي المستوى على العرش الرحماني كما مر تفصيل ذلك في الحقيقة المحمدية .

وذلك أن الرسول محمد ﷺ هو أول موجود في زعمهم وهو الذي خلق العرش من نوره والكرسي والسموات والأرض والجن ﷺ هو المستوي على عرش الرحمن تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .....

وهكذا نجد أن الصوفية قلبوا كل موازين الشريعة وغيروا جميع عقائد الدين وابتدعوا ديناً جديداً بعيداً عن الاسلام الذي جاء به الرسول ﷺ بعد المشرق عن المغرب .

قطب سنة ٥٩٣ هـ من مدينة فاس بالمغرب :

ويستطرد ابن عربي في تخريفاته وكذبه فيزعم أن لكل اقليم بلدة وقرية قطب صغير آخر يحفظ هذه المدينة !! وأنه التقى بالقطب الأكبر في المغرب

---

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص٨٢ .

في مدينة فاس وانه كان مشلول اليد :
يقول الشعراني :

((قال الشيخ محي الدين في الباب الثاني والستين واربعمائة :
واعلم أن لكل بلد أو قرية أو أقليم قطباً غير الغوث به يحفظ الله تعالى تلك الجهة سواء أكان أهلها مؤمنين أو كفاراً وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه ☆
قال الشيخ : قد اجتمعت بقطب المتوكلين فرأيت مقام المتوكل يدور عليه دوران الرحى حين تدور على قطبها وهو عبد الله بن الاستاذ ببلاد الأندلس صحبته زماناً طويلاً وكذلك اجتمعت بقطب الزمان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بمدينة فاس وكان أشل اليد فتكلمت على مقام القطبية في مجلس كان فيه فأشار علي أن أستره عن الحاضرين ففعلت)) أهـ[1]

وهكذا تتم السيطرة الباطنية المزعومة من هؤلاء الأولياء على كل مدينة وقرية من قرى العالم ، وهكذا يحكم الصوفية شباكهم ويصطادون العقول المريضة والضعيفة والتي سيقتلها الخوف عندما تعلم أن الدولة الباطنية قد احكمت سيطرتها على العالم وأنه ليس هناك من قرية ولا مدينة الا وفيها حاكم باطني يحكم او قالوا يحفظ هذه المدينة والقرية ، وقد أعطاه الله في زعمهم - التصريف في شئون عبادها ....

وظيفة القطب :

ولعلك تريد أن تعرف الوظيفة المناطة بكل هؤلاء الذين توزعوا الأرض ، وتصرفوا في حياة الخلائق وحفظ الله بهم - في زعم الصوفية - الوجود ....

وكيف تورث هذه الولاية :

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص ٨٣ .

يقول الشعراني عن شيخه ابن عربي :

((وقال في الباب الثالث والثمانين وثلثمائة اعلم أن بالقطب تحفظ دائرة الوجود كله من عالم السكون والفساد وبالامامين يحفظ الله تعالى عالم الغيب والشهادة وهو ما أدركه الحس وبالأوتاد يحفظ الله تعالى الجنوب والشمال والمشرق والمغرب وبالابدال يحفظ الله الأقاليم السبعة وبالقطب يحفظ الله تعالى جميع هؤلاء لانه هو الذي يدور عليه أمر عالم الكون كله فمن علم هذا الأمر علم كيف يحفظ الله الوجود على عالم الدنيا ونظيره من الطب علم تقويم الصحة

(فان قلت) فهل للقطب تصريف في أن يعطي القطبية لمن شاء من أصحابه أو أولاده

(فالجواب) ليس له تصريف في ذلك وقد بلغنا أن بعض الأقطاب سأل الله أن تكون القطبية من بعده لولده فاذا بالهاتف يقول له ذلك لا يكون الا في الارث الظاهر وأما الارث الباطن فذلك الي الله وحده الله أعلم حيث يجعل رسالته انتهى .

فعلم أنه ما حفظ من حفظ من الأولياء وغيرهم من جهاته الأربعة الا بالأوتاد الذين كان منهم الامام الشافعي رضي الله عنه وما حفظ من حفظ في صفاته السبع الا بالابدال السبعة فكل صفة لها يدل يحفظها على صاحبها من حياة وعلم وقدرة وارادة وسمع وبصر وكلام انتهى [1]

وهكذا يريد المتصوفي ايهامك ان ما حفظ من سمعك وبصرك وقدرتك وعلمك ، وحياتك وارادتك انما مرجعه الي بدل من الأبدال السبعة الذين كان منهم الشافعي في زمانه ......

الشافعي هذا رضي الله عنه الذين يكذبون عليه والذي قال عن الصوفية بعد أن ارتحل عن العراق الي مصر قال :«تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يسمونه السماع» أهـ

وقال أيضاً رضي الله عنه :«لا أرى انساناً يتصوف أول النهار الا يكون أحمق

---

(١) اليواقيت والجواهر ج٢ ص .

في آخره» !!! ... والصحيح أن الحمق يصيب الأتباع والدهماء الذين يصدقون مثل هذه الخرافات ولكن الذين افتروا ذلك ودونوه لا شك أنهم دهاة عرفوا كيف يصرفون الناس عن عقيدة الاسلام الي عقائد الكفر والوثنية .... فهؤلاء لم يتركوا ديناً أو فلسفة كافرة ولا زندقة الا وأضافوها الي عقيدتهم وخرافاتهم وانظر الي كيفية عمل الأبدال عندهم .

الأبدال السبعة ووظائفهم :

قال الشعراني : وقال الشيخ أيضاً في الباب الخامس عشر :

«اعلم أن لكل بدل من الأبدال السبعة قدر، يمده من روحانية الأنبياء الكائنين في السموات فينزل مدد كل بدل من حقيقة صاحبه الذي في السماء قال وكذلك امداد الأيام السبعة فتتنزل من هؤلاء الأبدال لكل يوم مدد يختص به من ذلك البدل

(فان قلت) وهل يزيد الابدال وينقصون بحسب الشئون التي يبدلها الحق تعالى ام هم على عدد واحد لا يزدون ولا ينقصون

(فالجواب) هم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون وبهم يحفظ الله الأقاليم السبعة ومن شأنهم العلم بما أودع الله تعالى في الكواكب السيارة من الأمور والاسرار في حركاتها ونزولها في المنازل المقدرة

(فان قلت) فلم سموا أبدالاً ؟ (فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثالث والسبعين :

انهم سموا أبدالاً لأن كل واحد منهم اذا فارق مكانه خلفه فيه شخص على صورته لا يشك الرأي أنه ذلك البدل

(فان قلت) فهل ترتيب الأقاليم السبعة على صورة ترتيب السبع سموات بحيث يكون ارتباط الأقليم الأول بالسماء السابعة والثاني السماء السادسة وهكذا

(فالجواب) كما قاله الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة نعم يكون روحانية كل اقليم مرتبطة بالسماء المشاكلة له فالاقليم الأول للسماء السابعة وهكذا

(وايضاح ذلك) ان تعلم يا أخي أن الله تعالى جعل هذه الأرض التي تجن عليها سبعة أقاليم[1] واصطفى من عباده المؤمنين سبعة سماهم الأبدال وجعل لكل بدل اقليماً يمسك الله وجود ذلك الاقليم به فالاقليم الأول ينزل الأمر اليه من السماء الأولى التي هي السابعة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه هو على قلب الخليل ابراهيم عليه السلام والاقليم الثاني ينزل الأمر اليه من السماء الثانية وينزل اليه روحانية كوكبها الأعظم والبدل الذي يحفظه على قلب موسى عليه السلام والاقليم الثالث ينزل اليه الأمر الالهي من السماء الثالثة وينظر اليه روحانية كوكبها البدل الذي يحفظه على قلب هارون ويحى بتأييد محمد ﷺ والاقليم الرابع ينزل اليه الأمر والنهي الالهي من السماء الرابعة قلب الأفلاك كلها وينظر اليه روحانية كوكبها الأعظم والبدل الذي يحفظه على قلب ادريس عليه السلام وهو القطب الذي لم يمت الي الآن والأقطاب فينا نوابه كما مر والاقليم الخامس ينزل اليه الأمر من السماء الخامسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظ الله به هذه الأقاليم على قلب يوسف عليه السلام بتأييد محمد ﷺ والأقليم السادس ينزل الأمر عليه من السماء السادسة وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب عيسى روح الله ويحى عليهما السلام والأقليم السابع ينزل الأمر اليه من السماء الدنيا وينظر اليه روحانية كوكبها والبدل الذي يحفظه على قلب آدم عليه السلام ☆

قال الشيخ وقد اجتمعت بهؤلاء الأبدال السبعة بمكة خلف حطيم الحنابلة حيث وجدتهم يركعون هناك فسلمت عليهم وسلموا علي وتحدثت معهم فما رأيت أحسن منهم سمتاً ولا أكثر شغلاً منهم بالله عز وجل وما رأيت مثلهم إلا سقيط الرفرف بن ساقط العرش بقونية وكان فارسياً رضي الله عنه وقد أطال الشيخ الكلام على أصحاب الدوائر من الأولياء في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فراجعه والله أعلم ، انتهى منه بلفظه[2] .

(١) أي سبع قارات هي قارات العالم المعروفة .

(٢) اليواقيت والجواهر ج٢ ص ٨٣ .

وهكذا استطاع المتصوفة نقل عقائد الصابئة الذين كانوا في عهد ابراهيم عليه السلام وهم عبدة النجوم والكواكب الذين يؤمنون بأن لكل كوكب روحاً يتصرف في الخلق ، وصوروا تماثيل لروحانية القمر والشمس والمشتري والزهرة ....الخ....وعبدوها ....نقل الصوفية هذه العقائد الوثنية الجاهلة الي الفكر الاسلامي وجعلوها عقيدة من عقائد المتصوفة ومن أجل ذلك قال ابن عربي :

عقد البرية في الاله عقائدا
وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

وما ذلك الا لأنه يؤمن انه ليس الا الله في الكون !!!

مدة حكم القطب ووظيفته :

ويستمر ابن عربي في تخريفاته فيذكر لنا مدة حكم القطب والاعمال المنوطة به فيقول كما نقل عن الشعراني :

((فان قلت)) فهل مدة معينة للقطبية اذا وليها صاحبها لا يعزل منها حتى تنقضي .

(فالجواب) ليس للقطبية مدة معينة فقد يمكث القطب في قطبيته سنة أو أكثر أو أقل الي يوم الي ساعة فانها مقام ثقيل لتحمل صاحبها أعباء الممالك الأرضية كلها ملوكها ورعاياها. ☆ وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين واربعمائة ان كل قطب يمكث في العالم الذي هو فيه على حسب ما قدر الله عز وجل ، ثم تنسخ دعوته بدعوة أخرى كما تنسخ الشرائع بالشرائع واعني بالدعوة ما لذلك القطب من الحكم والتأثير في العالم فمن الأقطاب من يمكث في قطبيته الثلاث والثلاثين سنة واربعة أشهر ومنهم من يمكث فيها ثلاث سنين ومنهم ومنهم كما يؤيد ذلك مدة خلافة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فانهم كانوا أقطاباً بلا شك انتهى[١] .

---

(١)اليواقيت والجواهر ج٢ ص٨٣ .

ابن عربي القطب الأعظم :

وبالطبع بعد أن يصف ابن عربي كل هذا الوصف الخرافي للأقطاب والأبدال والأوتاد فلا بد أن يخص نفسه بلقب من هذه الألقاب . وتأبى كرامة ابن عربي طبعاً أن يختار لقباً دوناً ، أو مرتبة صغيرة فيعلن عن نفسه أنه القطب الأعظم الذي لا أعظم منه مطقاً يقول بالنص :

((لا أعرف في عصري هذا أحدا تحقق بمقام العبودية مثلي وذلك لأنني بلغت في مقام العبودية الغاية بحكم الارث لرسول الله ﷺ فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للربوبية على أحد من العالم طمعاً ، وقد منحني الله تعالى هذا المقام هبة منه ، ولم أنله بعمل وانما هو اختصاص الهي[1] ....

فانظروا أين يضع ابن عربي نفسه انه يضعها في القمة العليا التي لا تدانيها قمة ، ويدعي كذباً مع ذلك أنه نال ذلك باختصاص الهي حتى لا يطالبه أحد بمسوغات ومؤهلات هذا الاختيار .

وهكذا يعلن ابن عربي نفسه ملكاً متوجاً على مملكة الباطن التي صورها الخيال الشيطاني المريض لهذه العقلية الصوفية ، ويجعل من نفسه قطب الأقطاب ووارث الرسول ، وعلم الأعلام ، ويتبعه على هذا كل شيوخ التصوف الذين جاءوا بعده فيجعلون منه الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ....

وهكذا استطاع هذا الزنديق دارس الفلسفة والديانات القديمة ، وتخريفات الجاهلية في كل العصور استطاع أن يجمع كل ما درسه وينسج منه عقيدة وثنية جاهلية حمقاء ويلبسها باتقان وثعلبية نادرة يلبسها الآيات والأحاديث القرآنية فتروج بذلك بين أيدي جهلة المسلمين ، ويتاجر بها مجموعة الشياطين الذين قادوا هذا الفكر الصوفي المنحرف عبر القرون. والذين برروا له كل هذا الكفر والانحراف ...

وهكذا أخي المسلم تدرك الفارق بين الولاية الاسلامية القرآنية ، وبين ولاية هؤلاء الشياطين فأولياء الرحمن وصفهم الله تعالى في كتابه فقال: ﴿**وعباد**

(١) اليواقيت والجواهر ص ٦٥ ، ٦٦

الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ (الفرقان ٦١ ـ ٦٦)

فانظر كيف يمضون ليلهم كله في الصلاة ويستغفرون الله بعد ذلك ويخافون من عذاب النار مع ذلك ، واسمع قوله تعالى :﴿**ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ، والذين هم بربهم لا يشركون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الي ربهم راجعون ، اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون .﴾**
(المؤمنون ٥٧ ـ ٦١)

فهؤلاء هم أولياء الله حقاً خائفون من ربهم مشفقون من عذابه ، مؤمنون بربهم الواحد سبحانه وتعالى الذي ليس له ند ولا شريك ولا ظهير ولا معين ، ومع كل ذلك يصلون ويصومون ويخافون أن لا يتقبل الله أعمالهم ... اين هؤلاء الأولياء الصادقون من أولياء الشيطان الذين يزعمون أن الله ملكهم الدنيا والآخرة ، وأن الله أمنهم من كل خوف ، وأنه صرفهم في العالم العلوي والسفلي وأن الله عقد لهم ألوية المجد والعز وجعلهم جلساءه وخاصته ، وعقد لهم الولاية في السماء وبايعتهم الملائكة هناك ....الخ

اين الولاية الاسلامية من ولاية الشياطين المتقولين على الله ، الذين لم يتركوا صفة واحدة لله الا ونسبوها الي أنفسهم ، الذين لم يجعلوا لله تصريفاً الا بهم ، ولا رحمة الا منهم ، ولا احساناً الا من عندهم ، ولا قدرة الا بواسطتهم ، ومهما أفاض الانسان في وصف وقاحة هؤلاء الشياطين فلن يبلغ عشر معشار ما يستحقون ولن يكتب أيضاً شيئاً قريباً مما سودته أيديهم في الافتراء على الله والكذب على رسله الكرام ... هؤلاء الرسل الذين قال الله لأشرفهم وسيدهم محمد ﷺ ﴿**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني من سوء ان أنا الا بشير ونذير لقوم يؤمنون﴾** (الاعراف ١٨٨)

والذي كان يقول هو ﷺ (والله اني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً) رواه البخاري .

وكان يقول أيضاً (واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل) متفق عليه .

فأين هذا ممن يفترون ويقولون (لو بصقت على النار لأطفأتها) !! ومن يقول (اعطاني الله التصريف في الخلق) !! ومن يقول (سبحاني ما أعظم شأني) !! ومن ومن ؟ ....

أين أولياء الرحمن من أولياء الشيطان ....شتان....شتان،......!!

☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆ ☆

الفصل الثاني عشر
ختم الولاية

نشأ في الفكر الصوفي منذ القرن الثالث الهجري دعوى كاذبة وهي أن الأولياء يختمون كما أن الأنبياء لهم نبي خاتم . وأول من أظهر هذه الفكرة ودعى لها رجل يسمى محمد بن علي بن الحسن الترمذي ـ ويسمونه الحكيم ـ وجد في أواخر القرن الثالث الهجري وهو مجهول سنة الولادة والوفاة . ولقد ألف كتابا في هذا أسماه (ختم الأولياء) يقول في هذا الكتاب المذكور :

«وما صفة ذلك الولي ، الذي له امامة الولاية ورياستها وختم الولاية ؟

قال : ذلك من الأنبياء قريب ، يكاد يلحقهم .

قال : فأين مقامه ؟

قال : في أعلى منازل الأولياء ، في ملك الفردانية ، وقد انفرد في وحدانيته ، ومناجاته كفاحاً في مجالس الملك ، وهداياه من خزائن السعي .

قال : وما خزائن السعي ؟

قال : انما هي خزائن ثلاث : خزائن المنن للأولياء ، وخزائن السعي لهذا الامام القائد ، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام ، فهذا (=خاتم الأولياء) مقامه من خزائن المنن ،ومتناوله من خزائن القرب : فهو في السعي أبداً فرتبته ههنا ، ومتناوله من خزائن الأنبياء عليهم السلام ، قد انكشف له الغطاء عن مقام الأنبياء ومراتبهم وعطاياهم وتحفهم) .

كتاب ختم الأولياء ص ٣٦٧ ـ ٣٦٨)

وقد تدرج الترمذي هذا في دعواه تلك تدرجاً ابليسياً خبيثاً حيث هو يجابه العالم الاسلامي بمثل هذه العقيدة الفاسدة ، فيتذرع لنشر عقيدته الباطلة

بتحريف النصوص القرآنية والحديثية فيزعم أن للأولياء البشرى في الحياة الدنيا مستدلاً بقوله تعالى ﴿**ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**﴾ (يونس ٦٢ ـ ٦٤)

وأن الرسول بشر بعض أصحابه بالجنة ، وأنه ﷺ قد أخبر أن البشرى باقية في الرؤيا ، أقول.. يتذرع الترمذي بهذه النصوص من القرآن والسنة الصحيحة ليبث في عقائد المسلمين أن الولاية لا تنقطع وان فضل الله على هذه الأمة لا يتوقف ، وأن البشرى باقية بعد الرسالة ، وأن الأولياء يصلون الي معرفة الحق لأن الله في زعمه كشف عنهم الحجب كلها ويقول في هذا الشأن بالنص :

((فهذه الطبقة التي يكبر في صدورهم [1] بلوغ الأولياء هذا المحل من ربهم فيدفعون هذا لجهلهم ـ لا يعلمون أن لله عباداً اغرقوا في بحر جوده ، فجاد عليهم ، بكشف الغطاء عن قلوبهم ، عن عجائب ، وأطلعهم من ملكة ما نسوا في جنبه كل مذكور ، حتى تنعموا به في حجبه الربانية .

(ختم الأولياء ص ٣٨٦)

ثم يستطرد الترمذي أيضاً عائباً على من يعيب على المتصوفة هذه الدعاوي الباطلة فيسميهم علماء حطامين أي أهل دنيا ، وتارة بلعامين ـ نسبة الي بلعام بن باعوراء اليهودي الذي يذكر المفسرون أن الله أنزل في شأنه ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتاه آتينا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾ (الاعراف ١٧٥) ـ

ثم يدعي الترمذي بعد ذلك للأولياء أنهم يخبرون ويغترفون مما يغترف منه الأنبياء ، وأن الأولياء يبشرون (بالبناء للمجهول) كما يبشر الأنبياء ويرد على من يحتج عليهم أيضاً بقوله تعالى ﴿**فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**﴾ انظر اليه يقول :

---

(١) يعني علماء السنة الذين ينكرون هذه الترهات والأكاذيب .

«فاذا ذكر شأن الأولياء قدروا أحوالهم على ما يرون من أمور نفوسهم فكذبوا نعم الله تعالى ، ودفعوا منه وجهلوا أمرة . فهذا من أعظم الفرية على الله تعالى ...

قال له قائل : فان بعضهم احتج بقوله (تعالى) : ﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ (..وقال : ان الأمن من مكر الله أو ضلال هذه الطبقة ، وهذا يؤدي الي الزندقة . ـ وقال الله تعالى **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون﴾ ......**

والمحبةوالسعادة والشقاوة غيب عد الله تعالى ، لا يعلم الا هو ، ... وزعم أنك ناظرت يحي بن معاذ في ذلك حتى بقى متحيراً .. وأن هذه الطبقة تقدم نفسها على الأنبياء ...

قال له : أما قوله تعالى ﴿فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ فهذا قوله تعالى ، لا ريب فيه ولا في قبوله . وهو أنه لا يعلم ما حاله عند الله تعالى فان أمن فهو خاسر جاهل . كأنه حكم على اللهمن غير أن يحكمه . فأما من بشره الله فرد بشراه فقد اجترم ، كما اجترم ذلك الآخر ، فهذا من ذلك الوجه ، فحق على من لا يعلم ، أن لا يأمن ، وحق على من أمن أن يأمن ، فليس الأنبياء عليهم السلام كانوا يؤمنون (من أنفسهم) ولكن لما أُمنّوا أمِنوا والأنبياء لهم عقدة النبوة والأولياء لهم عقدة الولاية ....أهـ

المصدر السابق ص ٣٨٧ ـ ٣٨٨ .

ويستطرد الترمذي مجيباً في زعمه على من يقول للمتصوفة في دعاويهم هذه أن هذا ادعاء لعلم الغيب ولا يعلم الغيب الا الله ، فيجيب الترمذي على ذلك بجواب عجيب حيث يقول :

«وأما قوله ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾فعلم الغيب عند الله . وكم من غيب اطلع الله عليه رسوله فأية حجة في هذا؟ وانما يريد أن يروج بمثل هذا على الأغبياء . وكم من غيب أطلع الله عليه أهل الالهام حتى نطقوا به وأهل الفراسة ....»

(ختم الأولياء ص ٣٩٦)

وبالطبع يمهد الترمذي لهذا كله الذي يهدم به الدين من أساسه بأن الله في زعمه قد أعطاه الدليل على أن هذا الوحي المزعوم صدق ، فيقول رداً على من ينكر ذلك عليهم :

ويقال (له أيضاً) : ما قولك في محدَّث ، بشر بالفوز والنجاة فقال : رب اجعل لي آية تحقق لي ذلك الخبر الذي جاءني ، لينقطع (الشك والاعتراض) فقال : آتيك أن أطوي لك الأرض حتى تبلغ بيتي الحرام في ثلاث خطوات ، واجعل لك البحر كالأرض تمشي عليه كيف شئت ، وأجعل لك التراب والجو في يديك ذهباً ... ففعل هذا فهل ينبغي له أن يطمئن الي هذه البشرى ، بعد ظهور هذه الآية أم لا ؟ فان قال : لا . فقد عاند واجترأ على الله وحلت به دائرة السوء . وان قال : نعم . فقد ذهب قوله واحتجاجه الظلماني . أهـ المصدر السابق ص ٤٠١ .

ثم يبالغ الترمذي بعد ذلك في وصف هذاالولي المزعوم الذي يدعي أنه خاتم الأولياء فيقول ف ص ٤٠٦ من المصدر المذكور : «فهذا سيد الأولياء وأمان أهل الأرض ومنظر أهل السماء ، وخالصة الله وموضع نظره وسوطه فيخلقه» أهـ

وأن هذا الذي حصل عليه ذلك الولي انما كان باجتباء من الله ومنة منه فهو الذي جذبه اليه ، وأراد به ذلك .... ثم يسأل الترمذي سؤالاً يجيب عليه وهو كيف تقدم الختم هذا الأولياء فيقول ص٤٢١ ،

قال : فبم تقدم الأولياء واحتاجوا اليه ؟

قال : بأنه أعطى ختم الأولياء . فبالختم تقدمهم ، فصار حجة الله على أوليائه ، وقد ذكرت في أول الكتاب سبب الختم ..(وهو) أن النبوة أعطيت الأنبياء عليهم السلام ، ولم يعطوا الختم فلم تخلو تلك الحظوظ من هنات النفس ومشاركتها ، واعطى نبينا وختمت له نبوته . كالعهد الذي يكتب ثم يختم ، فلا يصل أحد الي أن يزيد فيه ولا أن ينقص منه ، وقد وصفت شأنه فيما تقدم .

وكذلك هذا الولي سير به (الله تعالى) على طريق محمد ﷺ ، بنبوته ،

مختوما بختم الله ، فكما كان محمد ﷺ حجة على الأنبياء فكذلك يصير هذا الولي حجة على الأولياء ، بأن يقول (الله تعالى) لهم : معاشر الاولياء ، اعطيتكم ولايتي فلم تصونوها من مشاركة النفس . وهذا أضعفكم واقلكم عمراً قد الى بجميع الولاية صدقاً ، فلم يجعل للنفس فيها نصيباً ولا تلبيساً .

وكان ذلك في الغيب من منة الله تعالى على هذا العبد ، حيث أعطاه الختم لتقر به عين محمد ﷺ ، في الموقف حتى قعد الشيطان في معزل ، وليست النفس فبقيت محجوبة ، فيقر له الأولياء يومئذ بالفضل عليهم . فاذا جاءت تلك الأهوال لم يك مقصراً . وجاء محمد ﷺ بالختم فيكون أماناً لهم من ذلك الهول . وجاء هذا الولي بختمه فيكون أماناً لهم بصدق الولاية ، فاحتاج اليه الأولياء ....أهـ

وهكذا يجعل الترمذي لهذا الولي المزعوم ما جعله الله لنبينا محمد ﷺ ... وصدق الله سبحانه وتعالى في شأن المشركين ﴿**بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفاً منشرة**﴾ (المدثر ٥٢) .

وهؤلاء الزنادقة يريد كل منهم أن يوحى اليه كما يوحى الي الرسول ، بل لم يتركوا فضلاً مما فضل الله به عبده ورسوله محمداً ﷺ الا انتحلوه لأنفسهم بل زادوا عليه ، واحتقروا منزلة الرسول ﷺ إلى المنازل التي يزعمون أن الله قد بلغهم اياها .

لقد وضع الترمذي المسمى بالحكيم في هذا الكتاب (ختم الولاية) بذور الشر الكبرى في الفكر الصوفي ، وكل الذين جاءوا بعده انما هم عيال عليه وتبع له في كل هذا الباطل الذي بثه في كتابه ، وخاصة في مسألة ختم الولاية فلم يأت متصوف بعد الترمذي هذا من مشهوري المتصوفة الا وادعى ختم الولاية لنفسه . وهاأنذا أسوق بعضاً من ذلك .

ابن عربي وختم الولاية :

يقول ابن عربي المتوفي سنة سنة ٦٣٨ هـ مدعياً لنفسه ختم الولاية :

«وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب ، من أكرمها أصلاً

ويدأ . وهو في زماننا اليوم موجود . عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة ورأيت العلامة التي له قد أخفاها الحق فيه من عباده ، وكشفها لي بمدينة فاس ، حتى رأيت خاتم الولاية منه ـ وهو خاتم النبوة المطلقة ـ لا يعلمها كثير من الناس وقد ابتلاه الله بأهل الانكار عليه فيما يتحقق به من الحق في سره من العلم به . وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة الشرائع كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية التي تحصل من الورث المحمدي لا التي تحصل من سائر الأنبياء ، فان من الأولياء من يرث ابراهيم وموسى وعيسى ، فهؤلاء يوجدون بعد الختم المحمدي ، وبعده فلا يوجد ولي على قلب محمد ﷺ ، هذا معنى خاتم الولاية المحمدية » .

(أهـ الفتوحات ج٢ ص ٤٩)

ويقول في موضع آخر من فتوحاته الضالة : «ومنهم (يعني الأولياء) الختم ، وهو واحد لا في كل زمان ، بل واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية فلا يكون في الأولياء المحمدية أكبر منه،» الفتوحات ج2 ص٩ .

وهذه العقيدة المفتراة التي لم يأت بها كتاب ولا سنة ، وانما افتراها الترمذي وجاء هؤلاء الملاحدة لينسجوا على منواله ، وكل منهم يزيد فيها شيئاً ، فبالرغم من أن الترمذي لم يفضل خاتم الأولياء المزعوم هذا على خاتم الأنبياء ﷺ فان ابن عربي جاء من بعده ليزعم أن خاتم الأولياء ـ يعني نفسه ـ أفضل من خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، وذلك بناءاً على تفضيله الولي على النبي كما قال في شعره :

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

ويأتي الي حديث النبي ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين» .

فيزعم أن اللبنة التي رآها الرسول هل لبنة فضة ، وأما خاتم الأولياء فانه يرى أن الجدار قد نقص لبنتين لبنة فضة ولبنة ذهب ، وأنه يرى نفسه قد

انطبع موضع هاتين اللبنتين يقول ابن عربي : « ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنة ، فكان الرسول ﷺ تلك اللبنة ، غير أنه ﷺ لا يراها الا كما قال : لبنة واحدة . وأما خاتم الأولياء فلا بدله من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ ويرى في الحائط موضع اللبنتين واللبن ، من ذهب وفضة . فلا بد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط ....(..)

والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين ، انه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر ، وهو موضع اللبنة الفضة ، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام . كما هو آخذ عن الله ، في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه من الأحكام ، كما هو آخذ عن الله ، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ـ فلا بد أن يراه هكذا ، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فانه آخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، الذي يوحى به الي الرسول ﷺ .
فصوص الحكم اهـ الفص الشيسي .

والذين جاءوا بعد ابن عربي من المتصوفة السائرين في هذا الدرب المظلم رددوا هذه العقيدة في كتبهم وزاد كثير من مشايخهم فزعم لنفسه هذه الولاية الكبرى التي يتم الله بها ـ في زعمهم ـ الولاية ، وقد تصدى الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى ورضي عنه لهذه المزاعم في أماكن كثيرة من كتبه ومن ذلك قوله :

« وكذا خاتم الأولياء لفظ باطل لا أصل له ، وأول من ذكره محمد بن على الحكيم الترمذي . وقد انتحله طائفة كل منهم يدعي أنه خاتم الأولياء : كابن حموي ، وابن عربي وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها ، وكل منهم يدعي أنه أفضل من النبي ﷺ من بعض الوجوه ، الي غير ذلك من الكفر والبهتان ، وكل ذلك طمعاً في رياسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء ، وقد غلطوا ، فان خاتم الأنبياء انما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك ، وليس كذلك خاتم الأولياء ، فان أفضل أولياء هذه الأمة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله

عنه ، ثم عمر رضي الله عنـه ، ثم عثمان رضي الله عنـه ، ثم علي رضي الله عنـه ، وخير قرونها القرن الـذي بعث فيـه النبي ﷺ ، ثم الـذين يلونهم ، ثم الـذين يلونهم ، وخـاتم الأوليـاء في الحقيقـة آخر مؤمن تقي يكـون في النـاس ، وليس ذلك بخير الأوليـاء ، ولا أفضلهم ، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصـديق رضي الله عنـه ، ثم عمر اللـذان مـا طلعت شمس ولا غربت على أحـد بعـد النبيين والمرسلين أفضل منهما» الفتاوي ج١١ ص٤٤٤

وقال رحمه الله أيضاً :

((.... ان دعوى المـدعي وجود خـاتم الأوليـاء ، على مـا أدعوه ، بـاطل لا أصل له ، ولم يذكر هذا أحد من المعروفين قبل هؤلاء إلا أبو عبـد الله محمـد بن علي الترمـذي الحكيم في كتـاب (ختم الولايـة) وقـد ذكر في هـذا الكتـاب وهـو خطأ وغلط مخالف للكتاب والسنـة والاجمـاع . وهو رحـمه الله تعـالى وان كان فيـه فضـل ومعرفـة ، ومن الكـلام الحسن المقبـول والحقـائـق النـافعـة أشيـاء محمودة[1] ففي كـلامـه من الخطـأ مـا يجب رده . ومن أشنعهـا مـا ذكره في ختم الولاية : مثل دعواه فيه أنه يكون في المتأخرين من درجته عند الله أعظم من درجـة أبو بكر وعمر وغيرهمـا ، ثم أنـه تنـاقض في موضـع آخر ، لما حكي عن بعض الناس ، أن الولي يكون منفرداً عن النـاس ، فـأبطل ذلـك وأحتج بـأبي بكر وعمر وقـال : يلـزم هــذا أن يكـون أفضـل من أبي بكر وعمر» . (وأبطـل ذلك .

ومنها أنه ذكر في كتـابـه مـا يشعر أن ترك الأعمال الظـاهرة ، ولو أنهـا التطوعات المشروعة ، أفضل في حق الكامل ذي الأعمال القلبيـة ، وهـذا أيضـاً خطأ عنـد أئمـة الطريق . فـان أكمل الخلق رسول الله ﷺ وخير الهـدي هـدي محمد ﷺ وما زال محافظاً على مـا يمكنـه من الأوراد والتطوعـات البـدنيـة الي مماته ....

---

(١) قلت : رحم الله الامـام ابن تيميـة : أي شيء محـود في كتـابـه وقـد بنـاه من أولـه لآخره على أن الأوليـاء معصومون ، وأن الله هـو يختصهم ويختـارهم ، وأن التكليف ليس شرطـاً في ولايتهم ، وأنهم يعلمون الغيب كله .. بل اسس في كتابه ختم الولاية كل أصول الشر لمن جاء بعده

وقال أيضاً :

«ومنها ما ادعاه من خاتم الاولياء ، الذي يكون في اخر الزمان وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الانبياء مع الأنبياء ، وهذا ضلال واضح ، فان أفضل أولياء الله من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثان وعلي وأمثالهم ، من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة ، وخير القرون قرنه ﷺ ، كما في الحديث الصحيح :«خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ....

«ولفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ، ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله ، وموجب هذا اللفظأنه آخر مؤمن تقي ، (ومهما يكن الأمر) فان الله يقول : ﴿**ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ الآية ،. فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً .

وهم على درجتين : السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون ، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر وسورة الواقعة والانسان والمطففين

....

واذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا ، فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم ، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم ، اللذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم .....)) .

وقد رد الامام ابن تيمية رحمه الله أيضاً على ما ادعاه الترمذي (الحكيم) في ثبوت العصمة للأولياء بقوله :

((.... وان كان طائفة تدعي على أن الولي محفوظ وهو نظير ما يثبت للأنبياء من العصمة ـ والحكيم الترمذي قد أشار الي هذا ـ فهذا باطل مخالف للسنة والاجماع ، ولهذا اتفق المسلمون على أن من الناس يؤخذ من قوله ويترك الا الرسول ﷺ .... وبهذا صار جميع الأولياء مفتقرين الي الكتاب والسنة ، لابد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول فما وافق آثار الرسول فهو الحق وما خالف ذلك فهو باطل ......)) .

وقال أيضاً :« ثم ان صاحب الفصوص (يعني ابن عربي) وأمثاله بنو الأمر على أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة والنبي يأخذ بواسطة الملك . ولهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة ، وهذا باطل وكذب فان الولي لا يأخذ عن الله الا بواسطة الرسول وان كان محدثاً[1] فقد ألقي اليه بشيء وجب عليه أن يزنه بما جاء به الرسول من الكتاب والسنة .» اهـ

ولا يظنن ظان أن قول الامام ابن تيمية أن الولي يكون (محدثا) أن الله يكلمه ، وانما ذلك مجرد الالهام الذي لا يستطيع الولي بأن يجزم بأنه من الله أو من الشيطان الا بعرضه على ميزان الكتاب والسنة ، وباطمئنان قلب المؤمن المنبع لشرع الله الي مثل هذا الالهام ، وأما هذه المخاريق والخزعبلات والكفر والزندقة التي جاء بها المتصوفة فليست الا وساوس شياطين اذ كيف يكون الهاماً من الله من يدعي أنه خاتم الأولياء وأنه أفضل من محمد ﷺ وأنه يعلم الغيب كله وأنه يتصرف في الأكوان .... الخ هذه الكفريات ولذلك قال الامام ابن تيمية في هذا الصدد :

((والأولياء وان كان فيهم محدث ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال «إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في أمتي منهم فعمر» فهذا الحديث يدل على أن أول المحدثين من هذه الأمة عمر ، وأبو بكر أفضل منه اذ هو صديق ، والمحدث وان كان يلهم ويحدث من جهة الله تعالى فعليه أن يعرض ذلك على الكتاب والسنة فانه ليس بمعصوم ..))أهـ

ولا شك بعد هذا أن دعوى ختم الولاية هي من الكفر الصريح الذي لا يجوز أن يماري فيها مؤمن يعي عن الله وعن الرسول ﷺ وخاصة اذا انضاف الي ذلك الزعم بتفضيل خاتم الأولياء هذا على خاتم الأنبياء ﷺ وقد نص ابن تيمية رحمه الله في مواطن كثيرة على كفر من زعم ذلك كقوله :

---

(١) يشير الامام ابن تيمية بقوله (محدثا) الي حديث الرسول ﷺ عن عائشة رضي لله عنها عن النبي ﷺ :أنه كان يقول « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم واحد ، فان عمر بن الخطاب منهم» قال ابن وهب : تفسير محدثون أي ملهمون (متفق عليه)

((ومن الأنواع التي في دعواهم ، ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من بعض الوجوه ، فان هذا لم يقله أبو عبد الله الحكيم الترمذي[1] ولا غيره من المشايخ المعروفين . بل الرجل أجل قدراً وأعظم ايماناً من ان يفتري هذا الكفر الصريح ولكن أخطأ شبراً ففرعوا على خطئه ما صار كفراً .

((وأعظم من ذلك زعم (ابن عربي) ان الأولياء والرسل ، من حيث ولايتهم ، تابعون لخاتم الأولياء وأخذوا من مشكاته . فهذا باطل بالعقل والدين فان المتقدم لا يؤخذ من المتأخر ، والرسل لا يأخذون من غيرهم ، وأعظم من دلك أنه جعلهم تابعين له في العلم بالله ، الذي هو أشرف علومهم . وأظهر من ذلك أنه جعل العلم بالله هو مذهب أهل وحدة الوجود ، القائلين بأن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق !

فليتدبر المؤمن هذا الكفر القبيح درجة بعد درجة (!! ...)

فقد زعم أنه أعلم بالله من خاتم الأنبياء ، وأن تقدمه عليه بالعلم بالله ، وتقدم خاتم الأنبياء عليه بالتشريع فقط . وهذا من أعظم الكفر الذي يقع فيه غالية المتفلسفة ، وغالية المتصوفة ، وغالية المتكلمة ، الذين يزعمون أنهم في الأمور العلمية أكمل من الرسل ... وان الرسل انما تقدموا عليهم بالتشريع العام الذي جعل لصلاح الناس في دنياهم . وقد يقولون أن الشرائع قوانين عدلية ، وضعت لمصلحة الدنيا ، فأما المعارف والحقائق والدرجات العليا في الدنيا والآخرة فيمضلون فيها أنفسهم وطرقهم على الأنبياء ةوطرق الأنبياء» .

(حقيقة مذهب الاتحاديين لابن تيمية ص ١١٥ ـ ١٢٣)

وأظن بعد هذا الكلام الصريح الواضح والدليل الناصع لا يرتاب مسلم مؤمن بالله في كفر هذه الطائفة المارقة التي فتحت الباب لكل زندقة وكفر ليدخل دين الاسلام ، وللأسف ان ذلك كله يحدث باسم التقوي والصلاح والزهد والتصوف والتعبد واصلاح القلوب ، والوصول الي غاية الدين . وهؤلاء

---

(١) قلت : حقا لم يقل هذا نصاً ولكن ما وصف به خاتم الأولياء المزعوم يجعله في منزلة فوق النبي نفسه .

المتصوفة في حقيقة أمرهم متبعون في دينهم للملاحدة الذين أرادوا هدم الدين وأقرأ ما يقوله ابن تيمية أيضاً في ذلك :

«ولهذا كان الملاحدة من المتصوفة على طريقهم ، كابن عربي وابن سبعين وغيرهما ، قد سلكوا مسلك ملاحدة الشيعة ، كأصحاب رسائل أخوان الصفا واتبعوا ما وجدوه من كلام صاحب الكتب المضنون بها على غير أهلها وغير ذلك مما يناسب ذلك ، فصار بعضهم يرى أن باب النبوة مفتوح لا يمكن اغلاقه . فيقول كما كان ابن سبعين يقول : (لقد زَرَّبَ ابن[1] آمنة حيث قال «لا نبوة بعدي» ! أو يرى ، لكونه أشد تعظيماً للشريعة ، أن باب النبوة قد أغلق .) فيدعي أن الولاية أعظم من النبوة وأن خاتم الأولياء أعلم بالله من خاتم الأنبياء ، وأن خاتم الأنبياء بل وجميع الأنبياء انما يستفيدون معرفة الله من مشكاة خاتم الأولياء . ويقول أنه يوافق النبي في معرفة الشريعة العملية لانه يرى الامر على ما هو عليه ، فلا بد أن يراه هكذا ، وأنه أعلم من النبي بالحقائق العلمية لانه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك ، الذي يوحى به الي الرسول ....

«فمحمد عندهم يأخذ من الملك الذي هو عندهم خيال في نفسه ، وذلك الخيال يؤخذ عن العقل . فمحمد عندهم يأخذ عن جبريل وجبريل يأخذ عن ما علمه من النفس الفلكية ، فزعم ابن عربي أنه يأخذ من العقل ، وهو المعدن الذي يأخذ منه جبريل فان ابن عربي وهؤلاء يعظمون طريق الكشف والمشاهدة والرياضة والعبادة ، ويذمون طريق النظر والقياس وما يدعونه من الكشف والمشاهدة ، عامته خيالات أنفسهم ، ويسمونه حقيقة ...»

(الرد على المنطقيين ، لابن تيمية ص ٤٨٦ ـ ٤٨٩)

محمد عثمان الميرغني وختم الولاية :

ومن ادعى ختم الولاية لنفسه محمد عثمان الميرغني السوداني المتوفي سنة١٢٦٨هـ

---

(١) : ضيق على الناس ويعني بابن آمنة رسول الله ﷺ .

هـ م والذي كان يقول عن نفسه (من رآني ومن رأي من رآني الي خمسة لم تمسه النار !! ولا حرج على ذلك فان الله يختص برحمته من يشاء) انظر تاج التفاسير لمحمد عثمان الميرغني ص٤ .

وسمى نفسه الختم ، أو خاتم الأولياء ، وجعل هذا الاسم أيضاً علماً على طريقته الصوفية حيث سماها (الختمية) أي خاتمة الطرق جميعاً !! ومما يدعيه في تفضيل نفسه على سائر الأمة جميعاً بمن فيهم أبو بكر وعمر ما يقوله في كتابه الذي سماه تاج التفاسير ص١٣٧ عند قوله تعالى : ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس﴾ يقول :

ولما وصلت في التفسير الي هذا الموضع رأيت في تلك الليلة المصطفى ﷺ في محفل من الرسل الكرام ويقول لي الأنبياء من نوري ، وطارت نقطة نور منه فتخلق منها صورة سيدنا اسماعيل الذبيح فقال لي هكذا خلقوا من نوري والأولياء من **نور الختم ثم** رأيته تلك الليلة عن يمينه جبريل وعن يده اليسرى ميكائيل وأمامه الصديق وخلفه الامام علي ، فقال لي ﷺ بعد أن دنوت منه وقبلت جبهته الكريمة: ما قام بأمر الله والمؤمنين أحد بعدي مثلك شكر الله سعيك فقلت له يا رسول الله ، فقال تعبت في المؤمنين ونصحتهم ما تعب فيهم أحد بعدي مثلك فقلت له أأرضاك ذلك؟ قال أرضاني وأرضى الله من فوق سبع سمواته وعرشه وحجبه. ثم نادى رضوان فقال يارضوان: عمر جناناً ومساكن لابني محمد عثمان وأبناءه وصحبه وأتباعه ، وأتباع أتباعه الي يوم القيامة : ثم قال يا مالك فحضر فقال عمر في النار مواضع لاعداء محمد عثمان الي يوم القيامة وأطال الكلام في الواقعة ونسأل الله التوفيق لشكر النعم بحق المصطفي صاحب الأسرار الجامعة . أهـ منه بلفظه .....

وفي هذه الرؤيا المزعومة كل الكفر والشرك . فالأنبياء لم يخلقوا من نور الرسول كما زعم في رؤياه بل النبي ﷺ بشر كسائر الناس في البشرية لقوله تعالى ﴿**قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ (الكهف ١١٠) .

فليس مخلوقاً من نور كما زعموا بل من يقول هذا يجعل الرسول جزءاً من الله وهذا كفر كما قال الله للمشركين ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً ان الانسان لكفور مبين﴾ .

فمن قال أن الرسول خلق من نور الله فهو كافر ، ومن قال أيضاً خلق نور عرش الله فهو كافر متقول على الله ما لم يقل . متقول على رسول الله ما لم يقله ، وأما الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله والذي فيه أن جابراً سأل رسول الله ما أول ما خلق الله ؟ فقال : نور نبيك يا جابر ، فهو حديث موضوع باتفاق أئمة الحديث جميعاً على وضعه وأنه كذب محض مخالف لما صح عن الرسول ﷺ من حديث ابن عمر أن أول شيء خلقه اللهسبحانه وتعالى هو القلم فقال له أكتب . قال وما أكتب . قال أكتب ما كان وما يكون الي يوم القيامة .(متفق عليه) ، وأما قوله الأولياء قد خلقوا من نور الختم !! يعني محمد عثمان الميرغني فهذا ليس كذباً فقط ولكنه كذب وصفاقة وسخافة تضحك العقلاء ، فما النور الذي كان مع محمد عثمان حتى يخلق الله منه جميع الأولياء !! ومتى كان الأولياء قد خلقوا من نور ، والملائكة هم الذين خلقهم الله من النور !! وأما الأولياء والأنبياء فبشر كالبشر فضلهم الله بعبادته وطاعته والايمان به .وأما الأدعاء بأن الرسول قد أمر رضوان أن يبني لمحمد عثمان وأتباعه وذريته وأهل بيته ....الخ ، هذه السخافات فشيء لم يدعيه الرسول لنفسه فضلاً أن يجعلها لرجل كان أهم ما امتاز به هو أن مهد الطريق للاستعمار الانجليزي في السودان ، واستطاع أن يأكل أموال الناس بالباطل بما لا مثيل له فقد استحوذ على أموال البسطاء المساكين الفقراء ...وأن يتزوج مئات النساء وينجب عشرات الأطفال !! وأما أن الرسول ﷺ يأمر مالكاً خازن النار أن يعمر مساكن لأعداء محمد عثمان الي يوم القيامة ..هكذا ...فالنبي لا يأمر ملائكة الله من عند نفسه بل قال له سبحانه ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾ **!!** فلا يتصرف في الكون كما يزعمون ، بل الرسول عبد كامل العبودية لربه سبحانه وتعالى يتصرف بأمر مولاه وهو أجل وأعظم ﷺ أن يأتي لرجل في المنام ويعطيه الجنة كما يشاء له ولذريته وأتباعه ، ويعطي

النار لأعدائه .....هكذا ...وأين الله سبحانه وتعالى أن يتصرف مخلوق في ملكه كما يشاء المخلوق ..... ودون الرجوع الي الخالق سبحانه وتعالى . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وحاشا الرسول ﷺ ما يفتريه عليه المفترون .... وهؤلاء يصدق فيهم قول النبي ﷺ«من أرى عينيه ما لم تراءيا أمر يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل».

أي أن من قال رأيت في النوم كذا زكذا وليس بذلك فهذا قد رأى في عينه ما لم ترءيا ، وان كان رأى حقاً فانما ذلك من الشيطان حتما لأن الرسول ﷺ لا يأتي بعد مماته بما يخلف شريعته في حياته ﷺ .

أحمد التجاني وختم الولاية :

ومن ادعى لنفسه ختم الولاية أيضاً بصفاقة ليس بعدها صفاقة هو أحمد التجانى الفاسي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ وهذا التجانى جاء ليكذب جميع الذين أدعو الختمية قبله على ألف سنة تقريباً فاذا كان أول من ادعاها هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم وكان ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري فقد جاء التجانى في القرن الثالث عشر ليكذب جميع الذين ادعوا الختمية قبله وليزعم لنفسه أن الله قد ختم الأولياء به حقاً وصدقاً ، وأن الرسول ﷺ قد بشره بذلك .

قال صاحب كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الشيطان الرجيم :

((قال صاحب الرماح ما نصه : وشيخنا التجانى ولد عام خمسين ومائة وألف ووقع له الأذن من النبي ﷺ يقظة لا مناماً بتربية الخلق على العموم والاطلاق سنة ألف ومائة وست وتسعين ، قال أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ عاش وهو في مرتبة الختمية ثلاثين سنة واذا تأملت هذا علمت أن الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا وان أحداًما ادعاهاوثبت على ادعائها لنفسه وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا الي ربنا سيد أحمد بن محمد الشريف الحسني التيجاني قال : قد أخبرني سيد الوجود ﷺ بأني أنا القطب المكتوم منه الي مشافهة يقظة لا مناماً فقيل له ما معنى المكتوم ؟ فقال هو الذي كتمه الله تعالى عن

جميع خلقه حتى الملائكة والنبيين الا سيد الوجود ﷺ فانه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل ما عند الأولياء من الكمالات الالهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا أن النبي ﷺ قال أن لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها ادخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي الا في سيد الوجود ﷺ وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن عربي الحاتمي فانما يعلمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق الالهية وهذه الأخلاق لا يعرفها الا من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها الا بالذوق وقال ان الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم الي النفخ في الصور ، وخصصت بعلوم بيني وبينه منه الي مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة وقال أنا سيد الأولياء كما كان ﷺ سيد الأنبياء)) أهـ منه

وهكذا تعلم أخي المسلم ما يتمتع به هؤلاء القوم من صفاقة وكذب سبقوا به الأولين والآخرين فهؤلاء هم يكذب بعضهم بعضاً ، ويدعي كل منهم لنفسه ختم الولاية وهو شيء لم يأت في كتاب ولا سنة وانما افتراه لهم مفتري فتتابعوا وراءه على مدى ألف ومائة سنة للآن لم أقرأ عن شيخ صوفي مشهور الا وادعى هذا لنفسه ولكنني لم أجد أكثر كذباً وصفاقة من هذا أحمد التيجاني الذي ادعى أنه قد تحقق بكل الأخلاق الالهية وعددها ثلاثمائة خلق ولما يتحقق بها الا الرسول محمد ﷺ كذا ، وجميع الأولياء عرفوا ظاهرها فقط وأما أحمد التيجاني (الكذاب) فقد تحقق بها تماماً ، ثم تسأل أخي المسلم ما هي هذه الأخلاق فيقال لك أنها أخلاق ذوقية لا يعرفها الا من ذاقها فقط كيف تكون الأخلاق أذواقاً يا قوم ، وكيف تكون هذه هي أخلاق الله التي تخلق بها أحمد التجانى حقاً وصدقاً !!....

ان هذا المفتري لم يترك فرية من الفرى والأكاذيب التي افتراها من قبله على هذا الطريق الهالك طريق التصوف الا افتراها هو لنفسه فقد زعم هنا أيضاً أن الله ينزل الفيوض (العلوم الغيبية) على الرسول محمد وأن الرسول محمد هو الذي

يقاض منه على سائر الأنبياء ، ثم يقاض من الأنبياء جميعاً على شخص أحمد التجانى فقط الذي يقوم بامداد جميع الأولياء بعد ذلك بهذه العلوم منذ خلق آدم وحتى النفخ في الصور !! انظر الي هذا الكذب الملفق ما أعظمه وأشنعه . لقد افترى الفرية رجال قبله فلم يهدأ له بال حتى نسب ذلك الي نفسه انظر هنا الي النص الآتي كيف يناقش من يذكر أمامه فضيلة من الفضائل المزعومة أيضاً لشيخ من شيوخ التصوف قال صاحب الرماح أيضاً ما نصه :

«ومدده الخاص به (يعني الشيخ التجانى) انما يتلقاه منه ﷺ ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشرباً معهم منه ﷺ قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به مشيراً باصبعه السبابة والوسطى روحي وروحه ﷺ هكذا ، روحه ﷺ تمد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحي تمد الأقطاب والعارفين والأولياء من الأزل الي الأبد وسبب ذلك أن بعض أصحابه تحاور مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كل الشيوخ أخذوا عني في الغيب فحكى له ذلك فأجاب رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ما ذكر .».

وقال : نسبة الأقطاب معي كنسبة العامة مع الأقطاب وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني قال قدمي هذا (كذا) على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماي هاتان جميعها (وكان متكئاً فجلس وقال) على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم الي النفخ في الصور . أهـ .....

فانظر هذا الكذب والافتراء فاذا كان الجيلاني قد نسب اليه قوله مفصلاً لنفسه : قدماي هاتان على رقية كل ولي لله تعالى !! فإن التجانى لم يهدأ باله حتى فسر كلام الجيلاني بأن هذا في وقته فقط وأما هو فقدماه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم الي النفخ في الصور !! فانظر الي هؤلاء الذين يدوسون بأقدامهم على أولياء الله تعالى ويفضلون أنفسهم على هذا النحو وهذه الكلمات منهم ان دلت على شيء فانما تدل على مقدار الوقاحة والكذب الذي تحلى به هؤلاء ، وعلى مقدار الجهل والفساد والتردي الذي وصلت اليه الأمة بأن تجعل أمثال هؤلاء المفترين الوقحين هم سادتها وقادتها ووسيلتها الي الله

وأن تملك رقابها وأموالها وعقولها لأمثال هؤلاء حيث يقودونهم الي درب الغواية والضلال .

وقد قسم الجيلاني هذا مراتب الأولياء والأنبياء على سبع مراتب سماها حضرات قال فيها : الحضرة الأولى : الحقيقة المحمدية قال وهذه الحضرة غيب من غيوب الله تعالى لم يطلع عليها أحد ولا عرف شيئاً من علومها وأسرارها وتجلياتها وأخلاقها ولو كان من الرسل والأنبياء لأنها خاصة بالنبي ﷺ .
والثانية الحضرة المحمدية وتمثلها الدائرة الثانية ومن هذه الحقيقة المحمدية مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين . والثالثة حضرة الأنبياء وتمثلها الدائرة الثالثة وأهل هذه الحضرة يتلقون علومهم وأحوالهم وتجلياتهم من هذه الحقيقة المحمدية وخاتم الأولياء أعني الشيخ التجانى له مشرب من هذه الحضرة مع الأنبياء فهو يتلقى المدد رأساً من النبي ﷺ من حقيقته المحمدية بلا واسطة . الرابعة حضرة خاتم الأولياء وتمثلها الدائرة الرابعة وصاحب هذه الحضرة هو الشيخ أحمد التجانى فهو يتلقى كل ما فاض من ذوات الأنبياء زيادة على ما يتلقاه بلا واسطة من الحقيقة المحمدية ولذلك سمى نفسه (برزخ البرازخ) .

وقال الشيخ التجانى وخصصت بعلوم بيني وبينه منه الي مشافهة لا يعلمها الا الله عز وجل بلا واسطة وقال أنا سيد الأولياء كما كان النبي ﷺ سيد الأنبياء ثم قال صاحب الرماح (ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص لأن له مشرباً معهم منه ﷺ) !!

الحضرة الخامسة حضرة المتبعين للطريقة التجانية المتمسكين بها قال الشيخ التجانى في حق أهل هذه الحضرة ما نصه (لو أطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطيتنا شيئاً وقال الشيخ التجانى لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال الشيخ التجانى : كل الطرائق تدخل عليه (كذا) طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره وقال من ترك ورداً من

أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق أمنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات .

وأما من دخل زمرتنا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به مصائب الدنيا وأخرى ولا يفلح أبداً[1] ثم قال ناقلاً عن شيخه التجانى كما هو في جواهر المعاني : وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا الا أنا وحدي ووراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف الا في الدار الآخرة بشرى للمعتقد على رغم أنف المنتقد ثم استطرد صاحب الرماح ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكابر الأقطاب وان كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين .

الحضرة السادسة حضرة الأولياء وتمثلها الدائرة الدائرة السادسة وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نالوا . أهـ (الهدية الهادية ص٣٦) .

انظر ماذا في هذه النصوص من الكفر الصريح والمخالفة الواضحة لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، فمعلوم من الدين ضرورة أن من قال أنا في الجنة فهو في النار كما ثبت بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ لأن هذا غيب بعد رسول الله ﷺ وهؤلاء لم يدعوا الجنة لأنفسهم فقط بل ادعوها لكل من صدق أكاذيبهم ولو كان فاجراً عاصياً لله زياة على الكفر بتصديقهم كأن يكون تارك الصلاة زانياً ... وجعل التجانية هذا أعني ادخاله العصاة الي الجنة فضل أعطاه الله اياه وبلغه الرسول بذلك . فانظر ...أقول : العجيب بعد كل هذا الكفر البواح المخرج من ملة الاسلام أن يدعي المدعي أن طريقته هذه مبنية على الكتاب والسنة وأنه لم يأت قط بما يخالفها فانظر هذا التلبيس على الناس ، وأنظر أي فتنة فتن بها المسلمون بهذا الطريق الصوفي !؟.

---

(١) هامش : قلت فانظر كيف يهدم كل صاحب طريق صوفى طريق غيره من الكاذبين الضالين من أمثاله . وأعتبر !!

الفصل الثالث عشر
الديوان الصوفي الذي يحكم العالم

إكمالاً لاحكام السيطرة الخرافية على العالم ، اخترع رجال التصوف بخيالاتهم الشيطانية المريضة ... اخترعوا ديواناً للأقطاب والأوتاد وسائر أصناف الأولياء عندهم ينعقد في غار حراء ، وفي أماكن أخرى أحياناً ليدير هذا الديوان العالم من خلال قراراته ....

وقد كفانا أحمد بن مبارك السلجماسي المغربي في كتابه الابريز كفانا المؤنة وقد بسط وشرح بخيال لا يجارى ، وبعقلية عندها قدرة عجيبة على الكذب والبهتان ... وصف هذا الديوان العجيب والأمر بالرغم من أنه غاية في الكفر والزندقة لا يخلو من طرافة الخرافة ، وسأحاول أن تكون تعليقاتي وشرحي لبعض ما جاء في هذا الديوان قليلة وذلك انني أتصور وأعتقد أيضاً أن الفكرة السيئة يكفي لدحضها وبيان تفاهتها أن يعرفها الناس فلو أن الناس عرفوا الأفكار الصوفية على حقيقتها لما راج التصوف وقامت سوقه ولكن لأنه دائماً كان يغلف الخرافة والكفر والشرك بالرموز والأسرار ، واللف والدوران مع ما يعلنه من التمسك بالكتاب والسنة جعل الناس يتهافتون الي ما عندهم ظناً أن عندهم فعلاً علوماً جديدة وفوائد عظيمة ولكن لو أن الناس فهموا ما عند المتصوفة على حقيقته لتغير الحال . وهذا نمط من الأسرار الصوفية التي يدعي المتصوفة أنهم وصلوا اليها .يقول السلجماسي في وصف الديوان الباطني الصوفي ما يلي :

هيئة الديوان :

«الباب الرابع في ذكر ديوان الصالحين رضي الله عنهم أجمعين»

سمعت الشيخ[1] رضي الله عنه يقول الديوان يكون بغار حراء الذي كان يتحنث فيه الرسول ﷺ قبل البعثة قال رضي الله عنه فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب ومن المذاهب الأخرى والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان وهو في هذا الوقت مالكي أيضاً من بني خالد القاطنين بناحية البصرى واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي ومع الوكيل يتكلم الغوث ولذلك يسمى وكيلاً لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان قال والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته والصفوف الستة من وراء الوكيل وتكون دائرتها من القطب الرابع الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة وهذا هو الصف الأول وخالطه الثاني على صفته وعلى دائرته وهكذا الثالث الي أن يكون السادس آخرها قال ويحضره النساء وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة قال رضي الله عنه ويحضره بعض الكمل من الأموات ويكونون في الصفوف مع الأحياء ويتميزون بثلاثة أمور أحدها أن زيهم لا يتبدل بخلاف زي الحي وهيئته فمرة يحلق شعره ومره يحدد ثوبه وهكذا وأما الموتى فلا تتبدل حالتهم فاذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى كأن تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر فاعلم أنه على تلك الحالة مات وان رأيت الشعر على رأسه على حاله لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق فاعلم أنه ميت وأنه مات على تلك الحالة ، ثانيها أنه لا تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات قال رضي الله عنه ومن آداب زائر القبور اذا أراد أن يدعو لصاحب القبر ويتوسل الي الله تعالى بولي

(١) يعني بالشيخ عبد العزيز الدباغ الأمس الجاهل الذي يدعي أنه قد عَلِمَ عِلْمَ الأولين والآخرين جميعا .

من أوليائه في اجابة دعوته أن يتوسل اليه تعالى بولي ميت فانه أنجع للمقصود وأقرب لاجابة دعوته . ثالثها أن ذات الميت لا ظل لها فاذا وقف الميت بينك وبين الشمس فانك لا ترى له ظلاً وسره أنه يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابية وذات الروح خفيفة لا ثقيلة وشفافة لا كثيفة قال لي رضي الله عنه وكم مرة أذهب الي الديوان أو الي مجمع من ملجأ الأولياء وقد طلعت الشمس فاذا رأوني من بعيد استقبلوني فأراهم بعين رأسي متميزين هذا بظله وهذا لا ظل له قال رضي الله عنه والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون اليه من البرزخ يطيرون طيراً بطيران الروح فاذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا الي الأرض ومشوا على أرجلهم الي أن يصلوا الي الديوان تأدباً مع الأحياء وخوفاً منهم قال وكذا رجال الغيب اذا زار بعضهم بعضاً فانه يجيء بسير روحه فاذا قرب من موضعه تأدب ومشى مشي ذاته الثقيلة تأدباً وخوفاً قال وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف ويحضر أيضاً الجن الكمل وهم الروحانيون وهم من وراء الجميع وهم لا يبلغون صفاً كاملاً قال رضي الله عنه وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم الوصول اليها وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول اليها فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول اليها . أهـ منه بلفظه [1].

الغوث الصوفي هو بمنزلة رب الأرباب عندهم أو كبير المتصوفين في هذا العالم ، وهناك عدد كبير جداً من المتصوفة زعم أنه وصل الي هذه المرحلة (الغوثية) أو القطبية والقطلبانية الكبرى) منهم الدباغ هذا وكان أمياً جاهلاً لا يحفظ حزباً من القرآن الكريم (وانظر معنى الغوث في فصل الولاية الصوفية) وجعلوا هذا الغوث الذي يدبر العالم من غار حراء جعلوا في خدمته الأقطاب والأوتاد والنجباء وسائر الأولياء بل والملائكة والجن أيضاً ... ولم يقصروا الحضور على الأحياء فقط بل جعلوا الحضور للأموات أيضاً ....

---

(١) الأبريز ص١٦٣ ، ١٦٤ .

زعمهم أن النبي ﷺ يحضر الديوان :

ولم يكتف هؤلاء الشياطين بأنفسهم لحضور هذه الخيالات حتى زعموا أيضاً أن الرسول يحضر معهم : قال[1] وفي بعض الأحيان يحضره النبي ﷺ فاذا أحضر عليه السلام جلس في موضع الغوث وجلس الغوث في موضع الوكيل وتأخر الوكيل للصف واذا جاء النبي ﷺ جاءت معه الأنوار التي لا تطاق دائماً هي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها

وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة حتى أنا لو فرضنا اربعين رجلا بلغوا في الشجاعة مبلغا لا مزيد عليه ثم فجؤوا بهذه الأنوار فانهم يصعقون لحينهم الا أن الله تعالى يرزق أولياؤه القوة على تلقيها ومع ذلك فانه قليل منهم هو الذي يضبط الأمور والتي صدرت في ساعة حضوره ﷺ قال وكلامه ﷺ مع الغوث قال وكذلك الغوث اذا غاب ﷺ تكون له أنوار خارقة حتى لا يستطيع أهل الديوان أن يقربوا منه بل يجلسوا منه على بعد فالأمر الذي ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات الا ذات النبي ﷺ واذا خرج من عنده ﷺ فلا تطيقه ذات الا ذات الغوث ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة ومن الأقطاب السبعة تفرق على أهل الديوان . أهـ منه بلفظه[2] .

ساعة انعقاد الديوان :

ويستطرد السلجماسي قائلاً : ((وأما ساعة الديوان سبق الكلام عليها وانها هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ وانها هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير

التي وردت بها الأحاديث كحديث ينزل ربنا كل ليلة الي السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فاستجيب له ...الحديث . قلت

(١) أى الدباغ .

(٢) الأبريز ص١٦٤ .

ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند ارادة النوم ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ....﴾الي آخر السورة ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة المذكورة فانه يفيق فيها ذكره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنه وقد جربناه ما لا يحصى وجربه غيرنا حتى أنه وقع لجماعة غير مأمورة أن يقرأوا الآية المذكورة ويطلبون من الله تعالى الافاقة في الساعة المذكورة كل واحد منهم يفعل ذلك في خاصة نفسه من غير أن يعلم به صاحبه واذا أفاقوا أفاقوا جميعاً في وقت واحد . انتهى منه بلفظه [1] .

زوجات النبي ﷺ والديوان :

ويستمر السلجماسي في خيالاته الشيطانية فيقول : ((وسألته رضي الله عنه هل يحضر الديوان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثل سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وغيرهما من الرسل على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقال رضي الله عنه يحضرونه في ليلة واحدة في العام قلت فما هي قال في ليلة القدر فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين وغيرهم ويحضره سيد الوجود ﷺ ويحضر معه أزواجه الطاهرات وأكابر صحابته الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين)) انتهى بلفظه[1] .

قلت يتعجب المسلم كيف تأتي لهؤلاء كل هذه القدرة على الكذب والبهتان ، وكيف قادتهم الشياطين لمثل هذه الافتراءات التي يتضاحك منها الصبيان فضلاً عن العقلاء . فالحمد لله الذي نجانا وهدانا واخرجنا برحمته من ظلمات هذه الوثنية الي نور الاسلام والاستظلال بظلال القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة وابعدها عن تحريفات أهل البهتان .

(١) الابريز ص١٦٤ .
(٢) الابريز .

زعمهم حضور الملائكة للديوان :

ثم يقول السلجماسي ((وسمعته رضي الله عنه يقول ان الديوان أولاً كان معموراً بالملائكة ولما بعث الله النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة حيث رأينا الولي اذا خرج الي الدنيا وفتح الله عليه وصار من أهل الديوان فانه يجيء الي موضع مخصوص في الصف الأول أو غيره فيجلس فيه ويصعد الملك الذي في ذلك الوضع وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل ولله الحمد كلما ظهر ولي صعد ملك وأما الملائكة الذين هم باقون فيه يكونون في الصفوف الستة كما سبق فهم ملائكته ذات النبي ﷺ الذين كانوا حفاظاً لها في الدنيا ولما كان نور ذاته ﷺ مفرقاً في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف قال رضي الله عنه واذا حضر النبي ﷺ في الديوان وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره ﷺ فما دام النبي ﷺ في الديوان لا يظهر منهم ملك فاذا خرج النبي ﷺ رجع الملائكة اتلي مراكزهم والله أعلم.[1] ولست أدري لماذا يقول هؤلاء الكذابون بعد كل هذا الدجل والكذب (والله أعلم) ماذا تفيدهم هذه الكلمة العظيمة في هذا الموضع الذي يكذبون فيه على الله . انهم بزعمهم يتكلمون على حقائق وعلوم وأسرار غيبية زعموا أنهم رأوها وشاهدوها وليست عندهم مجرد ظن أو اجتهاد فلماذا يقولون بعد ذلك والله أعلم وهم يعلمون يقيناً أنهم يكذبون ويفترون ، ويضحكون على عقول الدهماء والتي تصير وراءهم وتصدقهم .

أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة والحسن والحسين أعضاء في الديوان :

---

(١) الابريز ص ١٧٤ .

ويستمر السلجماسي في خيالاته الفاجرة فيقول :

((قال)) رضي الله عنه واذا حضر سيد الوجود ﷺ مع غيبة الغوث فانه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وأمهما فاطمة الزهراء تارة كلهم وتارة بعضهم رضي الله عنهم أجمعين ، قال وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار كما سبق وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن رضي الله عنها وعنهن قال رضي الله عنه وسمعتها رضي الله عنها تصلي على أبيها ﷺ ليلة من الليالي وهي تقول اللهم صل على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون اللهم صل على من هو امام الأنبياء والمرسلين اللهم صل على من هو امام أهل الجنة عباد الله المؤمنين وكانت تصلي عليه ﷺ لكن لا بهذا اللفظ وانما أنا استخرجت معناه . والله أعلم انتهى[1]

لغة أهل الديوان :

ويقول أحمد بن مبارك :

«سمعته رضي الله عنه يقول أن لغة أهل الديوان رضي الله عنهم هي السريانية لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة ولأن الديوان يحضر الأرواح والملائكة والسيريالية هي لغتهم ولا يتكلمون بالعربية الا اذا حضر النبي ﷺ أدباً معه . أهـ[2]

ولست أدري لماذا يجمع المتصوفة تقريباً على اختيار اللغة السريانية لغة للديوان ، ولمعاني الحروف ، وللأذكار فأما للتلبيس على الناس لأنها لغة منقرضة لا توجد الا في قرية واحدة الآن من قرى سوريا ولا يتكلمها الا نحو خمسمائة شخص فقط ، أو لأن هذه اللغة كانت لغة أقوام اشتهروا بعبادة الجن والأوثان وهذا الذي يبدو فان هذه اللغة كانت لأقوام وثنيين من عبدة الجن والكواكب وما زالت القرية التي يتكلم أصحابها بها للآن كثير منها مهجور مسكون بالجن .

---

(١) الابريز ص ١٦٨ .

(٢) الابريز ص ١٦٨ .

أولياء يحضرون الديوان بأرواحهم فقط :

ثم يقول السلجماسي : ((وسمعته رضي الله عنه يقول أن الصغير من الأولياء يحضر بذاته وأما الكبير فلا تحجير عليه يشير رضي الله عنه الي أن الصغير اذا حضر غاب عن محله وداره فلا يوجد في بلدته أصلاً لأنه يذهب اليه بذاته وأما وأما الكبير فانه يدبر وعلى رأسه فيحضر ولا يغيب عن داره لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور لكمال روحه تدبر له ان شاء ثلثمائة وستة وستون ذاتاً بل سمعت الشيخ رضي الله عنه مرة وأنا معه خارج باب الحبشة أحد أبواب فاس حرسها الله يقول : ايش هو : الديوان والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري ☆ وسمعته مرة يقول انما يقام الديوان في صدري ☆[1] .
ولعل الكلمة الأخيرة التي قالها الدباغ هي أصدق ما قال أعْنِي أن الديوان يقام فقط في قلبه المريض وفي عقله المجنون وأما ذكره من غار حراء والأولياء والأنبياء والرسل وسائر هذه التخريفات فلا صحة لها .

الديوان يعقد في صحراء السودان أحياناً :

الصحراء السودانية مكان آخر لانعقاد الديوان يقول السلجماسي : (وسألته) رضي الله عنه هل يكون الديوان . في موضع آخر غير غار حراء فقال رضي الله عنه نعم يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير وهذا الموضع يقال له زاوية أسا بفتح الهمزة والسين بعدها ألف خارج أرض سوس بينها وبين أرض غرب السودان فيحضر أولياء السودان ومنهم من لا يحضر الديوان الا في تلك الليلة ويأذن الله تعالى ويسوق أهل آفاق تلك الأراضي ويجتمعون بالوضع المذكور قبل تلك الليلة بيوم أو يومين وبعدها كذلك يجتمع في ذلك السوق من التبر مالا يحصى فقلت وهل ثم جمع آخر في غير هذين الموضعين فقال نعم يجتمعون

(١) الابريز ص ١٦٧ .

ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط الا في الموضعين السابقين لأن الأرض لا تطيقهم لأنه تعالى أراد تفرقهم في الأرض وفي الخلق والله تعالى أعلم أهـ منه بلفظه[1] .

ماذا لو غاب الغوث :

ويقول السلجماني أيضاً : وسمعته رضي الله عنه يقول قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضر فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضاً فأن غالبهم اختار أمراً وخالف الاقل في ذلك فان الأقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون جميعا وقد اختلفوا ذات يوم في أمر فقال طائفة منهم قليلة ان لم يكن ذلك الأمر فلتمت فقالت الطائفة الكثيرة فموتوا ان شئتم فماتت الطائفة القليلة قال رضي الله عنه فان تكافأ الفريقان ان حصل التصرف فيهم معاً فقلت فانهم أهل بصيرة وكشف فلم يحصل بينهم النزاع وهم يشاهدون مراد الله تعالى ببصيرتهم فقال رضي الله عنه اذا كان الأقل هو المخالف فان الله يحجبهم عن المراد حتى ينفذ ما قضاه فيهم واذا تكافأ الفريقان فان مراد الحق سبحانه يخفى على الجميع لأن قلوب الأولياء الأوفياء مظاهر الأقدار وقد اختلفت وتكافأت فقلت فما سبب غيبة الغوث رضي الله عنه عن الديوان فقال رضي الله عنه سببه أحد أمرين إما غيبته في مشاهدة الحق سبحانه فلهذا لا يحضر في الديوان وأما كونه في بداية توليته كما اذا كان بقرب موت الغوث الذي قبله فانه قد لا يحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئاً فشيئاً قال رضي الله عنه وقد يحضر سيد الوجود ﷺ في غيبة الغوث فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث أنهم يجهلون العاقبة في حضوره ﷺ ما يخرجهم عن جناسهم حتى أنه لو

---

(١) الابريز ص١٧٣ .

طال ذلك أياماً لانهدم العوالم .[1]

الغوث الصوفي دكتاتور كبير :

وأما الغوث هذا فهو اخطر دكتاتور فأن أى أحد لا يستطيع أن يفتح فمه عنده يقول السلجماسي :
(وسألته مرة فقلت : اذا حضر الغوث فهل يقدر أحد على مخالفته فقال رضي الله عنه لا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بها فانه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الايمان فضلاً عن شيء آخر والله أعلم[1] .

ولست أدري ما دام هذا هو حال غوثهم مع سائر أوليائهم المزعومين فلماذا الحضور اذن في هذا الديوان هل هو لمجرد تلقي الأوامر فقط ..

أولياء ينظرون في اللوح المحفوظ :

ويستطرد السلجماسي مبيناً مراتب الأولياء الذين يحضرون ديوانهم المكذوب فيقول : ((وسمعته رضي الله عنه يقول ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه اليه ببصيرته ويعرف ما فيه ومنهم من لا يتوجه اليه لعلمه بأنه ليس من أهل النظر اليه قال رضي الله عنه كالهلال فان رؤية الناس اليه مخالفة)) أهـ

وأقول ألا لعنة الله على من كذب مثل هذا الكذب الذي لم تعرف البشرية له مثيلاً من قبل قط ... ولكن العجيب أن ينشر مثل هذا الفكر المجنون عند أناس يقرأون كتاب الله الذي يقول ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض

(١) الابريز ص١٦٨ .
(٢) الابريز ص١٦٩ .

الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون)) .

لماذا يجتمع أهل الديوان :

والآن نأتي الي بيت القصيد كما يقولون فلماذا يجتمع أهل الديوان . يقول السلجماسي : ((وسمعته)) رضي الله عنه يقول أن أهل الديوان اذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت الي مثله من الغد فهم رضي الله عنهم يتكلمون في قضاء الله عز وجل في اليوم المستقبل والليلة التي تليه قال رضي الله عنه ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية وحتى في الحجب السبعين وحتى في عالم الرقا (بالراء وتشديد القاف) وهو ما فوق الحجب السبعين فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهمس به ضمائرهم فلا يهمس في خاطر واحد منهم شيء الا باذن أهل التصرف رضي الله عنهم أجمعين واذا كان هذا في عالم الرقا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش فما ظنك بغير من العوالم ... [1] .

فانظر كيف يتحكم هؤلاء بخيالاتهم وكذبهم ليس في الأرض فقط بل في الأرض والسماء وما فق السماء من الحجب والعرش ، فماذا أبقى هؤلاء الكاذبون المارقون لله سبحانه وتعالى ليتصرف فيه ... تَبَّتْ عقول استساغت مثل هذا الكذب واعتقدت مثل هذا الهراء !!

☆ ☆ ☆

(١) الابريز ص ١٦٩ .

الباب الرابع : الشريعة الصوفية

فى الأبواب والفصول السابقة اطلعنا على حقيقة المعتقد الصوفى ، وسبرنا غور هذا الفكر الباطني الذى يتستر بالإسلام . والآن نأتى الى الشريعة الصوفية ونعنى بها العمل الظاهر ، والمنهج العملي الذي سلكه رجال التصوف تضليلاً للعامة ، ووصولاً إلى العقيدة الباطنية ، وتظاهراً بالتمسك بالإسلام المنزل على محمد ﷺ وسيعلم القارىء كيف أن الظاهر الصوفي والشريعة الخاصة الصوفية لا تكاد تخرج عن البدعة والفسق والكفر والشرك . ولنبدأ بأخص أمورهم وأشهرها ، التى جعلوها دائماً المدخل إلى الطريق الصوفى ألا وهو الذكر .

الفصل الأول : الذكر الصوفى

كيفية تلقى الاذكار عند الصوفية :

يخطئ من يظن أن الصوفية أتباع للرسول ﷺ فى هدية فى الذكر حيث شرع لنا ﷺ أن نذكر الله سبحانه وتعالى بأذكار مخصوصة فى أوقات معلومة ، والنبي عندما أخبرنا ﷺ أن من قال كذا وكذا فله كذا وكذا من الأجر إنما يتكلم بالوحي لأن الأجر أمر غيبي يقدره الله ويعلمه ، ولكن مشايخ الصوفية أراد كل منهم أن ينصب من نفسه مشرعاً لمجموعة من المريدين ، وإلها يعبده الأتباع الجاهلون ، وكان باب الأذكار هو الباب الذي دخل منه هؤلاء للتشريع للأتباع والمريدين فوضع كل منهم لأتباع طريقته منهجاً خاصاً فى الذكر ، وأذكاراً مخصوصة وكان لابد لكل واحد منهم أن يضفي على ذكره الخاص هالةً من التقديس ، وأن يحاول جذب المريدين إليه بشتى الطرق والوسائل فمنهم من زعم أن ذكره الخاص قد أخذه من الرسول مناماً ، ومنهم من ادعى أنه أخذه من الرسول يقظةً ،ومنهم من زعم أن الخضر هو الذي أوحى له بالذكر ،ومهم من تنازل فنسب ذكره إلى شيخ طريقة ميت ، ومنهم من تنازل عن ذلك فأخبر أتباعه أنه جمع لهم هذا الذكر من آيات القرآن ، وأحاديث الرسول وتأليفاته ، وأن مجرب وأن من فعله حصل له كذا وكذا من الخير . فقد فعله فلان فحصل له كذا وكذا ، وفعله فلان فحصل له كذا وكذا ....وإليك أنماطاً من هذه الافتراءات والأكاذيب والخزعبلات التى لا يصدقها إلا من طمست بصائرهم :

الزعم بأن الرسول (ﷺ) يعلم أذكار الطريقة الشاذلية :

علم جميع المسلمين بالضرورة من دين الإسلام أن الرسول ﷺ قد علم الناس

كيف يذكرون الله ويحمدونه ويمجدونه ، وأن ذلك بوحى من الله له ، ولكن الصوفية انفردوا عن جميع المسلمين فزعموا أن الرسول يأتيهم بعد موته ﷺ والتحاقه بالرفيق الأعلى ليعلمهم الطريقة الشاذلية !! يقول صالح محمد الجعفري الذي كان إماماً لمسجد الأزهر لمدة طويلة توفى سنة ١٩٧٩ فى كتابه الذي سماه مفاتيح كنور السموات والأرض المخزونة التى أعطاها ﷺ لشيخ الطريقة الإدريسية المصونة !! .

يقول صالح الجعفري هذا :ـ

قال سيدي أحمد رضى الله عنه اجتمعت بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الخضر أن يلقننى أذكار الطريقة الشاذلية فلقننى إياها بحضرته ﷺ .

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم للخضر عليه السلام :يا خضر لقنه ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار وأفضل ثواباًوأكثر عددا فقال أى شئ هو يارسول الله ؟ فقال :لا اله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله فقالها وقلتها بعدهما وكررها صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثا .

ثم قال ، قل : اللهم إنى أسألك بنور وجه الله العظيم إلى آخر الصلاة العظيمية ثم قال له قل أستغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم غفار الذنوب ذا الجلال والإكرام الى آخر الإستغفار الكبير فقلت بعدهما وقد كسيت أنواراً وقوة محمدية ورزقت عيوناً إلهية[1]!!

ثم قال ﷺ يا أحمد أعطيتك مفاتيح السموات والأرض وهي الذكر المخصوص والصلاة العظيمة والإستغفار الكبير المرة الواحدة منها بقدر الدنيا والآخرة وما فيها أضعافاً مضاعفة»!! واستطرد قائلاً :

قال سيدي أحمد رضي الله عنه وقدس سره : ثم لقنها لي ﷺ من غير

---

(١) هذه الدعوى بالطبع هى الباب الذي يدخل منه هؤلاء على المسلمين بالخرافات والخزعبلات التى ينسبونها الى الرسول ، ويدعون بها الغيب فما دام أنه رزق عيونا الهية فلماذا لا يطلع على الغيب ؟ ....

واسطة فصرت ألقن المريدين كما لقنني به ﷺ .

ومرة قال له رسول الله ﷺ لا إله إلا الله محمد رسول الله فى كل لمحه ونفس عدد ما وسعه علم الله خزنتها لك يا أحمد ما سبقك بها أحد .
علّمها أصحابك يسبقون بها وكان رضى الله عنه يقول أملى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأحزاب من لفظه حتى استشكل بعض أصحابه من العلماء مرة كلمة فى الحزب الخامس فقال يا أخانا هكذا قال لى رسول الله ﷺ .[1] أهـ

فهذه الحكايات التي كان يرويها صالح الجعفري بالسند المتصل حسب زعَمه إلى قائله أحمد الإدريسى فيها من الدعاوى والضلالات شيئ كثير جداً . من ذلك اجتماع أحمد الادريسى هذا بالرسول والخضر ولسنا ندري ما علاقة الخضر بالرسول الله ﷺ وليس هو من اتباع الرسول محمد ولا من هذه الأمة الإسلامية أصلاً ، وانما الخضر صاحب موسى على شريعة غير شريعة موسى أيضاً ،وقد مات كما مات الرسل والأنبياء قبله وبعده ، ولو كان حياً فى زمان النبى ﷺ لا تبعه وحارب معه وشهد معه الجمع والجماعات والا كان مرتدا كافراً . بدليل قول النبى ﷺ (والله لو أن موسى حيا لما وسعه الا أن يتبعنى) وبدليل نزول عيسى فى آخر الزمان وحكمه بشريعة النبى محمد ﷺ فما علاقة الخضر أن يكون حاضراً مع الرسول وأن يأمره الرسول أن يعلم الأذكار والأوراد !؟[2] ولماذا يلجأ النبى ﷺ ـ وحاشاه ـ أن يعلم شيئاً جديدا بعد إتمام رسالته ولحوقه بربه ألا تكفى الأذكار والأوراد التى علمها فى حياته ؟ الم يقل سبحانه وتعالى **﴿اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الأسلام دينا﴾**[3]

فما الحاجة بعد إلى أذكار جديدة .. وأليس لو كان للرسول هذا الاتصال ببعض الناس أن يكون ذلك لبيان كيف يخرج المسلمون مما يواجهونه من محن ومصائب ألا يأتى مثلا الرسول ليحل المعضلات التى تجابه العالم الاسلامى

---

(١) مفتاح كنوز السموات والارض المخزونة ص٨، ٩
(٢) أقرأ الفصل الخاص بالخضر فى عقيدة المتصوفة
(٣) المائدة آية ٣ .

ويحتار فيها العلماء ويختلفون فيها . ثم لنظر ما هى الأوراد والادعية التى جاء الرسول ـ فى زعمهم ليعلمها لهؤلاء أنها كلمات ركيكة التركيب العربى ، فيها جهل عظيم بالله سبحانة وتعالى ، وتقول عليه سبحانه وتعالى وفيها اعتداء فى الدعاء بكل معانى الأعتداء ، وفيها من أسماء الشياطين ما فيها واليكم نماذج من هذه الأدعية التى يزعم أصحابها أنهم اجتمعوا بالرسول (ﷺ) وعلمهم لهم . هذه هى الصلاة التى يسمونها (الصلاة العظيمية !! هكذا (والعظيمية !!) وليس بلفظ عربى وهى :

اللهم إنى اسألك بنور وجه الله العظيم ☆ الذي ملأ أركان عرش الله العظيم ☆ وقامت به عوالم الله العظيم ☆ أن تصلى على مولانا محمد ذي القدر العظيم ☆ وعلى آل نبي الله العظيم ☆ بقدر عظمة ذات الله العظيم ☆ فى كل لمحة ونفس عدد ما فى علم الله العظيم ☆ صلاة دائمة بدوام الله العظيم ☆ تعظيماً لحقك يا مولانا يا محمد ياذا الحق العظيم ☆ وسلم عليه وعلى آله مثل ذلك ☆ واجمع بينى وبينه كما جمعت بين الروح والنفس ظاهراً وباطناً يقظة ومناما واجعله يارب روحاً لذاتى من جميع الوجوه فى الدنيا قبل الآخرة يا عظيم .أهـ....

فأنظر الى ركاكة التعبير ، وخطاب الله بالغيبة وهوسوءأدب مع الله فقوله اللهم إنى أسألك وهذا خطاب ثم يقول **(بنور وجه الله العظيم)** وهذه غيبة كأن الله غير المخاطب ، والصواب والبلاغة أن تقولك **(بنور وجهك العظيم)** لأنك تخاطب الله . ولكن الذين ألقوا هذه الأذكار المبتدعة لا يحسنون العربية .

والعجيب أن ينسبوها بعد ذلك لأفصح العرب لساناً والذي آتاه الله جوامع الكلم ، وانظر بعد ذلك تكرار اسم العظيم في غير مناسبة ، ثم وصف العرش أن له أركاناً ومن أين لهم ذلك ؟ ولم يرد هذا في كتاب أو سنة وإنما جاء في الحديث أن للعرش ساقاً كما جاء في قوله ﷺ «فأجد موسى باطشاً بساق العرش»

---

(١) مفتاح كنوز السموات والأرض ص٦ .

ثم ما معنى أن يدعو المسلم ربه ويسأله أن يجمع بينه وبين الرسول كما جمع بين الروح والنفس !! وأن يكون هذا ظاهراً وباطناً ، يقظة ومناماً ، وأن يكون الرسول روحاً لذات الداعي وهذا كله من أكبر العدوان في الدعاء ، وهو فتح باب الإدعّاء بعلم الغيب ، فما دام أن الرسول قد امتزجت روحه بالمدعو ظاهراً وباطناً ، يقظة ومناماً ، فمعنى هذا أنه يتكلم بلسان الرسول ويعلم علم الرسول وهذا فتح لباب التقول عل الله !!! فهل هذا الدعاء الركيك السقيم معنى ومبنى يأتي الرسول ليعلمه للناس !! ...

هذا من أذكار هذه الطريقة الشاذلية وإليك نماذج من أدعيتها وأذكارها ....

«يا خالق السبع سماوات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن ، أشهد أنك على كل شيء قدير ، وأنك قد أحطت بكل شيء علماً ، أسألك بهذا الأمر الذي هو أصل الموجودات ، وإليه المبدأ والمنتهى ، وإليه غاية الغايات أن تسخر لنا هذا البحر ، بحر الدنيا وما فيه ، كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمان ، وسخر لي كل بحر هو لك ، وسخر لي كل جبل وسخر لي كل حديد ، وسخر لي كل ريح ، وسخر لي كل شيطان من الجن والإنس ، وسخر لي نفسي ، وسخر لي كل شيء ، يا من بيده ملكوت كل شيء ، وايدني بالنصر المبين ، انك على كل شيء قدير» أهـ[1]

وبالرغم من أن الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر والإمام الأكبر كما يسمونه أورد هذا الدعاء وغيره في ترجمة الشاذلي مستحسناً له ، فان في هذا الدعاء من التعدي شيء عظيم جداً ، فإنه لا يجوز لنا أن نسأل ما جعله الله لأنبيائه من هذه المعجزات فتسخير الجن والشياطين لسليمان كان شيئاً خاصاً بسليمان فقط ، ولذلك روى البخاري بإسناده إلى النبي ﷺ أنه قال « جاءني عدو الله

---

(١) أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص٢٧٥ .

إبليس بشهاب من نار ليضعه في وجهي ولولا دعوة أخي سليان لأصبح موثقاً بسارية المسجد يلعب به صبيان المدينة» . وأما نار إبراهيم التي يسأل الشاذلي ربه أن يسخرها له !! فإن الله عز وجل جعلها برداً وسلاماً على ابراهيم في مناسبة خاصة وذلك بعد أن تعرض لما تعرض له من البلاء ، ولم يسأل ابراهيم ربه أصلاً بذلك ، وكذلك إلانة الحديد لداود إنما كان لأنه يأكل من عمل يده فكافأه الله بأن ألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع فكان هذا من الله فضلاً له للمناسبة التي فيه ... أما أن يأتي رجل ليس بنبي فيسأل الله جميع معجزات الأنبياء فلا شك أن يكون قد تعدى في الدعاء وقد نهى النبي ﷺ عن التعدي في الدعاء والحق أننا إذا قارنا هذا التعدي الموجود في أدعية أخرى لهان الأمر فها هو الشاذلي نفسه يقول في دعائه أيضاً :

«اللهم هب لي من النور الذى رأى به رسولك ﷺ ، ما كان ويكون ، ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه ، غنياً بك عن تجديدات النظر لشيء من المعلومات ، ولا يلحقه عجز عما أراد من المقدورات ، ومحيطاً بذات السر بجميع أنواع الذوات ، ومرتباً البدن مع النفس والقلب مع العقل ، والروح مع السر والأمر مع البصيرة والعقل الأول الممد من الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى» أهـ[1] .

فأي تعد أكبر من هذا أن يدعو انسان ربه ليعطيه نوراً من النور الذى رآى به النبي ما كان يكون ـ وهذا كذب أيضاً لأن الرسول لو يكن يعلم من الغيب ما كان وما يكون ولم يكن يعلم منه إلا ما أعلمه الله سبحانه وتعالى وإياه ، ولكن هؤلاء زعموا هذا للنبي ﷺ ورتبوا على ذلك أن يجعلهم الله أيضاً كالنبي يعلمون الغيب ، وقوله حتى يكون العبد بوصف مولاه ـ يعني أن يتصف بما اتصف به النبي ويكون الوصف راجعاً في النهاية للنبي لا يعفيه هذا أنه يطلب ما كان للنبي من منزلة وعلم وصدق الله سبحانه حيث يقول في أمثالهم ﴿**بل يريد كل منهم أن يؤتى صحفاً منشرة**﴾

---

(١) ص ١٦٨ المصدر السابق . (٢) المدثر ٥٢ .

والحق أن الشاذلي في هذا الدعاء قد طلب ما لله من علم وليس ما للرسول فقط فولاه هنا راجعة إلى الله سبحانه فكل من هؤلاء يريد أن يكون كالله سبحانه وتعالى في علمه وتصريفه وقدرته . والحق أنه لا يتوقف التعدي في الدعاء عند الصوفية أن يطلبوا منازل الأنبياء وخصائصهم وعلومهم بل وصفات الله وخصوصياته بل وتعدى ذلك أيضاً أن يتطاولوا على الله فيعلموه كيف يصفح وكيف يرحم انظر الي هذا الدعاء للشاذلي أيضاً :

«ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه ورردت عليه ما ذهب من بصره وجمعت بينه وبين ولده ، ولقد نادى نوح من قبل فنجيته من كربه ، ولقد ناداك أيوب بعد فكشفت ما به من ضره ، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه ، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنة ، ولقد علمت ما نزل بابراهيم فأنقذته من نار عدوه ، وأنجيت لوطاً وأهله من العذاب النازل بقومه . فها أنذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به وإن ترحمني كما رحمتهم من عظيم إجرامي فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك وأقبل عليك بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك ، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت الرحيم العلي كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء الينا فأنت أولى بذلك منا ، أهـ[1] .

فبالرغم من أنه دعا الله سبحانه أن ينجيه كما أنجى عباده الصالحين فأن تطاول على الله فى آخر الدعاء فراح يقول لله(وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن اليك) ؟ !(بل من الكرم أن تحسن الى من أساء اليك) وكأنه فى هذا يعلم الله سبحانه كيف يتفضل وكيف يحسن وعلى هذا القول تكون عقوبة الله للمسيئين ليست جارية على سنة الله فى كرمه وعفوه وصحفه وحلمه وهذا خطأ بالغ لأن الله سبحانه وتعالى لايضع رحمته الا فيمن يستحقها ، ولا يعفو إلا عن من هو أهل للصفح والمغفرة . كما قال تعالى**(ورحمتي وسعت كل شيء**

---

(١) ص ١٩١ المصدر السابق .

فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون).. [1].

وهذا التعدي فى الدعاء هو سمة المتصوفة بوجه عام كما مر بك فى دعاء البسطامى «ارفعنى الى أحديتك وأدخلنى فى صمديتك حتى أكون أنت أنا فأذا رآنى عبادك عرفوك ....الى آخر هذا الهذيان والكفر ...والعجيب من يسطر مثل هذا الهراء الآن وينتشره على الناس داعياً إياهم الى هذا الطريق الصوفى طريق الظلمات ....

هذه هى نماذج من الأدعية والاذكار التى زعم صالح الجعفرى أن روي بأسناده إلى شيخة أحمد بن ادريس أن رسول الله علمها إياه وان أحد المريدين استشكل لفظة من الحزب الخامس فقال له ياأخانا هكذا قال لى رسول الله ﷺ !!

(٢) التلقى من القبور :

وهذه قصة تبين طريقة أخرى لتلقى الأذكار ، انها مخاطبة الموتى والاخذ عنهم حتى ولو كان الذكر كلاماً لا معنى له فى أي لغة من اللغات المعروفة !!

ذكر أحمد بن المبارك السجلماسى المتوفى سنة ١١٥٥ هـ قال :

«قص علينا بعض أصحابنا من أخيار أهل تلمسان ، فأخبرنى أنه سمع بعض من حج بيت الله الحرام يقول أنه زار قبر سيدى إبراهيم الدسوقى (نفعنا الله به ،) !! فوقف عليه الشيخ سيدى إبراهيم الدسوقى نفعنا الله به وعلمه دعاء وهو هذا :«بسم الله الخالق ، يلجمه بلجام قدرته . أحمى حميثاً أطمى طميثاً وكان الله قوياً عزيزاً ، حم عسق حمايتنا كهيعص كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم . ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم ،»[2].

فقال له سيدى ابراهيم : ادع بهذا الدعاء ولا تخف من شئ فقال له صاحبنا التلمسانى وهو الحاج الأبر التاجر الأطهر سيدى عبد الرحمن بن ابراهيم من

---

(١) (الاعراف ١٥٦)

(٢) الإبريز .

أولاد ابراهيم القاطنين بتلمسان : إن أخى الحاج محمد بن ابراهيم استشكل معنى هاتين الكلمتين وهما (أحمى حميثا وأطمى طميثا) امتنع من هذا الدعاء وقال : لا أدرى ما معناهما ولعل أن يكون فيهما ما أكره ، فسألنى عن معنى الكلمتين . فسألت شيخنا رضى الله عنه عن معناهما ،فقال رضى الله عنه بديهه لا يتكلم أحد اليوم على وجه الا ٔرض بهاتين الكلمتين فمن أين لك بهما ؟ !....

فحكيت له الحكاية ، فقال رضى الله عنه : نعم سيدى ابراهيم الدسوق من أكابر الصالحين ومن أهل الفتح الكبير وهو وأمثاله الذين يتكلمون بهاتين الكلمتين . ثم قال رضى الله تعالى عنه : هما كلمتان بلغة السريانية : أما أحمى فمعناه يا مالك الأسرار يا مالك الأنوار يا مالك الليل والنهار يا مالك الحساب المدرار ، يا مالك الشموس والأقمار ، يا مالك العطا والنفع ، يا مالك الخفض والرفع ، يا مالك كل حى ، يا مالك كل شئ ، وفى هذا الإسم سر عجيب لا يطيق القلم ولا العبارة تبلغه أبداً...

وأما قوله (أطمى) فهو بمنزله من يصفه تعالى بالعظمة والكبرياء والقهر والغلبة والعز والانفراد فى ذلك كله وكأنه يقول : يا عالم كل شئ ، يا قادرا على كل شئ يا مكون كل شئ ويا مدبر كل شئ ويا قاهر كل شئ ويا من لايتطرق اليه عجز ولا يتوهم فى تصرفه نقص ....

(وطميثاً) أشارة الى الأشياء التى يتصرف فيها ، وإلى الممكنات التى يفعل فيها ما يشاء ويحكم ما يريد سبحانه لا إله الا هو . وفى هذا الاسم سر عجيب لا يطيق القلم تبليغه أبداً والله اعلم .[1] .

فانظر كيف أن إسناد هذه القصة مجهول عن مجهول عن ميت وكلمات الذكر لا معنى لها فى أى لغة قديمة أو حديثه وكلمة السريانية هى لا تعنى اللغة السريالية البائدة المعروفة وانما يفسرها الصوفية بأنها لغة الأرواح !! ومع كل هذه الجهالة فى الاسناد والحديث عن موتى يعلمون الناس الأذكار من قبورهم إلا أن كل ذلك طرق معتمدة عند الصوفية لتلقى العلم ....

(١) المصدر السابق .

ونقول (العلم) هنا تجوزا والحق أنه تلقى هذه الضلالات من أفواه الشياطين الذين يخاطبونهم من هذه القبورويلبسون عليهم دينهم ويصرفونهم عن الذكر الطيب الذى نطق به فم الرسول ﷺ فبدلاً من أن يذكر المسلم الله قائلاً :سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، وأمثال هذه من الكلمات الطيبات النافعات يقول :(سقفاطيس ، سقاطيم ، آمون ، فاق آدَمٌ حم ، هاً آمين ، كَدٍ كَدٍ ، كردَدٍ ، دَهْ ، بَهاَ بَهْياَ بَهْياَ ، بَهَيْهاتَ ،لُمقفْنَجلْ ياأرض خُذِيهم) !!

والعجيب بعد كل هذا أنهم اذا اسئلوا من أين لكم بهذه الخزعبلات التى تسمونها أذكاراً يقولون كما قال أبوالحسن الشاذلى عن نفسه وقد سئل عن شيخه الذي أخذ عنه العلم فقال : أما فيما مضى فكان سيدي عبد السلام بن مشيش .«وأما الآن فأستقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية ، أما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح وأما الأرضية فأبوبكر وعمر وعثمان وعلى والنبى ﷺ»أ ه .[1]

وأما سيده عبد السلام بن مشيش هذا فهو الذي يقول فى صلاته المشهورة عن الرسول ؟:

«اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك اللهم ألحقنى بنسبه وحققنى بحسبه وعرفنى إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل وأكرع بها من موارد الفضل واحملنى على سبيله إلى حضرتك حملاً محفوفاً بنصرتك واقذف بى على الباطل فادمغه وزج فى بحار الأحدية وانشلنى من أوحال التوحيد واغرقنى فى عين بحر الوحدة حتى لا أري ولا أسمع ولا أجد ولا أحس ألا بها واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى وروحه سر حقيقتى وحقيقته جامع عوالمى بتحقيق الحق الأول يا أول يا آخر يا ظاهر ، يا باطن أسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا وانصرنى بك لك وأيدنى بك لك

---

(١) ابو الحسن الشاذلى لعبد الحليم محمود ص ٢١٠

وأجمع بيني وبينك» ..[1]

وفى هذا الدعاء من الكفر والهذيان شئ عظيم لا يخفى على من عنده أى الـمام بشئ من علوم الدين فقوله (وزج بى فى بحار الأحدية ، وأنشلنى من أوحال التوحيد ، واغرقنى فى عين بحر الوحدة) تصريح واضح لعقيدة ابن مشيش ومن على شاكلته من أهل وحدة الوجود الذين يسمون عقيدة التوحيد أوحالاً !!

وأما قوله (واجعل الحجاب الأعظم حياة روحى) فيعنى بالحجاب الرسول ﷺ أى أن صورة الرسول صورة الله كما مضى بيان ذلك فى كلام عبد الكريم الجيلى ، والعجيب من قول د . عبد الحليم محمود شيخ الأزهر والأمام الأكبر «كان ابن مشيش متمسكاً بالكتاب والسنة عاملاً بها ملتزماً لها»[2]

وقوله ايضا عن ابن مشيش «ولتأمل القارئ فى مدي انغماس (سيده) سيدنا ابن مشيش فى النور وما وصل اليه من الفضل الإلهى (المصدر السابق ص ٢١)

بل ان الشيخ عبد الحليم محمود يدون في كتابه عن الشاذلي ما هو أدهى وأمر من ذلك وأضل فيقول :

«ولقد بهر ابن مشيش أبا الحسن الشاذلى ، بهره بعلمه المشيد على الكتاب والسنة وبهره بولايته وكرامته ،يقول أبو الحسن ، كما يروى صاحب كتاب درة الأسرار :

ورأيت له خرق عادات كثيرة ، فمنها أننى كنت يوماً جالساً بين يديه ، وفى حجره ابن له صغير يلاعب ، فخطر ببالى أن أساله عن اسم الله الأعظم ، قال فقام إلى الولد ، ورمى بيده فى طوقى وهزنى ، وقال :

(يا أبا الحسن ، أنت أردت أن تسأل الشيخ عن اسم الله الأعظم ليس الشأن أن تسأل عن اسم الله الأعظم ، إنما الشأن أن تكون أنت هو اسم الله الأعظم) !!

يعنى أن سر الله مودع فى قلبك .

---

(١) الحزب الكبير للدسوقى

(٢) أبو الحسن الشاذلى ص ٢١

قال فتبسم الشيخ وقال لى :

«جاوبك فلان عنى» ا هـ[1] .

ألا تعجب بعد ذلك من شيخ أكبر جامعة إسلامية معاصرة يروي هذه الترهات ويصدقها ويكتب كتاباً فى سلسلة أعلام العرب تحت رقم ٧٢ ليحدثنا أن من أعلام العرب من كان له ابن صغير يلعب فى حجره وأن هذا الغلام الصغير علم الذى فى نفس ابن مشيش قبل أن يسأل أباه ، وأن هذا الطفل أعلم الشيخ أن اسم الله الأعظم هو ابن مشيش !!!مثل هذا الكذب السمج يروى ويدون فى كتب وينشر على الناس باسم الدين ، وتوضع هذه النماذج الكاذبة المفترية على الله ورسالاته لأن يكونوا هم أعلام العرب حتى تحذوا الناشئه حذوهم وتسير على طريقهم ؟!...اللهم رحمتك ومغفرتك بنا .

المهم نعود الآن فنذكربما أوردناه فى صدر هذا الباب وهو الزعم بأن أوراد الطريقة الشاذلية التى تلقاها ابن إدريس وأخدها عن شيخه قد تعلمها ابن إدريس هذا مشافهة من النبى حال اليقظة لا حال المنام . وقد رأينا نماذج من هذه الأوراد ونماذج الرجال الذين يزعمون أن رسول الله تنزل عليهم ، وحضر اليهم ليخصهم بهذه الكرامات وبهذه الأوراد والأذكار ، وحرم من ذلك أبا بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة وجاء بعد سته قرون من الزمان ليعلم هؤلاء أن يقول أحدهم «اللهم انشلنى من أوحال التوحيد وأغرقنى فى بحار الوحدة» ويقول أيضاً :

«بكهيعيص كفيت بحمعسق حميت فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم»

اللهم آمنا من كل خوف وهم وغم وكرب كَدِ كَد كرْدَدٍ كردَهْ دَهْ دَهْ دَهْ دَهْ الله رب العزة كتب اسمه على كل شئ أعزه خضع كل شئ لعظمة سلطانه اللهم أخضع لى جميع من يرانى من الجن والإنس والطير والوحوش والهوام ☆ !!

«طهور بدعق محببه صورةً محببه سَقْفَاطِيسُ سَقَاطِيمُ آحُونَ ق أَدَمَّ حم هـأ يا هُوَ ياغوثاه يا من ليس للزاجى سواه بما فى اللوح من اسم خفى وبالذكر

---

(١) ابو الحسن الشاذلى ص ٢٥

الحكيم وماتلاه وبالقبر الشريف وزائريه وبالقدس العلى وما حواه تقبل ربنا منا دعانا» !!

«ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلها تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ بَهَا بَهَا بَهَا بَهْيَا بَهْيَا بَهْيَا بَهْيَا بَهْيَهات بَهْيهات بَهْيهات القديم الأزلي يخضع لي جميع من يراني لَمَقْنَنْجَلُ يا أرض خذيهم قل كونوا حجارة أو حديداً » !!

هذه نماذج من الأدعية التي يزعمون أنهم يتلقونها من الغيب وأن الرسول جاء ليعلمها لهم والحال أن جميعها من وضع الشياطين وتلبيس الأباليس ومن التمويه على العامة والسذج بأن هؤلاء المشايخ عندهم أسرار ويتكلمون بكلام من الغيب ةالعجيب كل العجب أن يجعل أمثال هؤلاء الذين يصرفون الناس عن القرآن الحكيم والسنة النبوية المطهرة التي ظاهرها كباطنها أن يُجعلوا أئمة للناس يقتدى بهم في هذا الدّجل والشعوذة والكذب على الله ورسوله .

فضائل مكذوبة للأذكار الصوفية :

لو كان هؤلاء الصوفية عندما يؤلفون أذكارهم الركيكة التي شاهدنا نماذج منها آنفاً لا يتقولون بذلك على الله وعلى رسوله ، ولا يزعمون أنهم كتبوها من الرسول حرفاً حرفاً وكلمة كلمة لهان الخطب وقلنا أن الأمر لا يتعدى البدعة فقد اخترعوا من عند أنفسهم أدعية وأذكاراً يتعبدون الله بهاوتركوا ما هو أفضل من ذلك مما علمنا إياه رسول الله وثبت عنه بنقل الصحابة الصادقين والتابعين لهم بإحسان وما دونه أئمة الهدى من المسلمين في كتبهم كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن والمسانيد . ولكن هؤلاء المتصوفة المتقولين على الله لم ينسبوا هذه الأذكار والأدعية لأنفسهم وإنما نسبوها لله وللرسول وزعموا أنه جاء بها إليهم الوحي والإلهام أو أملاها الرسول عليهم حال يقظتهم لا حال نومهم . وليتهم إذا فعلوا ذلك أيضاً جعلوا لأذكارهم هذه من الفضل ما كان يذكره

الرسول ﷺ في حياته للأذكار من الفضل فقالوا مثلاً من قال هذا الذكر كان كمن أعتق عشرة رقاب أو كان كمن أهدى بدنة أو لم يأت يوم القيامة رجل بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل مثل عمله أو زاد ، أو بنى الله له بيتاً في الجنة على نحو ما كان يتكلم الرسول ﷺ مبيناً فضائل الأذكار التي يعلمها لأصحابه ، ولكن هؤلاء جعلوا لأذكارهم المفتراة المكذوبة من الفضل والأجر شيئاً لا يبلغه الحد والوصف ، وبالغ كل منهم في بيان فضل الذكر الذي يزعم أن رسول الله اختصه وجماعته به مبالغة عظيمة فهذا مثلاً أحمد التجاني رأس الطريقة التجانية يزعم أن (ذكره) الذي يسميه صلاة الفاتح : **القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة !!**

قال مؤلف جواهر المعاني على حرازم في الجزء الأول صفحة (٩٤) (وأما فضل صلا ة الفاتح لما أغلق الخ ، فقد سمعت شيخنا يقول كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيوب وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً ، قال إن من ذكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لما رأيت فيها من كثر الفضل ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيحة وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار انتهى بلفظه ...[1]

---

(١) جواهر المعاني ص ٩٤ .

فانظر إلى هؤلاء الكاذبين كيف يدعي أحدهم أن كلاماً ركيكاً كصلاة الفاتح التي هي عبارة عن سطر ونصف سطر نحو خمسة عشر كلمة فقط يعدل أجر قراءتها أجر قراءة القرآن ستة آلاف مرة !! وهذا كذب سخيف لا يحتاج إلى تعليق وبيان وهذه الصلاة ذات الفضل المزعوم هي :«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لم سبق ناصر الحق بالحق والداعي إلي صراطك المستقيم» !!

والعجيب أن هذا الكلام الركيك الذي كله جهالة ، فما هو الذي أغلق وفتحه الرسول شيء غير مذكور في هذا الذكر ، وما الحق الذي نصره الرسول وبأي حق نصره أيضاً مجهول وما هو الذي سبق وختمه النبي .. فهو كلام ليس فيه لذاته معنى مفيد ، وإنما قد يفسر بنحو صحيح بكلام آخر ، وقد يفسر أيضاً على نحو فاسد كما يفسره التجانيون أنفسهم بمعاني فاسدة فمثلاً قد يقول قائل إن معنى قولهم (الخاتم لما سبق) أي خاتم النبوة وهذا معنى صحيح وهو غير موجود في هذه الصلاة التي يسمونها صلاة الفاتح . لكن التجانيون أنفسهم يخالفون ذلك ويرون أن النبوة لم تنته بدليل قولهم إن صلاة الفاتح هذه نزلت عليهم من السماء في ورقة مكتوبة بقلم القدرة !! ولذلك قالوا هي من كلام الله تعالى وليست من تأليف مخلوق[٢] !! .

فمعنى هذا أن قولهم (والخاتم لما سبق) ليس مقصوداً به النبوة والوحي لأن صلاة الفاتح المزعومة نفسها وحى أكمل القرآن بل على قولهم هذا أكمل نزولاً من القرآن لأنها نزلت مكتوبة من السماء والقرآن نزل مشافهة وسماعاً ومعلوماً أن المكتوب أعظم من المسموع في الإثبات بدليل امتنان الله على موسى بإنزال التوراة مكتوبة كما قال تعالى ﴿**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة ...**﴾ الآية

وهم يزعمون هنا أن صلاة الفاتح نزلت من السماء مكتوبة ولذا جاز عندهم تفضيل قراءتها على القرآن وإن أجر قراءة القرآن كله ستة آلاف مرة فأي كذب على الله أكبر من هذا . ونحن نقول لهؤلاء الكاذبين أكان يجوز لرسول

---

(٢) انظر المدية العادية إلى الطريقة التيجانية ص ١٠٥ .

الله ﷺ الذي يزعمون أنه هو الذي خص أحمد التجاني وجماعته بهذه الفضيلة وقال له (خبأتها لك يا أحمد) !! أكان يجوز له أن يخفي شيئاً مثل هذا عن الصحابة رضوان الله عليهم وهم أصحابه القائمون بأمره الحارسون لدينه الباذلون أنفسهم وأموالهم في سبيل نصرته .. ليعطي مثل هذه الفضيلة إلى أحمد التيجاني وأعزانه الذين كانوا ومازالوا أعظم أعوان الإستعمار الفرنسي في شمال أفريقيا بل في كل القارة الأفريقية وهم الذين مهدوا السبيل أمام الجيوش الفرنسية في معظم أنحاء القارة . أكان يجوز للرسول إخفاء صلاة الفاتح التي تزعمون أنها أعظم من القرآن أجراً بستة آلاف مرة لإعطائها مجموعة من خدم الإستعمار والكفار !! والحال أن الله قد قال لرسوله ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**﴾ المائدة ٦٧ .

أم أنكم كذبتم على الله ورسوله وجاريتم في كذبكم هذا من قال إن قراءة دلائل الخيرات أفضل من قراءة القرآن سبعة آلاف مرة !! فانظر المجاراة والتنافس في الكذب على الله ورسوله !!

ولم يكتف صاحب الفاتح بذكر ما ذكره من الفضل لصلاته المزعومة بل انظروا ما يقوله أيضاً في فضله :

قال صاحب الجواهر في صفحة ٩٦ من الجزء الأول في سياق فضل صلاة الفاتح ((إنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ : فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة قال الشيخ وقد أخبرني ﷺ عن ثواب الإسم الأعظم فقلت : إنها أكثر منه فقال ﷺ بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة . أهـ

فانظر كيف جعل هذه الصلاة المزعومة أفضل من عبادة جميع الإنس والجن والملائكة !!

وليست هذه الفرية هي وحدها ما عند أصحاب الطريقة التجانية بل

عندهم من الدواهي والأكاذيب ما يندى له الجبين فعندهم صلاة أخرى يسمونها جوهرة الكمال ونصها :

(اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتية المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المالئة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ﷺ وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه .)[1] .

وقد قال الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي حفظة الله تعقيباً على هذه الصلاة :

((إن هذه الصلاة التي زعم التجانيون أن شيخهم أخذها عن النبي ﷺ وذكروا لها ما تقدم من الفضل يستحيل أن تكون من كلام العرب الفصحاء وهي بعيدة منه بعد السماء من الأرض ، وكل من يعرف لسان العرب معرفة حقيقية لا يكاد يصدق أن ذلك الكلام الركيك يقوله أحد من العرب وفيهما كلمتان إحداهما سبّ لا يجوز أن يطلق على النبي ﷺ ولا يتناسب مع ما قبله وهي كلمة (الأسقم) فإن الصراط لا يوصف بالسقم إذ لا يقال صراط مريض وهذا الصراط أمرض من ذلك وإنما يقال صراطك المستقيم أو قويم وهذا الصراط أقوم من ذلك .

وقد رد العلماء على التجانيون وعابوا عليهم هذه الكلمة القبيحة فقال الشيخ الكيلي الشنقيطي في أرجوزته التي انتقد بها الطريقة التيجانية .

ولم يجز إطلاق لفظ موهم

نقصاً على النبي مثل الأسقم .

كذا مطلسم وما يدريكا

لعله كفر عني الشريكا .

---

(١) الرماح ص٢٢٤ ج١ .

ولم يتفطن أولئك العلماء إلى سبب هذا الخطأ ولو تفطنوا له لانحل الإشكال كله فسببه أن مؤلف هذه الصلاة مغربي وأهل المغرب فى لغتهم العاميه يقولون (سر مسقم) يريدون امش مستقيما ويقولون كذلك (سر أسقم) بعضه ينطق به قافا وبعضهم ينطق به كافا ، ولما كان منشئ هذه الصلاة غير عالم بالعربية وقد ذكر الأقوم من قبل فى قوله عين المعارف الأقوم وقال بعدها صراطك التام ، اراد أن يصف الصراط بالإستقامة مع المحافظة على السجع لمقابلة الأقوم وأستثقل أن يكرر الأقوم عبر بالأسقم ظنا منه أنهما فى المعنى سواء كما يفهمه عامة المغاربة ، وقد علمت من مصاحبتى للشيخ أحمد سكيرج وهو من كبار المقدمين فى الطريقة التجانية وكنت فى ذلك الوقت تجانياً لا يخفى عنى سراً ، أن هذه الصلاة وجدت فى أول أمرها عند شخص يسمى محمد بن العربى النازى ويسميه التجانيون الواسطة المعظم لأنه يزعمهم كان وساطة بين النبى ﷺ وبين الشيخ أحمد التجانى يحمل الرسائل من الشيخ الى النبى ومن النبى إلى الشيخ وفى ذلك الوقت أى فى وقت الوساطة لم يكن النبى ﷺ يظهر للشيخ التجانى وإنما كان يظهر لمحمد بن العربى وزعموا أن النبى ﷺ قال للواسطة محمد بن العربى لو لا محبتك لحبيبى التجانى ما رأيتنى وكان الواسطة يخبر الشيخ التجانى بأنه إذا جاء الوقت الموعود يظهر النبى ﷺ له بلا واسطة يحدثه ويكلمه وسنذكر شيئاً من الرسائل التى أملاها النبى ﷺ على محمد بن العربى وأمره بكتابتها ليحملها إلى الشيخ التجانى ويقرأها عليه وحينئذ لا يبقى عندك شك فى جهل هذا الرجل بالعربية وأنه سبب ركاكة هذه الصلاة التى هى من إنشائه أهـ[1] .

والعجيب أنه من ركاكة هذا الدعاء وهذه الصلاة المزعومة ونسبتها الى الرسول ﷺ فإنهم زعموا لها أيضاً من الفضل ما فاق الكذب الى الوقاحة فقد زعموا كما جاء فى كتاب الرماح ص ٨٩ أن رسول الله عليه و سلم ذكر لأحمد

(١) الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية ص ١١٠ ، ١١١

التجانى أن قراءة المرة الواحدة من (جوهرة الكمال) تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات ومن قرأها سبع مرات فأكثر بحضرة رسول الله والخلفاء الاربعة ما دام يذكرها ، ومن لازمها أكثر من سبع مرات كل يوم أحبة النبي محبة خاصة ولا يموت حتى يكون ولياً !!

فانظر أى تقول على الله هذا . بل قال التجانى أيضاً: أعطانى رسول الله ﷺ صلاه تسمى جوهرة الكمال كل من ذكرها اثنتى عشرة مرة فكأنما زاره فى قبره يعنى فى روضته الشريقه !! وكأنما زار أولياء الله الصالحين من أول الوجود إلى وقته ذلك وقال لى رسول الله هذه هدية منى اليك !!![2] أ هـ.



(٢) المصدر السابق ص ١١٠

الفصل الثاني

الشطح الصوفي

الفصل الثاني : الشطح الصوفي

فسر أبو نصر السراج الطوسي الشطح الصوفى بأنه (عبارة مستغرقة فى وصف وجد فاض بقوته ، وهاج بشدة غليانه وغلبته[1]) وقد لجأ المتصوفة الى هذا التعريف لتبرير الكفر والزندقة الذي فاضت به كتب القوم وتواتر عنهم معتذرين أن ما قالوه قد قالوه فى حالة سكر بما تجلى لهم من حقائق ربما عاينوا من علوم وزعموا أنها أسكرتهم وأطارت صوابهم ، وجعلتهم يتكلمون بمثل هذه العبارات وهذا التبرير السمج الذي لجأ اليه الصوفية لا يغير من الحقائق شيئاً وهو أن ما قالوه كفر واضح ظاهر وافتراء على الشريعة .

وقبل أن نبدأ فى تفنيد مزاعمهم نستعرض طائفة يسيرة من عباراتهم التى اعتذروا عنها بأنها من الشطح وأن قائليها معذورون فيما قالوه لأنهم بزعمهم كانوا سكارى غائبين عن وعيهم عند ذكرهم لهذه العبارات .فقد تواتر ونقل الناس عن أبي يزيد البسطامى أنه قال (رفعنى مرةً فأقامنى بين يديه وقال لى يا أبا يزيد .أن خلقى يحبون أن يروك !! فقلت : زينى بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وأرفعنى الى أحديتك حتى إذا رآنى خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هنا[2] أ هـ.

وذكر عنه كذلك أنه قال (أول ما صرت إلى وحدانيته فصرت طيراً جسمه من الأحدية ، وجناحاه من الديمومية فلم أزل أطيراً إلى أن صرت فى ميدان الأزلية ، فرأيت فيها شجرةً الأحدية[3]) ونقل أيضاً عنه أنه قال :«سبحانى سبحانى» وقال أيضاً«ضربت خيمي بإزاء العرش[4]» ومر يوماً بمقبرة للمسلمين فقال «مغرورون و .....لليهود فقال«معذورون !!»[5] .

---

(١) اللمع ص ٤٥٣

(٢) اللمع ص ٤٦١

(٣) اللمع الطوسى ص ٤٦١

(٤) اللمع ص ٤٦٤

(٥) اللمع ص ٤٦٣

وأما الشبلى فهو أحد مقدميهم وقادتهم واسمه دلف بن جحدر فقدقيل له يوماً :يا أبا بكر أخبرنا عن التوحيد فقال : للسائل :.

« ويحك ! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد ، ومن أشارة اليه فهو ثنوي ، ومن سكت عنه فهو جاهل ، ومن وهم أنه واصل فليس له حاصل ، ومن أوما اليه فهو عابد وثن ، ومن نطق فيه فهو غافل ومن ظن أنه قريب فهو بعيد ومن تواجد فهو فاقد ، و كلما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم فى أتم معانيكم فهو مصروف مردود إليكم محدث مصنوع مثلكم أ هـ.

وعندما سئل الشبلى عن أبي يزيد البسطامى وعرض عليه بعض ما قاله البسطامى مما نقلناه آنفاً عند قال الشبلى :

«لو كان أبو يزيد ها هنا لأسلم على يد بعض صبياننا وقال : لو أن أحداً يفهم ما أقول لشددت الزنانير[1]» .

وكان هذا الشبلى أيضاً يقول : «لو خطر ببالى أن الجحيم نيرانها وسعيرها تحرق منى شعره كنت مشركاً[2] »

وذكر عنه أيضاً أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية«اخسأوا فيها ولا تكلمون» فقال الشبلى : ليتنى كنت واحداً منهم[3]» !!

وذكر عنه كذلك أنه قال «إن لله عباداً لو بزقوا على جهنم لأطفئوها[4] . »

وثبت عن أبى الحسين النوري أنه قال :(أنا أعشق الله وهو يعشقنى !![5] . »

وشهدوا عليه أيضاً أنه سمع المؤذن فقال :طَعَنَهُ وسُمُّ الموت !!وسمع نباح كلب فقال :«لبيك وسعديك !![6]» وكذلك كان أبو حمزة الصوفى اذا سمع صوت هبوب الريح وخرير الماء ، وصياح الطيور يصيح ويقول :لبيك !!

---

(١) اللمع ص ٥٠

(٢) اللمع ص ٤٧٩ ومعنى شددت الذنانير جمع زنار وهو ما كان يضعه أهل الذمة على وسطهم تميز لهم عن المسلمين .

(٣ ،٤) اللمع ص ٤٩٠

(٥) اللمع ص ٤٩١

(٦) اللمع ص ٤٩٢

ودخل دار الحارث المحاسبي فسمع شاةً مُرغِياً : فقال :«لبيك ياسيدى !! »

هذه عبارات قليلة جداً مما نقل عن هؤلاء وتواتر عنهم ،.ومهما حاول المرء أن يعتذر عن أصحابها بأي وجه من الوجوه فإنه لا يجد مفراً من الحكم بكفر معتقديها وقائليها .. فأما قولهم إن هذا شطح ، وغلبة حال وغلبة سكر ، ونحو هذا من الأقوال فالرد عليها ما يأتي :

(١) لا نسلم أن قائلى هذه العبارات قد قالوها كما زعموا وهم فى حالة هذيان وغيبة عقل ، وذلك أن هذه العبارات لها معان محدودة ، وهى نسيج مؤلف مركب قصد بها صاحبها أن يدل على عقيدة عنده ، ولم يقلها كلاماً غير منضبط ككلام السكران والغائب عن الوعى .

(٢) أن هذه العبارات قد تلقاها تلاميذ التصوف بالقبول بل واعتقدوا ما فيها بل وشرحوا العقيدة التى تشير هذه العبارات اليها فى كتب كاملة.. والعقيدة هذه هى أن الأديان جميعاً دين واحد ، وأن الخلق جميعاً هم عين الخالق وأنه لا موجود إلا الله !! وان هذا الخنزير الذي كان يمر به أحدهم فيقول لهم عم صباحا !! هم مظهر من مظاهر الخالق ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ونستغفر الله من كتابة أقوالهم وإعادتها ، وكذلك هذه الشاة التى ترغي فيقول لها أحدهم لبيك يا سيدي ، ما قال ذلك فى غلبة السكر ، وفى رؤيته للنار أو النعيم ، ولا لتذكره لآية من كتاب الله وإنما قال ذلك لأنه سمع ثغاء شاة ، أو نباح كلب ، ومثل هذه الأصوات لاتخلق فى المسلم (حالة) ولا تجعل عنده وجداً يحمله على الغياب عن الوعي حتي يقول مجيباً له«لبيك يا سيدى» !!

وكذلك نقول أيضاً ما الذى يبعثه نداء المؤذن فى قلب الصوفى حتى يرد عليه قائلاً ... ضربه وشم الموت !! ، هل سماع المؤذن يؤدى الى حالة وجد وغياب عن الوعى حتى يقول سامع الآذان : ضربك أيها المؤذن وشم الموت !! وأنا أقول نعم هي حالة حقيقية للزنديق عند سماع المؤذن لأنه لا يريد لصوت الداعى الى الله أن يعلو ..لأنه يكفر بالاسلام والصلاة ويريد لأصوات الكلاب والخنازير أن يقبلها المسلمون يقولهم « لبيك يا سيدى !! ....أقرأ فى

كتاب اللمع الطوسي قوله «وأخذوا عليه (يعنى أبا الحسن النورى) إنـه سمع آذان المؤذن فقال : طعنه وشم الموت ، وسمع نباح الكلاب فقال : لبيك وسعديـك . ومثلـه تمـامـا مـا نقلنـاه آنفـاً عن أبى يزيـد أنـه اجتـاز بمقبرة لليهـود : فقـال معـذورون . وبمقبرة للمسلمين فقـال : مغرورون !!فـاى غلبـة حـال وسكر ، وهذيان غلبت على هؤلاء حتى قالوا ما قالوا ... وأليس هذه عقيـدة زنـديقيـة واحدة ...ثم ما هذا (المربّى) ـ زعموا ـ الذي رأى مريده يقتل قملـة فقـال لـه : قـاتلـك الله شفيت غيظـك بقتل قملـة !!) وهـذا الشيخ نفسـه يمر على الخنزير فيقول له : عم صباحا !! .

وكان يبـدأ الكـلاب والخنـازير بـالسـلام ....المهم أن هـذه العبـارات التى يسمونها شطحا لم تكن شطحاً كما زعموا وقد قالها قائلوها فى حـالـة صحو وليس فى حالة سكر ، وأنها تنبئ عن عقيدة وليس كلاماً فارغاً من المعنى وهذيانـاً كما زعموا .

(٣) ثم إننـا نسـأل إذا كانت مثل هـذه العبـارات يسميهـا الصـوفيـة شطحـاً وهذياناً ، فلماذا يعمدون الى تأويلهـا وتفسيرهـا ، وإخراج دُرَرِ معـانيهـا ، بل وجعلها من مناقب قائليها ووصولهم الى الحقيقة . فقـد فسروا كلام من أجـاب الشاة بقوله : لبيك يا سيـدى أنـه علم أن كل شئ يسبح بحمـد الله ، وأن ثغـاء الشاه تسبيح ولـذلـك أجـابهـا ...فـإذا كان كلامهم هـذا شطحـاً فلمـاذا فسروه وأخرجوا معانيه الغاليه !! ودرره الثمينة ... وتقول لهم جعل الشـاه فى موضوع السيـادة ليس تعظيمـاً للخـالق !! والسلام ليس موضـوعـاً ليلقى على الخنـازير والكلاب بل ولا على غير المسلم أيضاً لأن السلام تحيـة خـاصـة بـالمسلمين فقـط فإلقاؤهـا على الكـلاب والخنـازير مروق من الـدين ، وخروج عن حقيقـة الشريعة المطهرة وظاهرهـا وأمـا تفسيرهم لقول النورى الـذي دعـاء على المؤذن بالموت عندما سمع نداءه ، بـأنـه خشي أن يكون هـذا المؤذن مرائيـاً أو يـأخـذ أجرا على آذانه كما زعموا فليس هذا طريق الإنكار على المؤذن وإنما النورى أنكر على الأذان وليس المؤذن .وكان يجب لوكان يـؤمن بـالإسـلام حقـاً ، وبـالأذان صدقاً أن يقول كما يقول وأن يصلى بعد ذلك على الرسول ويطلب لـه الوسيلـة

والفضيلة ثم يسارع الى المسجد ويشهد الصلاة مع المسلمين ثم ينكر على المؤذن اخذه للأجرة لو شاء ...ولكن هؤلاء كما أسلفنا ينشرون عقيدة معلومة لديهم تلقوها عن الزنادقة والملاحدة ،وهذا الذى يسمونه شطحاً ما هو إلا تأسيس لهذه العقيدة .

(٥) والأمر الخامس نسألهم هذا السكران يحب الله كما زعمتم .. وبرؤية الجلال الإلهى أو الجمال ـ كما تزعمون هل يجلس ليؤلف كتباً كاملة فى هذا الهذيان والسكر وغلبة الحال كما تقولون..أم يكفية عبارة أو عبارتين ،جملة أو جملتين ... أعنى أنهم لو كانوا صادقين أن هذا الكلام الخارج عن موازين الشريعة هذيان وشطح حقاً لكان شيئاً قليلا ولكن الحاصل والموجود أن هناك عشرات بل مئات بل آلاف الكتب قد شحنت بهذا الكفر والزندقة فكتاب يزعم صاحبه أنه تلقاه من الغيب بالوحى الإلهى ولا يترك كفراً الا ويضعه فيه كالحكم ببراءة قوم نوح من الشرك ، وجهل نوح لانه دعاهم الى التوحيد ، والحكم بإيمان فرعون ، وجهل هارون لأنه نهى قومه عن عباده العجل ، والعجل هذا فى زعم مؤلف كتاب (الفصوص) هو مظهر من مظاهر الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وكذلك تبرئة إبليس والحكم بنجاته ، بل والحكم بأن أهل النار منعمون فهم فى عذوبة لا عذاب وأنه وأنه ...

بعضهم يسمى كل هذا شطحاً. وآخر وهو عبد الكريم الجيلى يكتب كتاباً يقع فى أكثر من مائتى صفحة من القطع المتوسط يسميه (الإنسان الكامل) لا يترك كفراً فى الأرض إلا ويجعله فيه من ذلك أنه يصف رحلة مزعومة له من الأرض إلى السماء الدنيا ، حيث يصف ما فيها وأنه قابل فيها فلاناً وفلاناً من الانبياء وناقشهم واستفاد منهم ثم السماء الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة والسادسة والسابعة والى الكرسى والعرش والحجب السبعين !! ويصف ما رآه هناك ثم يعود ليهبط الى الأرض الأولى فالثانية فالثالثة ، فالرابعة وحتى السابعة ويقابل فيها أولياء وروحانيين وفلاسفة وحكماء و ....ويدعي أن من لم يصدق هذا فهو كافر !! ويأتى كاتب صوفى آخر ينسج على منوال هؤلاء فيكتب كتاباً يسميه (مشارق شموس الأنوار ومقارب حسها فى معنى عيون

العلوم والأسرار) والكاتب هذا هو إسماعيل بن عبد الله السوداني ألف كتابه سنة ١٢٦٢ هـ فيصف كذلك مشاهداته الحسيةفي زعمه ـ للسماوات السبع العلى ، وللأرضين السبع ويجد القارئ فصولاً من هذيانه وتخليطه في باب (المعراج الصوفي) من هذا الكتاب .....

وغير هذا .. وهذا شيء يصعب إحصاؤه واستقصاؤه وإن جئت تناقش بعض المدافعين عن هذا الهذيان يقولون لك تارة هذا شطح، وتارة هذه كرامة ، وتارة هذا فتح ، وهذا تناقض منهم وسنناقش دعوى الفتح والكرامة في موطن آخر من الكتاب والمهم هنا أن نرد على دعواهم أن مثل هذا من الشطح ، فيقول كيف يكتب كاتب كتاباً يقسم أبوابه ويضع فصوله ويقول للناس هذا من الله وتدعون أنتم أنه شطح وهذيان وأن قائله معذور لأنه قاله في غلبة حال وضياع عقل !! أليس قولكم هذا تلبيساً على الناس ، واستهزاءاً بعقولهم !! الشطح لا يكون كتباً كاملة مؤلفة منسقة مفصلة !! وإنما هذه عقيدة ودين باطني يريد أربابه به صرف المسلمين عن عقيدة الكتاب والسنة إلى هذا الكفر والإلحاد والزندقة .

(٦) ثم نقول لهؤلاء إثباتكم أن الصوفية يشطحون ويقولون ما لا يريدونه ولا يقصدونه في أقل أحواله إثبات لأحوال غريبة وبدعة منكرة ما كان عليها أحد من سلف الأمة الصادقين كالصحابة والأئمة فهل سمعتم أن أبا بكر وعمر والخلفاء والصحابة شطحوا !! وهل وجد في التابعين لهم بإحسان من عرف عنه شيء من ذلك ، وهل كان الأئمة الأربعة من أهل الشطح أليس الشطح الصوفي دليلاً على الابتداع والخروج عن الدين القويم المستقيم .....

أليس قد قال الإمام الشافعي وقد صدق والله فيما قال :«لا أرى شخصاً يتصوف في أول النهار ، إلا وأصبح أحمق في آخره !!» أليس هذه كلمات من نور الإمام الشافعي الذي رأى بعينه بدايات التصوف وأخبر أن يوماً واحداً في التصوف يكفي لجعل الشخص أحمق فأنتم باعترافكم أن هذا شحطاً إنما تسجلون على أنفسكم الحماقة والبدعة والخروج عن نهج السلف الصالح رضوان الله عليهم ورضي الله عن الشافعي الذي يقول أيضاً«ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً

فعاد عقله إليه أبداً»[١] .

(٧) ولكن بعض الصوفية وقد أُخرِجوا في حكاية الشطح هذه أرادوا أن يستخرجوا دليلاً من الكتاب والسنة على شطحهم وأن أحوالهم هذه وهذيانهم مؤيد أيضاً بالكتاب والسنة فقال لقد قال رسول الله ﷺ «والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فدل هذا على جواز الشطح وأن الرسول فعله أو مثله ... ونحن نقول نسبة النبي إلى الشطح كفر وزندقة .. فالنبي ﷺ عاين ما عاين من أمر الله وكان في كل ذلك هو الإنسان الكامل والرسول الصادق والعبد الكامل ﷺ ولم يكن له حال أو مقال يخالف عقيدته التي نشرها وبينها والتي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله ومن قال إن رسول الله ﷺ خالف بعض كلامه بعضاً لحال أو مشاهدة فقد كفر وافترى وكذب على رسوله ﷺ . وأما استدلالكم بالحديث على أن من رأى ما رآه رسول الله ﷺ فتقول : من هذا الذي رأى ما رآه الرسول في الغيب : الحلاج والبسطامي ، والشبلي ، والنوري وأشكالهم سبحان الله أجاء هؤلاء ليطلعوا على ما لم يطلع عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والمبشرون بالجنة أكان الحلاج يزعق بالشوارع ، والشبلي يصرخ بالمجالس لأن الله أطلعه على الجنة والنار !! ألا تستحون من إيراد مثل هذه السخافات !! ... ونتنزل معكم درجة : هَبوا صدّقناكم أن هؤلاء اطلعوا على الجنة والنار وشاهدوها رأى العين ألم يكن الواجب أن يحصل فيهم ما أخبر به الرسول ﷺ فيبكون كثيراً ويضحكون قليلاً وهذا ما قاله الرسول :

(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً). ما قال لشطحتم ونطحتم وافتريتم وكذبتم وقلتم «سبحاني» وما فى الجُبّة ألا الله ، ويا خنزير عم صباحا ، ويا كلب عم مساءً.

وفى ختام هذا الفصل نقول من سمع آيات الله وكان من أهل الإيمان والتقوى خشع قلبه وقد تدمع عينه ، ويقشر جلده ، ثم يلين لذكر الله كما قاله سبحانه وتعالى «الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى تقشعر منه جلود

---

(١) تلبيس ابليس .

الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هادٍ ، (الزمر ٢٣)

وقال أيضاً سبحانه وتعالى فى وصف حال الأنبياء والرسل والمؤمنين عند سماع آيات الله قال تعالى بعد أن قص فى سورة مريم أخبار طائفة من رسله وأنبائه وأوليائه وهم زكريا ويحي وعيسى ومريم وإبراهيم وموسى وهارون ، وإسحاق ويعقوب ، وإسماعيل وإدريس ....

(أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية إبراهيم واسرائيل ، وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) (مريم ٥٨) .

فليس عندهم عند سماع الآيات الا السجود والبكى ، وليس الشطح فهل هؤلاء الصوفيةحقاً متأسين بالأنبياء والأولياء والصالحين أم أنهم صارخون مستصرخون من وخز الشياطين ولترويج عقائد الملحدين .

(٨) لقد شاهدت بنفسى كيف يصرع هؤلاء عند الذي يسمونه حالاً ، والله لا أشك لحظةً واحدةً أنه وخز شيطان أو تصنع منافق خبيث ، فقد كان أحدهم يقوم ويعقد ويصرخ ويزبد ويأخذ (بطاقيته) قلنسوته وغترته أو عمامته فيلقيها على الأرض ويسارقنا النظر ونحن ننظر إليه راثين لأحوال هؤلاء الحمقي الذين يستفزهم الشيطان ويحركهم ويتلاعب بهم ، وقد كان هؤلاء المطيرون الضاحكون يفعلون ذلك عندما كان يقال كلام كله كفر وشرك وغلوفى شخص الرسول ﷺ يسمونه مدحا وهو فى الحقيقة ذم للرسول ، وسب له .

فاعلم أخى المسلم أن هذا الشطح الذي يأتي مما يسمونه بالحال ما هو الا وخز شيطاني وتحريك إبليسي، هذا عند الصادقين منهم ، وأما الكاذبون فأنهم يفتعلون ما يفعلون لايهام العامة والسذج بأنهم من أهل الأحوال ومن المشاهدين لما يسمونه بحضرة الجلال أو الجمال !! وذلك كله من الرياء والنفاق وسوء الأخلاق . ومخالفته هدى سلفنا الصالح والخروج على مناهج الأنبياء . فتسأل الله لنا ولأخواننا المسلمين السلامة والعافية مما ابتلى به هؤلاء .

الفصل الثالث
قواعد التربية في المنهج الصوفي

وضع المتصوفة لهم قواعد خاصة للتربية حسب منهجهم الصوفي فحددوا أهدافاً خاصة للتربية ووضعوا شروطاً فى المريد(وهو اسم أطلقوه على الطالب أو المبتدئ) وشروطاً خاصة لشيخ الطريق ، ومنازل يسير فيه السالك فى دربهم وقد بدأ وضع ملامح هذا المنهج منذ بدأ الفكر الصوفى فى الظهور فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، وبلغ هذا المنهج الغاية تقريباً مع نهاية القرن الرابع الهجرى حيث أسست الخانات والأماكن الخاصة التى يتجمع فيها الصوفية وكانوا يسمون بالفقراء أولاً .

وكانت لهم فى هذا الوقت مشاعر خاصة ، كالسماع والذكر الخاص ، ورسوم واشارات وملابس خاصة ، ولم يكن لهؤلاء الفقراء أو المتصوفة فى القرن الثالث وأوائل القرن الرابع شيخ خاص لكل فريق وإنما كانوا يتربون على ما يسمعونه ويتناقلونه من كلام مشايخهم بوجه عام . ولكن منذ أواسط القرن الرابع بدأ التربّى على الشيخ الخاص وأن يكون لكل جماعة شيخ معلوم لا يتجاوزونه إلى غيره ثم يرثه بعد ذلك شيخ على منهجه وطريقته وهكذا ومنذ ذلك الوقت عرف ما يسمى بالطريقة الخاصة . ثم تدرج الأمر وتحولت وراثة الطريق الى وراثة النسب فكان الأبناء يرثون آباءهم فى الطريق وأحياناً ما كانت الزوجات هن اللائى يرثن الأزواج وهن اللائي يسلكن المريدين ويعطين العهود ..بإختصار تحولت الطريقة الصوفية فى أواخر عهودها وخاصةً بعد القرن العاشر الهجري إلى طرق وراثية ، وإمارات خاصة وإقطاعيات دينيه يرث فيها الابناء جمهور الطريق والرعية التى كانت لآبائهم من قبل .

وعلى مر هذه العصور وضع المتصوفة لهم آداباً خاصة فى التربية وشروطاً خاصة فى المريد وها نحن نذكر لك بالتفصيل هذه الآداب والقواعد التى دونها

علماء التصوف فى كتبهم لينشأ لهم فى النهاية الجيل الصوفى الذي يريدون .

أولاً : اتخاذ الشيخ :

أول ما يجب على مريد الطريق الصوفي هو أن يتخذ شيخاً له ليدله على الطريق - يقول عبد الكريم القشيري (ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ فإن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان .[1] وهذا النص قد كتبة سنة ٣٨٧هـ وهو يدلك على أن قضية وجوب اتخاذ الشيخ قضية قديمة ، واتخاذ الشيخ قد تفسر بأن لها سنداً من الكتاب والسنة فى أن الرسول علم أصحابه والأصحاب علموا التابعين وهكذا ، ولكن هذا استدلال من لا يعلم ماذا يعنى الشيخ فى الطريق الصوفي ! إن الشيخ يعنى شيئاً آخر تماماً كما سيأتى مواصفات الشيخ والشروط والآداب التى يجب مراعاتها معه .

والمهم هنا أن نعلم أن كون من لم يتخذ شيخاً لا يفلح أبداً ليس بصحيح فمن الممكن أن يهتدي المسلم بسماعة للقرآن وقراءته للحديث من شيخ أو طالب علم ، أو كتاب ولا يشترط فى الهداية الالتزام بشيخ معين بل لو سمع المسلم من عشرات الشيوخ لكان هذا أحكم له وأعلم وهكذا كان سلفنا الصالح يسمعون الحديث النبوي من أهله ، والفقه من أهله ، والقواعد والعربية من أهلها ، والتفسير من أهله وهكذا .....

وأما فى الطريق الصوفى فيجب عليك أن تتخذ شيخاً واحداً لا تحيد عنه ولا تلتفت إلى غيره بل ولا يجوز أيضاً طلب العلم من غير أهل التصوف مطلقاً .

يقول القشيري بعد أن قرر فى زعمه أن طائفة التصوف هم أهل الحق وأن علومهم أشرف العلوم :

...فاذا كان أصول هذ الطائفة أصح الأصول ومشايخهم أكبر الناس

(١) القيشيرية ص ١٨١

وعلماؤهم أعلم الناس فالمريد الذى له إيمان بهم إن كان من أهل السلوك والتدرج إلي مقصدهم فهو يساهمهم فيا خصوا به من مكاشفات الغيب فلا يحتاج الى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة .

وقد قرر شيوخ التصوف من أهل الطرق الحديثة أن من ترك طريقتهم الى طريقة غيرهم ابتلى بسوء الخاتمة . وهكذا فقد كان رجال التصوف قديماً يأمرون فقط بمجرد الانتساب والسلوك فى الطريق الصوفي أياً كان الشيخ أو الطريقة المهم أن يكون السالك (الموفق) حسب زعمهم سائراً فى هذا الطريق غير ملتفت الى غيره من مذاهب العلماء والفقهاء الذين يصفهم المتصوفة دائما بأنهم علماء رسوم وطلاب دنيا ، وتجار ......الخ الأوصاف التي يطلقونها على علماء الشريعة لتنفير الناس منهم وانظر مثلاً الى ما يقول القشيرى فى التنفير من سماع المريد إلى كلام غيركلام المتصوفة :ـ

«ويقبح بالمريد أن ينتسب إلى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة وليس انتساب الصوفى إلى مذهب من مذاهب المختلفين سوى طريقة الصوفية إلا نتيجة جهلهم بمذاهب أهل هذه الطريقة فإن هؤلاء حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذاهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس إما أصحاب النقل والأثر وأما أرباب العقل والفكر وشيوخ هذه الطائفة ارتقوا عن هذه الجملة فالذى للناس غيب فهو لهم ظهور ، والذى للخلق من المعارف ومقصود فلهم من الحق سبحانه موجود فهم من أهل الوصال[1] والناس أهل الإستدلال وهم كما قال القائل :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس ساري
فالناس في صدف الظلا م ونحن في ضوء النهار[2]

وها أنت ترى هنا أنه يقسم علماء الإسلام إلى ثلاثة أقسام : علماء النقل

---

(١) اي مع الله في زعمه .
(٢) القشيرية ص ١٨٠ .

والأثر ، وهم حملة القرآن والحديث والسير وعمل الصحابة والقسم الثاني من سماهم بأرباب العقل والفكر ويعني بهم الفلاسفة والمتكلمين كالمعتزلة والأشاعرة ونحوهم والفريق الثالث المتصوفة ومدح هؤلاء ويقول أن حججهم أظهر وقواعدهم أقوى وأن ما هو غيب عند الآخرين هو شهادة عند المتصوفة يعني أن المتصوفة يشاهدون الله والجنة والنار عياناً ولا يحتاجون إلى الإستدلال بالقرآن والسنة كما هو شأن علماء الأثر ، ولا بالأدلة العقلية كما هو حال علماء الكلام والمنطق والجدل . أقول : كان الشأن في أول التصوف هو الحاق المريد بركب المتصوفة أياً كانوا وكيفما كانوا ، ولكن في العصور الحديثة أصبح التصوف دولاً ، وإمارات خاصة ، وإقطاعيات دينية مستقلة ، فالطريقة تدر على أصحابها وأربابها أرباحاً وفيرة ولذلك فلا بد من الاستحواذ على المريدين ، وإدخالهم في سلك الطريقة الخاصة وعدم السماح لواحد منهم بتاتاً أن ينفلت من القيد الذي يوضع في رجليه والمقود الذي يوضع في رأسه وإلا ارتد عن دينه وعوقب بسوء الخاتمة . فالشيخ في الطريقة الصوفية ليس هو بتاتاً ما يعنيه الكتاب والسنة من اتخاذ المرشد والهادي والداعي إلى الله ، وإنما هو إلتزام أبدي بطريقة خاصة ورجل خاص يقدسه حياً وميتاً . فشتان بين اتخاذ شيخ وإمام في دين الإسلام الصحيح وبين اتخاذ شيخ صوفي ليكون رائداً للطريقة .

(٢) مواصفات الشيخ :

وليس كل شيخ يصلح أن يكون شيخاً في الطريق الصوفي بل لا بد وأن يمر بمراحل الطريق من أولها إلي نهايتها ، أو على الأقل أن يكون قد أخذ العهد من شيخ سابق أو والد له وقد أذن له الشيخ أو الأب بتسليك

---

(١) أي مع الله في زعمه .
(٢) القشيرية ص١٨٠ .

المريدين ، وادخالهم في الطريق وتلقينهم الأذكار الخاصة ، ... الخ .

وحتى تكون المشيخة الصوفية مشيخة معتبرة فقد اخترع المتصوفة قديماً شيئاً سموه السلسلة الصوفية وهذه السلسلة المزعومة هي عبارة عن سند مزعوم يتناقله الخلف عن أسلافهم زاعمين أن هذه السلسلة تنتهي (بالجنيد) الذي يسمونه سيد الطائفة وأن هذا الجنيد قد أخذها عن سري السقطي ، والسقطي عن معروف ، ومعروف عن داود الطائي ، وداود الطائي عن حبيب العجمي ، والعجمي هذا عن الحسن البصري ، والحسن البصري عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ....

يقول ابن عربي في فتوحاته :

«اعلم أنه قد صح وثبت بحكم النقل عند المشايخ[1] ، أن علياً أمير المؤمنين دخل على رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، دلني على أقرب الطرق وأفضلها فقال رسول الله ﷺ : عليك يا علي ، بما نلت ببركة النبوة . فقال علي : ما هذا يا رسول الله ؟ قال عليه السلام : ذكر الله تعالى .. قال علي : يا رسول الله ، هكذا فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون . قال رسول الله ﷺ : مه يا علي ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : الله . الله ، ثم قال : أحصيت ، يا علي ، حتى أنا أقوله ثلاث مرات وأنت تسمع مني فإذا امسكت فقل أنت حتى أنا أسمع منك . هكذا لقن رسول الله ﷺ علياً ، ثم لقن علي عليه السلام الحسن البصري ، ثم لقن الحسن حبيباً العجمي ، ثم لقن داود معروفاً الكرخي ، ولقن معروف سري السقطي ، وهو لقن أبا القاسم : الجنيد بن محمد البغدادي وعلى هذه السلسلة باقي المشايخ رحمهم الله .[2]أهـ .

ولا شك أن هذا يدل بغير بيان على ما فيه من الباطل وأنه كذب من أوله إلى آخره فبين ابن عربي الذي افترى هذا الكلام وبين الجنيد أكثر من ثلثمائة سنة ، وهو يقول هنا . أعلم أنه ثبت وصح بحكم النقل عند المشايخ ؛ ما

---

(١) هذه طريقة المتصوفة في الإسناد فلا ذكر لشيوخ النقل ولا كيف نقلوا .

(٢) الفتوحات المكية .

هذا ((حكم النقل عند المشايخ)) !! وهذه السلسلة إلى الحسن البصري سلسلة مظلمة والجنيد قد اتهم من علماء زمانه بالزندقة والكفر وهو صاحب الحلاج الذي أجمع المسلمون في عصره على كفره وزندقته وهذا الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لا أصل له فيما أعلم في كتاب صحيح من كتب السنة ، وهو يخالف ما ثبت عن النبي ﷺ من أنه لم يخص أهل البيت لا علياً ولا غيره بذكر خاص أو بعلم خاص امتثالاً لقوله تعالى ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ والجواب على هذه الشبهة من مكان آخر في هذا الكتاب ، أعني شبهة أن الرسول قد كتم علماً وخص أناساً بعلم من علوم الشريعة أو بذكر خاص أو طريقة خاصة والشاهد هنا أن هذه الطريقة المزعومة كذب وافتراء على النبي ﷺ وعلى علي بن أبي طالب والحسن البصري رضي الله عنهم، وقد وضع ذلك المتصوفة ليوهموا الناس وأن وحيهم الشيطاني الذي يدعونه ، ومشاهداتهم الإبليسية التي يشاهدونها وعلومهم الخرافية التي يتناقلونها لها أصل من الإسناد ، وهي متلقاة عن الرسول .

فعجباً لمن يحاربون الإسناد والحديث والنقل ثم يدعونه هنا لأنفسهم وهذا من تخبطهم وضلالهم فالإسناد لأهل الحديث كلام ميت عن ميت هذا زعمهم والإسناد لأهل التصوف شرف وعلم واتصال بالرسول فانظر وتعجب !!

● والمهم أن الشيخ في الطريق الصوفي يزعم أن له إسناداً متصلاً ، وأنه قد أخذ عهداً عن شيوخ سابقين وأن شيوخه عن شيوخ وهكذاإلى الجنيد إلى الرسول ... ومن هؤلاء الشيوخ أهل التسليك من يقنع بأن يكون مجرد شيخ في الطريقة ، ومنهم من ينفصل عن طريقته السابقة ويؤسس له طريقة خاصة باسمه ويؤلف ويبتدع بالتالي لها أذكاراً خاصة ومشاعر خاصة ... ولكنه لا يقر طبعاً بالتأليف ، والإبتداع وإنما يزعم لأتباعه ومريديه أنه قد أخذ هذه الأذكار من الحضرة الإلهية هكذا أو من حضرة الرسول ، أو من الخضر .. المهم أنه لا بد وأن يكون للذكر الخاص صلة بالوحي الخاص ، والإلهام ... وأن يكون للذكر الخاص هذا فضلاً عظيماً لم ينله الأولون ويستحيل أن يناله الآخرون (وإقرأ

تفاصيل ذلك في الباب الخاص بالذكر الصوفي) .

وبالطبع فإن هذا الشيخ الذي ينفرد بطريقة خاصة لا بد وأن يجعل لنفسه من الشرف والمنزلة ما يؤهله لأن يتبعه الناس ويأخذون عنه فيروي لنفسه من الكرامات والفضل والعلوم والكشف ما يتضاءل أمامه كل منازل الأنبياء والمرسلين (اقرأ الفصل الخاص بالولاية الصوفية)

وهكذا تعلم أن اتخاذ الشيخ في الطريق الصوفي ليس هو مجرد اتخاذ معلم قد اشتهر بالعلم والعمل والصلاح بل هو اتخاذ شيخ خاص له كرامات وكذلك له منهج خاص بتسليك المريدين ... وله كذلك حقوق خاصة .

ثالثاً : آداب المريد :

وقد وضع المتصوفة آداباً أوجبوها على المريد والسالك في الطريق الصوفي وهذه أهم هذه الآداب نقول تجاوزاً آداب وإنما هي في الحقيقة جهل وانحلال وعبودية وإذلال :

(١) لا تخالف الشيخ مطلقاً فيما يأمرك به هذا هو المبدأ الأول والشرط الأول والأدب الأول للمريد ، وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقاً ولا اعتراض عليه بلسان أو بقلب وشعارهم دائماً :

«كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي الغاسل» !!

يقول القشيري في بيان ما يجب على المريد :«وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن الخلاف للمريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره»[١] .

ويقول أيضاً :

«ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه»[٢] .

---

(١) ، (٢) القشيرية ص١٨٢ .

وهذه الأقوال يقصد بها بالطبع إماتة القلب واستسلامه للدواهي والمصائب التي سيتلقاها المريد في طريقة الصوفي . وإليك طائفة من الأقوال والحكايات الصوفية التي يراد من ورائها في النهاية استسلام المريد لشيخه ليعبث بعقله وقلبه كيف شاء .

لا يجوز الإنكار على شيوخ التصوف أبداً ولو مع المنكر دليل يقول أحمد بن مبارك السلجماسي فيما يرويه عن شيخه الجاهل الأمي عبد العزيز الدباغ :

☆ واعلم وفقك الله أن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي ﷺ طرفة عين !! ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها وإذا كان كذلك فهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه لأنه أقرب إلى الحق من غير المفتوح عليه وحينئذ فكيف يسوغ الإنكار على من هذه صفته ويقال أنه خالف مذهب فلان في كذا ، إذا سمعت هذا فمن أراد أن ينكر على الولي المفتوح عليه لا يخلو إما أن يكون جاهلاً بالشريعة كما هو الواقع غالباً من أهل الإنكار وهذا لا يليق به الإنكار والأعمى لا ينكر على البصير أبداً . (الإبريز ص١٩٢) .

وهذه داهية الدواهي لأنه زعم أن الشيخ له مذهبه الخاص الذي يتلقاه من النبي رأساً ولا حاجة عنده إلى التلقي من أي مذهب فقهي لأي إمام مجتهد فلا تعترض أيها المريد على شيخك لأنه يتلقى الوحي غضاً طرياً ، وهؤلاء العلماء عميان وهو مبصر !! ...

ويقول أيضاً شارحاً القصيدة الرائية في آداب المريد :

☆ (فذو العقل لا يرضى سواه وإن نأى
عن الحق نأي الليل عن واضح الفجر)

المعنى أن من له عقل سليم وطبع مستقيم لا يرضى سوى شيخه ويدور معه حيثما دار وإن بعد الشيخ في ظاهر الأمر عن الحق بعداً بيناً كبعد الليل من

الفجر ويقول إن للشيخ في ذلك وجهاً مستقيماً عسى أن يطلعني عليه أهـ[1] .

وهذا ظاهر في أنه لا يجوز الإنكار على الشيخ والخروج عنه ، ولو خرج الشيخ عن الحق وظهر ذلك للمريد ظهور الفجر من الليل .

وليس هذا فقط هو المدى السيء الذي يريد المتصوفة جر المريد إليه بل هناك ما هو أشد من ذلك وأضل وهو ما يأتي في الفقرة الآتية .

(٣) يقول أحمد بن المبارك :

«(ومنها) أني سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول جاء بعض المريدين لشيخ عارف فقال له يا سيدي القبول لله عز وجل . فقال : نعم ، ثم أمره بالمقام عنده والعكوف على خدمته وأعطاه مسّاحة في رأسها كورة حديد زائدة لا نفع فيها إلا تثقيل المسّاحة وكان المريد هو وارث الشيخ بشرط أن لا ينتبه لكورة الحديد المذكورة فإن انتبه وقال ما فائدتها ، ولأي شيء تصلح ، ولا معنى لها إلا التثقيل فإنه لا يرث شيئاً . قال رضي الله عنه فبقى في خدمته سبع سنين وهو يخدم بالفأس ولا يتحرك له عرق وسواس ولا هزته عواصف رياح الشيطان وصارت الكورة المذكورة بمنزلة العدم الذي لا يرى ولا يسمع فهذه مسألة الصادقين الموفقين رضي الله عنهم والله تعالى الموفق[2] .

فانظر كيف يكون المريد (الصادق) في زعمهم مع شيخه . إنه الذي ينفذ ما يأمره به الشيخ ولا يسأله عنه بتاتاً ولو كان شيئاً غير معقول المعنى ولا فائدة أصلاً منه . ككرة الحديد هذه التي كانت في رأس المساحة (الفأس) . وقد جعلوا صدق المريد عدم سؤال شيخه عن هذه (الكورة) التي لا تقع منها . وليت الأمر وقف عند هذا الحد ولكن .

(٤) لم يقتصر الأمر على طاعة الشيخ فيا لا فائدة منه ولا معقولية له بل تعدى الأمر ذلك إلى الاعتقاد أن للشيخ شريعته الخاصة ، ودينه المستقل فله أن يشرب الخمر ، أو يزني وليس لمريده أن يسأل عن شيء من ذلك يقول السلجماسي أيضاً :

---

(١) الإبريز ص٢٠٣ .

(٢) الابريز ص ١٨٧ .

(قال محي الدين العربي (رضي الله عنه) ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه منه ولا يزن أحواله بميزته أنه فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن والحقيقة يجب التسليم وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلاً والناظر يراه شرب خمر وهو ما شرب إلا عسلاً ومثل هذا كثير وقد رأينا من يجسد روحنياته على صورة ويقيمها في فعل من الأفعال ويراها الحاضرون على ذلك الفعل فيه ولون رأيناه فلا يفعل كذا وهو عن ذلك الفعل بمعزل وهذه كانت أحوال أبي عبد الله المصلي المعروف بقضيب البان وقد رأينا هذا مراراً في أشخاص . أهـ[1] .

وهذا الذي نقله أحمد بن مبارك السلجماسي عن ابن عربي مقرراً ومتبعاً له هو ما عليه عامة الصوفية بعد ابن عربي الذين يعتقدون أن للشيخ الصوفي (الكامل) أن يفعل ما يشاء من المعاصي ولا حرج عليه ولا يجوز أن يظن المريد خلاف الخير لأن الخمر الذي يراها المريد خمراً تنقلب عينها في الشيخ فتكون له لبناً أو عسلاً . أو أن الشيخ يشكل نفسه على النحو الذي يظهر منه الفسق والخروج على الشريعة ليؤدب المريدين ويعلمهم أن يثقوا بشيخهم ولو رأوه يفعل منكراً . أقول : وقد حدثني أستاذي وشيخي الشيخ محمد عبد الوهاب البنا حفظه الله أنه شاهد أباه وكان من هيئة كبار العلماء في الأزهر يشتري قارورة الخمر بنفسه ويعطيها لشيخ له في الطريق ، ولما كلمه الشيخ محمد عبد الوهاب البنا في ذلك . قال له : يا بني إنها تنقلب في بطن الشيخ فتكون لبناً !!.. فانظر كيف يفعل مثل هذا الكلام في المريدين فيجعلهم يعتقدون في شيوخهم العصمة حتى لو رأوهم على المعصية جهاراً نهاراً ، وهذا غاية في إلغاء العقول والأفهام وذلك حتى تتلقى هذه العقول ما هو أشر من ذلك وأقبح من الكلام في العقائد وأصول الدين كلاماً وكفراً وزندقة لم يقلها اليهود ولا النصارى ولا المجوس .

---

(١) الإبريز ص٢٠٢ .

ولم يكتف دهاقنة الفكر الصوفي بمثل هذا بل وضعوا آلاف الحكايات والروايات ليحملوا المريدين حملاً على الإستسلام لشيوخهم مهما فعلوا أمامهم وأن يطيعوهم مهما أمروهم . يقول أحمد بن المبارك أيضاً :

((رأيت) في كتاب محي الدين تلميذ تاج الدين الذاكر المصري رحمهما الله تعالى أن رجلاً جاء إلي بعض الأكابر فقال له يا سيدي أريد منكم أن تعطوني السر الذي خصكم الله به فقال الشيخ إنك لا تطيق ذلك . فقال المريد : أطيقه وأقدر عليه . فامتحنه الشيخ بأمر سقط منه على أم رأسه وذلك أنه كان عند الشيخ مريد شاب حَدَثٌ أبوه من الأكابر فلما قال ذلك المريد أنا أطيق السر . قال له الشيخ : إني سأعطيك إن شاء الله السر فأمره بالمقام عنده ، ثم أن الشيخ أمر الشاب الحدث بالإختفاء في مكان بحيث لا يظهر لأحد ، وأدخل الشيخ خلوته كبشاً فذبحه وجعل على ثيابه شيئاً من الدم فخرج على المريد السابق والسكين في يده والدم يسيل على يده وهو في صورة الغضبان فقال المريد ما عندكم يا سيدي ؟ فقال : إن الشاب الفلاني أغضبني فما ملكت نفسي أن ذبحته فها هو في ذلك المكان مذبوح يشير إلى الخلوة التي ذبح فيها الكبش فإن أردت السر يا ولدي فاكتم هذا الأمر ولا تذكره لأحد وإن سألني عنه أبوه فإني أقول له مرض ولدك ومات فإنه يصدقني ويحصل على المسألة لطف فعساك يا ولدي تساعدني على هذا الأمر وتسترني فيه فإن فعلت فأنا أعطيك السر إن شاء الله تعالى فقال المريد وقد تمعر وجهه وظهر غيظه حيث ظن أن الشيخ في قبضته سأفعل بكلام يظهر فيه الكذب ففارق الشيخ وذهب سريعاً إلى والد الشاب وأعلمه بالقصة وقال له إن الشيخ الكذاب الذي كنتم تعتقدون فيه الخير قتل ولدكم في هذه الساعة وجعل يرغبني أن أستر ويطلب مني أن أكتمه عنكم وإن شككتم في الأمر فاذهبوا معي الساعة فانكم تجدون ولدكم يتشحط في دمه فقال له الناس : ويحك فإن سيدي فلاناً لا يفعل هذا ولعل الأمر شبه عليك . فقال لهم : اذهبوا معي حتى يظهر صدقي أو كذبي ففشا قوله في الناس وسمع به أرباب الدولة فاقبلوا إلى الشيخ سراعاً والمريد أمامهم حتى وقفوا على خلوة الشيخ فقرعوا الباب فخرج الشيخ وقال لهم : ما لكم وأي شيء أقدمكم ،

فقالوا له : ألا تسمع ما يقول هذا (يشيرون إلى المريد) . فقال لـه الشيخ : وأي شيء كان . فقال لـه المريـد : الـذي كنت ترغبني فيـه وتطلب مني كتمانـه هو الذي كان . فقال الشيخ : ما وقع بيني وبينـك شيء ومـا كلمتـك قـط[1] فقـال المريد : الكذب لا ينجيك قـد قتلت ولـد النـاس . فترامى النـاس على الشيخ من كل ناحية .. قتلت ولد الناس فالآن نقتلك يا عدو الله .. تغش النـاس في عبادتك وتخدعهم بخلوتك . فقال الشيخ : سلوه من أين علم بأني قتلته . فقـال المريد : ألم تخرج عليّ وأثر الدم على يديـك وثوبـك . فقـال الشيخ : نعم وقـد ذبحت شـاة . فقـال المريـد : فلنـدخل إلى الخلوة إن كنت صـادقـاً . فـدخلـوا فوجدوا شاة مذبوحة . فقال المريد : إنما أخفيت القتيـل وأظهرت هذه الشاة في موضعه لئلا تقتل به . فقـال الشيخ : أرأيت إن خرج الشـاب ولا بـأس عليـه أتعلم الناس من الكاذبين الذين لا يفلحون . فقال المريد : فـأخرجـه إن كنت صادقاً . فـأرسل الشيخ إلى الفتى فخرج ولا علم عنـده بمـا وقع فلمـا رآه النـاس تضرعوا إلى الشيخ وجعلوا يسبون المريد الكاذب وعند ذلـك قـال لـه الشيخ : ألست تزعم يا كذاب[2] أنك تطيق السر وتقدر عليه فما بـالـك لم تقـدر على كتم هذا الأمر الذي لم يكن منه شيء ، وإنما صنعنا معك هذا لدعواك أنـك تطيق السر ، فاذهب فقد أعطيناك السر الذي يليق بأمثالك ، فكان ذلك المريـد من يـومــه ذلــك مـوعظــة للمعتبرين نكالاً للمــدعين الكاذبين ، نســأل الله بمنــة التوفيق .[3] .

فانظر في هذه الحكاية ؛ كيف يعلم المريد على طـاعـة أمر الشيخ بمثل هـذا الفعل الشيطاني ، حتى لا يكون له بعد ذلك فكاك عن القيد الذي يقيـده بـه شيخـه ، بـل يروي أحمـد بن المبـارك عن شيخـه كـذلـك عشرات بـل مئـات الحكايات التي تصب كلها في هذا المصب وأنظر هذه الحكاية :

---

(١) أنظر إلى هذا الكذب البين .

(٢) بل الشيخ هذا هو الكذاب اللعين الذي يريد إلغـاء عقل تلميـذه قبل أن يطلعـه على الأسرار المزعومة .

(٣) الإبريز ص١٨٨ .

(سمعت من الشيخ يعني (عبد العزيز الدباغ) رضي الله عنه يقول كان بعض من أراد الله رحمته في الماضين يحب الصالحين فألقى الله في قلبه أن خرج من ماله فباعه وجمع ثمنه فذهب به لبعض من شهر عنه الصلاح وكانت تقصده الوفود من النواحي فذهب إليه هذا المرحوم بجملة ماله حتى بلغ بلده فسأل عن داره فدل عليها فدق الباب فدق الخادم فقال : ما اسمك فقال : عبد العلي . وكان الشيخ المشهور بالولاية من العصاة المسرفين على نفوسهم[1] وكان له نديم يتعاطى معه الشراب وغيره اسمه عبد العلي فوافق اسمه اسم هذا المرحوم ، فذهبت الجارية فقالت للشيخ : اسم هذا الذي دق الباب عبد العلي . فقال وظن أنه نديمه : إئذني له . فدخل على الشيخ فوجد الشراب بين يديه وامرأة فاجرة معه ورزقه الله تعالى الغفلة عن ذلك كله[2] فتقدم إليه فقال : يا سيدي سمعت بك من بلادي وجئتك قاصداً لتدلني على الله عز وجل وهذا مالي أتيتك به . فقال الشيخ (يتقبل الله منك) ثم أمر الجارية أن تدفع له رغيفاً فأخذه وأعطاه الفأس وأمره بالخدمة في بستان للشيخ عينه له . فذهب المرحوم من ساعته ونفسه مطمئنة وقلبه مسرور بقبول الشيخ له فذهب فرحاً للخدمة وقد لقى نصيباً من سفره للشيخ وما استراح حتى بلغ البستان وجعل يخدم بفرح وسرور ونشاط نفسي فكان من قدر الله عز وجل وحسن جميله بذلك المرحوم أن صادف مجيئه للشيخ الكاذب المسرف وفاة رجل من أكابر العارفين وكان من أهل الديوان فحضر وفاته الغوث والأقطاب السبعة فقالوا له يا سيدي فلان : كم مرة ونحن نقول لك أهبط إلى المدينة من مدن الإسلام فعسى أن تلقى من يرثك في سرك ولم تساعد فالآن جانت وفاتك فيضيع سرك وتبقى بلا وارث فقال لهم يا سادتي قد ساق الله إلى من يرثني وأنا في موضعي فقالوا له ومن هو فقال : عبد العلي الذي وفد على فلان المبطل فانظروا إلى حسن سريرته مع الله عز وجل وإلى تمام صدقه

---

(١) أنظر كيف كان الشيخ الولي عاصياً مسرفاً على نفسه ومع ذلك فهو عند المتصوفة ولي وعنده أسرار !!

(٢) إنظر إلى الكذب الواضح .

ورسوخ خاطره ونفوذ عزمه وصلابة جزمه فإنه رأى ما رأى ولم يتزلزل له، خاطر ولا تحرك له وسواس فهل سمعتم بمثل هذا الصفاء الذي في ذاته أفتوافقون على إرثه ؟. فقالوا : نعم . فخرجت روح الولي واتصل سيدي عبد العلي بالسر وأثابه الله عز وجل على حسن نيته فوقع له الفتح وعلم من أين جاءته الرحمة وأن الشيخ الذي وفد عليه مسرف كذاب وأن الله تعالى رحمه بسبب نيته لا غير والله الموفق[٣] . أهـ .

فانظر كيف أن المريد (الصادق) أعطى ماله كله لشيخ يقيم على الزنا والخمر (وهو في غفلة من ذلك ... عجباً) ... وكيف يقوم المريد الصادق بخدمة هذا الشيخ الزنديق الفاسق وأصبح مجرد فلاح أو مزارع في بستانه يخدم الفاجرات ويقدم الخمور ، ويهيء المزرعة للشيخ الأستاذ ... وكانت المكافأة أن مات شيخ آخر معه السر فاختار ذلك المريد البعيد واتصل بروح واعطاه السر ... ويستطرد أحمد بن مبارك هذا أيضاً فيقول :

(وسمعت من غير الشيخ رضي الله عنه أن بعض الأكابر كان له عدة أصحاب وكان لا يتخيل النجابة إلا من واحد منهم فأراد أن يختبرهم يوماً فاختبرهم ففروا بجملتهم سوى ذلك الواحد وذلك أنه تركهم حتى اجتمعوا على باب خلوته فأظهر لهم صورة إمرأة فدخلت الخلوة فقام الشيخ ودخل معها فأيقنوا أن الشيخ اشتغل معها بالفاحشة فتفرقوا كلهم وخسرت نيتهم إلا ذلك الواحد فإنه ذهب وأتى بالماء وجعل يسخنه يقصد أن يغتسل به الشيخ فخرج عليه الشيخ فقال : ما الذي تفعل ؟ فقال : رأيت المرأة دخلت فقلت لعلك بحاجة إلى غسل فسخنت لك الماء . فقال له الشيخ : وتتبعني بعد أن رأيتني على المعصية . فقال : ولم لا أتبعك والمعصية لا تستحيل عليك ، وإنما تستحيل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولم أخالطك على أنك نبي لا تعصي وإنما خالطتك على أنك بشر وأنك أعرف مني بالطريق ومعرفتك بالطريق باقية فيك والوصف الذي عرفتك عليه لم يزل فلا تتبدل لي نية ولا يتحرك لي

---

(٣) الإبريز ص١٨٦ .

خاطر . فقال له الشيخ : يا ولدي تلك الدنيا تصورت بصورة إمرأة وأنا فعلت ذلك عمداً لينقطع عني أولئك القوم فادخل يا ولدي وفقك الله معي إلى الخلوة فهل ترى امرأة فيها فدخل فلم يجد امرأة فازداد محبة على محبته والله الموفق)[1] أهـ .

وهذه الحكاية تزيد على أن المريد الذي رأى شيخه يخرج من خلوة مع زانية معلومة مشهورة قام فسخن له الماء ... أليس هذا إلغاء تاماً للعقول ، وغسلاً كاملاً للأمخاخ من أي فكر أو حمية أو غيرة دينية أو عاطفة صادقة .

واقرأ أيضاً هذه الحكاية لترى العجب العجاب ... كان المريد يرى شيخه على الزنا ، ويصلي وهو جنب من زنا والماء بجواره ، ثم يشرب الخمر وكل هذا لم يحرك شيئاً في المريد الصادق ... قال صاحب الإبريز :

(وسمعته (رضي الله عنه) يقول : كان لبعض العارفين بالله عز وجل مريد صادق وكان هو وارث سره فأشهده الله تعالى من شيخه أموراً كثيرة منكرة ومع ذلك لم يتحرك له وساوس فلما مات شيخه وفتح الله عليه شاهد تلك الأمور وعلم أن الصواب مع الشيخ فيها ، وليس فيها ما ينكره شرعاً إلا أنها اشتبهت عليه ، في ذلك أن امرأة كانت من جيران الشيخ وكانت تذكر بالسوء اشتبهت بين باب الدار وبين البيوت وكان المريد لا يبلغ إليه وإنما يقف بالباب فاتفق أن دخلت المرأة المشهورة بالسوء على المريد وهو بالباب فجازت للدار واتفق أن خرجت امرأة الشيخ الشبيهة بها فدخلت على الشيخ الخلوة وكان الشيخ أرسل إليها ليقضي حاجته منها فدخلت وقام إليها الشيخ ومرت الشبيهة بها نحو البيوت فرمى المريد ببصره إلى الخلوة فرأى المرأة مع الشيخ وهو يقضي حاجته منها فما شك أنها المشهورة بالسوء ، وربط الله على قلبه فلم يستفزه الشيطان ثم خرجت المرأة وحانت الصلاة فخرج الشيخ للصلاة وتيمم وكان به مرض منعه من الاغتسال فما شك المريد أن الشيخ قد تيمم من غير ضرورة وربط الله على قلب المريد وكان بالشيخ مرض منعه من هضم الطعام

---

(١) الإبريز ص١٨٨ .

فصنعوا له ماء الفلنيص عصروه وأتوا له بمائه ليشربه فدخل المريد فوجده يشربه فما شك أنه ماء خمر وربط الله على قلبه فلم يتحرك عليه وسواس فلما فتح الله عليه علم أن المرأة التي وطئها الشيخ امرأته لا المرأة المشهورة بالسوء وعلم أن التيمم الذي فعله الشيخ لضرر كان بجسده وعلم أن الماء الذي شربه الشيخ ماء فلنيص لا ماء خمر والله الموفق) أهـ .[1]

ولست أدري كيف يتأتى هذا التخليط : شيخ مريض عاجز عن الوضوء ولكنه قادر على الزنا وشرب الخمر ... وما معنى قول الكاتب في هذه القصة وربط الله على قلبه ... والحق أن يقال وطمس الله أبصارهم وبصائرهم . والعجب أنهم لم يكتفوا بطمس أبصار المريدين وبصيرتهم حتى لا يروا ما عليه شيوخهم من الفسق والفجور بل جعلوا رؤية ما عليه هؤلاء الشيوخ دليل على شقاوة المريدين ، والمشاهدين .

يقول صاحب الإبريز أيضاً :

(وسمعته رضي الله عنه) يقول : إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاصٍ وإنما روحه حجبت ذاته فظهرت في صورتها فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية لأنها إذا أكلت حراماً مثلاً فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت وسبب هذه المعصية الظاهرية شقاوة الحاضرين والعياذ بالله تعالى فإذا رأيت الولي الكبير ظهرت عليه كرامة فاشهد للحاضرين بأن الله تعالى أراد بهم الخير أو معصية فاشهد بشقاوتهم وكما أن أرواحهم هي التي تتولى كراماتهم كذلك هي التي تتولى معاصيهم الظاهرة والله أعلم)[2] .

أليس من العجيب أن يكون مثل هذا الفكر منسوباً إلى المسلمين وجزءاً من تراثهم الذي يتوارثونه ويحسبه من يحسبه منهم كُتُباً للهداية والدلالة على الله .

---

(١)الإبريز ص١٧٨ .

(٢) الابريز ص ١٩٦ .

ولم يكتف أربـاب الفكر الصـوفي بجعـل معـاصي الشيـوخ من شـؤم من يشاهدونها من الناظرين بل جعلوا الشيخ ربما تعمد المعصيـة خشيـة على ذاتـه الترابية أن تتحول من شدة التجلي إلى ذات نورانية فتتلاشى !!...

يقول السلجماسي أيضاً :

(وسمعته (رضي الله عنه) يقول : أن الولي قـد يغلب عليـه الشهود فيخـاف على ذاته الترابية من التلاشي فيستعمل أموراً ترده إلى حسه وإن كان فيهـا مـا يعاب عليه من بـاب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما فـإذا رآه شخص ارتكب ذلك الأمر ولا يعلم الوجـه الـذي ارتكبـه لأجلـه ربمـا بـادر إلى الإنكار عليـه فيحرم بركته وقد تقرر في الشرع أي في الشريعة المطهرة أن العضو إذا أصابتـه الأكلة وخيف على الـذات منهـا فـإنـه يبـاح قطعـه لتسلم الـذات مع أن العضو معصوم ولكنه من بـاب إذا التقى ضرران ارتكب أخفهما وكـذلـك الشخص إذا خاف على نفسـه الهلاك من شـدة الجوع فـإنـه يبـاح لـه أكل الميتـة حتى يشبع ويتزود منها ....

وهذا اعتذار في غاية القبح وكذب في غـايـة الوضوح لأن الأنبيـاء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم كان الوحي يتنزل عليهم والملائكـة تكلمهم ومـا كانوا يخشون على ذاتهم الترابية .... وأنا أعلم أن مثل هذه الحجج لا تنـاقش لأنهـا لا تنطلي إلا على سذج وأغبياء أو أنـاس فقـدوا عقولهم وصوابهم ولكن مـاذا نعمل إذا كان العالم الإسلامي قد ابتلي بهؤلاء وأفسدوا أجيالاً كثيرة من أبنـاء المسلمين وانظروا إلي الحكاية الآتية :

يقول أحمد بن مبارك :

قال (رضي الله عنه) وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدم انتفاعهم بـالولي سخرهم الحق فيما هم فيه من قبح ومخالفة فيظنون أنه على شـاكلتهم وليس كـذلـك حتى أنـه يتصور في طور ولاية أن يقعـد الولي مع قوم يشربون الخمر وهـو يشرب معهم فيظنـونـه أنـه شـارب خمر وإنمـا تصـورت روحـه في صـورة من الصـور وأظهرت ما أظهرت وفي الحقيقـة لا شيء وإنمـا هو ظل ذاتـه تحرك فيما تحركوا فيـه مثـل الصـورة التي تظهر في المرآة إنـك إذا أخـذت بـالكـلام تكلمت وإذا

أخذت في الأكل أكلت وإذا أخذت في الشرب شربت وإذا أخذت في الضحك ضحكت وإذا أخذت في الحركة تحركت وتحاكيك في كل ما يصدر منك وفي الحقيقة لم يصدر منها أكل ولا غيره لأنها ظل ذاتك وليست بذاته الحقيقية فإذا أراد الله شقاوة قوم ظهر الولي معهم بظل ذاته وجعل يرتكب ما يرتكبون والله الموفق)[1] .

والعجب أن هؤلاء الذين هذا هو مستواهم في التقوى والعلم والصلاح وهذه هي أخلاقهم وأعمالهم استطاعوا أيضاً الاستحواذ على أموال الناس . وهذا باب واسع جداً سنبسطه في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى ولكننا نذكر هنا هذه الحكاية من حكاياتهم لنبين كيف يربي المريد أيضاً على سلب ماله وإعطائه لشيخه بل سلب عقله وشرفه ......

قال ابن مبارك أيضاً :

(سمعته (رضي الله عنه) عنه يقول كان لبعض المريدين أخ في الله عز وجل فمات ذلك الأخ وبقى المريد فجعل إذا فتح الله عليه بشيء يقسمه بين أولاده وبين أولاد الأخ في الله وكان لهذا المريد أرض مع أخوته فبعث عليهم من جانب المخزن ظلماً فلما أخذوا ثمنها كان نصيب المريد منها أربعين مثقالاً (سكة زماننا) فقال له أخوته ما تفعل بدراهمك فقال أقسمها بيني وبين أولاد أخي في الله فاستحمقوه وقالوا ما رأينا مثلك فى نقصان العقل تسبب[2] بدراهمك واشتر بها كذا واصنع بها كذا وأترك عنك هذه الحماقة التى أنت مشتغل بها فأرادت نفسه أن تميل إلى قولهم فقال لها يا نفسى ما تقولي لله عز وجل اذا وقفت بين يديه غداً حيث يقول لى رزقتك أربعين مثقاً لا فاستأثرت بها وضيعت حق الأخوة فاليوم أضيعك كما ضيعتها فوفقه الله فقسم الدراهم بينه وبين أولاد أخيه فى الله فلما خرج من عندهم فتح الله عليه وأعطاه ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وجعله من العارفين لصدق نيته ولصداقة عزمه ونفوذ جزمه والله الموفق[3] .

---

(١) الإبريز ١٩٥ .

(٢) الابريز ١٧٨ .

(٣) أي تاجر بها وأبذل سبباً لنمائها .

(٥) وحتى يتم تذليل المريد تذليلا كاملاً ويلغى عقله إلغاءً تاماً فان شيخه يأمره بأوامر فى غاية الغرابة بل فيها المعصية الواضحة والكفر الصريح امتحاناً لطاعته ، ومعرفة من الشيخ هل بقى من المريد مسكة عقل ، أو أثارة علم ، أو بقية غيرة أو دين غير الدين الصوفى الباطنى فبعضهم يأمرون مريدهم بإحضار زوجاتهم لشيوخهم ليختلى بهن فإن تلكأ أو شك فى عفة الشيخ علم أنه غير صادق وشيخ آخر يأمر تلاميذه ومريديه بما هو أقبح من ذلك وهذه بعض حكاياتهم فى هذا الصدد .

(يقول أحمد بن مبارك أيضاً مبيناً كيف يكون المريد صادقاً مع شيخه مطيعاً له ولو أمره بقتل والديه يقول :«سمعت من الشيخ رضى الله عنه قال كان لبعض المشايخ مريد صادق فأراد أن يمتحن صدقه يوماً فقال له يا فلان أتحبنى قال نعم يا سيدي فقال أرأيت إن أمرتك أن تأتينى برأس أبيك أتطيعنى فقال يا سيدى فكيف لا أطيعك ولكن الساعة ترى فذهب من حينه وكان ذلك بعد أن رقد الناس فتسور جدار دارهم وعلا فوق السطح ثم دخل على أبيه وأمه فى منزلها فوجد أباه يقضي حاجته من أمه فلم يمهله حتى يفرغ من حاجته ولكن برك عليه وهو فوق أمه فقطع رأسه وأتى به للشيخ وطرحه بين يديه فقال له ويحك أتيتنى برأس أبيك فقال يا سيدى نعم أما هو هذا فقال ويحك إنما كنت مازحاً فقال له المريد أما أنا فكل كلامك عندى لا هزل فيه فقال له الشيخ رضى الله عنه انظر هل هو رأس أبيك فنظر المريد فإذا هو ليس برأس أبيه فقال له الشيخ رأس من هو فقال له رأس فلان العلج قال وكان أهل مدينتهم يتخذون العلوج كثيراً بمنزلة العبيد السودانيين قال وكان أبوه غاب تلك الليلة فخانته زوجته فى الفراش وواعدت عليها كافراً ومكنته من نفسها وكوشف الشيخ (رضى الله عنه) بذلك فأرسل المريد ليقتله على الصفة السابقة ليمتحن صدقه فعلم أنه جبل من الجبال فكان وارث سره والمستولى بعده على فتحه والله الموفق) أ هـ[1]

---

(١) الابريز ص ١٨٦

وهذه الحكاية الملفقة المكذوبة ما أريد بها إلا تعلم السالك فى طريق التصوف أن يطيع أمر الشيخ مهما كان ولو أمره بقتل والديه وأن تنفيذه لأمر الشيخ خير له بكل حال .. فأين هذا من قول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ « **يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن وأستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** (الممتحنة ١٢)

فأنظر الى قوله تعالى **(ولا يعصينك فى معروف)** فأشترط سبحانه طاعة النبى فى المعروف علماً أن النبى ﷺ لا يأمر الا بالمعروف ولكن هذا ليتعلم غير النبى أنه ليس له أن يأمر إلا بمعروف وليس لأحد أن يطيعه إلا فى معروف ..... ولذلك لما أمر رسول الله أميراً على عدد من المسلمين فى سرية ما قال هذا الأمير لأصحابه ألست أميركم قالوا بلى قال ألم يأمركم الرسول بطاعتى قالوا بلى قال : فإنى آمركم أن تدخلوا هذه النار ، وكان قد جمع حطباً وأشعله فقالوا : والله ما آمنا الا فراراً من نار الآخرة فكيف ندخل النار الآن ....

ولما أخبر رسول الله بهذه الواقعة قال ﷺ والله (لو دخلوها ما خرجوا منها) . رواه مسلم .

ولكن الأمر يختلف تماماً عند مشايخ التصوف إذا العلوم والأسرار التى يجب على المريد أن يتلقاها من شيخه بالغة مبلغها فى القبح والنكارة وما لم يكن المريدّ متهيئاً لقبول هذه الدواهى فإنه حتماً سينفر ويخرج من الطريق ولذلك فلا بد من تهيئته تهيئة كاملة . وتوطئته لتحمل العقيدة الصوفية .... اذ كيف سيفاجئ الشيخ مريده عندما يطلب منهل المريد السر الصوفى كيف سيقول له يا بنى أعلم أنه ليس هناك إله غيرى وغيرك فما هذا العالم الذي نعيش فيه إلا الله بكل مظاهره ومصنوعاته فهو عالم قد خلق نفسه بنفسه لنفسه فليس ثمَّ غير ....كيف سيستطيع المريد تقبل ذلك كله إلا إن يكون الشيخ الصوفى قد تمكن من عقل مريده عن آخره من دينه إلى نهايته ومن أخلاقه وشرفه حتى لا يبقى من ذلك شيئاً الا عبادة شيخه والتصديق أنه

واسطته الى الله وأنه لا نجاة له ولا فلاح له ، إلا أن يكون هذا الشيخ هو كل شئ فى حياته .... هذه هى الغاية التى يسعى إليها الفكر الصوفى من التربية وهى نقل هذه الأفكار الفلسفيه الخبيثة إلى إذهان أبناء الاسلام ولذلك فلا بد من سلخهم أولا من الدين حتى يكونوا بعد ذلك مطية سهلة لهؤلاء الشيوخ يغرسون فى أذهانهم ما شاءوا من الخرافات والخزعبلات والهذيان الذي لم تعرف البشرية فى كل عصورها مثالاً له ......

(٦) لا حركة ولا سكون للمريد الا بأذن الشيخ :

الأدب السادس من آداب المريد الصوفى مع شيخه أنه لا يجوز له أن يتحرك أو يسكن ، أو يتصرف فى نفسه أو ماله أو زوجته ، أو سفره أو إقامته إلا بأذن شيخه ، وأنه لا يجوز أن يجلس فى مجلسه إلا بإذنه وأن يظهر قدمه أمام شيخه ، أو يرفع صوته ، أو يسأله من عند نفسه لأن الشيخ أعلم بما فى نفس مريده فلا يجوز أن يبدأ بالسؤال ، أو يستفسر عن إشكال وإنما ينتظر فى كل ذلك ما يجود به شيخه ... لأنه فى زعمهم هو أعلم بحاله ... وليس وراء ذلك عبودية فى الأرض ... والعجيب أن المتصوفة قد أخذوا كل الحقوق والخصوصيات التى جعلها الله لرسوله فجعلوها حقاً أيضاً للشيوخ فأنظر مثلاً ما يقوله صاحب الرائية وما يشرح به أحمد بن مبارك :

☆ قال :

(ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوته)
ولا تجهروا كجهر الذي هو فى قفر

يقول السلجماسي: والله أعلم لا ترفعوا أيها المريدون أصواتكم فوق صوت الشيخ فإن ذلك يخل بالأدب ولا تجهروا له بالقول كجهر سكان القفار والبوادى الذين معهم جفاء وجلافة ولكن عظموه وفخموه وقولوا يا سيدى ويا أستاذى ويا ولى الله ونحو ذلك وأصل هذا الكلام الآية الشريفة (يا أيها

الـذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صـوت النبي ولا تجهروا لـه بـالقـول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) قـال السهر وردى فى العوارف (رضى الله عنـه) ومن تـأديب الله تعـالى أصحـاب رسـول الله ﷺ قـولـه(لا ترفعوا اصـواتكم فـوق صـوت النبى) كان ثـابت بن قيس بن شماس فى أذنـه وقر وكان جهورى الصـوت وكان اذا تكلم جهر بصـوتـه وربمـا كان يكلم النبي ﷺ فيتأذى بصوته فأنزل الله الآية تأديباً لـه ولغيره ثم قـال بعـد أن ذكروا آيـة فى سبب نزولها وأنها نزلت فى منـازعـة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما بحضرتـه قـال فكان عمر بعد ذلك إذا تكلم عند النبى ﷺ لا يسمع كلامـه حتى يستفهم وقيل لما نزلت الآيـة آلى أبوبكر أن لا يتكلم عنـد النبى ﷺ إلا كأخفى السر فهكـذا ينبغى أن يكون المريـد مع شيخـه فلا ينبسـط برفـع الصـوت وكثرة الضحـك والكلام إلا اذا باسسطه الشيخ) انتهى [1]

وقـد غـاب عن هؤلاء الـذين قرروا لشيوخهم مـا أمر الله بـه نحو رسولـه لمنزلته الخاصة غاب عنهم أن الله سبحـانـه وتعـالى قـال (كجهر بعضكم لبعض) فـالمسلـون من شـأنهم أن يجهر بعضهم فى الكـلام لبعض وإمـا مـع النبى ﷺ فيجب أن يكون للمسلمين معه أدب خاص فى معاملتهم له ﷺ ....

وليت أنهم أعطوا الشيخ من الحقوق ما يجب على المسلم نحو الرسول واكتفوا بذلـك بل جعلوا لشيوخهم من الحقوق على مريـدهم مـا لم يجعلـه الله سبحـانـه لرسوله ﷺ فقد جعلوا من حق الشيخ أن لا تنطق عنده إلا بأذنـه وأن تطيل إذا أحب منك الإطالة وتختصر إذا أراد الاختصار .

قال صاحب الرائية

(ولا تنطقن يـومـاً لـديـه فـإن دعـا :. إليــه

فــــلا تعــــــــدل إلى الكلم النزر)

وقال الشارح يقول والله أعلم لا تنطق فى وقت من الأوقـات عنـد شيخـك فإن سألك عن شئ فلا تعدل عن الجواب الذي تدعو إليه الحـاجـة إلى الأكثـار

---

(١) الإبريز ص ٢٥٦

والتطويل فأن ذلك يزيل هيبة الشيخ وهذا والله أعلم ما لم يطلب منه الشيخ الاكثار من الكلام فإن طلب منه ذلك وكان للشيخ فيه غرض فإنه ينبغى لـه حينئذ الإسهاب والتطويل مراعيا خاطر الشيخ فإذا رآه شبع من الكلام فإنـه يجب عليه الرجوع إلى ادبه وقد سبق مـا كان يقولـه لنـا الشيخ رضى الله عنـه حين يغيب فى المشاهدة أهدروا عليَّ كثيراً فإن الله يأجركم على ذلك يعنى لانـه يرجع بذلك إلى حسه أصل هذا الكلام الـذي فى البيت لصاحب العوارف قـال فيهـا بعـد أن ذكر تـأويـلات فى قـولـه تعـالى (لا تقـدمـوا بين يـدى الله ورسولـه) وقيل نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسـول الله ﷺ فـإذا سـأل الرسول ﷺ عن شئ خـاضوا فيـه وتقـدموا بـالقـول والفتـوى فنهـوا عن ذلـك وهكـذا دأب المريـد فى مجلس الشيخ ينبغى أن يلزم السكوت ولا يقول شيئـاً بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ فى ذلك ووجد من الشيخ فسحة أهـ . (١)

وقد جاوزوا هنا ما أمر الله به المسلمين مع رسول الله ﷺ لان قوله تعـالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله) معناهـا أى لا تفتوا قبل أن يفتى ولا تحكموا فى شئ حتى يأتيكم حكمه من الله ورسولـه . وليس معنـاه لا تبدأوا فى أى كلام وإلا فالصحابـة كثيراً مـا كانوا يبـدأون ويعيـدون فى شئون كثيرة والنبى جالس يستمع وربما تبسم ﷺ عنـدمـا يتكلمون أحيـانـاً فى شئون الجاهليـة . كما ثبت فى صحيح مسلم وغيره أن الصحـابـة كانوا يجلسون مع النبى بعد صلاة الصبح فى المسجد يتكلمون بمـا سلف لهم من أقوال الجـاهليـة ، وكان النبى يستمع لهم وربما تبسم ﷺ ... وأما هؤلاء الصوفية فإنهم جعلوا على المريد حجراً أن لا يتكلم بحضرة شيخـه إلا إذا أذن لـه ... وأن يختصر حيث اراد الشيخ أن يطيل إذا أمره الشيخ بذلك فجعلوه آلة ميتـه يتحرك بحركـة الشيخ ولماذا نـذهب بعيـداً وقـد أجملـوا هـذه الآداب مـع الشيـخ بقـولهم :

---

(١) الإبريز ص ٢٠٥

«كن بين يدى شيخك كالميت بين يدي المغسل» ... والعجيب أنهم لم يكتفوا بهذا أيضاً بل جعلوا منه جملة الآداب فى خطاب الشيخ أن يسأل الله التوفيق قبل أن يبدأ أمام الشيخ بالكلام ......انظر ما يقولون :

(وقال أيضاً من الآدب مع الشيخ أن المريد اذا كان له كلام مع الشيخ فى شئ من أمر دينه أو دنياه لا يسعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ بالهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه فكما أن للدعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لانه مخاطبة لله تعالى فللقول مع الشيخ أيضاً آداب وشروط لأنه من معاملة الله تعالى(!!) ويسأل الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق لما يجب من الآداب أ هـ[1]

فجعلوا الشيخ هنا بمنزلة الله سبحانه وتعالى فكما أن لدعاء الله شروطاً وآداباً وأوقاتاً ..... فكذلك يجب أن يكون الكلام مع الشيخ .... وانظر قوله (لأنه ... أى لأن معاملة الشيخ من معاملة الله تعالى ..) فأى عبودية فى الأرض أعظم من هذه ؟ ....

وحتى يلتبس الأمر على المريدين التباساً كاملاً ولا يستطيع المريد أن يفرق بين الشيخ والله فإن المتصوفة زعموا أن الشيخ عندما يتكلم بكلامه فى الدرس لا يكون متكلماً من عند نفسه وإنما هو مستمع كذلك لما يلقى عليه من الله ، وما يجرى علي لسانه رغماً عنه فالشيخ غير مسئول عن كلامه ، لأن كلامه فى الدرس وَحْيٌ من الله وإلهام اليه لاَحِيلَةَ له فيه . قال السلجماسى :

« قال ويكون الشيخ فيما يجرية الحق سبحانه وتعالى على لسانه مستمعاً كأحدكم فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل يعلم ما يقول فكيف يكون مستمعاً (فرجع الى منزله فرأى فى ليلته فى المقام كأن قائلاً يقول له : أليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدر ويرجع بالصدف) ويرجع بالصدف فى مخلاته والدر وقد حصل معه ولكن لايراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه فى رؤية الدر من هو على الساحل ففهم فى المنام إشارة الشيخ فى

---

(١) الإبريز ص ٢١٣

ذلك فأحسن آداب المريد مع الشيخ السكون والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بماله فيه المصلحة قولاً وفعلاً » هو الله اعلم .

وهـذا المثـال الـذى ضربـوه لا ينطبـق على هـذا الأمر لا شكـلاً ولا موضوعاً .[٢]...فالقضية الأساسية وهى أن الشيخ يلقى عليه الكلام عن الغيب رأساً فى الدرس ولا حيلة لـه فيـه هـذا كفر وزنـدقـة لأنـه لا وحى بعـد محمـد ﷺ .... ومن زعم أنه ينزل عليه وحى أو يكاشفه ملـك ، أو يطلع على غيب بعد رسول الله فهو كافر مرتد حلال الدم بإجماع الأمة .

وأمـا أن الغواص يغوص فيـأتى بـالمحـار من البحر ولا يعرف أن كان فيهـا لؤلؤ أم لا ثم يفتحها على الشاطئ ويطالع مع الموجودين هنـاك .... إن أرادوا أن الشيخ يغوص فى الغيب ويـأتى بـالمحـار ولا يعرف هـل أتى بلـؤلـؤ أم لا إن زعموا أن كلام الله الذى يأتى به الشيخ لا يعرف هو أفيهـا لبـاب أم لا م فهـذا كفر صريح لأنه تشبيه للوحى الإلهى بأن منه ما يجوز أن يلقى مرة ثانيـة إلى البحر كما يرمى الغواص بقشور المحار التالفة التى لا نفع منها م وقد نجد جوهرة وقد لانجد ... وهذا المثـال الـذى ضربوه لمـا يجرى على السنـة شيوخهم ينطبق فقط على الألقاء الشيطانى فالشياطين تلقى على أسماع أوليائها من الإنس الأمر مما يسمعونه من السماء يكون فيه شئ واحد صادق وتسعة وتسعون كـذبـا وهـذا هو بـالفعل حـال شيوخ التصوف المتصلين بـالجن والشيـاطين قـد يطلعهم الجن على شئ واحد صادق ولكن الجن يكذبون مع كل خبر صـادق مـائـة كـذبـة كما أخبر النبي ﷺ بذلك فى تفسير قوله تعالى **(وأنـا كنـا نقعـد منهـا مقـاعـد للسمع فمن يسمع الآن يجدْ له شهابا رصدا)** **(الجن ٩) وفى قوله تعـالى (لا يسمعـون إلا المـلأ الأعلى ويقـذفـون من كل جـانب دحـورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثـاقب)** (الصـافـات ٨ ، ٩) .

فشيوخ التصوف يحدثون بأحاديث الجن والشياطين فيكذبون مـائـة كـذبـة

---

(٢) ابريز ١٠٥

ويفترون الآف الإفتراءات على الله ورسالته ، وقد يصدقون مرة واحدة . والمهم في هذا الصدد أن هؤلاء المشايخ بمثل هذا الأمر جعلوا المريد صنماً مع شيخه لا يستطيع أن يقاطعه أو أن يعترض عليه لأن الشيخ أصلاً مستمع لما يوحى إليه وليس مُؤَلفاً ولا ناقلاً كلام نفسه .

وجعلوا من واجب المريد أيضاً أن لا يسافر سفراً إلا بأذن الشيخ قال عبد الكريم القشيرى :

«ومن أحكام المريد إذا لم يجد من يتأدب به فى موضعه أن يهاجر الى من هو منصوب فى وقته لإرشاد المريدين ثم يقيم اليه ولا يبرح عن سدته إلى وقت الإذن» .[1]

وبالطبع الاذن الذى يجب على المريد أن ينتظره ليس هو إذن الشيخ فى زعمهم وإنما هو الاذن الالهى فالشيخ يأمر المريد أن يبقى فى مكانه ولا يتحاول عنه إلا إذا جاءه الأمر الالهى بأن يسافر من عند شيخه . وبالطبع ليس هذا أمراً إلهياً وإنما هو أوامر شيطانية يلتزم بها هؤلاء وهؤلاء ....

ويفلسف القشيرى هذا الأدب الصوفى - أعنى عدم جواز سفر المريد وإلا بأذن شيخه فيقول :

« ومن آداب المريد بل فرائض حاله أن يلازم موضع إرادته وأن لا يسافر قبل أن يقبله الطريق وقبل وصول القلب الى الرب فأن السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم إلي ما كان يرجى له إذا سافر فى غير وقته وإذا اراد الله بمريد خيراً أثبته فى أول إرادته وإذا اراد الله بمريد شراً رده الى ما خرج عنه من حرفته أو حالته وإذا اراد الله بمريد محنة شرده فى مطارح غربته هذا إذا كان المريد يصلح للوصول فأما اذا كان شاباً طريقته للخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء وهو دونهم فى هذه الطريقة رتبه فهو وأمثاله يكتفون بالترسم فى الظاهر فينقطعون فى الأسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يحصلونها وزيارات لمواضع يرتحل

---

(١) القشيرية ص ١٨٤

إليها لقاء شيوخ بظاهر سلام فيشاهدون الظواهر ويكتفون بما فى هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة الي ارتكاب محظور فأن الشاب إذا وجد الراحة والدعة كان فى معرض الفتنة إذا توسط المريد جميع الفقراء والأصحاب فى بدايته فهو مضر له جداً وإن أمتحن واحد بذلك فليكن سبيله إحترام الشيخ والخدمة للأصحاب وترك الخلاف عليهم والقيام بما فيه راحة فقيره والجهد أن لا يستوحش منه قلب شيخ ويجب أن يكون فى صحبته مع الفقراء أبداً خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم ويرى لكل واحد منهم عليه حقاً واجباً ولا يرى لنفسه واجباً على أحد» أ هـ[1]

وهكذا يجب أن يكون المريد أداة طيعة فى يد شيخه يختار له من المراتب والمسالك ما يريد . بل يجب عليه أيضاً أن ينخلع عن حرفته وصنعته وأن يقطع كل علائقة بالدنيا ، وينقطع انقطاعاً كاملاً لشيخه ...

والحق أن قضية الانقطاع الكامل عن الدنيا والإقبال التام على التصوف وملازمة الشيوخ كان هو الأمر فى القرن الرابع وما بعده ، وما زال هذا موجودا فى الاقطاعيات الصوفية الكثيرة التى تأتيها دخول دائمة وأوقاف دائمة للمريدين الذى يجب أن يسير فيه ويقول القشيرى أيضاً :

«وكل مريد بقى فى قلبه لشيء من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الارادة له مجاز وأذا بقى فى قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه فيريد أن يخص به نوعاً من أنواع البر أو شخصاً دون شخص فهو متكلف فى حالة وبالخطر أن يعود سريعاً الى الدنيا لأن قصد المريد فى حذف العلائق الخروج منها لا السعى فى أعمال البروقبيح بالمريد أن يخرج من معلومه من رأس ماله وقُنْيته ثم يكون أسير حرفة وينبغى أن يستوى عنده وجود ذلك وعدمه حتى لا ينافر لأجله فقيراً ولا يضايق به أحداً ولو مجوسيا» انتهى[2]

---

(١) القشيرية ص ١٨٣

(٢) القشيرية ص ١٨٤

ومعنى هذا أنه يجب على المريد الخروج من الحرف الدنيوية نهائيا بزعم أنه يضايق أهل الحرف والصناعات ويزاحمهم وهذا يضاد التصوف حتى ولو كان من يزاحمهم مجوسيا ... كما أنه يجب على المريد أن لا يفعل معروفاً مع شخص إلا بأمر شيخه .

وقال أيضاً « ومن شأن المريد قصر الأمل فأن الفقير ابن وقته فأذا كان له تدبير فى المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت وأمل فيها يستأنفه لا يجئ منه شئ» .. ومن شأن المريد أن لا يكون له معلوم وأن قل لا سيما بين الفقراء فأن ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت .»[1]

يعنى أن المريد ـ يجب عليه أن لايكون له تدبير مالي ، للمستقبل أبداً ولا راتب شهري معلوم يرجع إليه لأن هذا يطفئ نوره ويؤجل مكاشفاته ....

وجعلوا كذلك من آداب المريد فى مجلس الشيخ ما يأتى :

«ومن آداب المريد مع شيخه أن لا يجلس بحضرته متربعاً ، ولا مظهرا رجلاً له قال صاحب الرائية .

ولا يقعدن قدامه متربعاً

ولا بادياً رِجْلاً فبادر إلى الستر

ولا يجوز له كذلك أن يلبس لباس الشيوخ إلا إذا انتهى من مقام التربية» أ هـ.

وهذه حقوق أعطيت للشيخ لم يجعلها الله لرسوله فالنبى ﷺ لم يأمر الصحابة أن لا يلبسوا لباسه .. أو يتشبهوا به فى عمامته أو قلنسوته أو يجلسوا متربعين فى حضرته ﷺ .....

بل كانوا يجلسون بحضرة النبي ﷺ متربعين ومضطجعين وكان أحياناً يضجع معهم ولم يكن له ﷺ زى خاص ولا مجلس خاص ،، وهذا يدلك على ابتداع المتصوفة وبعدهم عن الدين . وجعلوا من آدابهم أيضاً ما قاله القشيرى :

(ومن شرط المريد إذا زار شيخاً أن يدخل عليه بالحرمة وينظر إليه

---

(١) الابريز ص ٢٠٨

بالحشمة فإن أهل الشيخ لشئ من الخدمة عَدَّ ذلك من جزيل النعمة .[1]

فجعلوا خدمة شيوخهم من جزيل النعمة ومن تفضل الشيخ على المريد والأمر على العكس لأن من يخدم غيره دون أجر هو المتفضل لقوله ﷺ للذين خدموا أخوانهم فى السفر (ذهب المفطرون بالأجر كله) :

«وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ومن رده قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبَّ ذلك ولو بعد حين ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته وذلك لا يخطئ» ..أهـ[2]

وهذا يعنى أن غضب الشيخ الصوفى على المريد هو غضب الله . فليس له قبول أبداً .....وهذا من أعجب العجب .....

(٧) لا كتمان لشئ من الأسرار عن الشيخ :

وحتى يتم أخذ المريد من نفسه والسيطرة الكاملة على كل قلبه وإحساسه وهواجسه فإن شيوخ التصوف قد فرضوا على المريد أن لا يحجب شيئاً من أسراره عن شيخه سواء كانت هذه الاسرار معاصى ارتكبها فأن الشيخ يتحملها عنه إذا أقضى بها إليه ، وهذا نظير صكوك الغفران عند النصارى أو كانت فى زعمهم مكاشفات وأنواراً وعلوماً إلهية (لدنية) فإن شيخه سيفرح بذلك ويطلب له المزيد .

يقول القشيرى :

«وإذا التزم المريد استدامة الذكر وآثر الخلوة فإن وجد فى خلوته ما لا يجده قلبه إما فى النوم وإما فى اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمع أو معنى يشاهده مما يكون نقصاً للعادة فينبغى أن لا يشتغل بذلك البتة ولا يسكن إليه ولا ينبغى أن ينتظر حصول أمثال ذلك فإن ذلك كله شواغل عن الحق سبحانه ولا بد له فى هذا الأحوال فى وصف ذلك لشيخه حتى يصير قلبه

(١) ، (٢) القشيرية ص ١٨٨٤

فارغاً عن ذلك ويجب على شيخه أن يحفظ عليه سره فيكتم عن غيره أمره ويصغر ذلك فى عينه فإنه ذلك كله اختبارات والمساكنة إليها مكر فليحذر المريد عن ذلك وعن ملاحظاتها وليجعل همته فوق ذلك واعلم أن أضر الأشياء بالمريد استئناسه بما يلقى إليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنه بأنى خصصتك بهذا وأفردتك عن أشكالك فإنه لو قال يترك هذا فمن قريب سيختطف عن ذلك بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة وشرح هذه الجملة بإثباته فى الكتب متعزر ...أهـ [1]

وهذا الذى يقرره القشيرى هنا فيه كثير من التلبيس الذى لابد من بيانه فالشاهد فيه أولاً هو أن المريد لا يجوز له كتمان ما يطالعه مما يسمونه بالانوار أو المكاشفات أو السماع من الملك أو مما هو نقض للعادة ويمثلون لذلك بسطوح الأنوار فى الغرفة المظلمة مثلاً أو رفع سقفها أو رؤيته لشيخه أمامه أو حضور الرسول عنده ونحو هذا مما يدعونه من الخرافات والتهيؤات الشيطانية وذلك أن الاذكار التى تعطى للمريد بأعدادها الرهيبة وطرق أدائها كأن يكون الانسان جاثيا على ركبتيه مغمضاً أحدى عينه أو متجهاً ببصره شمالاً أو يميناً ، وكذلك الجو المحيط بذلك من إظلام الغرفة ، والمكث ساعات طوال على ذلك مع أعداد تربو أحياناً على عشرات بل مئات الآلآف من المرات .... كل ذلك مع انتظار حدوث أمر غريب يجعل المريد يفقد السيطرة على نفسه وأعصابه فتتهيأ له أمور كثيرة أو يتسلط الشيطان عليه لما هو فيه من البدعة والبعد عن هدى النبوة المستنير فيتلاعب به الشيطان فيتهيأله أحياناً بصورة شخصية أو بصورة مكذوبة غير صورة الرسول ويلقى فى روعة أنه رسول الله ، وأنه يأمره بكذا وكذا .. وأحياناً ما يتهيأ له أن السقف انشق وأن الظلام الدامس قد تحول الى نور ساطع ، وأن الملائكة قد هبطت عليه ، وهو فى هذه الحالة الشيطانية من قراءة الأذكار المبتدعة التى تشتمل غالباً على أسماء الشياطين وتخليط بضع آيات من القرآن ، مقطعة عن

---

(١) القشيرية ص ١٨٣ ، ١٨٤

مواضعها موضوعة فى غير أماكنها فتنزل عليهم الشياطين لـذلـك وتعبث بعقولهم وأفئتدتهم وهذا ما عناه القشيرى من أن المريـد إذا شرع فى الـذكر فلا بـد وأن يرى شيئا من ذلـك فعليـه كا زعم أن لا ينظر الى شئ من ذلـك البتـه لأن كا قال شواغل الحق وهو يريـد أن يرى الله وأن يصلى الى الله نفسـه لا إلى هـذه الأمور العارضـة .... وعليـه بعـد رؤيتـه لهـذه الأمور أن يحكيهـا لشيخـه ولا يخفيها عنه .....

فهذا أحمد بن مبارك يصف حال المريد مع شيخه وينقل كلام شيخه عبد العزيز الدباغ لهم فيقول :

(وكان رضي الله عنه) يقول : لا تكتموا عني شيئـاً من الأمور التي تنزل بكم في الدين والدنيـا وأخبرونـا حتى بـالمعـاصي التي تقع لكم وأن لن تخبروني أخبركم فإنـه لا خير في صحبـة يستر معهـا شيء من أحوال المتصـاحبين وكان رضي الله عنه يقول أمـا أنـا فلا أكتم عنكم شيئـاً من أموري ثم يشرح لنـا رضي الله عنـه حاله حتى بلغ ذلك ويذكر لنا جميع ما وقع له من العاديات وغيرهـا ، ويقول لنـــا (رضي الله عنـــه) إن لم أخبركم ولم أطلعكم على أحـــوالي فـإن الله يعــاقبني ويحاسبني لأنكم تظنون بي الخير فـاصبروا حتى أذكر لكم الأمور البـاطنيـة التي لم تطلعوا عليها فمن شاء منكم بعد ذلك أن يبقى معي فليبق وحينئـذ يحل لي أكل طعامه وقبول هديته ومن شاء أن يذهب فليذهب فـإن سكوتي عن ذكر تلـك الأمور غش لكم وما كان رضي الله عنه لأصحـابـه إلا رحمـة محضـة يشفع لهم في زلاتهم ويتكفل لهم بنوائبهم ويتحلل لهم ما يخشون عاقبته ويهتم لأمرهم أكثر مما يهتم لأموره . وقال لي رضي الله عنه ذات يوم الرجل الذي لا يشاطر صـاحبـه في سيئاته ما هو بصاحب لـه وقـال إن لم تكن الصحبـة إلا على الحسنـات فما هي بصحبة . وبالجملة فما كان رضي الله عنه لأصحابه إلا رحمـة مرسلـة من الله عز وجل فعلى مثله يبكي الباكون ولو رمنا تفصيل أعيان الجزئيات الواقعة لنا معه ولغيرنا في هذا الباب لطال الكلام . أهـ[1] .

---

(١) الإبريز ص ٢١٢ .

قلت : وهذا الكلام معناه في النهاية إيقاف المريد عارياً أمام شيخه وأستاذه وإيهامه بأنه إن لم يعترف بما عنده من الأسرار فإن الشيخ بنفسه يطلع على ذلك ونقل في هذا بيت صاحب الرائية :

سوى الشيخ لا تكتمه سراً فإنه بساحة كشف السر يجري على بحر

ويقول القشيري أيضاً :

((يجب عليه حفظ سره حتى عن زرة إلا عن شيخه ولو كتم نفساً من أنفاسه عن شيخه فقد خانه في حق صحبته ولو وقع له مخالفة فيما أشار عليه شيخه فيجب أن يقر بذلك بين يديه في الوقت ثم يستسلم لما يحكم عليه به شيخه عقوبة له على جنايته ومخالفته أما بسفر يكلفه أو أمر ما يراه .

أي وعليه أن يستسلم إذا خالف هذا الأدب فكتم شيئاً عن الشيخ أن يستسلم لحكم الشيخ فيما يحكم عليه به ، ويكون راضياً بذلك . وإذا كان القشيري قد قال مثل هذا الكلام منذ القرن الخامس الهجري فإن الصوفية قد نسجوا على منواله وساروا على أقدامه ... وجاء من زاد في هذه الأمور ووسع فيها أكثر من ذلك تحمل الشيخ للحالات والذنوب ولعل كل ما مضى يهون إلا أن يجعل الصوفية الشيخ في مرتبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فإيمان المريد متعلق بشيخه بل جميع أموره الدنيوية والأخروية لا نجاح ولا فلاح له إلا إذا آمن بشيخه وجعله كل شيء في حياته وفي ذلك يقول صاحب كتاب الإبريز :

((وقد سمعت الشيخ (رضي الله عنه) يقول : الشيخ للمريد في درجة لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ فإيمانه متعلق به وسائر أموره الدنيوية والدينية وأرباب البصائر يشاهدون ذلك عياناً وكنت أخرج معه كثيراً رضي الله عنه وأنا لا أعرف درجته فكان يقول لي : مثلك مثل من يظل يمشي على عالي أسوار المدينة وشرفاتها مع ضيق المحل الذي تجعل فيه رجلك وبعد محل السقوط فلم أفهم معنى هذا الكلام إلا بعد حين فكان بعد ذلك إذا جرى هذا

---

(٢) القشيرية ص ١٨٢ .

الكلام على خاطري يحصل لي منه روع عظيم وخوف شديد وقلت له ذات يوم : إني أخاف من الله تعالى من أمور فعلتها فقال لي : ما هي ؟ فذكرت له ما حصل . فقال لي (رضي الله عنه) : لا تخف من هذه الأشياء ولكن أكبر الكبائر في حقك أن تمر عليك ساعة ولا أكون في خاطرك فهذه هي المعصية التي تضرك في دينك ودنياك !! وقلت له مرة : يا سيدي إني بعيد من الخير . فقال رضي الله عنه اطرح عنك هذا وانظر إلى منزلتك عندي فعليها تحمل وكنا معه رضي الله عنه على حالة قل أن يسمع بمثلها لا ينزل أمر مهم أو غير مهم إلا ذكرناه له فيتحمله عنا عياناً ويريح خاطرنا منه بمجرد ذكره له . أهـ .

وقد بلغ هذا النص الغاية في القباحة والبعد عن الدين لأن الشيخ هنا يجعل نفسه مكان الله سبحانه وتعالى حيث يذكر لمريده أنه إذا مرت ساعة ولا يكون الشيخ في خاطر مريده كانت هذه معصية ضارة عليه في دينه ودنياه ... وهذا حق ما أوجبه الله تعالى لنفسه على عبيده بمثل هذا النحو بل رضى الله سبحانه من العباد أن يذكروه في أوقات مخصوصة وجوبا كالصلاة وعند إعمال محدودة كالطعام والشراب ونحو ذلك أما أن تمضي ساعة ولا يذكر المرء فيها ربه ويكون لاهياً في عمل مباح غير مضيع لواجب فإن هذا لا ضرر فيه على دين المرء أو دنياه ، ولكن هؤلاء المشايخ أنزلوا أنفسهم من مريديهم - والصحيح من عبادهم - من هؤلاء المساكين ! الذين يضلونهم ، أنزلوا أنفسهم منزلة الله بل جعلوا حقوقهم على مريديهم أعظم من حقوق الله سبحانه وتعالى .

(٨) ترك العهد الصوفي كفر وردة :

وبعد فقد يظن أن المريد الذي يلقى مثل هذه الأهوال في طريق التصوف يمكنه أن ينفلت في النهاية فيما لو استيقظ فكره ، أو صحا ضميره وهذا ظن بعيد ولكن من أجل هذه اليقظة المحتملة أيضاً قفل مشايخ التصوف

الطريق نهائياً أمام المريد حتى لا يحاول النكال من ربقته فقد جعلوا الخروج من عهد الشيخ خروج من الإسلام . والعهد الصوفي يؤخذ على المبتدئ والمريد في أول الطريق بأن يلتزم بالدين ويتوب مما كان عليهْ ويقول تُبْتُ إلى الله على يد الشيخ فلان ، وعاهدت الله أن ألتزم طريقته وأن لا أبوح بسره إلا بإذن من الشيخ وأن ... وأن ...

وفي هذا الأمر يقول عبد الكريم القشيري مبيناً الوقت الذي يعطى فيه المريد العهد ، وأنه يجب عليه التزام الطريق مهما حدث له من المشقات ، يقول :

((وما لم يتجرد المريد عن كل علاقة لا يجوز لشيخه أن يلقنه شيئاً من الأذكار بل يجب أن يقدم التجربة له فإذا شهد قلبه للمريد بصحة العزم فحينئذ يشترط عليه أن يرضى بما يستقبله في هذه الطريقة من فنون تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهد بأن لا ينصرف عن هذه الطريقة بما يستقبله من الضر والذل والفقر والاسقام والآلام وأن لا يجنح بقلبه إلى السهولة ويترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات ولا يؤثر الدعة ولا يستشعر الكسل فإن وقفة المريد شرٌ من فترته والفرق بين الفترة والوقفة أن الفترة رجوع عن الإرادة وخروج منها والوقفة سكون عن السير باستحلاء حالات الكسل وكل مريد وقف في ابتداء ارادته لا يجئ منه شيء فاذا جربه شيخه فيجب عليه أن يلقنه ذكرا من الأذكار على ما يراه شيخه فيأمر أن يذكر ذلك الإسم بلسانه ثم يأمره أن يسوي بقلبه مع لسانه ثم يقول له : اثبت على استدامة هذا الذكر كأنك مع ربك أبداً بقلبك ولا يجري على لسانك غير هذا الإسم ما أمكنك)) أهـ[1] .

وهكذا يكون العهد بعد التأكد من المريد تماماً ، ويكون التزام المريد بالذكر المخصوص الذي يلقيه إليه الشيخ ولا يجوز له أن يذكر باسم آخر إلا بإذن الشيخ له .، ومعلوم ما في هذه الأمور من المخالفات الشرعية فالعهد لا

---

(١) الرسالة القشيرية ص١٨٢ .

يجوز إلا على الإسلام وعلى بيعة الإمام أو على فعل أمر من أمور الإسلام لا يحل به المسلم حراماً ولا يحرم حلالاً وطاعة الإمام تجب في المعروف فقط أما في أن يخترع الشيخ للمريد أذكاراً خاصة ويعاهده على عدد لامخصوص وأعمال مخصوصة فهذا لم يأت به الشرع الحكيم وإنما هذا من بدع الصوفية . وخاصة أنهم يأمروهم بأن يذكروا الله باسم واحد من أسمائه أو بمجرد ضمير كهو هو وهذه كلها من البدع التي لم يأمر بها الله ولا رسوله ﷺ . ثم يقول القشيري أيضاً :

((ومن شأن المريد حفظ حدوده مع الله تعالى فإن نقض العهد في طريق الإشادة كالردة عن الدين لأهل الظاهر))[1] أهـ .

وبهذا يغلق الطريق نهائياً أمام المريد الذي قد يريد فكاكاً مما دخل فيه إذا اطلع على تهاويل التصوف وترهاته .



(١) القشيرية ص١٨٦ .

الفصل الرابع

الطـــرق الصــوفيـــة

تاريخ نشأة الطرق الصوفية :

يبـدو أن أول صوفي وضع نظـام الطرق الصوفيـة هو الصـوفي الإيراني محمـد أحمد الميهمي المتوفي سنة٤٣٠ هـ والمعروف باسم أبي سعيـد فقـد أقـام في بلـدتـه نظاماً للـدراويش ، وبنى خـانـاً بجوار منزلـه للصوفيـة ، وجعل نظـام تسلسل الطريق عن طريق الوراثة ، ويبدو كذلك أنه من أوائل من كتب في طريقة التربية الصوفية وهو سابق على عبد الكريم القشيري صاحب الرسالـة القشيريـة والتي كتب ف يهـا صـاحبهـا أيضـاً طـائفـة كبيرة من طرق التربيـة الصـوفيـة والقشيري توفي سنة ٤٦٥هـ وكان موله سنة ٣٧٦ هـ وأمـا مولـد أبي سعيـد فقـد كان في سنـة ٣٥٧ فهـو أكبر من القشيري وأقـدم . وقـد قيـل أنـه اتصـل بعبـد الرحمن السلمي صـاحب كتـاب الطبقـات وأخـذ عنـه الحرقـة الأولى ، واتصـل كذلك بأبي العباس القصاب وأخذ عنه الحرقة الثانية وقـد انتشر بعـد ذلـك في القرن الخامس والسـادس الهجري نظـام الطرق الصوفيـة وانتقلت من إيران إلى المشرق العربي فظهرت الرفاعية والقادرية في العراق ، والأحمدية والشـاذليـة في مصر ، ثم ظهرت بعـد ذلـك الـدسوقيـة في مصر أيضـاً ثم تتـابـع ظهـور الطرق الجديدة وكـذلـك الطرق المتفرعـة من طرق قـديـة حت أصبحت الطرق تعـد بالآلاف .

وغالباً ما تسمى الطريقة باسم مؤسسها وأحياناً تسمى باسم خاص (كالختمية) مثلاً (والزوّامة) نسبة إلى الزوم لأن ذكرهم (بالزوم) (وهي كلمة عامية مصريـة معناه إخراج صوت معروف يخرج من الأنف والفم مقفول بعد الميم) .

معنى الطريقة الصوفية :

الطريقة الصوفية تعني أولاً النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقي في ميادين التصوف والوصول إلى رتبة الشيخ المربي ويدعي لنفسه بالطبع رتبة صوفية من مراتب الأولياء عند الصوفية كالقطب والغوث والوتد والبدل .....الخ .

ولا بد أن يكون من أهل الكرامات والمكاشفات ، ويكون له بالطبع ذكر خاص به ، يزعم كل واحد منهم أنه تلقاه من الغيب إما من الله رأساً ، أو نزل منه سبحانه مكتوباً ، أو من الرسول ﷺ في اليقظة أو المنام ، أو من الخضر عليه السلام .... المهم لا بد وأن يكون له ذكر خاص ينفرد به عن سائر الطرق ، ولا بد أن يكون لهذا الذكر الخاص ميزة خاصة وفضل خاص أكبر من الموجود في القرآن والسنة ، وأفضل مما عند الطرق الأخرى وهذا بالطبع لجلب (الزبائن) لهذا الطريق الخاص . ثم لابد وأن يكون لكل طريق مشاعر خاصة فلون العلم والخرقة لون مميز ، وطريقة الذكر الصوفي مميزة ، ونظام الخلوة مميز ، وهكذا ؛ والطرق الحديثة غالباً ما يتوارثها الأبناء عن الآباء وذلك أن الطريقة التي تستطيع جلب عدد كبير من المريدين والتابعين والأنصار تصبح بعد مدة يسيرة إقطاعية دينية عظيمة تفد الوفود إلى رئيسها وشيخها من كل ناحية ، وتأتيه الإتاوات والصدقات والهبات والبركات من كل حدب وصوب وحيثما حل الشيخ في مكان ذبحت الطيور والخرفان وأقيمت الموائد الحسان ، ولذلك فإن أصحاب هذه الطرق يقاتلون اليوم عنها بالسيف والسنان .

وعامة الذين يؤسسون الطرق بل جميعهم يصلون نسبهم بالرسول ﷺ ويجعلون أنفسهم من آل بيته .

نماذج من الطرق الصوفية :

الطريقة التجانية :

(١) تنسب الطريقة التجانية إلى أحمد بن محمد بن المختار التجاني المولود

سنة ١١٥٠ هـ ١٧٣٧م ونسبته إلى بلدة تسمى (بني توجين) قريـة من قرى البربر في المغرب ، وينسب نفسه إلى الرسول كما هي عادة كل من أسس طريقة صوفية . سار أولاً في الطريقة (الخلوتية) .

(٢) ثم أسس طريقة لنفسه سماها باسمه بعد أن استقر في مدينة فاس بالمغرب وبنى فيها زاوية لمريديه هناك ويقول صاحب كشف الحجاب عن هذه الزاوية (كانت خربة متهدمة من ملك أولاد أفومي وكانت فيها كرمة كبيرة وكانت تلك الخربة مهيبة لا يقدر أحد أن يدخلها وحده ، وقد بلغني على لسان الثقة أنه كان يسمع فيها بعض الأحيان كأن جماعة يذكرون فيها وكان يقصدها غالب مجاذيب فاس) أهـ . ولم يترك التجاني هذا أي علم ينتفع به ولكن جمع له تلميذ من تلاميذه يسمى علي حرازم كتاباً سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني) ... والكتاب كله في فضل سيده وكراماته وأخلاقه وشمائله وأذكاره وأحواله وطريقته ، وإشاراته القرآنية وعلومه اللدنية ....

(٣) ولم يترك التيجاني هذا بدعة قديمة للتصوف إلا وابتدعها ولا فضلاً مزعوماً ادعاه شيخ صوفي لنفسه إلا وادعاه هو لنفسه وزاد عليه . فقد ادعى أنه خاتم الأولياء جميعاً والغوث الأكبر في حياته وبعد مماته ، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها الفتح والعلم الرباني إلا بواسطته هو ، وأن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم إلى النفخ في الصور ، وأنه أول من يدخل الجنة هو وأصحابه وأتباعه ، وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه ، وأن الرسول أعطاه ذكراً يسمى صلاة الفاتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم ، وهاك بعض النصوص من كتب التجانية لكل هذه الأمور :

أ) إيمانهم بوحدة الوجود وأن كل الأديان حق :

قال أحمد بن حرازم مؤلف جواهر المعاني وهو أشهر كتاب عندهم كما مر

آنفاً :

« ... فكل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلا لله تعالى لأنه هو المتجلي في تلك الألباس ، وتلك المعبودات كلها تسجد لله تعالى وتعبده وتسبحه خائفة من سطوة جلاله سبحانه وتعالى ولو أنها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون تجلية فيها لتحطمت في أسرع من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الأولهية إلى غيره . قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى : ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ والإله في اللغة هو المعبود بالحق وقوله ﴿لا إله إلا أنا﴾ يعني لا معبود غيري وإن عبد الأوثان من عبدها فما عبد غيري ، ولا توجهوا بالخضوع والتذلل لغيري»[1] .

وقال صاحب جواهر المعاني أيضاً :

« ... إن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفي كل ما أقام خلقه لا يعارض في شيء ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهراً لا باطناً لا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الوصل والفصل ، فإن وجود عين واحدة لا تجرؤ فيها على كثرة أجناسها وأنواعها ووحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام . والخواص وهي المعبر عنها عند العارفين أن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظر عيناً واحدة على كثرته ، ومن نظر إلى عين الوحدة نظرة متكثر بما لا غاية له من الكثرة ، وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهذا لمن عاين الوحدة ذوقاً لا رسماً وهذا خارج عن القال ...»[2] .

ب) تفضيلهم ما يسمونه بصلاة الفاتح على القرآن الكريم :

ومن أعظم جرائمهم أيضاً وأكبر مفترياتهم ابتداعهم وتفضيلهم ذكراً مبتدعاً

---

(١) جواهر المعاني ص١٨٤ ، ١٨٥ ج١ .

(٢) جواهر المعاني ص٩٢ ج٢ .

سيئ المعنى ركيك العبارة ، على كل ذكر قرئ في الأرض وجعلهم قراءته أفضل من قراءة القرآن الكريم ستين ألف مرة وهو لا يعدو ثلاثة أسطر وهذا الذكر المبتدع هو :

«اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، الهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم» ... (1) أهـ .

ولا يخفى على عالم بالعربية ركاكة لفظ هذه الصلاة وما فيها من المجاهيل فما هو الذي أغلق وفتحه الرسول ... وما هو الذي سبق ؟! وكيف يكون هذان السطران أفضل من القرآن الكريم المعجز ... ولا عجب في هذا الكذب فقد زعموا أيضاً أنها نزلت من السماء . فقد قال الفوطي مؤلف كتاب «رماح حزب الرحيم» : ويجب أن يعتقد الذاكر أنها من كلام الله(2) وقال مؤلف كتاب «الدرة الخريدة» : ويعتقد المصلي أنها في صحيفة من نور أنزلت بأقلام قدرة إلهية وليست من تأليف زيد ولا عمرو بل هي من كلامه سبحانه وتعالى(3) وقال صاحب الجواهر أيضاً :

« ... إنها لم تكن من تأليف البكري ولكنه توجه إلى الله مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي ﷺ فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب الله دعوته فأتاه الملك بهذه الصلاة المكتوبة في صحيفة النور ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها مكتوبة في صحيفة من النور ثم قال الشيخ فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن والإنس والملائكة قال الشيخ وقد أخبرني ﷺ عن ثواب الإسم الأعظم فقلت : إنها أكثر منه فقال ﷺ بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة .(4) أهـ .

وقال في بيان فضلها :

---

(1) أحزاب وأوراد التيجاني تحقيق محمد الحافظ .

(2) رماح حزب الرحيم ج٢ ص١٣٩ . (3) الدرة الخريدة ج٤ ص١٢٨ .

(4) الجواهر ص٩٦ .

«وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق الخ فقد سمعت شيخنا يقول كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في وردة الجيوب وقد ذكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطباً .قال إن من ذكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله ، وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمغون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) ولما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ﷺ عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة مرات ، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار ...[1]أهـ

قلت : ولا يخفى ما في هذا من الكذب والتلفيق ، ولا يخفى أيضاً أن تصديق مثل هذه الترهات تكذيب لله ولرسوله فقد قال تعالى ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ **وقال تعالى** ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ ومستحيل أن يحجب الرسول مثل هذا الفضل عن أفضل أمته وهم أصحابه الأطهار ، ويؤثر بذلك مجموعة من خدم وعبيد الكفار والاستعمار عاشوا في شمال أفريقيا على أكل أموال الناس بالباطل وخدمة الفرنسيين وتضليل المسلمين وصرفهم من التوحيد إلى الشرك ومن الصراط المستقيم إلى طرق الشياطين .

ولا غرو فقد فضل التيجاني هذا نفسه على جميع الصحابة والتابعين وجميع

---

(١) جواهر المعاني ج١ ص٩٤ .

الأمة أجمعين وادعى الولاية العظمى والغوثية وختم الأولياء (أنظر الفصل الخاص بخاتم الأولياء) .

ج) ادعاء التجاني أن أتباعه يدخلون الجنة مهما عصوا :

وادعى التيجاني ما لم يعطه الله لرسوله من الشفاعة من أن من رآه دخل الجنة ولو كان كافراً ، وأن جميع آبائه وأمهاته في الجنة ، وجميع أتباعه .

قال صاحب الرماح :

« ... وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي ، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم ﷺ أمر لا يحل ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة ....»[1] أهـ

وقال مؤلف الجواهر :«اطلعت على ما رسمه وخطه ونصه ... أسأل من فضل سيدنا رسول الله ﷺ أن يضمن دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى ، أنا وكل أب وأم ولدوني من أبوي إلى أول أب وأم لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمي ، من كل ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث .. وكل من أحسن إليّ بإحسان حسّي أو معنوي من مثقال ذرة فأكثر ... وكل من لم يعادني من جميع هؤلاء . أما من عاداني وأبغضني فلا ، وكل من والاني واتخذني شيخاً أو أخذ عني ذكراً ، وكل من خدمني أو قضى لي حاجة ... وآباؤهم وأمهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم ... يضمن لي سيدنا رسول الله ﷺ وجميع هؤلاء أن يموت كل حي منهم على الإيمان والإسلام ... ثم قال : كل ما في هذا الكتاب ضمنته لك ضمانة لا تتخلف عنك وعنهم أبداً ،

---

(١) رماح حزب الرحيم ص١٤٣ ج٢ .

إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليين .
وضمنت لك جميع ما طلبته منا ضماناً لا يخلف عليك الوعد فيها والسلام .. ثم قال : وكل هذا واقع يقظة لا مناماً[1]» .

قلت : لم أجد في حياتي كذباً أسمج ، ولا وقاحة ، ولا تقولاً على الله ورسالاته أكبر من ذلك ... فماذا كان عند هذا الوقح من دين وإسلام حتى يضمن الرسول له ذلك ، وهذا الرسول ﷺ الذي يقول «والله إني لرسول الله لا أدري ما يفعل بي غداً » رواه البخاري ، والذي يقول الله تبارك وتعالى له ﴿**قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا**﴾ (الجن ٢١/٢٢) .

فيأتي هذا الكذاب ليفتري على الله أمثال هذه الإفتراءات ويأبى الله إلا أن يكذبه فيكون أتباعه وأولاده أفضل خدم للكفر والإستعمار .. وقال أيضاً مؤكداً هذه المزاعم :«وسألته ﷺ لكل من أخذ عني ورداً أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر ، وأن تؤدي عنهم تبعاتهم من خزائن فضل الله لا من حسناتهم ، وأن يدفع الله عنهم محاسبته على كل ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى ، وأن يكونوا معي في عليين في جوار النبي ﷺ . فقال لي النبي ﷺ: ضمنت لك هذا ضماناً لا ينقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين»[2] أهـ

فانظر أي أخلاق يكون عليها الذين يدّعون مجاورة النبي ﷺ في عليين .

ولم يكتف التجاني بهذا أيضاً فقد زعم كذلك أن الرسول ﷺ لا يفارقه يومي الاثنين والجمعة من كل أسبوع ، وأن مع الرسول سبعة أملاك وكل من رأى التجاني في هذين اليومين ، تكتب الملائكة اسمه في رقعة من الذهب ويكون ناجياً أبداًومن أهل السعادة حتى ولو كان كافرا عند مشاهدته للتجاني فإنه لا بد وأن يموت على الاسلام ، وأن هذا كرامة من الله له .

---

(١) جواهر المعاني ج٢١ ، ص١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) الجيش الكفيل بأخذ الثأر ص٢١٤ ، ٢١٥ .

قالت صاحب بغية المستفيد شرح منية المريد :[1]«وأما الكرامة الثالثة وهي دخول الجنة لمن رآه رضي الله عنه في اليومين الاثنين والجمعة ، فهي من كراماته رضي الله عنه التي طارت بها الركبان وتواترت بها الأخبار في سائر الأقطار والبلدان ، بأخبار من النبي ﷺ ولفظه الشريف فيما أخبر به سيدنا رضي الله عنه بعزة ربي ، يوم الاثنين والجمعة لا أفارقك فيهما من الفجر الى الغروب ومعي سبعة أملاك ، وكل من يراك في اليومين يكتبون - يعني الأملاك السبعة - اسمه في رقعة من ذهب ويكتبونه من أهل الجنة وأنا شاهد على ذلك»[2] .

وقال أيضاً :«ورأيت في كلام بعض من كان مشاراً إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير إلى أن المختص برائيه في اليومين هو السعادة التي لا شقاوة بعدها يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلا من سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيداً ، فيدخل الكفار في هذا الخطاب ، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهاب فيقال لا يراه في هذين اليومين إلا من يسبق في علم الله تعالى أنه يختم له بالسعادة كائناً من كان ، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين ختم له بالإيمان وعليه فتخصص الرؤية المطلقة في كل يوم بمن كان مسلما سواء كان من الأصحاب أو لا حسبما هو مصرح به في الجواهر وهذه المقيدة باليومين بما يشمل كل من رآه ولو كان كافراً» اهـ[3]

وهذا الذي ادعاه التجاني لنفسه لم يحصل لرسول ﷺ فمعلوم أن النبي ﷺ رآه آلاف الناس من الكفار في كل أيام الأسبوع ومع ذلك فقد ماتوا على الكفر والشرك بل كان هناك معه من الذين صحبوه ، وجاهدوا وصلوا معه ، منافقين مردوا على النفاق ، بل كان منهم من قال الله له في شأنهم (استغفر لهم أولا تستغفر لهم وان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم (التوبة ٨٠) .

---

(١) هو محمد العربي السائح العمري التيجاني وكتابه شرح لمنية المريد وهي من تأليف أحمد التجاني بن بابا الشنقيطي العلوي (التجانية تأليف علي بن محمد بن الدخيل الله ص ٧٦).

(٢) بقية المستفيد ص ٢١٦ .

(٣) بقية المستفيد ص ٢٧٥

وكذلك كان من أصحابه أناس يعرفهم الرسول ويعرفونه ويوم القيامة يؤخذ بهم جهة النار ويطردون عن حوضه ﷺ فيقول للملائكة أصحابي أصحابي فيقولون : ليسوا أصحابك إنك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك » (رواه البخاري ومسلم) .

فاذا كان النبي ﷺ هذا شأنه فيمن رآه ، وهذا شأنه مع أصحابه فماذا يكون زعم التجاني إلا أنه كذب سمج وقح .. ووالله إني لا أرى الرد على أمثال هذه الترهات ولكننا مضطرون أحيانا أن نذكر بالآيات والاحاديث وموازين الدين وقواعد الشريعة لأن بعض الناس قد يسمعون بمثل هذه السخافات ولا يستطيعون التميز بين النبي الصادق والدعى الكذاب وبين عقيدة الاسلام الطيبة وعقائد الزنادقة ولذلك فإننا نضطر أحيانا أن نقابل هذا الهراء الذي لا ينطلي حتى على الصبيان والمجانين بالآيات والأحاديث فاللهم معذرة أن نخاطب بكلامك الطيب وبكلام رسولك الصادق الأمين أن نخاطب به أمثال هؤلاء الكاذبين الزنادقة .

د) زعم التجانية رؤية الرسول في اليقظة والأخذ عنه :

ومن خرافات التجانية أيضاً وافتراءاتهم زعمهم رؤية النبى ﷺ دائماً ، وحضوره وحاشاه ﷺ مجالس ذكرهم المبتدعة وهذه أقوالهم فى ذلك .

(١) قال فى جواهر المعانى : « قال رضى الله عنه : أخبرنى سيد الوجود يقظةً لا مناماً قال لى : أنت من الآمنين ، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان ....» أهـ [١]

(٢) وقال أيضاً : ..سأل سيد الوجود ، وعلم الشهود ، ﷺ فى كل نفس مشهود ، عن نسبه وهل هو من الأبناء والأولاد ، أو من الآل والأحفاد ، فأجابه ﷺ بقوله :«أنت ولدي حقاً» . كررها ثلاثاً ﷺ ، وقال نسبك الى الحسن بن على صحيح . وهذا السؤال من سيدنا رضى الله عنه لسيد الوجود

---

(١) جواهر المعانى ج ١ ص ١٢٩

يقظةً لا منـامـاً ، وبشر ﷺ بـأمور عظـام جسـام ﷺ وشرف وكرر ومجـد وعظم» .[٢]

(٣) وقال أيضاً عن الصلاة المسماة بياقوتـة الحقـائق «هي من املاء رسول الله ﷺ من لفظة الشريف على شيخنا يقظة لامناما» .[٣]

(٤) وقـال أيضـاً فيما يرويـه عن شيخـه التجـانى : «قـال رأيتــه مرة ﷺ ، وسألته عن الحديث الوارد فى سيـدنـا عيسى عليـه الصلاة والسلام . قلت لـه : ورد عنك روايتـان صحيحتـان واحـدة قلت فيهـا يمكث بعـد نزولـه أربعين ، وقلت فى الأخرى سبعا ..ما الصحيحة منها ؟ قال ﷺ : رواية السبع» .[٤]

وهذا الذى يزعم التجانى أنه استفاد من الرسول فى اليقظـة . بشـأن ترجيح (رواية سبعـة أيـام على أربعين يومـا) قـد سرقـه التجـانى من الكتـاب الأبريز للدباغ فهناك قد زعم الدباغ أيضاً أنه أستفاد هذا من الرسول ...وقـد كان هـذا شأن التجانى دائماً ...كلما يسمع أن أحـداًمن سبقه من رجال التصوف قـال نحوه وزاد كما سمع أو قرأ أن عبد القادر الجيلانى قال عن نفســه قـدمـاى هـاتـان على رقبة كل ولى الله) .. فقال التجانى وأما أنا فأقول قـدمـاى هـاتـان على رقبـة كل ولى لله من خلـق آدم إلى النفـخ فى الصـور) ..وسمـع أو قرأ أن ابن عربى قال إنه خاتم الأولياء فقال بل أنا خاتم الأولياء وهكذا فقد ردد معظم الكـذب الذي سبقه به شياطين التصوف القدامى وزاد عليهم .

ونعود فنقول أن التجانية لم يجعلوا رؤية الرسول فى اليقظة خاصة بالتجانى بـل جعلـوهـا بكل من زعمـوا أنـه بلـغ درجـة العرفـان فى زعمهم وهنـاك بعض نصوصهم فى ذلك :

(١) قـال فى رمـاح حزب الرحيم : «ولا يكمـل العبـد فى مقـام العرفـان حتى يصير يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة ..الخ»[١]

---

(٢) جواهر المعانى ص ٢٢٨ ح ٢

(٣) جواهر المعانى ص ٣٠ ،٣١ - ج ١

(٤) جواهر المعانى ص ٥٠ ح ١

(١) الرماح ص ١٩٩ ح ١

(٢) وقال فى بغية المستفيد :« ...منهم من يرى روحه فى اليقظة متشكلة بصورته الشريفة ، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه فى حياته ﷺ ، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى فى رؤيته ﷺ»أهـ [٢]

☆ وهذا هو الذى نبهنا عليه فى أول الكتاب أن المفترق الأول بين دين الإسلام ودين التصوف هو الافتراق فى التلقى بينما يتلقى المسلمون دينهم بعد وفاة الرسول من الكتاب والسنة وإجماع الأمة فقط هذا هو المعصوم ثم من اجتهاد الأئمة المعرض للصواب والخطأ ، أقول بينما يفعل المسلمون ذلك ، فإن المتصوفة يجعلون تلقيهم للدين من كل من هبٌ ودبٌ ممن يزعم ملاقاة الرسول وهذا كذب بإجماع الأمة . أو ملاقاة الخضر وهذا كذب وافتراء بين فلم يتعبدنا الله بخضر أو بغيره أو ممن يزعم رؤية الملائكة وسماع دينهم أو ممن يزعم تلقى الدين من اللوح المحفوظ رأساً وممن يتجاوز كل ذلك فيقول حدثنى قلبى عن ربى .. أو من يقول يأتينى كلام الله مكتوباً فى ألواح من نور ... فكل مشايخ التصوف رسل وأنبياء ومشرعين ومتلقين للدين من طرق أخرى غير طريق المسلمين وبهذا تتأكد أن دين هؤلاء حتماً ليس بدين المسلمين .....وأنهم يفترقون عن المسلمين فى الأصل الأصيل وهو مصدر الدين .

ولو فرضنا جدلاً أن الرسول ﷺ يمكن أن يعود بجسده الشريف أو روحه الطاهر ﷺ ليلقى بعض المسلمين فأننا نجزم أن لقاءه هذا سيكون لتعزيز شريعته التى بثها فى حياته لا لهدمها ،فنتصور مثلاً فى مثل التجانى أن يقول لا تكن أنت وأتباعك عبيداً للاستعمار الفرنسى ولا خدماً للكفار ، وقوموا بنصرة الدين ، وجاهدوا فى سبيل الله وأما أن يأتى النبى ﷺ ليقول للتجانى أقطعتك الجنة وأتباعك ولو كانو مجرمين فاسقين وكل من رآك دخل الجنة ولو كان كافراً ، وأمر أتباعك أن يدعوك من دون الله ويشركوا بالله فى كل شيء ويأتى بآخر فيقطعة قطعة من الجنة ويؤمنه من العذاب ويقول لا حرج عليك وعلى أتباعك واعمل مولدا لنفسك ومولدا لي يستباح فيه

---

(٢) بقية المستفيد : ٧٩ ، ٨٠

الحرمات وتهتك فيه الأعراض ولا حرج عليك من ذلك لأن كل ذنوب أصحابك أنا أغفرها لكم ... هل هذه هى المهمة ا لتى بقيت لرسول الله فى الأرض ... ياسبحان الله كم يكذب هؤلاء على الله وعلى رسوله وهم لا يستحون .

(هـ) دعوة التجانية إلى الشرك الجلي

والطريقة التجانية كغيرها من الطرق رأس مالها وقطب رحاها فى الدين أن تدعو الناس إلي الشرك بالله فبدلاً من دعوة الناس إلي الصلاة الصحيحة ، والصوم الصحيح المشروع والحج ، والزكاة ، والجهاد فى سبيل الله قد استبدلوا كل ذلك بوسيلة واحدة وهي الإستغاثة بالمشايخ ودعوتهم من دون الله ،والالتجاء بهم الي الله والاعتقاد أن الله لا يقبلهم إلا من طريق هؤلاء الشيوخ الضالين بزعم أن هؤلاء المشايخ هم أبواب الله ، ولا دخول على الله الا من طريقهم ، ولا قبول لتوبة تائب إلا برضاهم ، وأى قربان أو زكاة لا تقبل إلا إذا كانت أيدي هؤلاء المشايخ أول من يلتقطها ، وأول من يأكلها .. هذا هو دين الصوفية فى نهايته إخراج الناس من عبادة الله عز وجل إلي عبادة هؤلاء المشايخ أحياءاً وأمواتاً ....

قال مؤلف رماح حزب الرحيم : «وأما كيفة التوسل به رضى الله عنه وبجده ﷺ فهي أنك مهما أردت حاجه من خوائج الدنيا والآخرة فصَلِّ على رسول الله ﷺ بصلاة الفاتح لما أغلق مائة ، واهد ثوابها لرسول الله ﷺ قضاء الحاجة التي تريدها ثم تقول : يا رب توسلت إليك بجاه القطب الكامل سيدنا أحمد بن محمد التجاني وجاهه عندك أن تعطيني كذا وكذا ، وتسمى حاجتك بعينها عشرا » أ هـ[1]

وهكذا لا يوجهون الناس فى الملمات والمهات إلا إلي التوجه إلي الرسول

(١) الرماح ج ١ ص ١٦٥

والتجانى ... وبالرغم من أن التوسل الى الله بالنبى بعد موته بدعة منكرة لم يفعلها أحد من سلف الأمة المشهود لهم بالخير ، فان اقتران اسم الرسول ﷺ باسم هذا الدعى الكذاب من أكبر الإثم والزور والجراءة على الله ...

والعجيب فى أمر التجانية أيضاً أنهم جعلوا التوسل بالأموات عند أتباعهم خاص بالرسول والتجانى فقط ، وأنه من توسل منهم بغير الرسول والتجانى فإنه يخرج من الطريقة خروجاً نهائياً ويسلخ منها انسلاخاً كاملا لا رجعة فيه كما ينسلخ جلد الشاة عن الشاه والبيضة عن الدجاجة ومعلوم أن جلد الشاة إذا سلخ منها يستحيل إعادته إليها وأن بيضة الدجاجة اذا انفصلت عنها يتعزر إعادتها إليها .... فأنظر كيف حكموا بأكبر من الردة عن الدين لمجرد أن واحد منهم توسل بشيخ غير شيخهم .

قال مؤلف الدرة الخريدة : « ومن زار من الأخوان الأحمديين شيخاً من المشايخ حياً كان أو ميتاً بقصد التوسل به والاستمداد ، غير شيخنا أبي الفيض [1]...فقد خرج عن طريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها ، بل انسلخ منها انسلاخ الجلد عن النعاج وانفصل عنها انفصال البيض عن الدجاج ..» أهـ [2]

فانظر كيف يكون الاَستعباد والاستبداد وضرب طوق جهني عن من وقع فى شباكهم أن لا يتصل بشيخ آخر مطلقاً ولا يعلق قلبه به .

(و) تفضيل التجاني نفسه على جميع الأولياء :

كل شيخ صوفي صاحب طريق يؤثر عنه أنه يفضل نفسه على سائر الأولياء ، وذلك حتى يستطيع جلب الناس لطريقته ، ويتفانى فيه أتباعه من بعده تعصبا لشيخهم وترويجاً لطريقتهم ، والتجانى امله أكثرهم جرأة فى هذا الصدد ، فلم يترك فضلاً مزعوماً لأحد قبله إلا ونسبه إلى نفسه ، فقد أدعى أنه

---

(١) شيخهم أبو الفضل هو أحمد التجانى والفيض فى زعمهم هو علم الغيب والخير الذي يفيضه على اتباعه .

(٢) الدرة الخزيرة .

خاتم الأولياء تقليداً لمن سبقه من مشايخ التصوف (راجع الفصل الخاص بخاتم الأولياء) .وأدعى لنفسه أنه هو الذي يمد جميع الأولياء بالعلوم والمعارف منذ خلق آدم أى قبل أن يخلقه الله والى النفخ فى الصور ... فهو الذي تنبع منه المعارف والعلوم والأسرار الالهية ـ حسب زعمه إلي الأولياء السابقين قبل وجوده وإلى جميع الأولياء اللاحقين إلى نهاية العالم .

(١) وقال مؤلف بقية المستفيد : «قال رضي الله عنه إن الفيوض التى تفيض من ذات سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء ، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتي ، ومنى يتفرق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ فى الصور ... وقال : لا يتلقى ولي فيضاً من الله تعالى إلا بواسطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به ، ومدده الخاص به إنما يتلقاه من النبى ﷺ ..» أهـ [(١)]

(٢) وقال مؤلف الدرة الخريدة :« ... فسيدي أبو الفيض أصل جميع الوسائل المتقدمة والمتأخرة ، وشيخ المشايخ ، وبرزخ البرازخ ، والمنبع الذى تنفجر منه العلوم والفيوض والمعارف والأسرار لجميع الأولياء والأقطاب والعارفين والأحباب ....» أ ه [(٢)]

وقال فى منية المريد :

لا شك أن شيخنا التجاني ممد كل عارف صمداني
يعطي ويمنع ويسلب فمن كمثله من الورى في ذا الزمن[(٣)]

ولا يخفى أن هذا اعتقاد خرافى ثم هو شرك واضح لأنه رفع للمخلوق إلى مرتبة الخالق فالذى فالذي يهب المعارف والعلوم والفقه ويشرح القلوب هو الله سبحانه وتعالى **(ففهمناها سليمان وكلا آتيا حكما وعلما)** فهو الذي يفهم سبحانه وتعالى وقال أيضاً سبحانه : **(الرحمن علم القرآن خلق الإنسان**

---

(١) بقية المستفيد ص ٢٢٥

(٢) الدرة الخريدة ج ١ ص ٢٦

(٣) بقية المستفيد ص ٢٢٦

علمه البيان) وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ **(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** . فالله هو الذي يرى رسوله وكل ذلك بمدده هو سبحانه وتعالى وفضله **(فمن يريد الله أن يهديه يشرح صدره للإيمان)** فشرح الصدر ونور الفؤاد منه سبحانه وتعالى وليس من التجاني ولا غيره ومن ظن هذا الظن في أنه لا يأتيه علم ولا مدد إلا من طريق التجاني أو غيره من البشر فلا شك في كفره ومروقه من الدين .

ز) أذكارهم وبدعهم الخاصة :

هذه أخي المسلم هي أهم القواعد والقضايا التي تقوم عليها الطريقة التجانية إضافة إلى بدعهم الخاصة في الأذكار والعبادات ،فقد ابتدعوا صلاة سموها (جوهرة الكمال) فيها سَبٌّ للرسول وأشترطوا لقراءتها أن يكون قارؤها متطهراً بالطهارة المائية فقط ، فلو فقد الماء أو لم يستطع استعماله فلا يجوز له قراءتها فرفعوها بذلك عن منزله القرآن الكريم والصلاة . وهذه الصلاة المبتدعة هي :

« اللهم صل على عين الرحمة الربانية ...والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراتك التام الأسقم ، اللهم صلى على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم ﷺ ، وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه » . أهـ[1]

فهذه الصلاة الي جوار ركاكة الفاظها ففيها معان سيئة كقوله (صراتك التام الأسقم) ...(إحاطة النور المطلسم) ... ونور الأكوان المتكونة ..) ..

وبمثل هذه المبتدعات صرفوا الناس عن الصلوات الطيبات الزاكيات التي

---

(١) احزاب واوراد التجانى ص ١٣ ، ١٤

نطق بها فم الرسول الطاهر ﷺ وحرموا المسلمين الأجر الحقيقي واتبـاع الرسول الي اتباع هؤلاء المبتدعين المارقين .

☆ **هذه خلاصة وعجالة لهذه الطريقة التي انتشرت انتشاراً ذريعاً فى شمال ووسط وغرب أفريقيا وضمت تحت لوائهـا ملايين كثيرة من أبناء المسلمين وهذا جانب يسير من واقعها الفعلي والا فقد جاء من بني على هذا الواقع الفاسد ، وزعم أنه صاحب الفيضة التجانية الذي بشر به التجاني وأن أتباعه يدخلون جميعاً الجنـة بغير حسـاب ولو كانوا كفاراً ولو أنهم لم يفعلوا شيئاً قط من الدين ، أو استحلوا كل المحرمات لأن الله اختارهم لذواتهم فقط وهذا الشخص هو (الحاج إبراهيم السنغالي) والذي كان له شأن عظيم وبسط دعوته تلك فى أصقاع كبيرة من القارة الأفريقية .**



الفصل الخامس

مناظرة شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية للبطائحية الرفاعية

بعد أن استكملنا بحمد الله بيان الخطوط العريضة للطرق الصوفية قديماً وحديثاً نتبع هذا البيان بمناظرة شيخ الاسلام ابن تيمية لمن عاصروه من الرفاعية البطائحية فقد لما زعم الرفاعية أن الله قد ألان لهم الحديد وآزال لهم فاعلية السموم والنيران ، وأخضع لهم طغاة الجن ، وما زالوا منذ ذلك اليوم بمخرقون بمثل هذا على الناس إلى يومنا هذا وقد وقعت مناظرة بين شيخ الاسلام وبينهم حول هذه الأمور التي يدعونها . فتحداهم شيخ الاسلام فيها وبين لهم أن ما يدعونه كذب وتمويه ودجل وليس من الولاية فى شئ ، وقد أثبت هذه المناظرة بكاملها بقلم الشيخ ابن تيمية لما فيها من القواعد العظيمة والجليلة ، ولمناسبتها لما نحن بصدده من بيان الحق فيا عند الصوفية من الزيغ والباطل والله المستعان .

قال شيخ الإسلام قدسَ اللهّ روحَه

بسم اللهِ الرّحمنِ الرَّحيم

الحمد للهّ رب العالمين ، واشهد ان لا إله الا اللهّ رب السموات والارضين ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين ، صلى اللهّ تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً دائماً الى يوم الدين .[1]

(أما بعد) فقد كتبت ما حضرني ذكره فى المشهد الكبير بقصر الامارة والميدان بحضرة الخلق من الامراء والكتاب والعلماء والفقراء العامة وغيرهم فى

---

(١) مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية .

أمر « البطائحية » يوم السبت تاسع جمادي الأول سنة خمس[1] لتشوف الهمم إلى معرفة ذلك وحرص الناس على الاطلاع عليه . فان من كان غائباً عن ذلك قد يسمع بعض اطراف الواقعة ، ومن شهدها فقد رأى وسمع ما رأى وسمع ، ومن الحاضرين من سمع ورأى ما لم يسمع غيره ويرى لانتشار هذه الواقعة العظيمة ،ولما حصل بها من عز الدين ، وظهور كلمته العليا ، وقهر الناس على متابعة الكتاب والسنة ، وظهور زيف من خرج عن ذلك من أهل البدع المضلة والأحوال الفاسدة والتلبيس على المسلمين .

وقد كتبت فى غير هذا الموضع صفة حال هؤلاء «البطائحية» وطريقهم وطريق (الشيخ أحمد بن الرفاعي) وحاله ، وما وافقوا فيه المسلمين وما خالفوهم . ليتبين ما دخلوا فيه من دين الاسلام وما خرجوا فيه عن دين الاسلام ، فان ذلك يطول وصفه فى هذا الموضع ، وانما كتبت هنا ما حضرنى ذكره من حكاية هذه الواقعة المشهورة فى مناظراتهم ومقابلتهم .

وذلك أنى كنت اعلم من حالهم بما قد ذكرته فى غير هذا الموضع ـ وهو أنهم وان كانوا منتسبين الى الاسلام وطريقة الفقر والسلوك ويوجد فى بعضهم التعبد والتأله والوجد والمحبة والزهد والفقر والتواضع ولين الجانب والملاطفة فى المخاطبة والمعاشرة والكشف والتصرف ونحو ذلك ما يوجد ـ فيوجد أيضاً فى بعضهم من الشرك وغيره من أنواع الكفر ، ومن الغلو والبدع فى الاسلام والاعراض عن كثير مما جاء به الرسول ، والاستخفاف بشريعة الاسلام ، والكذب والتلبيس واظهار المخارق الباطلة وأكل أموال الناس بالباطل ، والصد عن سبيل الله ما يوجد ....

وقد تقدمت لي معهم وقائع متعددة بينت فيها لمن خاطبته منهم ومن غيرهم بعض ما فيهم من حق وباطل ، وأحوالهم التى يسمونها الاشارات ، وتاب منهم جماعة ، وادب منهم جماعة من شيوخهم ، وبينت صورة ما يظهرونه من المخاريق : مثل ملابسة النار والحيات ،وإظهار الدم ، واللاذن والزعفران وماء الورد والعسل والسكر وغير ذلك ،وان عامة ذلك عن حيل

(١) أى بعد السبعمائة

معروفة وأسباب مصنوعة ، وأراد غير مرة منهم قوم اظهار ذلك فلما رأوا معارضتي لهم رجعوا ودخلوا على أن استرهم فأجبتهم الى ذلك بشرط التوبة ، حتى قال لي شيخ منهم فى مجلس عام فيه جماعة كثيرة ببعض البساتين لما عارضتهم بأني أدخل معكم النار بعد أن نغتسل بما يذهب الحيلة ، ومن احترق كان مغلوبا ، فلما رأوا الصدق امسكوا عن ذلك .

وحكى ذلك الشيخ انه كان مرة عند بعض أمراء التتر بالمشرق ،وكان له صنم يعبده ، قال : فقال لي : هذا الصنم يأكل من هذا الطعام كل يوم ويبقى أثر الأكل فى الطعام بيناً يري فيه !! فأنكرت ذلك ، فقال لي ان كان يأكل انت تموت ؟ فقلت نعم ،قال : فأقمت عنده الى نصف النهار ولم يظهر فى الطعام أثر ! فاستعظم ذلك التتري واقسم بإيمان مغلظة انه كل يوم يرى فيه أثر الأكل ، لكن اليوم بحضورك لم يظهر ذلك . فقلت لهذا الشيخ : انا ابين لك سبب ذلك . ذلك التتري كافر مشرك ، ولصنمه شيطان يغويه بما يظهره من الأثر فى الطعام ، وانت كان معك من نور الاسلام وتأييد الله تعالى ما أوجب انصراف الشيطان عن أن يفعل ذلك بحضورك ، وأنت وأمثالك بالنسبة الى أهل الاسلام الخالص كالتتري بالنسبة الى أمثالك . فالتتري وأمثاله سود ، وأهل الاسلام المحض بيض ، وأنتم بلق فيكم سواد وبياض . فأعجب هذا المثل من كان حاضراً !!!

وقلت لهم فى مجلس آخر لما قالوا تريد ان تظهر هذه الاشارات ؟ قلت : ان عملتموها بحضور من ليس من أهل الشأن : من الأعراب والفلاحين ، أو الأتراك أو العامة أو جمهور المتفقهة والمتفقرة والمتصوفة - لم يحسب لكم ذلك . فمن معه ذهب فليأت به الى سوق الصرف الى عند الجهابذة الذين يعرفون الذهب الخالص من المغشوش ومن الصفر ، لا يذهب الى عند أهل الجهل بذلك . فقالوا لي : لا نعمل هذا إلا أن تكون همتك معنا ، فقلت : همتي ليست معكم ، بل انا معارض لكم مانع لكم ، لأنكم تقصدون بذلك ابطال شريعة رسول الله ﷺ ، فان كان لكم قدرة على اظهار ذلك فافعلوا . فانقلبوا صاغرين .

فلما كان قبل هذه الواقعة بمدة كان يدخل منهم جماعة مع شيخ لهم من شيوخ البر . مطوقين بأغلال الحديد في أعناقهم ، وهو وأتباعه معروفون بأمور ، وكان يحضر عندي مرات فاخاطبه بالتي هي أحسن ؛ فلما ذكر الناس ما يظهرونه من الشعار المبتدع الذين يتميزون به عن المسلمين ، ويتخذونه عبادة ودينا يوهمون به الناس ان هذا لله سر من أسرارهم ، وإنه سيماء أهل الموهبة الالهية السالكين طريقهم - أعني طريق ذلك الشيخ وأتباعه - خاطبته في ذلك بالمسجد الجامع ، وقلت هذا بدعة لم يشرعها الله تعالى ولا رسوله ، ولا فعل ذلك أحد من سلف هذه الامة ولا من المشايخ الذين يقتدي بهم ، ولا يجوز التعبد بذلك ، ولا التقرب به الى الله تعالى لأن عباد الله بما لم يشرعه ضلالة ، ولباس الحديد على غير وجه التعبد قد كرهه من كرهه من العلماء للحديث المروي في ذلك وهو ان النبي ﷺ رأى على رجل خاتماً من حديد فقال « مالي أرى عليك حلية أهل النار » . وقد وصف الله تعالى أهل النار بأن في أعناقهم الاغلال ، فالتشبه بأهل النارمن المنكرات وقال بعض الناس قد ثبت في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ في حديث الرؤيا قال في آخره «احب القيد وأكره الغل . القيد ثبات في الدين» فأذا كان مكروهاً في المنام فكيف في اليقظة ؟!.

فقلت له في ذلك المجلس ما تقدم من الكلام أو نحواً منه مع زيادة ، وخوفته من عاقبة الاصرار على البدعة ، وان ذلك يوجب عقوبة فاعله ، ونحو ذلك من الكلام الذي نسيت اكثره لبعد عهدي به . وذلك أن الأمور التي ليست مستحبة في الشرع لا يجوز التعبد بها باتفاق المسلمين ، ولا التقرب بها الي الله ولا اتخاذها طريقاً الي الله وسبباً لأن يكون الرجل من أولياء الله وأحبائه ، ولا اعتقاد أن الله يحبها أو يحب أصحابها كذلك ، أو أن اتخاذها يزداد به الرجل خيراً عند الله وقربة إليه ، ولا أن يجعل شعاراً للتائبين المريدين وجه الله الذين هم افضل ممن ليس مثلهم .

فهذا اصل عظيم تجب معرفته والاعتناء به ، وهو أن المباحات إنما تكون مباحة إذا جعلت مباحات ، فاما اذا اتخذت واجبات أو مستحبات كان ذلك

ديناً لم يشرعه الله ، وجعل ما ليس من الواجبات والمستحبات منها بمنزلة جعل ما ليس من المحرمات منها ، فلا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه الله ؛ ولهذا عظم ذم الله فى القرآن لمن شرع ديناً لم يأذن الله به ، ولمن حرم ما لم يأذن الله بتحريمه فاذا كان هذا فى المباحات فكيف بالمكروهات او المحرمات ؟! ولهذا كانت هذه الأمور لا تلزم بالنذر ، فلو نذر الرجل فعل مباح أو مكروه او محرم لم يجب عليه فعله كما يجب عليه إذا نذر طاعة الله ان يطيعه ؛ بل عليه كفارة يمين اذا لم يفعل عند أحمد وغيره ، وعند آخرين لا شيء عليه . فلا يصير بالنذر ما ليس بطاعة ولا عبادة طاعة وعبادة .

ونحو ذلك العهود التي تتخذ على الناس لالتزام طريقة شيخ معين كعهود أهل «الفتوة» و «رماة البندق» ونحو ذلك ليس على الرجل أن يلتزم من ذلك على وجه الدين والطاعة لله الا ما كان ديناً وطاعة لله ورسوله فى شرع الله ؛ لكن قد يكون عليه كفارة عند الحنث فى ذلك ؛ ولهذا أمرت غير واحد ان يعدل عما اخذ عليه من العهد بالتزام طريقة مرجوحة أو مشتمله على أنواع من البدع الى ما هو خير منها من طاعة الله ورسوله ﷺ واتباع الكتب والسنة ؛ إذ كان المسلمين متفقين على أنه لايجوز لأحد أن يعتقد أو يقول عن عمل : انه قربة وطاعة وبر وطريق الى لله واجب أو مستحب إلا أن يكون مما أمر الله به ورسوله ﷺ ؛ وذلك يعلم بالادلة المنصوبة على ذلك ، وما علم باتفاق الأمة انه ليس بواجب ولا مستحب ولا قربة لم يجز أن يعتقد أو يقال أنه قربة وطاعة .

فكذلك هم متفقون على أنه لا يجوز قصد التقرب به الى الله ، ولا التعبد به ولا اتخاذه دينا ولا عمله من الحسنات ، فلا يجوز جعله من الدين لا باعتقاد وقول ، ولا بارادة وعمل .

وباهمال هذا الأصل غلط خلق كثير من العلماء والعباد يرون الشيء إذا لم يكن محرما لا ينهى عنه ؛ بل يقال انه جائز ، ولا يفرقون بين اتخاذه دينا وطاعة وبراً ، وبين استعماله كما تستعمل المباحات المحضة ، ومعلوم ان اتخاذه دينا بالاعتقاد او الاقتصاد أو بهما او بالقول أو بالعمل أو بهما من أعظم

المحرمات واكبر السيئات ، وهذا من البدع المنكرات التى هي اعظم من المعاصي التى يعلم أنها معاصي وسيئات .

فَصْل

فلما نهيتهم عن ذلك اظهروا الموافقة والطاعة ومضت على ذلك مدة والناس يذكرون عنهم الاصرار على الابتداع فى الدين ، واظهار ما يخالف شرعة المسلمين ، ويطلبون الايقاع بهم ، وانا اسلك مسلك الرفق والاناة ، وانتظر الرجوع والفيئة ، وأؤخر الخطاب الى أن يحضر (ذلك الشيخ) لمسجد الجامع . وكان قد كتب إلي كتاباً بعد كتاب فيه احتجاج واعتذار ، وعتب وآثار ، وهو كلام باطل لا تقوم به حجة ، بل إما أحاديث موضوعة ، أو اسرائيليات غير مشروعة ، وحقيقة الأمر الصد عن سبيل الله واكل أموال الناس بالباطل .

فقلت لهم : الجواب يكون بالخطاب . فان جواب مثل هذا الكتاب لا يتم إلا بذلك وحضر عندنا منهم شخص فنزعنا الغل من عنقه .

وهؤلاء هم من أهل الأهواء الذين يتعبدون فى كثير من الأمور بأهوائهم لا بما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ **(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله)** : ولهذا غالب وجدهم هوي مطلق لا يدرون من يعبدون ، وفيهم شبه قوي من النصاري الذين قال الله تعالى فيهم :**(يا أهل الكتاب ! لا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، واضلوا كثيراً ، وضلوا عن سواء السبيل)** ، ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع أهل الأهواء .

فحملهم هواهم على أن تجمع الاحزاب ، ودخلوا الي المسجد الجامع مستعدين للحراب ، بالاحوال التي يعدونها للغلاب . فلما قضيت صلاة الجمعة أرسلت إلى شيخهم لنخاطبه بأمر الله ورسوله ﷺ ، ونتفق على أتباع سبيله ـ فخرجوا من المسجد الجامع فى جموعهم الى قصر الامارة ، وكأنهم اتفقوا مع بعض الاكابر على مطلوبهم ، ثم رجعوا الى مسجد الشاغو ـ على ما ذكر لي ـ وهم من

الصياح والاضطراب ، على أمر من أعجب العجاب . فأرسلت اليهم مرة ثانية لاقامة الحجة والمعزرة ، وطلباً للبيان والتبصرة ، ورجاء المنفعة والتذكرة . فعمدوا الي القصر مرة ثانية ، وذكر لي أنهم قدموا من الناحية الغربية مظهرين الضجيج والعجيج والازباد والارعاد ، واضطراب الرؤس والأعضاء ، والتقلب فى نهر بردي ، واظهار التوله الذي يخيلوا به على الردى ، وابراز ما يدعونه من الحال والمحال ، الذى يسلمه اليهم من أضلوا من الجهال .

فلما رأى الامير ذلك هاله ذلك المنظر ، ووسأل عنهم فقيل له هم مشتكون ، فقال ليدخل بعضهم ، فدخل شيخهم ، واظهر من الشكوي عليَّ ودعوى الاعتداء مني عليهم كلاماً كثيراً لم يبلغنى جميعه ؛ لكن حدثنى من كان حاضراً أن الأمير قال لهم : فهذا الذي يقوله من عنده او يقوله عن الله ورسوله ﷺ ؟ فقالوا بل يقوله عن الله ورسوله ﷺ ، قال : فأى شيء يقال له ؟ قالوا نحن لنا أحوال وطريق يسلم إلينا ،قال فنسمع كلامه فمن كان فى الحق معه ، قالوا نريد أن تشهد منا ، قال ، لا ، ولكن اشهد من الحق سواء كان معكم او معه ، قالوا : ولا بد من حضوره ؟ قال : نعم ، فكرروا ذلك فأمر باخراجهم ،فأرسل إلي بعض خواصه من أهل الصدق والدين ممن يعرف ضلالهم وعرفني بصورة الحال وانه يريد كشف أمر هؤلاء .

فلما علمت ذلك القي في قلبى ان ذلك لأمر يريده الله من اظهار الدين ، وكشف حال أهل النفاق المبتدعين ،لانتشارهم فى اقطار الارضين ، وما احببت البقي عليهم والعدوان ، ولا أن اسلك معهم الا ابلغ ما يمكن من الاحسان ، فأرسلت اليهم من عرفهم بصورة الحال ، وانى اذا حضرت كان ذلك عليكم من الوبال ،وكثر فيكم القيل والقال، وان من قعد او قام قدام رماح اهل الايمان ، فهو الذي اوقع نفسه فى الهوان . فجاء الرسول وأخبر أنهم اجتمعوا بشيوخهم الكبار ، الذين يعرفون حقيقة الاسرار ، واشاروا اليهم بموافقة ما امروا به من اتباع الشريعة ، والخروج عما ينكر عليهم من البدع الشنيعة .وقال شيخهم الذي يسيح بأقطار الارض كبلاد الترك ومصر وغيرها : احوالنا تظهر عند التتار لا تظهر عند شرع محمد بن عبد الله . وانهم نزعوا الاغلال من الاعناق ،

واجابوا الى الوفاق .

ثم ذكر لي انه جاءهم بعض اكابر غلمان المطاع وذكر أنه لا بد من حضورهم لموعد الاجتماع . فاستخرت الله تعالى تلك الليلة واستعنته ، واستنصرته واستهديته ، وسلكت سبيل عباد الله فى مثل هذه المسالك ، حتى ألقي فى قلبي ان ادخل النار عند الحاجة إلى ذلك ، وانها تكون برداً وسلاماً على من اتبع ملة الخليل ، وانها تحرق اشباه الصابئة اهل الخروج عن هذه السبيل . وقد كان بقايا الصابئة أعداء إبراهيم إمام الحنفاء بنواحي البطائح منضمين الى من يضاهيهم من نصارى الدهماء .

وبين الصابئة ومن ضل من العباد المنتسبين الى هذا الدين ، لسبب يعرفه من عرف الحق المبين ، فالغالية من القرامطة والباطنية كالنصيرية والاسماعيلية . يخرجون الى مشابهة الصابئة الفلاسفة ، ثم الى الاشراك ، ثم الى جحود الحق تعالى . ومن شركهم الغلو فى البشر والابتداع فى العبادات ، والخروج عن الشريعة له نصيب من ذلك بحسب ما هو به لائق ، كالملحدين من أهل الاتحاد ، والغالية من أصناف العباد .

فلما اصبحنا ذهبت إلى للميعاد ، وما أحببت ان استصحب احداً للاسعاد ، لكن ذهب ايضاً بعض من كان حاضراً من الاصحاب ، والله هو المسبب لجميع الاسباب . وبلغني بعد ذلك انهم طافوا على عدد من اكابر الامراء ، وقالوا انواعاً مما جرت به عادتهم من التلبيس والافتراء ، الذى استحوذوا به على اكثر اهل الارض من الاكابر والرؤساء ، مثل زعمهم ان لهم احوالاً لا يقاومهم فيها احد من الأولياء ، وان لهم طريقاً لا يعرفه احد من العلماء . وان شيخهم هو فى المشايخ كالخليفة ، وانهم يتقدمون على الخلق بهذه الاخبار المنيفة . وان المنكر عليهم هو آخذ بالشرع الظاهر ، غير واصل الى الحقائق والسرائر . وأن لهم طريقاً وله طريق . وهم الواصلون الى كنه التحقيق واشباه هذه الدعاوي ذات الزخرف والتزويق .

أنواع من تلبيسات الرفاعية :

وكانوا لفرط انتشارهم فى البلاد ، واستحواذهم على الملوك والأمراء والاجناد ، لخفاء نور الاسلام ، واستبدال اكثر الناس بالنور الظلام وطموس آثار الرسول فى أكثر الامصار ، ودروس حقيقة الاسلام فى دولة التتار ، لهم فى القلوب موقع هائل ، ولهم فيهم من الاعتقاد مالا يزول بقول قائل .

قال المخبر : فغدا أولئك الأمراء الأكابر ، وخاطبوا فيهم نائب السلطان بتعظيم أمرهم الباهر ، وذكر لي أنواعا من الخطاب ، والله تعالى أعلم بحقيقة الصواب ، والأمير مستشعر ظهور الحق عند التحقيق ، فعاد الرسول ، إلي مرة ثانية فبلغه انا فى الطريق ، وكان كثير من أهل الاتحاد . مجدين فى نصرهم بحسب مقدورهم ، مجهزين لمن يعنيهم فى حضورهم . فلما حضرت وجدت النفوس فى غاية الشوق فى هذا الاجتماع ، متطلعين الى ما سيكون طالبين للاطلاع . فذكر لي نائب السلطان وغيره من الأمراء بعض ما ذكروه من الأقوال المشتمله على الافتراء . وقال انهم قالوا : انك طلبت منهم الامتحان ، وان يحموا الاطواق ناراً ويلبسوها فقلت هذا من البهتان .

وها أنا ذا أصف ما كان . قلت للأمير :نحن لا نستحل أن نأمر احداً بأن يدخل ناراً ، ولا تجوز طاعة من يأمر بدخول النار . وفى ذلك الحديث الصحيح . وهؤلاء يكذبون فى ذلك ، وهم كذابون مبتدعون قد أفسدوا من أمر دين المسلمين ودنياهم ما الله به عليم . وذكرت تلبيسهم على طوائف من الأمراء ، وانهم لبسوا على الأمير المعروف بالأيد مرى . وعلى قفجق نائب السلطة وعلى غيرها ، وقد لبسوا أيضاً على الملك العادل كتغا فى ملكه ، وفى حالة ولاية حماه ، وعلى أمير السلاح أجل أمير بديار مصر ، وضاق المجلس عن حكاية جميع تلبيسهم . فذكرت تلبيسهم على الايد مري ، وانهم كانوا يرسلون من النساء من يستخبر عن أحوال بيته الباطنة ، ثم يخبرونه بها على طريق المكاشفة ، ووعدوه بالملك ، وانهم وعدوه أن يروه رجال الغيب . فصنعوا خشباً طوالاً وجعلوا عليها من يمشي كهيئة الذي يلعب بأكر الزجاج ، فجعلوا يمشون

على جبل المزة وذاك يرى من بعيد قوماً يطوفون على الجبل وهم يرتفعون على الأرض وأخذوا منه مالاً كثيراً ثم انكشف له أمرهم .

قلت للأمير ، وولده هو الذي فى حلقة الجيش يعلم ذلك ، وهو ممن حدثني بهذه القصة . واما قفجق فانهم ادخلوا رجلاً فى القبر يتكلم واوهموه أن الموتى تتكلم ، وأتو به فى مقابر باب الصغير الى رجل زعموا انه الرجل الشعرانى الذي بجبل لبنان ولم يقربوه منه بل من بعيد لتعود عليه بركته ، وقالوا انه طلب منه جملة من المال ؛ فقال قفجق الشيخ يكاشف وهو يعلم ان خزائني ليس فيها هذا كله ، وتقرب قفجق منه وجذب الشعر فأنقلع الجلد الذي ألصقوه على جلده من جلد الماعز .

فذكرت للأمير هذا ؛ ولهذا قيل لي إنه لما انقضى المجلس وانكشف مالهم للناس كتب أصحاب قفجق اليه كتابا وهو نائب السلطنة بحماه يخبره صورة ما جرى .

وذكرت للأمير انهم مبتدعون بأنواع من البدع مثل الاغلال ونحوها وانا نهيناهم عن البدع الخارجة عن الشريعة ، فذكر الأمير حديث البدعة وسألنى عنه ، فذكرت حديث العرباض بن سارية ، وحديث جابر بن عبد الله ، وقد ذكرتها بعد ذلك بالمجلس العام كما سأذكره .

ابن تيمية يتحداهم بدخول النار معهم :

قلت للأمير : انا ما امتحنت هؤلاء ، لكن هم يزعمون أن لهم احوالاً يدخلون بها النار . وان أهل الشريعة لا يقدرون على ذلك ، ويقولون لنا هذه الاحوال التى يعجز عنها اهل الشرع ليس لهم ان يعترضوا علينا ، بل يسلم الينا ما نحن عليه ـ سواء وافق الشرع او خالفه ـ وانا قد استخرت الله سبحانه انهم ان دخلوا النار ادخل انا وهم ومن احترق منا ومنهم فعليه لعنة الله ، وكان مغلوباً ، وذلك بعد ان نغسل جسومنا بالخل والماء الحار .

فقال الأمير ولم ذاك ؟ قلت : لأنهم يطلون جسومهم بأدوية يصنعونها من

دهن الضفادع ، وباطن قشر النارنج ، وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة لهم، وانا لا اطلى جلدي بشيء فاذا اغتسلت انا وهم بالخل والماء الحار بطلت الحيلة وظهر الحق ، فاستعظم الأمير هجومى على النار ، وقال : أتفعل ذلك ؟ فقلت له : نعم ! قد استخرت الله فى ذلك وألقي فى قلبى ان افعله ،ونحن لا نرى هذا وأمثاله ابتداء فإن خوارق العادات انما تكون لامة محمد ﷺ المتبعين له باطنا وظاهراً لحجة أو حاجة، فالحجة لأقامة دين الله ، والحاجة لما لا بد منه من النصر والرزق الذى به يقوم دين الله ، وهؤلاء اذا أظهروا ما يسمونه أشاراتهم وبراهينهم التى يزعمون انها تبطل دين الله وشرعه وجب الينا ان ننصر الله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، ونقوم فى نصر دين الله وشريعته بما نقدر عليه من أرواحنا وجسومنا وأموالنا ، فلنا حينئذ أن نعارض ما يظهرونه من هذه المخاريق بما يؤيدنا الله به من الآيات .

وليعلم ان هذا مثل معارضة موسى للسحرة لما اظهروا سحرهم أيد الله موسى بالعصا التي ابتلعت سحرهم . فجعل الأمير يخاطب من حضره من الأمراء على السماط بذلك ،وفرح بذلك ، وكأنهم كانوا قد أوهموه ان هؤلاء لهم حال لا يقدر أحد على رده ، وسمعته يخاطب الأمير الكبير الذي قدم من مصر الحاج بهادر وانا جالس بينهما على راس السماط بالتركي ما فهمته منه الا انه قال اليوم ترى حرباً عظيماً ، ولعل ذلك كان جوابا لمن كان خاطبه فيهم على ما قيل .

وحضر شيوخهم الاكابر فجعلوا يطلبون من الأمير الاصلاح واطفاء هذه القضية ويترفقون، فقال الامير ، انما يكون الصلح بعد ظهور الحق ، وقمنا الى مقعد الأمير بزاوية القصر أنا وهو وبهادر فسمعته يذكر له أيوب الحمال بمصر والمولهين ونحو ذلك ، فدل ذلك على أنه كان عند هذا الامير لهم صورة معظمة ، وان لهم فيهم ظناً حسناً والله أعلم بحقيقة الحال ؛ فانه ذكر لي ذلك .

وكان الامير أحب أن يشهد بهادر هذه الواقعة ليتبين له الحق فانه من اكابر الامراء وأقدمهم واعظمهم حرمة عنده ، وقد قدم الآن وهو يحب تأليفه واكرامه ، فأمر ببساط يبسط فى الميدان .وقد قدم البطائحية وهم جماعة كثيرون ، وقد اظهروا احوالهم الشيطانية من الازباد والارغاء وحركة الرؤوس

والأعضاء ، والظفر والحبو والتقلب ، ونحو ذلك من الاصوات المنكرات ، والحركات الخارجة عن العادات ، المخالفة لما امر به لقمان لابنه فى قوله (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك)

فلما جلسنا وقد حضر خلق عظيم من الأمراء والكتاب والعلماء والفقراء والعامة وغيرهم ، وحضر شيخهم الاول المشتكي ، وشيخ آخر يسمي نفسه **خليفة سيده أحمد** ، ويركب بعلمين ، وهم يسمونه : عبد الله الكذاب ، ولم أكن أعرف ذلك . وكان من مدة قد قدم علي منهم شيخ بصورة لطيفة وأظهر ما جرت به عادتهم من المسألة فأعطيته طلبته ولم أتفطن لكذبه حتى فارقني، فبقى في نفسي أن هذا خفي على تلبيسه إلى أن غاب، وما يكاد يخفى علي تلبيس أحد، بل أدركه في أول الأمر فبقى ذلك في نفسي ولم أره قط إلى حين ناظرته ، ذكر لي أنه ذاك الذي كان اجتمع بي قديماً فتعجبت من حسن صنع الله أنه هتكه في أعظم مشهد يكون حيث كتم تلبيسه بيني وبينه.

الرفاعية البطائحية ينكلون عن دعاويهم ويقرون بما هم فيه من الباطل :

فلما حضروا تكلم منهم شيخ يقال له حاتم بكلام مضمونه طلب الصلح والعفو عن الماضي والتوبة ، وإنا مجيبون إلى ما طلب من ترك هذه الأغلال وغيرها من البدع ، ومتبعون للشريعة . (فقلت) أما التوبة فمقبولة . قال الله تعالى :(غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) هذه إلى جانب هذه . وقال تعالى ﴿**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وأن عذابي هو العذاب الأليم**﴾ .

فأخذ شيخهم المشتكي ينتصر للبسهم الأطواق وذكر أن وهب ابن منبه روى أنه كان في بني اسرائيل عابد وأنه جعل في عنقه طوقاً في حكاية من حكايات بني اسرائيل لا تثبت .

(فقلت) لهم : ليس لنا أن نتعبد في ديننا بشيء من الإسرائيليات المخالفة لشرعنا ، وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال :«أمتهوكون يا ابن الخطاب ؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية لو كان موسى حياً ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم» وفي مراسيل أبي داود أن النبي ﷺ رأى مع بعض أصحابه شيئاً من كتب أهل الكتاب فقال : «كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتاباً غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم» وأنزل الله تعالى ﴿**أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم**﴾ .

فنحن لا يجوز لنا إتباع موسى ولا عيسى فيما علمنا أنه أنزل عليهما من عند الله إذا خالف شرعنا ، وإنما علينا أن نتبع ما أنزل علينا من ربنا ونتبع الشرعة والمنهاج الذي بعث الله به إلينا رسولنا . كما قال تعالى ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا**﴾ . فكيف يجوز لنا أن نتبع عباد بني اسرائيل في حكاية لا تعلم صحتها ؟! وما علينا من عباد بني اسرائيل ؟! ﴿**تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**﴾ هات ما في القرآن وما في الأحاديث الصحاح كالبخاري ومسلم وذكرت هذا وشبهه بكيفية قوية .

فقال هذا الشيخ منهم يخاطب الأمير: نحن نريد أن تجمع لنا القضاة الأربعة والفقهاء ونحن قوم شافعية .

(فقلت) له هذا غير مستحب ولا مشروع عند أحد من علماء المسلمين؛ بل كلهم ينهى عن التعبد به ويعده بدعة، وهذا الشيخ كمال الدين بن الزملكاني مفتي الشافعية ودعوته وقلت: يا كمال الدين ! ما تقول في هذا ؟ فقال هذا بدعة غير مستحبة بل مكروهة . أو كما قال . وكان مع بعض الجماعة فتوى فيها خطوط طائفة من العلماء بذلك .

(وقلت) ليس لأحد الخروج عن شريعة محمد ﷺ ولا الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وأشك هل تكلمت هنا في قصة موسى والخضر؛ فإني

تكلمت بكلام بعد عهدي به.

فانتدب ذلك الشيخ «عبد الله» ورفع صوته. وقال: نحن لنا أحوال وأمور باطنة لا يوقف عليها، وذكر كلاماً لم أضبط لفظه : مثل المجالس والمدارس والباطن والظاهر؛ ومضمونه أن لنا الباطن ولغيره الظاهر، وأن لنا أمراً لا يقف[1] عليه أهل الظاهر فلا ينكرونه علينا،

(فقلت) له ـ ورفعت صوتي وغضبت ـ الباطن والظاهر والمجالس والمدارس، والشريعة والحقائق، كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ليس لأحد الخروج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا من المشايخ والفقراء، ولا من الملوك والأمراء، ولا من العلماء والقضاة وغيرهم، بل جميع الخلق عليهم طاعة الله ورسوله ﷺ. وذكرت هذا ونحوه.

فقال ـ رفع صوته ـ : نحن لنا الأحوال وكذا وكذا . وادعى الأحوال الخارقة كالنار وغيرها ، واختصاصهم بها ، وأنهم يستحقون تسليم الحال إليهم لأجلها .

ابن تيمية يتحدى البطائحية بالدخول في النار ومن احترق فعليه لعنة الله :

فقلت ـ ورفعت صوتي وغضبت ـ أنا أخاطب كل أحمدي من مشرق الأرض إلى مغربها أي شيء فعلوه في النار فأنا اصنع مثل ما تصنعون، ومن احترق فهو مغلوب، وربما قلت فعليه لعنة الله، ولكن بعد أن نغسل جسومنا بالخل والماء الحار؛ فسألني الأمراء والناس عن ذلك؟ فقلت : لأن لهم حيلاً في الإتصال بالنار يصنعونها من أشياء: من دهن الضفادع. وقشر النارنج. وحجر الطلق . فضج الناس بذلك، فأخذ يظهر القدرة على ذلك فقال: أنا وأنت نلف في بارية بعد أن تطلى جسومنا بالكبريت .(فقلت) فقم .

---

(١) نسخة : لا يقدر .

وأخذت أكرر عليه في القيام إلى ذلك ، فمد يده يظهر خلع القميص فقلت : لا ! حتى تغتسل في الماء الحار والخل ، فأظهر الوهم على عادتهم فقال من كان يحب الأمير فليحضر خشباً أو قال حزمة حطب . فقلت هذا تطويل وتفريق للجمع ؛ ولا يحصل به مقصود ؛ بل قنديل يوقد وأدخل اصبعي واصبعك فيه بعد الغسل ؛ ومن احترقت اصبعه فعليه لعنة الله ؛ أو قلت : فهو مغلوب . فلما قلت ذلك تغير وذل . وذكر لي أن وجهه اصفر .

ثم قلت لهم : ومع هذا فلو دخلتم النار وخرجتم منها سالمين حقيقة ، ولو طرتم في الهواء ، ومشيتم على الماء ، ولو فعلتم ما فعلتم لم يكن في ذلك ما يدل على صحة ما تدعونه من مخالفة الشرع . ولا على إبطال الشرع ؛ فإن الدجال الأكبر يقول للسماء أمطري فتمطر ؛ وللأرض أنبتي فتنبت ، وللخربة أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه ، ويقتل رجلاً ثم يمشي بين شقيه ، ثم يقول له قم فيقوم ، ومع هذا فهو دجال كذاب ملعون ، لعنه الله ، ورفعت صوتي بذلك فكان لذلك وقع عظيم في القلوب .

وذكرت قول أبي يزيد البسطامي : لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف وقوفه عند الأوامر والنواهي ، وذكرت عن يونس بن عبد الأعلى أنه قال للشافعي أتدري ما قال صاحبنا يعني الليث بن سعد ؟ قال : لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء فلا تغتر به . فقال الشافعي : لقد قصر الليث لو رأيت صاحب هوى يطير في الهواء فلا تغتر به ؛ وتكلمت بهذا ونحوه بكلام بعد عهدي به . ومشايخهم الكبار يتضرعون عند الأمير في طلب الصلح وجعلت ألح عليه في إظهار ما ادعوه من النار مرة بعد مرة وهم لا يجيبون ، وقد اجتمع عامة مشايخهم الذين في البلد والفقراء المولهون منهم ، وهم عدد كثير ، والناس يضجون في الميدان ، ويتكلمون بأشياء لا أضبطها .

فذكر بعض الحاضرين أن الناس قالوا ما مضمونه :(فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وذكروا أيضاً أن هذا الشيخ يسمى عبد الله الكذاب . وأنه الذي قصدك مرة فأعطيته ثلاثين درهماً ،

فقلت : ظهر لي حين أخذ الدراهم وذهب أنه ملبس ، وكان قد حكى حكاية عن نفسه مضمونها أنه أدخل النارفي لحيته قدام صاحب حماة ، ولما فارقني وقع في قلبي أن لحيته مدهونة ، وأنه دخل إلى الروم واتحوذ عليهم .

رجوع الرفاعية واقرارهم العمل بالكتاب والسنة:

فلما ظهر للحاضرين عجزهم وكذبهم وتلبيسهم ، وتبين للأمراء الذين كانوا يشدون منهم أنهم مبطلون رجعوا ، وتخاطب الحاج بهادر ونائب السلطان وغيرهما بصورة الحال ، وعرفوا حقيقة المحال ؛ وقمنا إلى داخل ودخلنا ، وقد طلبوا التوبة عما مضى ، وسألني الأمير عما تطلب منهم فقلت : متابعة الكتاب والسنة مثل أن (لا) يعتقد أنه لا يجب عليه اتباعها ، أو أنه يسوغ لأحد الخروج من حكمهاونحو ذلك ، لو أنه يجوز اتباع طريقة تخالف بعض حكمها ، ونحو ذلك من وجوه الخروج عن الكتاب والسنة التي توجب الكفر وقد توجب القتل دون الكفر ، وقد توجب قتال الطائفة الممتنعة دون قتل الواحد المقدور عليه .

فقالوا : نحن ملتزمون الكتاب والسنة أتنكر علينا غير الأطواق ؟ نحن نخلعها . فقلت : الأطواق وغير الأطواق ، ليس المقصود شيئاً معيناً ، وإنما المقصود أن يكون جميع المسلمين تحت طاعة الله ورسوله ﷺ . فقال الأمير : فأي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة ؟ فقلت : حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس ، لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاماً عاماً ، ومن خرج عنه ضربت عنقه ـ وكرر ذلك وأشار بيده إلى ناحية الميدان ـ وكان المقصود أن يكون هذا حكماً عاماً في حق جميع الناس ؛ فإن هذا مشهد عام مشهور قد توفرت الهمم عليه ، فيتقرر عند المقاتلة ، وأهل الديوان ، والعلماء والعباد ، وهؤلاء وولاة الأمور ـ أنه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه .

فظائع الرفاعية في الصلاة :

قلت : ومن ذلك الصلوات الخمس في مواقيتها كما أمر الله ورسوله ؛ فإن من هؤلاء من لا يصلي ، ومنهم من يتكلم في صلاته ، حتى أنهم بالأمس بعد أن اشتكوا علي في عصر الجمعة جعل أحدهم يقول في صلب الصلاة : **يا سيدي أحمد شيء لله** . وهذا مع أنه مبطل للصلاة فهو شرك بالله ودعاء لغيره في حال مناجاته التي أمرنا أن نقول فيها : ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وهذا قد فعل بالأمس بحضرة شيخهم فأمر قائل ذلك لما أنكر عليه المسلمون بالإستغفار على عادتهم في صغير الذنوب . ولم يأمره بإعادة الصلاة . وكذلك يصيحون في الصلاة صياحاً عظيماً وهذا منكر يبطل الصلاة .

فقال : هذا يغلب على أحدهم كما يغلب العطاس .

فقلت : العطاس من الله والله يحب العطاس ويكره التثاؤب ولا يملك أحدهم دفعه ، وأما هذا الصياح فهو من الشيطان ، وهو باختيارهم وتكلفهم ، ويقدرون على دفعه ، ولقد حدثني بعض الخبيرين بهم بعد المجلس أنهم يفعلون في الصلاة ما لا تفعله اليهود والنصارى : مثل قول أحدهم أنا على بطن امرأة الإمام ، وقول الآخر كذا وكذا من الإمام ، ونحو ذلك من الأقوال الخبيثة ، وأنهم إذا أنكر عليهم المنكر ترك الصلاة يصلون بالنوبة ، وأنا أعلم أنهم متولون للشياطين ليسوا مغلوبين على ذلك كما يغلب الرجل في بعض الأوقات على صيحة أو بكاء في الصلاة أو غيرها .

فلما أظهروا التزام الكتاب والسنة وجموعهم بالميدان بأصواتهم وحركاتهم الشيطانية يظهرون أحوالهم (قلت له) أهذا موافق للكتاب والسنة ؟ فقال : هذا من الله حال يرد عليهم ، فقلت : هذا من الشيطان الرجيم لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا أحبه الله ولا رسوله ، فقال : ما في السموات والأرض حركة ولا كذا ولا كذا إلا بمشيئته وإرادته ، فقلت له : هذا من باب القضاء والقدر ، وهكذا كل ما في العالم من كفر وفسوق وعصيان هو بمشيئته وإرادته ، وليس ذلك بحجة لأحد في فعله ؛ بل ذلك مما زينه الشيطان وسخطه الرحمن .

فقال فبأي شيء تبطل هذه الأحوال . فقلت : بهذه السياط الشرعية . فاعجب الأمير وضحك ، وقال : أي والله ! بالسياط الشرعية ، تبطل هذه الأحوال الشيطانية ، كما قد جرى مثل ذلك لغير واحد ، ومن لم يجب إلى الدين بالسياط الشرعية فبالسيوف المحمدية . وأمسكت سيف الأمير وقلت : هذا نائب رسول الله ﷺ وغلامه ، وهذا السيف سيف رسول الله ﷺ . فمن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله ضربناه بسيف الله ، وأعاد الأمير هذا الكلام ، وأخذ بعضهم يقول : فاليهود والنصارى يُقرّون ولا نقر نحن ؟ . فقلت : اليهود والنصارى يقرون بالجزية على دينهم المكتوم في دورهم ، والمبتدع لا يقر على بدعته . فافحموا لذلك .

و«حقيقة الأمر» أن من أظهر منكراً في دار الإسلام لم يقر على ذلك ، فمن دعا إلى بدعة وأظهرها لا يقر ، ولا يقر من أظهر الفجور ، وكذلك أهل الذمة لا يقرون على إظهار منكرات دينهم ، ومن سواهم فإن كان مسلماً أخذ بواجبات الإسلام وترك محرماته ، وإن لم يكن مسلماً ولا ذمياً فهو إما مرتد وإما مشرك وإما زنديق ظاهر الزندقة .

وذكرت ذم المبتدعة فقلت روى مسلم في صحيحه عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه ابي جعفر الباقر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ كان يقول فى خطبته «ان اصدق الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الامور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة» . وفى السنن عن العرباض بن سارية ، قال : خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل يا رسول كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال «اوصيكم بالسمع والطاعة فأنه من يعش منك بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» وفى رواية «وكل ضلالة فى النار»

فقال لي : البدعة مثل الزنا ، وروى حديثاً فى ذم الزنا، فقلت هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ ، والزنا معصية ، والبدعة شر من

المعصية ، كما قال سفيان الثوري :البدعة أحب الى ابليس من المعصية ؛فأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها . وكان قد قال بعضهم : **نحن نتوب الناس ، فقلت : مما ذا تتوبونهم ؟ قال : من قطع الطريق ، والسرقة ، ونحو ذلك . فقلت : حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم ؛ فانهم كانوا فساقاً يعتقدون تحريم ما هم عليه ، ويرجون رحمة الله ، ويتوبون إليه ،او ينوون التوبة . فجعلتموهم بتتويبكم ضالين مشركين خارجين عن شريعة الاسلام ، يحبون ما يبغضه الله ويبغضون ما يحبه الله ، وبينت ان هذه البدع التى هم وغيرهم عليها شر من المعاصي .**

قلت مخاطباً للأمير والحاضرين : اما المعاصي فمثل ما روى البخاري فى صحيحه عن عمر بن الخطاب ان رجلا كان يدعى حماراً ، وكان يشرب الخمر ، وكان يضحك النبي ﷺ ، وكان كلما أتي به النبى ﷺ جلده الحد فلعنه رجل مرة . وقال :لعنه الله ، ما اكثر ما يؤتى به إلى النبى ﷺ ؟! فقال النبى ﷺ : «لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله» . قلت : فهذا رجل كثير الشرب للخمر ، ومع هذا فلما كان صحيح الاعتقاد يحب الله ورسوله شهد له النبى ﷺ بذلك ونهى عنه لعنه .

واما المبتدع فمثل ما أخرجا في الصحيحين عن علي بن أبي طالب وعن ابي سعيد الخدري وغيرهما ـ دخل حديث بعضهم فى بعض ـ أن النبى ﷺ كان يقسم ، فجاءه رجل ناتئ الجبين كث اللحية ، محلوق الرأس ، بين عينيه أثر السجود ، وقال ما قال . فقال النبى ﷺ :«يخرج من ضئضئى هذا قوم يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ؛ لئن أدركتم لاقتلنهم قتل عاد» وفى رواية ، «لو يعلم الذين يقاتلونهم مذا لهم على لسان محمد لنكلوا عن العمل» وفى رواية «شر قتلى تحت اديم السماء خير قتلى من قتلوه» .

«قلت» : فهؤلاء مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم وما هم عليه من العبادة

والـزهـادة أمر النبي ﷺ بقتلهم ، وقتلهم علي بن أبي طـالب ومن معـه من اصحاب النبي ﷺ وذلك لخروجهم عن سنة النبي وشريعته ، واظن انى ذكرت قول الشـافعي : لأن يبتلى العبـد بكل ذنب مـا خـلا الشرك بـالله خير من أن يبتلى بشيء من هـذا الأهواء . **فلمـا ظهر قبح البـدع فى الاسـلام ، وأنهـا أظلم من الزنا والسرقة وشرب الخمر ، وأنهم مبتـدعون بـدعـا منكرة فيكـون حـالهم اسـوأ من حـال الـزانى والسـارق وشـارب الخمر اخـذ شيخهم عبد الله يقول : يا مولانـا لا تتعرض لهـذا الجـانب العزيز - يعني اتباع احمد بن الرفاعي - فقلت منكراً بكلام غليظ : ويحـك : اى شيء هو الجانب العزيز ، وجناب من خـالفـه اولى بـالعز يـا ذو الزرجنة[1] تـريدون ان تبطلوا دين الله ورسوله ، فقال : يـا مولانـا يحرقـك الفقراء بقلـوبهم ، فقلت : مثـل مـا احرقني الرافضـة لمـا قصدت الصعود اليهم وصار جميع الناس يخوفونى منهم ومن شرهم ، ويقول أصحـابهم أن لهم سراً مع الله فنصر الله وأعـان عليهم . وكان الأمراء الحاضرون قد عرفوا بركة ما يسره الله فى أمر غزو الرافضـة بالجبل .**

وقلت لهم : يا شبه الرافضة يا بيت الكذب - فان فيهم من الغلو والشرك والمروق عن الشريعـة مـا شـاركـوا بـه الرافضـة فى بعض صفاتهم . وفيهم من الكذب ما قد يقاربون به الرافضة فى ذلـك ، او يساوونهم.

او يزيـدون عليهم ، فـانهم من أكـذب الطوائف حتى قيـل فيهم : لا تقولوا اكذب من اليهود على الله ، ولكن قولوا اكـذب من الأحمـديـة على شيخهم ، وقلت لهم : انا كافر بكم وباحوالكم (فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون) .

---

(١) كذا بالاصل .

ولما رددت عليهم الأحاديث المكذوبة أخذوا يطلبون منى كتبا صحيحة ليهتدوا بها فبذلت لهم ذلك ، واعيد الكلام انه من خرج عن الكتاب والسنة ضربت عنقه ، واعاد الأمير هذا الكلام واستقر الكلام على ذلك . والحمد لله الذي صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده .



☆ ☆ ☆

الباب الخامس
الصلة بين التصوف والتشيع

١ ـ أوائل المتصوفة وعلاقتهم بالتشيع :

يذكر الدكتور كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التصوف والتشيع أن أول من تسمى باسم الصوفي في الاسلام ثلاثة ، هم جابر بن حيان ، وأبو هاشم الكوفي ، وعبدك الصوفي .

فأما جابر بن حيان فقد كان تلميذا لجعفر الصادق أو عبده ، والشيعة يرون أن جابراً هذا من كبارهم وأنه أحد الأبواب [1] وأنه ألف كتبا في التشيع ، وكان له مذهب خاص في الزهد ويذكر القفطي صاحب كتاب (إخْبارُ العلماء بأخبار العلماء) أن جابر بن حيان هذا كان مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة ومتقلداً للعلم المعروف بعلم الباطن وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام كالحارث المحاسبي ، وسهل بن عبد الله التسترى ونظرائهم ، وقد كان جابر هذا بارعاً في الكيمياء ويقول عنه صاحب كتاب روضات الجنات (وأما البارع في هذه الصناعة على الاطلاق ـ علوم الطلسمات ـ فهو المقدم فيها الشيخ الآجل أبو موسى جابر بن حيان الصوفي منشىء كتاب المنتخب .

وأما الرجل الثاني الذي تسمى قديما باسم الصوفي فهو أبو هاشم الكوفي وأنه

---

(١) الباب عند الشيعة هو المتكلم باسم الامام .

أول من بنى خانقاه [1] للصوفية في الرملة ، وأنه كان يلبس لباساً طويلاً من الصوف كفعل الرهبان وكان يقول بالحلول والاتحاد مثل النصارى غير أن النصارى أضافوا الحلول والاتحاد الى عيسى عليه السلام وأضافهما هو الى نفسه ويقول د . كامل الشيبي « ويظهر من كل ما دار حول أبي هاشم أن أخباره كانت قليلة وهي في اضطرابها تعدل الأخبار الواردة عن جابر بن حيان أو تزيد ، ولكن أبا هاشم على كل حال كان معاصراً لجعفر الصادق أي معاصراً لجابر بن حيان ويسميه الشيعة مخترع الصوفية وينقلون عن الصادق أنه قال فيه « إنه فاسد العقيدة جداً ، وهو ابتدع مذهبا يقال له التصوف وجعله مقراً لعقيدته الخبيثة » كل **ذلك لينفوا** أن يكون التصوف من اختراع شيعي وذلك أمر يدل على التنصل من مسؤلية لم تمحص نتائجها ولا أغراضها » اهـ .

● وأما عبدك الصوفي فيذكر الدكتور كامل الشيبي أيضا أن الدكتور قاسم غني نقل عن ماسنيون أنه كان آخر شيوخ فرقة نصف شيعية ونصف صوفية تأسست في الكوفة ، وظهرت كلمة « صوفية » في آثار المحاسبي والحافظ اسما لها، وأن (عبدك) هذا كان رجلاً منزويا زاهداً توفي ببغداد سنة ٢١٠ هـ وأنه أول من أطلق عليه اسم الصوفي وكان يطلق في ذلك الحين على بعض زهاد الكوفة من الشيعة وعلى مجموعة من الثائرين في الاسكندرية ، وأن (عبدك) هذا كان من كبار المشايخ وقدمائهم قبل بشر بن الحارث الحافي والسرى بن المغلّس السقطي ، و(عبدك) هذا كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يجوز الأخذ منها إلا القوت من حيث ذهب أئمة العدل ، ولا تحل الدنيا إلا بايام عادل والا فهي حرام ومعاملة أهلها حرام . ولا يجوز الأخذ الا مقدار القوت فقط .

ويضيف كامل الشيبي أن اسم « عبدك » هذا هو عبد الكريم وأن حفيده محمد بن عبدك كان مقدم الشيعة وهكذا يبدو عبدك هذا جامعا لاتجاهات

---

(١) دار خاصة للمنقطعين الى التصوف .

عديدة مختلفة نابعة من التشيع الممتزج بالزهد الذي انتشر في الكوفة وأنه أول كوفي يطلق عليه اسم الصوفي .

ويعلق الدكتور كامل الشيبي على كل هذا قائلاً : ـ

« أما بعد فإن نتيجة هذا كله أن كلمة (صوفي) التي قطع الباحثون المحدثون بصدورها عن الصوف قد صارت كذلك لأن الصوف قد عمّ زهاد الكوفة نفسها حيث ظهرت هذه الكلمة أولاً . وقد اشتق التصوف من الصوف . وقد رأينا أن لبس الصوف قد نبع من بيئة الكوفة التي عرف تمسكها بالتشيع ومعارضتها وحربها بالسيف أو بالقول أو بالقلب لمن نكل بالأئمة العلويين . وذلك ـ إذا صح ـ يقطع بأن التصوف في أصوله الأولى كان متصلاً بالتشيع .»[1]

٢ ـ أوجه التلاقي بين التصوف والتشيع :

المطلع على حقيقة مذاهب الصوفية ، وعلى حقائق مذاهب التشيع يجد أن المذهبين ينبعان من أصل واحد تقريباً ويهدفان في النهاية الى غاية واحدة ، ويشتركان في عامة العقائد والشرائع التي ينتحلها كل منهم واليك التفصيل لهذا الاجمال : ـ

أ ـ ادعاء العلوم الخاصة :

أول شيء يحب الشيعة أن ينفردوا به عن سائر فرق المسلمين أن عندهم علوماً خاصة ليست مبذولة لعموم الناس وهم ينسبون هذه العلوم تارة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بزعم أن عنده أسرار الدين ، وأنه وصى الرسول الذي كتم عنده ما لم يطلع عليه باقي المسلمين ، وتارة يزعمون أن عندهم علوم الأئمة أولاد علي من فاطمة وأن هؤلاء الأئمة يعلمون الغيب كله ولا يخطئون ولا ينسون ، ولا يستطيع أحد أن يفهم الاسلام الا من طريق الأئمة فأسرار القرآن وحقيقة الدين عند الأئمة وحدهم ، وتارة يزعمون أن عندهم قرآنا خاصا يسمونه

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٧٢ .

قرآن فاطمة وأنه يعدل هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين ثلاث مرات ، [1] وليس فيه حرف من القرآن الذي بأيدي المسلمين اليوم . وأخرى يزعمون أن عندهم الجَفْرُ ، وهو جلد قد كتب فيه كل العلوم .

وهكذا يزعمون لأنفسهم علوماً في الدين ليست عند أحد إلا عندهم فقط ، ومرة أخرى يزعمون أن عندهم التفسير الحق لآيات القرآن بل يقولون ان الله بعث محمداً بالتنزيل (يعني حروف القرآن) وبعث علياً بالتأويل - (يعنون التفسير) [2] .

ولقد درج المتصوفة أنفسهم على هذا المنوال نفسه فأعظم ما يلوح به المتصوفة ويتفاخرون به على الناس أن لديهم علوماً لَدُنِّيَّةً لا يطلع عليها إلا هم ولا يصل إليها الا من سار على طريقهم بل انهم احتقروا ما عند عامة المسلمين بل والرسل أنفسهم بجوار ما زعموا لأنفسهم من العلم كما قال كبيرهم أبو يزيد البسطامي : - « خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله » ، وقال أيضاً : -

« أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت يقول أحدكم : حدثنا فلان عن فلان وأين فلان قالوا مات ، وأما أحدنا فيقول : - حدثني قلبي عن ربي » . وهكذا زعم المتصوفة أنهم هم أصحاب الكشف والعلوم اللدنية وأن من سار خلفهم تلقى عنهم واستفاد منهم ، بل انهم يزعمون ربط قلب **المريد بقلب الشيخ** ليتلقى العلم اللدني من الشيخ ، ثم ان الشيخ أيضا يربط قلب المريد بالرسول ليتلقى العلوم اللدنية من عند الرسول ﷺ .

وجعل المتصوفة كذلك مصدر علومهم الخاصة . التأويل الباطني للقرآن والحديث حيث يزعمون تارة أنهم تلقوا هذا التأويل من الله ، وتارة يزعمون أنه من الملك وأخرى أنه بالالهام وكذلك ينسبون علومهم الباطنية الى معرفة

---

(١) الدين بين السائل والمجيب للحاج ميرزا الحائري الاحقاقي ص ٨٩ .

(٢) فرق الشيعة ص ٣٨ .

أسرار الحروف المقطعة في المصحف ، والتلقى عن الخضر عليه السلام ، بل والزعم بأن تلقيهم يكون أحيانا عن اللوح المحفوظ في السماء ، وهذا عين ما ادعته الشيعة أيضا في أئمتهم حيث زعموا لهم أنهم يعلمون الغيب وأنه لا تسقط ورقة الا ويعلمونها ولا يحدث حدث في الأبد أو الأزل الا وهم على علم منه وهذا عن ما ادعته المتصوفة لأنفسهم وأئمتهم .

وهكذا تتطابق عقيدة التشيع مع معتقد المتصوفة في قضية العلم الباطني حتى لكأنهما شيء واحد .

ب ـ الامامة الشيعية والولاية الصوفية :

ما زعمه الشيعة في أئمتهم هو عين ما ادعاه المتصوفة فيمن سموهم بالأولياء أيضا . فقد بني مذهب الرفض على أن الأئمة أناس مختارون من قبل الله سبحانه وتعالى لقيادة الأمة بعد الرسول وأنهم لذلك يملكون علوماً خاصة لدنية ، وهم لذلك لا يخطئون ولا ينسون ولهم منزلتهم من الله التي استحقوها استحقاقاً ووهباً واختصاصاً واجتباءً ثم غلوا في هؤلاء الأئمة فجعلوهم آلهة أرباباً بكل ما تحمل الكلمة من معان فهم متصرفون في كل ذرات الكون ، وهم يدخلون الجنة من شاءوا ويدخلون النار من شاءوا ، ومن الرافضة من جعل روح الله حالة فيهم كما قالت الاسماعيلية والنصيرية ، ومنهم من جعل منزلتهم فوق منازل الأنبياء والرسل والملائكة جميعا وقال : (إن لأئمتنا مقاماً لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنهم يتحكمون في قررات هذا الكون) . [١]

● وهذه العقائد نفسها هي التي أخذها المتصوفة وأطلقوها على من سموهم بالأولياء فكما خلع الرافضة صفات الألوهية والربوبية على الأئمة خلع المتصوفة صفات الربوبية والألوهية على الأولياء المزعومين .

فجعلوهم أيضا متصرفين في الكون أعلاه وأسفله ويعلمون الغيب كله ، ولا

---

(١) الخميني في الحكومة الاسلامية ص ٥٤ .

يعزب عنهم صغير من أمر العالم أو كبير ، وأن مقامهم لا يبلغه الأنبياء والملائكة ، وأنهم نواب الله في مملكته والمتصرفون في شأن خلقه ، وأنهم يدخلون الجنة من شاءوا ويخرجون من النار من شاءوا .

● واذا كان الرافضة قد جعلوا بعد مقام الامامة مقامات أقل من ذلك كالنقباء وهم وكلاء الإمام .. وهذه الفكرة نفسها قد أخذها المتصوفة وجعلوا مقام الولى الأعظم وسموه القطب الغوث ، ثم يليه الأقطاب الثلاثة ثم يليه الأبدال السبعة ثم النجباء السبعين وهكذا .. مقتبسين كل ذلك من الترتيب الشيعي للولاة والأئمة .. وهكذا يتطابق الفكرة والعقيدة الرافضية في الامامة مع العقيدة الصوفية في الولاية .

يقول ابن خلدون في المقدمة : ـ

« ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم الى الحلول وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك ، فذهب الكثير منهم الى الحلول والوحدة .. وملأوا الصحف منه مثل الهروى في كتاب المقامات له ، وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ثم ابن العفيف وابن الفارض ، والنجم الاسرائيلي في قصائدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ، ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد اشار الى ذلك ابن سينا في كتاب الاشارات في فصول التصوف منها فقال : « جل جناب الحق أن يكون شرعه لكل وارد ، أو يطلع عليه الا الواحد بعد الواحد » وهكذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل شرعي ، وانما هو من أنواع الخطابة ، وهو

بعينه ما تقوله الرافضة في توارث الأئمة عندهم ، فانظر كيف سرقت طباع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة ودانوا به ، ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب ، كما قال الشيعة في النقباء ، حتى أنهم لما اسندوا لباس خرقة التصوف ليجلوه أصلاً لطريقتهم ونحلتهم رفعوه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وهو من هذا المعنى أيضا ، والا فعلي رضي الله عنه ، لم يختص بين الصحابة بنحلة ولا طريقة في لباس ولا رجال ، بل كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ازهد الناس بعد رسول الله ﷺ ، وأكثرهم عبادة ولم يختص أحد منهم في الدين بشيء يؤثر عنه على الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة .

تشهد بذلك سيرهم وأخبارهم . نعم ان الشيعة يخيلون بما ينقلون من ذلك اختصاص علي بالفضائل دون سواه من الصحابة ذهابا مع عقائد التشيع المعروفة لهم ، والذي يظهر أن المتصوفة بالعراق لما ظهرت الاسماعيلية من الشيعة وظهر كلامهم في الامامة وما يرجع اليها مما هو معروف ، فاقتبسوا من ذلك الموازنة بين الظاهر والباطن وجعلوا الامامة السباق والخلق في الانقياد الى الشرع ، وأفردوه بذلك أن لا يقع اختلاف كما تقرر في الشرع [1]، ثم جعلوا القطب لتعليم المعرفة بالله لأنه رأس العارفين ، وأفردوه بذلك تشبيها بالامام في الظاهر ، وأن يكون على وزانه في الباطن .

وسموه قطبا لمدار المعرفة عليه ، وجعلوا الأبدال كالنقباء [2]مبالغة في التشبيه . فتأمل ذلك . يشهد بذلك كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي ، وما شحنوا به كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو اثبات

---

(١) يشير ابن خلدون رحمه الله بذلك الى ما هو معروف عن الرافضة في اثباتهم الامامة أنه لا بد من امام معصوم يليه امام معصوم وهكذا السياسة الدين والدنيا بعد الرسول حتى لا يقع خلاف في الناس ، ولا يكون مرد أمرهم الى الاجتهاد الذي لا يخلو من خطأ .. ومعلوم فساد هذا القول لأنه لا معصوم بعد رسول الله ﷺ .. وهؤلاء الأئمة الذين قال الشيعة بعصمتهم قد وقع منهم ، ما ينكره الشيعة أصلاً أو يقولون فعلوه تقية وخوفاً .

(٢) الأبدال عند المتصوفة ، والنقباء عند الشيعة . انظر الفصل الخامس بالولاية .

وانما مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم في كتبهم والله يهدي الى الحق.[1]

وهكذا يقرر ابن خلدون تطابق التصوف مع التشيع في القول بالعلوم الباطنية ، ومراتب الولاية ، والقول بالحلول والاتحاد .

ويقول د. كامل الشيبي في كتابه : الصلة بين التصوف والتشيع . -

« وقد دخلت في التصوف فكرة اسماعيلية صريحة أخرى هي فكرة النقباء التي دارت - في الاسماعيلية - حول رجال عددهم اثنا عشر يسمون الحجج يبثون الدعوة في غيبة الإمام أو في حضرته وهم مقدسون وعددهم ثابت ويسندهم تكوين العالم الطبيعي كما يسند عدد الأئمة السبعة في السلسلة الواحدة ، وقد بين لنا المقريزي أن هؤلاء الحجج متفرقون في جميع الأرض عليهم تقوم ويضيف أن عدة هؤلاء الحجج أبداً اثنا عشر رجلا »[2]. وهكذا يشارك الحجة الإمام في العلم والدعوة والسند الالهي ومن هنا نفذت الصوفية الى منازل القطب والأبدال . وهذا ابن عربي يذكر ، في الفتوحات ، عن الصوفية ما ذكره المقريزي عن الاسماعيلية فيقول في النقباء : « وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الاثنى عشر[3] وهذه الإشارة تكفي للدلالة على أخذ المتصوفة فكرة هذه المنازل المقدسة عن الاسماعيلية . ويجب أن نشير هنا الى أن ابنْ تيمية قد تنبه إلى أن هذه المصطلحات ليست مأثورة عن النبي فكأنه يشير الى أن الصوفية قد أخذوها عن الإسماعيلية الذين قالوا بها أول من قال . وقد تنبه ابن خلدون أيضا الى أخذ المتصوفة - وبخاصة ابن عربي - عن الإسماعيلية القول « بالقطب وكذلك ابن قسي وعبد الحق بن سبعين وابن أبي واصل : تلميذه »[4] .

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٨٧٥ - ٨٧٧ .

(٢) خطط المقريزي ص ٤٨٩ .

(٣) الفتوحات المكية ٩/٢ .

(٤) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٠٩ .

(جـ) القول بأن للدين ظاهراً وباطنا :

اتفقت أيضا كلمة التصوف مع التشيع في ان للدين ظاهراً وباطناً ، فالظاهر هو المتبادر من خلال النصوص والذي يفهمه العامة من ذلك ، وأما الباطن فهو عندهم العلم الحقيقي المراد من النص وهذا لا يفهمه ولا يعلمه الا الأئمة والأولياء .. فقوله تعالى مثلاً : « وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » أي أخرجوا زكاة أموالكم المفروضة حسب المقادير والنصاب الشرعي والشروط الشرعي لدلك .

ولكن الشيعة والمتصوفة زعموا أن ظاهر القرآن والحديث الذي يفهم منه العوام ما يفهمون لا يلزم الأئمة والأولياء لأن الأئمة الأولياء تتنزل عليهم المعاني المقصودة والمرادة من ذلك .. بل قال الشيعة : ان محمداً جاء بالتنزيل وعليا جاء بالتأويل . وزعموا أن الأئمة من بعده هم الذين يعلمون معاني القرآن الحقيقية ، وللقرآن عندهم باطن وظاهر ، فالظاهر للعامة ، والباطن للخاصة ، ولذلك (فأقيموا الصلاة) عندهم مثلاً يعني بايعوا الامام المعصوم ، (وآتوا الزكاة) ، أي أخلصوا وانقادوا للامام .. وهكذا تصبح الألفاظ والعبارات القرآنية لا مدلول لها .

ويمكن تفسيرها حسب الأهواء والأمزجة ، لتوافق العقائد الباطنية التي يدعو بها هؤلاء وهؤلاء ، وقد سمى المتصوفة تفسيرهم الباطن هذا للنصوص القرآنية (بالحقيقة) وسموا التفسير الظاهري (بالشريعة) وقالوا الحقيقة للأولياء ، والشريعة للعامة ..

وتصرفوا بعد هذا التقسيم في نصوص القرآن والحديث حسب أهوائهم ، وأدخلوا في الدين ما شاءوا من مزاعمهم وافتراءاتهم . وافقدوا النصوص الشرعية جلالها واحترامها ، لأنهم أبعدوها بهذا التأويل عن المعاني الحقيقية التي سيقت من أجلها تماماً ، فما علاقة مثلاً تفسير (التين) أن يكون هو الرسول ، (والزيتون) أن يكون هو على بن ابي طالب (وطور سنين) أن يكون هو

الحسن ، و (هذا البلد الأمين) أن يكون الحسين ، وهكذا ، وما علاقة قوله تعالى :ـ

(مرج البحرين يلتقيان) أن يكون المراد بالبحرين علي وفاطمة و (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) الحسن والحسين .

وقد كتب الدكتور كامل الشيبي فصلاً مطولاً حول هذا المعنى في كتابه « الصلة بين التصوف والتشيع » من هذا قوله :

«وقد أورد لنا الخوانسارى أمثلة من هذه التأويلات كتأويل الوضوء بموالاة الإمام والتيم بالأخذ من المأذون عند غيبة الإمام الذي هو الحجة والصلاة هي الناطق الذي هو الرسول بدليل قوله تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والاحتلام بإفشاء السر إلى غريب دون قصد ، والغسل بتجديد العهد ، والزكاة بتزكية النفس بمعرفة ما هم عليه من الدين ، والكعبة بالنبي . والباب بعلي ، والميقات والتلبية بإجابة المدعو ، والطواف بالبيت سبعاً بموالاة الأئمة السبعة ، والجنة براحة الأبدان عن التكاليف ، والنار بمشقتها بمزاولة التكاليف [1] وتلك أحكام تعود بنا إلى الغلو الذي عرفناه أنه قرر أن الدين طاعة رجل وأن الصلاة والزكاة وغيرهما انما هي كنايات عن رجال . ثم إن الاسماعيلية تجعل النقباء إلهيين أيضاً وان كانوا من غير الأئمة وتسندهم بأن عددهم اثنا عشر رجلاً في كل زمان كما أن عدد الأئمة سبعة وأنهم مع كل إمام قائم متفرقون في جميع الأرض عليهم تقوم [2] ثم يعين المقريزي مركز هؤلاء النقباء أو الحجج بأن مقامهم هو مقام الفاهم المطلع على أسرار المعاني وينص على أن ظهور أمر الإمام « إنما هو ظهور أمره ونهيه على لسان أوليائه » [3] . ويذكر أبو يعقوب السجستاني أن ميراث النبي من العلم يتحول إلى الوصي ومنه إلى الإمام ومن الإمام إلى الحجة [4] .

---

(١) روضات الجنات ص ٧٣١ .

(٢ ، ٣) خطط المقريزي ٢٣١/٢ ، ٢٣٣ .

(٤) كشف المحجوب في شرح قصيدة الجرجاني ص ٦٥ .

ثم تتضح المسألة أكثر باطلاعنا على النص الذي يورده المقريزي أيضاً من أن « الإمام إنما وجوده في العالم الروحاني إذا صرنا بالرياضة في المعارف إليه »[1]. المعنى الذي يعبر عنه السجستاني الاسماعيلي بقوله : « إن هذه العلوم لا تصل إلا إلى مستحقيها بالرياضة ولو كان حبشياً أو سندياً »[2]. وبذلك تتضح لنا فكرة السلوك الاسماعيلي الذي يتيح للمريد أن يصل الى حقيقة التأويل عن طريق الرياضة العقلية التي بلغ بها النقيب أو الحجة ما بلغه الإمام من علم . ويوضح جولد تسيهر ذلك بأن « الحقائق لا توجد إلا في المعاني الباطنة . أما المعاني الظاهرة فهي حجب مضطربة وأقنعة متناقضة . ومريدو الاندماج في الفرقة الاسماعيلية تزاح عنهم هذه الحجب والأقنعة بالقدر الذي يناسب استعداداتهم ، ويتدرجون في هذا المضار حتى تتهيأ لهم المقدرة على مواجهة الحقائق وهي سافرة »[3]. ولا بد أننا لاحظنا موازاة هذه المعاني للمثل والمبادىء الصوفية . وقد لاحظ ذلك جولدتسيهر فأورد لنا قصيدة لجلال الدين الرومي الشاعر الصوفي يفصح بها عن فكرتي الجانبين المعبرة عن حقيقة واحدة بقوله : « اعلم أن آيات القرآن سهلة يسيرة ، ولكنها على سهولتها تخفى وراء ظاهرها معنى خفياً مستتراً . ويتصل بهذا المعنى الخفى ثالث يحير ذوي الأفهام الثاقبة ويعيها والمعنى الرابع ما من أحد يحيط به سوى الله واسع الكفاية من لا شبيه له . وهكذا

نصل إلى معان سبعة الواحد تلو الآخر ، ولذا لا تتقيد يا بني بفهم المعنى الظاهري كما لم تر الشياطين في آدم إلا أنه مخلوق من الطين . فالمعنى الظاهري في القرآن شبيه بجسد آدم ، فما نراه منه هو هيئته الظاهرة وليس روحه الخفية المستترة »[4]. وهذا السلوك يصف الإنسان بالعلم الإلهي إلى حد أن الاسماعيلية

---

(١) خطط المقريزي ٢/٢٣٣ .

(٢) كشف المحجوب ص ٩٢ .

(٣) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢١٦ .

(٤) العقيدة والشريعة في الاسلام ص ٢١٦ .

رأوا ـ كالمتصوفة ـ « أن الأنبياء النطقاء أصحاب الشرائع إنما هم لسياسة العامة وأن الفلاسفة أنبياء حكمة الخاصة »[١]، وذلك أن الفاطميين كانوا « يتدرجون في دعوتهم فإذا تمكن المدعو من التعاليم الأولى أحالوه على ما تقرر في كتب الفلسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة والعلم الإلهي وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية ، حتى إذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعي قناعة وقال : « إن ما ذكر من الحدوث والأصول رموز إلى معاني المباديء وتقلب الجواهر .. »[٢]. والظاهر أن هذه الدرجات متأخرة جدت في بدء دولة الفاطميين وليست من أوائل عقائد الاسماعيلية . ويورد عبد الله عنان المراتب التسع في دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله الفاطمي ويذكر أن الطالب يلقن تعاليم الثنوية في المرتبة السابعة ، وفي الثامنة تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ويعلم الطالب أن الرسل الحقيقيين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدنيوية كالنظم السياسية وإنشاء الحكومات المثلى ، وفي التاسعة والأخيرة يدخل إلى حظيرة الأسرار ويعلم أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة وأنه يجب ألا يتبع منها إلا ما هو لازم لحفظ النظام .. وأن إبراهيم وموسى والمسيح وغيرهم من الأنبياء ليسوا إلا رجالاً مستنيرين تفقهوا في المسائل الفلسفية»[٣]. والواقع أن هذه النظرة المادية إلى المذهب الاسماعيلي تسلبه كل ما فيه من غنوصية وروحانية ، فليس الأمر كذلك وإلا ما قامت له خلافة ولا حدثت في دولتهم طاعة ، بل لقد وجدنا الفاطميين أخلص من غيرهم في عقيدتهم وأسرع إلى بذل النفس ، ولا يكون البذل إلا بالعاطفة الفياضة والإيمان الذي لا يتزعزع ، وكذلك يرى الأستاذ محمد كرد على أن « العقل عندهم هو حقيقة معبودهم »[٤] ولكن أي

---

(١) خطط المقريزي ٢٣٣/٢ .
(٢) أيضاً ٢٣٢/٢ .
(٣) الجمعيات السرية في الاسلام ص ٤٢ .
(٤) الاسلام والحضارة العربية ، دار الكتب ١٩٣٦ ، ٦٣/٢ .

عقل ؟ إنه العقل الإلهي لا المادي وهذا ما يورده فيليب حتى من أن « المريد يتدرج بتأن وهدوء في مراق بطيئة دقيقة حتى يعلو ذروة العقائد الباطنية الخفية بعد أن يكون قد أقسم على الكتمان ، ومن هذه التعاليم والعقائد الباطنية فكرة نشوء الكون متجلياً عن الجوهر الإلهي وتناسخ الأرواح وحلول الألوهية في إسماعيل وانتظار رُجعته مهدياً . والمراتب التي يتدرج فيها المريد سبع وقد تكون تسعاً ، وهي تذكرنا بدرجات الماسونية اليوم »[1]. ومع تناول الباحثين لهذه الدرجات بالبحث على أنها قضية مسلمة فإن آدم متز يشكك في كل ما يقال عن درجات الاسماعيلية الا ما يذكره ابن النديم من أنه « كان عندهم سبع درجات من الأتباع خلافاً لما ذكره أخو محسن من درجات تسع »[2]. والمهم في الأمر أن كلاً من هذه الدرجات له كتاب خاص يلقى على الواصلين إليها ، وكل كتاب يسمى البلاغ . والبلاغ السابع هو الذي فيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر ويقول ابن النديم : « إنه قرأه فوجد فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها »[3]. وما دام الوضع من الشرائع وإباحة المحظورات مقصورين على الدرجة السابعة فإنها تعني - إن صح قول ابن النديم - أن المريد قد بلغ درجة الحلول وأن العقل الأول قد اتصل به فلم يعد ثمة مجال لإفهامه لماذا حرم كذا وأحل كذا لأنه صار بنفسه للتشريع ، وتلك عقيدة وجدناها من قبل عند فرق الغلاة وليست هي جديدة على الاسماعيلية . ومن أهم ما يرد في هذا المقام تقرير محمد بن سرخ النيسابوري الاسماعيلي (المتوفي في القرن الخامس) أن ذلك اليوم هو يوم قوة العقل ودولته ، فيه يتعلق بالنفس آثار القائم الذي يعيد للعقل إشراقه ، وتعود إلى النفوس الفيوض الإلهية التي حجبت عنها من قبل »[4]. **وهذه المكانة في الاسماعيلية تقابلها في التصوف درجة المحو والاتحاد بحيث**

(١) تاريخ العرب ٥٣٣/٢ .

(٢) الحضارة العربية في القرن الرابع ٥١/٢ .

(٣) الفهرست ص ٢٨٢ .

(٤) شرح قصيدة ابن الهيثم الجرجاني ، طهران ١٩٥٥ .

يقول الصوفي في صراحة : أنا الله ، وقد رأينا أنها آتية من الغلاة أولاً ثم نظمتها الاسماعيلية وأصلتها وأسست فأخذتها الصوفية جاهزة ، وقد رأينا في رسائل جابر ابن حيان الإسماعيلي قوله : « إن حدّ علم الباطن أنه العلم بعلل السنن وأغراضها

الخاصة اللائقة بالعقول الإلهية »[١] ، وقد وجدنا هذا التفاوت في العلم ـ من قبل ـ في هذه الرسائل أيضاً ووجدنا أن طبقات الناس الإلهيين تعد خمساً وخمسين طبقة للواصلين لا سبعاً ولا تسعاً كما قال الفاطميون بعدئذ . وتبدأ هذه الدرجات «بالنبي فالإمام فالحجاب فالبسيط فالسابق فالتالي فالأساس .. حتى تنتهي بالناسك فالحياة فالناهي فذي الأمر الذي إذا ظهر فلا بدل منه إذ كان كل واحد منهم مندوباً لأمر لا يخالطه فيه غيره »[٢] . اهـ منه بلفظه[١] .

ويقول أيضاً : د. ابو العلا العفيفي : ـ

« وترجع المقابلة بين الشريعة والحقيقة ـ في أصل نشأتها ـ الى المقابلة بين ظاهر الشرع وباطنه . ولم يكن المسلمون في أول عهدهم بالاسلام ليقروا هذه التفرقة أو يكفروا فيها . ولكنها بدأت بالشيعة الذين قالوا ان لكل شيء ظاهرا وباطنا ، وان للقرآن ظاهرا وباطنا ، بل لكل آية فيه وكل كلمة ظاهر وباطن . وينكشف الباطن للخواص من عباد الله الذين اختصهم بهذا الفضل وكشف لهم عن اسرار القرآن . ولهذا كانت لهم طريقتهم الخاصة في تأويل القرآن وتفسيره . ويتألف من مجموع التأويلات الباطنية لنصوص القرآن ورسوم الدين وما ينكشف للسالكين من معاني الغيب عن طرق اخرى مما اطلق عليه الشيعة اسم « علم الباطن » الذي ورثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليٌّ بن أبي طالب ـ في زعمهم ـ ورثه عليٌّ أهل العلم الباطن الذين سموا أنفسهم بالورثة .

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل الشيبي ص ٢٠٥ ـ ٢٠٩ .

وقد اتبع الصوفية طريقة التأويل هذه واستعملوا فيها اساليب ومصطلحات الشيعة الى حد كبير . ومما سبق تدرك مبلغ الصلة الوثيقة بين التصوف والتشيع الباطني » .[1]

(د) تقديس القبور وزيارة المشاهد : ـ

تقديس القبور وزيارة المشاهد تقليد شيعي في نشأته فالشيعة هم أول من بنى المشاهد على القبور والمساجد عليها في الاسلام بعد أن جاء النبي ﷺ بهدم ذلك حتى لا تكون ذريعة الى الشرك كما قال ﷺ : ـ

« لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد » متفق عليه .

وفي صحيح مسلم أن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه أرسل أبا الهياج الأسدي الى اليمن وقال له : ألا أبعثك على ما بعثني به رسول الله ﷺ : أن لا تدع قبراً مشرفاً (أن ظاهراً بارزاً عالياً عن الأرض) إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته .

ولكن الشيعة تتبعوا قبور من مات قديما ممن يعظمومهم من آل البيت كعلي بن أبي طالب والحسين ومن سموهم بالأئمة من أهل البيت وراحوا يبنون على قبورهم .. ويجعلونها مشاهد ومزارات ، وجعلوا ذلك أيضا وسيلة للتكسب والعيش .. كما جاء في رسائل اخوان الصفا أن من الشيعة من جعل التشيع مكسبا مثل الفاتحة والقصاص وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور[1] .

وكان هذا البناء واظهار هذه الشعائر منذ بداية القرن الثالث الهجري ، ولكن بعض خلفاء بني العباس شرعوا يهدمون مسا افتروه وبنوه من هذه القبور . كما ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية أن الخليفة العباس المتوكل أمر في سنة ٢٣٦ هـ بهدم القبر المنسوب إلى الحسين بن علي

---

(١) التصوف والثورة الروحية في الاسلام .

(١) رسائل اخوان الصفا ج ٤ ص ١٩٩ .

رضي الله عنهما وما حوله من المنازل والدور ونودي في الناس أن من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به الى المطبق ، فلم يبق هناك بشر ، واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل [1] .. وكان هذا القبر مزاراً لفرقة الاسماعيلية من الشيعة الذين كانوا يزورون هذا القبر ثم يذهبون الى (سَلَمِيّة) [2] لزيارة أئمتهم هناك [3] .

وجاء الصوفية فنسجوا على هذا المنوال فجعلوا أهم مشاعرهم هو زيارة القبور وبناء الاضرحة ، والطواف بها والتبرك بأحجارها ، والاستغاثة بالأموات فقد جعلوا قبر معروف الكرخي وهو رائد من رواد التصوف مكانا لزيارتهم وقالوا : قبر معروف ترياق مجرب [1] .

بل جعل المتصوفة جل همهم هو بناء هذه القبور وتعظيمها ودعوة الناس اليها ، وجعلوا أعظم مشاعرهم هو الطواف بها ، والتبرك بها ودعاؤها من دون الله عز وجل .. بل لا يوجد شيخ صوفي متبع الا وبنى لنفسه قبة كبيرة ومقاماً .. وهكذا أعادوا من جديد شرك الجاهلية الأولى .

هـ ـ العمل على هدم الدولة الاسلامية :

الحلاج والتشيع :

قال د. كامل الشيبي : لم يكن أمر الصلة بين الحلاج والتشيع مقصوراً على التداخل بين كلامه وكلام الأئمة ، وإنما كان مطلقاً على مذاهب التشيع كلها ، وقد استخدمها كلها في بناء مذهبه الحلولى الجديد الذي يشير الى ظهور حركة غلو جديدة في مطلع القرن الرابع الهجري . والحلاج هو القائل : ـ

---

(١) البداية والنهاية ص ٣١٥ ج ١ .

(٢) قرية من قرى جبال سوريا كانت وما زالت مأوى للفرق الباطنية . وهي قاعدة النصيرية في هذا الوقت .

(٣) العبر ج ٣٦١/٢ .

(١) طبقات الصوفية للسلمى ص ٨٥ .

(ما تمذهبت بمذهب أحد من الأئمة جملة وانما أخذت من كل مذهب أصعبه وأشده وأنا الآن على ذلك) وستجد .. أن الحلاج كان صورة من أبي الخطاب الزعيم الغالي الذي قتل في الكوفة سنة ١٣٨ ، واما علاقته بالاثنى عشرية فتنعكس مما رواه الطوسي من أن الحلاج صار الى قم البلد الشيعي القديم ، وكانت قرابة أبو الحسن النوبختي الشيعي تستدعيه ويستدعي أبو الحسن أيضا ويقول : -

« أنا رسول الامام ووكيله » اهـ [1] .

وقال أيضا : -

« وكانت إحدى التهم التي قتل الحلاج من أجلها تتضمن إنكار الحلاج للحج إلى مكة بالذات ، ودعوته إلى الحج القائم على النية الخالصة والتوجه القلبي . وكان من أهم ما أخذ على الحلاج أنه يقول ببديل للحج يمكن إتمامه في بيت المسلم دون حاجة إلى تجشم مصاعب السفر والطواف حول الكعبة . وقد تطرق القاضي التنوخى إلى ذلك فذكر أن « هذا شيء معروف عند الحلاجية وقد اعترف لي «به» رجل منهم يقال : إنه عالم لهم » [2] وقد برر هذا (العالم) ذلك بأن « هذا رواه الحلاج عن أهل البيت صلوات الله عليهم » [3] « وصلوات الله عليهم » هذه من لوازم الإسماعيلية بالذات إلى ما عرف عنهم من أخذ بالتأويل على أوسع الحدود ، وذلك يبين خداً آخر لاتصال الحلاج بالإسماعيلية .

وقد كان مصداق هذا الاتصال منبعثاً من أنه « أغار القرامطة على مكة ونهبوها بعد موت الحلاج بتسع سنوات واختطفوا الحجر الأسود منها » ، وحققوا مذهب الحلاج ، ولعله كان مذهباً من مذاهبهم أسرع هو بالتعبير عنه من عند نفسه . اهـ

وقد ذكر القاضي التنوخى ان الحلاج أرسل الى بعض دعاته يقول : « وقد آن الآن اذانك للدولة الغراء الفاطمية الزهراء المحفوفة بأهل الأرض والسماء

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٦٨ .

(٢) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٦٩ .

(٣) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٩٦

وأذن للفئة الظاهرة وقوة ضعفها في الخروج الى خراسان ليكشف الحق قناعه ويبسط العدل باعه »[1] .

الحلاج داعية الاسماعيلية في المشرق :

قال د. الشيبي أيضاً :

« ويذكر الخطيب البغدادي وابن كثير أن أهل فارس كانوا يكاتبون الحلاج بأبي عبد الله الزاهد .. وهذه الكتبة أطلعت على الداعية الاسماعيلي المشهور أبي عبد الله الشيعي الذي ساعد على قيام دولة العبيديين قبل تحولها الى مصر . فكأن الاسماعيليين كانوا يعتمدون على داعيتين يحملان كنية واحدة أحدهما بالمشرق وهو الحلاج ، والآخر بالمغرب وهو أبو عبد الله الشيعي الذي يروي الاسماعيلية أنفسهم سبق صوفيته على اسماعيليته»[2] .

شهادة العمار الحنبلي أن الحلاج قرمطي :

ذكر العمار الحنبلي أن الحلاج رجل بغداد سنة ٣٠١ مشهوراً على جمل وعلق مصلوبا ونودى عليه : هذا أحد القرامطة فاعرفوه » .

وبالرغم أن الحلاج قد قتل سنة ٣٠٩ فان الدعوة الفاطمية التي حمل لواءها قد استفحل خطرها وشرها فقد استطاع أبو طاهر الجنابي القرمطي الاسماعيلي حليف الدولة الفاطمية والداعي اليها ان يدخل البصرة سنة ٣١١ هـ ، والكوفة بعد ذلك بعامين . وكذلك استطاع القرامطة دخول مكة بعد مقتل الحلاج بتسع سنوات فقط وقتل المسلمين حول الكعبة وانتزاع الحجر الأسود

(١) نشوار المحاضرة ص ٨٦ .

(٢) ص ٧٣ .

وكانوا بقيادة ابو سعيد القرمطي وقد كان ابو سعيد هذا زميلاً للحلاج الحسين ابن منصور [1] .

ولذلك قال ابن النديم ان الحلاج كان يظهر مذاهب الشيعة للملوك ، ومذاهب الصوفية للعامة ، ويدعي أن الالوهية قد حلت فيه . [2] .

ومع ذلك رأينا من يقول شيخ التصوف وهو محمد بن حفيف المتوفي سنة ٣٧١ هـ : « الحسين بن منصور عالم رباني » !! [3] .

ووجدنا كذلك من يجعل العبارات الباطنية التي أطلقها الحلاج على أنها نهاية علوم التصوف كقوله .

« في القرآن علم كل شيء ، وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الأحرف في لام ألف » [4] .

الحلول عند الحلاج الصوفي وعند أبي الخطاب الشيعي :

وقضية الحلول تكاد تكون متطابقة عند الحلاج الصوفي وغلاة الشيعة ، فقد كان الحلاج يقول في دعائه : يا اله الآلهة ويا رب الأرباب ، ويامن لا تأخذه سنة ولا نوم ، رد الى نفسي لئلا يفتن بي عبادك ، يا من هو أنا ، وأنا هو لا فرق بين إنيتي وهويتك ، الا الحدث والقدم [5] .

والحلاج هو الذي وجد عنده ورقة مكتوب فيها من الرحمن الرحيم الى فلان ابن فلان » .. اذا قارنا ذلك بمذهب ابي الخطاب الرافضي الذي زعم أنّ الله خلق روح علي وأولاده وتوجه اليهم أمر العالم فخلقوا هم السموات والأرض . وقال .. ومن هنا قلنا في الركوع سبحان ربي العظيم، وفي السجود

(١) تذكرة الأولياء ج ٢ ص ١٠٩ .
(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٦٩ .
(٣) طبقات الصوفية ٣٠٧ .
(٤) تصحيح الاعتقاد ص ٢١٨ .
(٥) اربعة نصوص يتعلق بالحلاج ص ٥٩ .

السجود سبحان ربي الأعلى لأنه لا الـه إلا علي وأولاده وأمـا الالـه الأعظم فهو الذي فوض اليهم العالم »[1] .

لا شـك أن مثل هـذا الكـلام وكـلام الحـلاج ينبعث من مصـدر واحـد ، ويصدر عن عقيدة واحدة ، ويهدف بالتالي الى هدف واحد هو تحويل المسلمين عن عقيـدتهم الحقـة وتضليـل سعيهم ، واذهـاب دولتهم ، وتمـزيـق وحـدتهم وجماعتهم .

ومما مضى يتبين لنا أن منهج الصوفية وغلاة الشيعـة في القرن الثـالث كان منهجـا واحـداً وعقيـدة واحـدة ، فـالحلاج كان زميلاً وصـاحبـاً لكبـار رجـال التصوف المشهورين في القرن الثالث كالجنيد البغدادي والشبلي .

فالجنيد نفسه قد ارسل له عندما حكم عليه بالقتل والصلب .

« يقول : انك أفشيت أسرار الربوبية فأذاقك الله طعم الحـديـد » !! وأمـا الشبلي فيقول : « كنت أنـا والحسن بن منصور (الحـلاج) شيئـاً واحـداً غير أنـه تكلم وسكت أنا » فالصوفية كانوا مع غلاة الشيعة شيئاً واحداً عقيدة وهدفـاً .. عقيـدة في الحلول وانمـا اختلفـوا فيمن حلت فيـه روح الله ، وهـدفـاً واحـداً في العمل على اسقـاط دولـة الاسلام ، وتمزيـق وحـدة المسلمين ، وتشتيت الأمـة . عقائد ومللاً وغلا.

(و) الطرق الصوفية والتشيع :

كانت الطرق الصوفية هي البـدايـة العظيمـة التي دخل عن طريقهـا الفكر الشيعي والمذهب الشيعي الى العـالم الاسلامي السنّي . وستقرأ فيما يلي ان شـاء الله تعـالى عن طريقتين مشهـورتين تـأسست الأولى في منتصف القرن السـابـع الهجري وما زال لها أتباع الى اليوم وهي الطريقة البكتاشية وتأسست الثـانيـة

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧ .

في منتصف القرن السادس الهجري وما زال لها اتباع الى اليوم وهي الطريقة الرفاعية .

والطريقة الأولى أعني البكتاشية شيعية قلباً وقالباً ومع ذلك نشأت في تركيا عاصمة الخلافة الاسلامية واستطاعت التسلل حتى وصلت الى الجيش الجديد (الانكشارية) بل والى بيت السلطان العثماني نفسه وأسهمت اسهاماً فعالا في تحويل العقيدة السنية .

وسيعجب القارىء عندما يطلع على حقيقة هذه الطريقة كيف وجدت مكانا ورداداً عند أهل السنة والجماعة ولكن عجبه سيزول عندما يعرف كيف التدرج بالمريد الى ذلك المعتقد الباطني .

الطريقة البكتاشية :

الطريقة البكتاشية طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ ، ولكنها مع ذلك تربت وترعرعت في بلاد أهل السنة في تركيا ومصر .

● تنسب هذه الطريقة الى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري - المولود في نيسابور سنة ٦٤٦ هـ ، ١٢٤٨ م وينسب خنكار هذا نفسه الى أنه من أولاد ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن العابدين بن الحسين ، بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

ويقال انه تلقى العلم عن الشيخ لقمان الخراساني - ولا يعرف من لقمان هذا .. ، ولكن يقال أنه هو الذي أمره أن يسافر الى تركيا لنشر طريقته الصوفية فسافر أولا الى النجف في العراق ثم حج البيت وزار وسافر بعد ذلك الى تركيا وكان هذا في زمان السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة ٧٦١ هـ .

● ويذكر أحمد سرى البكتاش (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر الحالي .. في كتابه (الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية) أن خنكار هذا نزل في قرية (صوليجية فترة أويوك) والتي قسمت بعد ذلك بناحية الحاج يكتاش وما زالت تحمل هذا الاسم الى اليوم . وأنه استضافه هناك رجل

رجل يسمى الشيخ ادريس وزوجته (فاطمة قوتلوملك) وأنها انفقا أموالها في سبيل نشر دعوة الشيخ خنكار الخراساني ولكن جاء وفد من خراسان لزيارة الشيخ خنكار فلم تجد المرأة ما تضيفهم به الا أن باعت ثيابها .. واشترت بها طعاما لضيوف الشيخ خنكار الخراسانيين . ولما كان من عادة المرأة فاطمة هذه أن ترحب بضيوف الشيخ فإنها لم تخرج اليهم لأنها لا تملك ثيابا .. فعلم الشيخ خنكار بهذا من الغيب فمد يده فأخرج صرة ملابس لها ، ثم مد يده أيضا تحت البساط الذي يجلس عليه فأخرج كيسين من الذهب وأعطاهما للمرأة التي جاءت وقبلت يدى الشيخ ورحبت بضيوفه ، وآمنت بكراماته [1] .

وكانت هذه القصة هي البداية لنشر الطريقة البكتاشية وكذلك مجيء هذا الوفد الخراساني الذي راح يروج للشيخ خنكار الذي كان قد مهد الطريق للدعوة الصوفية ولهذه الطريقة الشيعية الباطنية .

ثم انتحل الشيخ خنكار كرامة أخرى فادعى أن فاطمة قوتلو) هذه زوجة الشيخ أدريس قد حملت عندما شربت قطرات من دم الشيخ .. وذلك أن فاطمة هذا لم تحمل من زوجها ادريس التركي مدة عشرين عاماً فلما جاء خنكار الخراساني وكانت نصب الماء له ليتوضأ فوقعت قطرات من دمه في الطشت فشربتها المرأة فحملت وتكرر حملها فولدت حبيباً ، ومحمود ، وخضر .

وهؤلاء الأولاد أصروا على أن أباهم هو الشيخ خنكار .. فيا يذكر أحمد سري شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر أن الشيخ خنكار هو أباهم الروحي فقط وأن أمهم حملت من شربها دم الشيخ وأنه الشيخ خنكار لم يتزوج قط طيلة حياته .

● أسس الشيخ خنكار أول (تكية) صوفية للطريقة وابتدأ الاتباع والرواد يكثرون ، ويسكنون في هذه القرية التي لم تكن الا سبعة بيوت فقط ثم

---

(١) الرسالة الاحمدية ص ١١ ولا يخفى ما في هذه القصة من الخدعة فخنكار هذا لم يخلق ثيابا ولا ذهباً . وانما جاء بذلك الوفد الخراساني الذي تجرد بعد ذلك للدعوة الصوفية في تركيا ، وضع الشيخ هذا على أنها كرامة ليسهل ذلك له طريق دعوته في أوساط العامة .

اكتشفوا جبلاً من جبال الملح . سموه جبل ملح الحاج بكتاش ، واشتهر هذا الملح حتى كان يمون ويزود مطابخ السلطان العثماني الذي كان يحصل منه على مليونين (أقة) [1]كل عام ..

ولما ذاع صيت الشيخ خنكار بكتاش ووصل الأمر الى السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة ٧٦١ هـ عمد الى هذا السلطان الى الشيخ خنكار ليعلم أولاد الأسرى من أهل الذمة ، ومن لا أب لهم .. ووينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية .

وكانت هذه الفرصة الذهبية لانتشار الطريقة وذلك أن هذا الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الانكشاري ـ أي الجيش الجديد ، وهو الذي كان عماد الحروب التركية بعد ذلك ثم كان هو الجيش المتسلط على كافة مرافق الحياة في تركيا .. وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها ، وبعض هذه القبور غطيت بالذهب الخالص . وتنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية .

مر على الطريقة البكتاشية أيام مد وجزر في تركيا فبينما ناصرها بعض السلاطين ، عارضها البعض الآخر مفضلين طريقة أخرى غيرها فقد أمر السلطان محمود الثاني بالغاء الإنكشارية بعد أن عاثت في الأرض فساداً ، وأغلق كذلك الزوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد المتوفي سنة ١٢٥٥ هـ عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى .

● وفي سنة ١٩٢٥ م صدر مرسوم الحكومة التركية بالغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية وكان آخر مشايخها هو صالح نيازي الذي سافر الى ألبانيا وانتخبه الدراويش البكتاشيون ليكون (رده بابا) وهو أعلى منزلة في الطريقة أي شيخ مشايخ الطريقة . وبعد اغتيال صالح نيازي هذا سنة ١٩٤٢م تولى بعده ابنه عباس دده بابا الذي قتل نفسه سنة ١٩٤٩ بعد دخول البلاشفة الى البانيا . ومنذ ذلك الوقت انتقل المركز الرئيسي للطريقة ليتحول

---

(١) الأقة وزن أكبر من الكيلو بقليل

الى مصر وتكون القاهرة هي المقر الحالي والأخير لهذه الطريقة .. فكيف دخلت هذه الطريقة الى مصر وكيف استقرت فيها ثم أصبحت هي مكانها الرئيسي بعد تركيا وألبانيا ؟

الطريقة البكتاشية تنتشر في مصر :

● استطاع مؤسس الطريقة البكتاشية وهو خنكار محمد بكتاش أن يربي مجموعة من المريدين ، وكان منهم (أبدال موسى سلطان) الذي كان خليفة بعده ، وربى أبدال هذا رجل يسمى (قبوغوسز) وهذا القبغوسز لا يعرف من أبوه ولا أمه ، وانما تسمى بغيبي ، [1] ، واستطاع هذا الرجل أن يرتحل مع مجموعة من الدراويش من تركيا الى مصر واختار لمن يصحبه في هذه الرحلة دراويش من النوع الذي يطيعون في كل صغيرة وكبيرة حتى إنه كان يقول لهم عن الشجرة الباسقة الطويلة .. هذه شجرة قثاء فيقولون نعم هي قثاء . [2] ولما دخل بهم مصر . أمرهم أن يضع كل منهم على عينه قطعة قطن . فلما سألهم الشرط والجنود عن ذلك قالوا . إننا نغمض عين الظاهر ، وننظر بعين الباطن .. والناس على دين ملوكهم .. وكان قد علم قبغوسز أن الأمير يشتكي من وجع عينه !! وأراد الملك أن يختبرهم فعمل لهم وليمة كبرى ووضع لهم ملاعق طويلة جدا وأحضر وجهاء الناس ليأكلوا ، وأمرهم ألا يأكلوا الا بهذه الملاعق ، فعجز الجميع عن الأكل الا قبغوسز ودراويشه فانهم تناولوا الملاعق الطويلة وكان كل منهم يطعم من أمامه وهكذا . وسر بهم الأمير الذي أعطاهم مكانا يبنون فيه (تكية) أي زاوية ورباط لهم . ومنذ ذلك الوقت وهو سنة ٨٠٠ هـ بدأ انتشار الطريقة البكتاشية في مصر في بداية القرن التاسع الهجري وسمى قبغوسز نفسه عبدالله المغاوري ، وسموا أول تكيه لهم تكية القصر العيني .. وظل هذا الحال قائما في مصر الى سنة ١٢٤٢ هـ سنة ١٨٢٦ م حتى جاء

(١) الرسالة الأحمدية ص ٣٤
(٢) الرسالة الأحمدية ص ٣٨

السلطان محمود الثاني العثماني فأمر بالغاء الانكشارية والطريقة البكتاشية ، وأعطيت أملاكهم للطريقة القادرية .. ولكن في عهد السلطان عبد المجيد عادت الطريقة البكتاشية مرة ثانية الى مصر بعد ان سمح لهم هذا السلطان بالعمل والنشاط وذلك منذ عام سنة ١٥٢٥م حيث حصل الشيخ علي الساعاتي على لقب (دده بابا) أي شيخ مشايخ فجمع الدراويش حوله مرة ثانية وبن تكية جديدة في باب اللوق واخذ يعطي العهود ويقيم حلقات الذكر .

وفي سنة ١٢٧٦ هـ و ١٨٥٩م صدرت أوامر الحكومة المصرية بتخصيص المغارة التي دفن فيها عبد الله المغاوي (قبغوسز) للطريقة البكتاشية فبنوا تكية عظيمة هناك بعد أن طردوا الرعاة والبدو الذين يلجئون اليها بأغنامهم وابلهم، وبنوا قبة عظيمة لمؤسس طريقتهم في مصر . وأصبحت هذه التكية فيما بعد قبلة الشعب المصري حيث يؤمونها لزيارة (ولي الله المغاورى) !! الذي تخصص (بتحبيل النسوان) وشفاء الأمراض وتلبية الحاجات فكانت تقصده كل أمرأة لا تلد وكانت المرأة تدخل في المغارة ضمن كهوف مظلمة طويلة .. وبقيت تكية المغاوري هذه تابعة للمركز الرئيسي للطريقة في تركيا ثم أصبحت تابعة للمركز الرئيسي في ألبانيا ثم بعد أن قتل صالح نيازي بابا نفسه سنة ١٩٤٩ م اجتمع أتباع الطريقة وأختاروا أحمد سرى شيخ تكية قبغوسز (عبد الله المغاوري) شيخا لمشايخ عموم الطريقة وكان ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩ م[1] ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر هي المقر الرئيسي لهذه الطريقة ، وأصبح أحمد سرى (دده بابا) هو شيخ مشايخها .

وفي يناير سنة ١٩٥٧ م أمرت الحكومة المصرية باخلاء تكية المقطم لوقوعها ضمن المناطق العسكرية وأعطت الحكومة أرباب الطريقة مكاناً آخر في ضاحية المعادي . حيث أسس المقر الجديد على غرار التكايا البكتاشية ثم نشط البكتاشيون ، وجددوا التكايا القديمة التي لهم .

---

(١) الرسالة الاحمدية ص ٣١ .

● هذه لمحة سريعة عن تاريخ هذه الطريقة التي نشأت وترعرت في أوساط أهل السنة في تركيا ومصر وسيعجب القاريء أشد العجب عندما يعلم أن هذه الطريقة شيعية خالصة في المعتقد والأذكار والمشاعر. وأنها لا تمت الى أهل السنة بصلة مطلقاً .. سيعجب كيف خفي مثل ذلك على علماء الاسلام ورجال السنة في تركيا ومصر ولكن يزول العجب عندما نعلم أن الظاهر الصوفي كان دائما خداعاً يخفي تحته ما يخفي من العقائد الباطنية .

أصول الطريقة البكتاشية :

الطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود وعبادة المشايخ وتأليههم وعقيدة الشيعة في الأئمة .

يقول أحمد سرى (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة :

« الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين) [1] ويقول أيضا : ـ

« وجميع الصوفية على اختلاف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثنى عشرية » [2] ويقول أيضا : ـ

« والطريقة العلية البكتاشية قد انحدرت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن اولاده وأحفاده الى أن وصلت الى مشايخنا الكرام يداً بيد ، وكابراً من كابر وعنهم أخذنا مباديء هذه الطريقة الجليلة » [3] .

---

(١) الرسالة الاحمدية ص ٦٧

(٢) المصدر السابق ص ٦٨ .

(٣) الرسالة الأحمدية ص ٦٩

مراتب الطريقة البكتاشية :ـ

وقد قسم أرباب هذه الطريقة المنتسبين إلى طريقهم على النحو التالي حسب درجاتهم :ـ

١ـ العاشق : وهو الذي يحب الطريقة ويتعق مبادئها وتسيطر عليه الروح البكتاشية ، وله رغبة في الإنضام إلى الطريقة ، ويكثر من الحضور إلى التكية ويسمع ما يدور بها . ويرشحه الشيخ ليكون في المنزلة التالية وهي درجة الطالب .

٢ـ الطالب : وهو الذي يعلن رغبته للانضام ويرشحه الشيخ لذلك ليتقبل الإقرار ، ويعطي العهد . وتقام له حفلة بذلك

٣ـ المحب : وهو الطالب الذي انتسب لهذه الطريقة بعد حفلة الإقرار والبيعة .

٤ـ الدرويش : الذي يتبحر في آداب الطريقة وعلومها ويلم بأركانها ومبادئها . ويهب نفسه للخدمة العامة فيها .

٥ـ البابا : وهي درجة المشيخة ولا يصل إليها الدرويش إلا بعد مدة طويلة حيث يكون قد عرف الرموز الصوفية وأحاط بها ...

٦ـ الددة : وهو الخليفة ولا يمنح هذه المنزلة إلا شيخ المشايخ ويكون هذا رئيساً لفرع من فروع الطريقة في قطرنا .

٧ـ الددة بابا : شيخ المشايخ وينتخب من بين الخلفاء وهو المدير العام لشئون الطريقة في العالم وهو الذي يعين البابوات وله حق عزل المشايخ ..

التكية البكتاشية :ـ

التكية البكتاشية في الغالب عبارة عن ضيعة كبيرة بها قصر فخم وقبور مزخرفة مبنية ، ويقيم بها الدراويش أبداً منقطعين للخدمة ، وقد تضم التكية آلاف المواشي والأنعام من البقر والغنم ، وتأتيها الاتاوات والأرزاق من منتسبي

التكية في القطر . إذ لا يجوز للزائر الدخول إليها إلا وهو يحمل شيئاً ما يقدمه قربانا ... ونستطيع أن نقول إنها مملكة أو امارة خاصة ... ولذلك فالمنتسب لهذه الطريقة لا بد وأن يكون خادماً في هذه المملكة الخاصة لأسياده المشايخ الذين يتربعون على عرش الولاية البكتاشية . يقول أحد سري (دده بابا)«والمنتسب للطريقة العلية تنتظره واجبات كثيرة يؤديها في منزله وفي التكية عند زيارته لها . فالواجبات المنزلية هي إقامة الصلوات في أوقاتها وتلاوة الأوراد والأذكار المأذون بتلاوتها وحفظ الأدعية المأثورة ، وفي التكية يكلف بالخدمة مع الدراويش ثم يخصص لخدمة مثل سقاية القهوة أو خدمة الضيوف أو إعداد الطعام وتجهيز المائدة وغسل الأواني أو خدمة الحديقة فاذا حذق التعاليم كلفه الشيخ بخدمة أرق فيعيّن نقيب أو دليل أو ميدانجي . وهكذا ..» اهـ[1]

العهد ودخول الطريقة :ـ

لتعميد المريد أو الطالب نظام خاص في الطريق البكتاشي فعند دخوله إلى ميدان التكية يقرأ الدليل أبياتا معينه من الشعر ثم يقول :ـ اللهم صل على جمال محمد ، وكال على والحسن والحسين صلوات الله وسلام عليهم أجمعين ، ثم يقول :ـ

جئت بباب الحق بالشوق سائلاً
مقراً به محمداً وحيدراً[2]
وطالب بالسر والفيض منها
ومن الزهراء وشبير[3] شبرا

(١) الرسالة الأحمدية ص ٧٢
(٢) حيدر هو علي بن ابي طالب
(٣) وشبير المقصود علي بن أبي طالب أيضاً ويعنون بهذا القصير

ثم يقرأ الشيخ على الطالب آية البيعة :ـ

« إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيأتيه أجراً عظيماً»[1] ثم يقول الطالب أبياتاً من الشعر يعلن بها دخول الطريق ومن هذه الأبيات :ـ

وبالحب أسلمت الحشا خادماً لآل العبا[2]

وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأوليا !!

آداب الطريقة البكتاشية :ـ

١ـ آداب زيارة التكية :ـ

فرض أرباب الطريقة على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وأن يأخذ معه هدية ولا بد ولو كانت ملحاً . فإذا وصل الباب سمى ولا يجوز له أن يطأ العتبة برجله لأنها مقدسة ثم يلتحق بالخدمة التي تطلب منه ، وفي وقت المجلس يجلس حسب مرتبته ، ولكل شخص مرتبة خاصة ، والمراتب بالأقدمية .

● ثم يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة فيها إلى القبر الموجود في التكية ولزيارة القبر آداب خاصة منها السلام المخصوص ، ثم العودة بظهره إلى خارج الضريح .

والشيخ في العادة لا يجلس مع المريدين ، ولا يزار إلا إذا صدر الإذن بذلك من الشيخ ، ولا يزوره المريد إلا بصحبه الدرويش المختص وعلى المريد

---

(١) الفتح

(٢) آل العباس يعنون بهم أهل الكساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والعباس

وبعد دخول الطالب وإقامة الحفل على هذا النحو يسلم الطالب خدمة ما في التكية كأن يكون ساقياً للقهوة أو فلاحاً ، أو خادماً للضيوف أو طباخا .... الخ .

أن يخلع حذاءه ويدخل مطىء طيء الرأس ويقف على بعد خطوات من الشيخ ويقرأ :

وجهك مشكاة وللهدى منارة

وجهك لصورة الحق إشارة !!

وجهك الحج والعمرة والزيارة

وجهك للطائعين قبلة الامارة

وجهك القرآن الموجز العبارة !![1]

ولا يخفى أن هذا هو عين الفكر الباطني في جعل الدين هو طاعة رجل كما تقول الإسماعيلية (الدين طاعة رجل ، وهذه العبودية الكاملة

هو عين ما تهدف إليه هذه الطريقة حيث تجعل معاني الحج والعمرة والزيارة والقرآن بل والله سبحانه وتعالى هو هذا الشيخ الصوفي الباطني .

وبعد ذلك يتقدم المريد فيقبل يد الشيخ ثم يعود بظهره بضع خطوات ولا يجلس حتى يأذن له الشيخ بالجلوس وعند الوقوف أمام الشيخ لا بد من مراعاة ما يلي :-

١- أن يضع إبهام القدم اليمني فوق اليسرى .

٢- وضع اليدين على الصدر فوق السرة . !!

الأوراد البكتاشية :

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الامامية الاثنى عشرية فالورد البكتاشي يبدأ بذكر الله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر ، وهكذا إلى الأمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متولي للشيعة بريء من جميع أهل السنة ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبا بكر

---

(١) الرسالة الآحمدية ص ٧٤

رضي الله عنه . وكل من رضى وتابع له ثم في النهاية إشهاد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الاثنى عشر دون غيرهم . وإليك بعض نصوص هذه الأوراد البكتاشية !!

١ـ اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المطهر، والإمام المظفر والشجاع الغضنفر إلى شبير وشبر ـ قاسم طوبي وسقر[1]

٢ـ اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيدة الجليلة الجميلة الكريمة النبيلة المكروبة العليلة ذات الأحزان الطويلة !! في المدة القليلة المعصومة المظلومة . الرضية الحليمة العفيفة السليمة . المدفونة سراً . والمغصوبة جهراً المجهولة قدراً والمخفية قبرا سيدة النساء الأنسية الحوراء البتول العزراء أم الأئمة النقباء النجباء فاطمة التقية الزهراء عليها السلام .

ولا يخفي ما في هذا الكلام من الدس والطعن وإتهام الصحابة رضوان الله عليهم بظلم فاطمة رضي الله عنها وغصبها ، وادعاء العصمة المطلقة لها .

٣ـ «اللهم صل وسلم وزد ديارك على السيد المجتبى والإمام المرتجى سبط المصطفى وابن المرتضى علم الهدى .... الشفيع ابن الشفيع المقتول بالسم النقيع ـ المدفون بأرض البقيع .... الإمام المؤتمن ، والمسموم الممتحن ... الإمام بالحق أبي محمد الحسن ......»[2]

ولا يخفى ما في هذا أيضاً الدس وأن الحسن بن علي رضي الله عنه مات مسموماً .

٤ـ وأما في الصلاة على الحسين فيقول الورد البكتاشي :ـ

«اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد الزاهد والإمام العابد الراكع الساجد ... قتيل الكافر الجاحد .. الإمام بالحق عبد الله الحسين ..»

٥ـ وهكذا تستمر هذه الأوراد على هذا النحو ذاكرة إماماً إماماً من أئمة الشيعة الاثنى عشرية إلى أن يأتي الورد الخاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي

---

(١) شبير : هو لقب يطلقونه على علي لأنه كان قصيراً دون الربعه . ومعنى أنه قاسم طوبي وسقر أن له الجنة والنار وهو يدخل من يشاء كيف يشاء فالقسمة إليه .

(٢) الرسالة الأحمدية ص ٨٣

يسمونه محمد بن الحسن العسكري فيقول الورد بالنص :ـ
«اللهم صل وزد وبارك على صاحب الدعوة النبوية ، والصولة الحيدرية ، والعصمة الفاطمية ، والحلم الحَسَنِيّة والشجاعة الحسينية ، والعبادة السجادية ، والمآثر الباقرية ، والآثار الجعفرية ، والعلوم الكاظمية ، والحجج الرضوية ، والجود التقوية ، والنقاوة والنقوية والهيبة العسكرية ، والغيبة الإلهية ، القائم بالحق والداعي إلى الصدق المطلق ، كلمة الله ، وأمان الله ، وحجة الله ، القائم لأمر الله ، المقسط لدين الله ، الذَّابٌ عن حرم الله ، أمام السر والعلن ، دافع الكرب والمحن ،صاحب الجود والمنن ، الإمام بالحق أبي القاسم محمد بن الحسن ، صاحب العصر والزمان ، وخليفة الرحمن ، ومظهر الإيمان وقاطع البرهان وسيد الأنس والجان ، المولى الولي ، وسمي النبي والوصي ، والصراط السوي ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، الصلاة والسلام عليك يا وصي الحسن ، والخلف الصالح ، يا أمام زماننا ، أيها القائم المنتظر المهدي ، يابن رسول الله ، يابن أمير المؤمنين ، يا إمام المسلمين ، يا حجة الله علي خلقه ، يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله ، وقدمناك بين يدي حاجتنا في الدنيا والآخرة يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله بحقك وبحق جدك وبحق آبائك الطاهرين .»(١)

٦ـ وأما في ورد التولي والتبري فإنهم يقولون :ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله . وما توفيقي واعتصامي إلا بالله . إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي أرسله بالهدى . قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى . وعلى آله وأصحابه وأزواجه الهدى . يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم أئمتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله . وتوسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله . وبحبكم وبقربكم أرجو النجاة من الله . تكونوا عند الله . رجائي يا سادتي يا أولياء الله . صلى الله عليكم

(١) الرسالة الأحمدية ص ٨٨ ، ٨٩

أجمعين . اللهم إن هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقاداتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتولى
ومن أعدائهم نتبرؤ في الدنيا والآخرة . والعن من ظلمهم . وانصر شيعتهم واغضب على من على من جحدهم . وعجل فرجهم . وأهلك عـــدوهم من الجن والإنس أجمعين من الأولين والآخرين إلى يــوم الدين . اللهم أرزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم . وزدنا محبتهم . واحشرنا معهم . وفي زمرتهم . وتحت لوائهم . بمنك وكرمك ياأكرم الأكرمين . ويا أرحم الراحمين . والحمد لله رب العالمين . اللهم صل على محمد وآل محمد .

ولا يخفى أيضاً ما في هذا الورد من التبري من أهل السنة جميعاً بإدعاء أنهم ظلموا أهل البيت وحجدوهم حقهم . وفي الورد الذي يلي هذا القول :-

« اللهم ألعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك»[1] ولا يخفى أنهم يعنون بذلك الصديق آبا بكر رضي الله وكل مسلم رضي بولايته إلى يوم القيامة !!

وفي ختام الأوراد على المريد البكتاشي والسالك أن يشهد هذه الشهادة ويقول :-

«وأشهد أن الأئمة الأبرار . والخلفاء الأخيار. بعد الرسول المختار: على قامع الكفار. ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي. ثم أخوه السبط التابع لمرضات الله الحسين. ثم العابد علي ثم الباقر محمد. ثم الصادق جعفر. ثم الكاظم موسى. ثم الرضا علي ثم التقي محمد. ثم النقي علي. ثم الذكي العسكري الحسن. ثم الحجة الخلف الصالح القائم، المنتظر المهدي المرجى، الذي ببقائه، بقيت الدنيا وبيمنه ، رزق الورى وبوجوده ، ثبتت الأرض والسماء ، به يملأ الله الأرض قسطا وعدلا ، بعدما ملئت ظلما وجوراً ، وأشهد أن أقوالهم حجة وامتثالهم فريضة ، وطاعتهم مفروضة ، ومودتهم لازمة ، مقضية ، والاقتداء بهم منجية ، ومخالفتهم مردية ، وهم سادات أهل الجنة أجمعين ، وشفاء يوم الدين ، وأئمة أهل الأرض

---

(١) الأحمدية ص ٩٠

على اليقين وأفضل الأوصياء المرضيين »[1] اهـ.

ولا شك بعد ذلك أن هذه عقيدة شيعية كاملة حملتها هذه الأوراد ، والعجيب حقا أن هذه العقيدة الشيعية قد انتشرت في تركيا الدولة السنية وفي مصر كذلك واستمرت هذه العقيدة الباطنية تنتشر وتنمو طيلة هذه القرون الطويلة من أواسط القرن الثامن تقريبا إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جناح التصوف .. فأي تلازم أبلغ بعد ذلك وأي تطابق بين التصوف والتشيع .. وهل كان التصوف إلا المعبرة التي عبر عن طريقها الفكر الشيعي الباطني إلى ديار الاسلام .. بل هل كان التصوف إلا المعبرة التي عبرت بها كل الفلسفات وكل أشكال الألحاد والزندقة والتخريف إلى العالم الإسلامي .

دور الفرس في التشيع والتصوف :

لقد كان للفرس والجنس الايراني الدور المميز الخاص في التصوف والتشيع . فأئمة التصوف ورواده الأول بلا استثناء قد كانوا من الفرس والموالى ولم يكن منهم عربي قط . وقد ارتبط التشيع أيضا قديما باسم الفرس حتى إنه لا يكاد يذكر التشيع الا ويقترن ذكره بذكر الفرس .. وقد كان لذلك أسبابه الخفية بلا شك وقد كتب الدكتور كامل الشيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) فصلاً خاصا بذلك حيث يقول : ـ

أثر الشعب الايراني في التشيع والتصوف :

« ويهمنا في هذا المجال أن نورد رأياً لبراون رواه الباحث الايراني المعاصر الدكتور قاسم غنى ـ ومر بنا أصله ـ مؤداه أن «الايرانيين ـ بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند ـ بذلوا استقلالهم

---

[1] الرسالة الأحمدية ص ٩٢

وشوكتهم عن يد وهم صاغرون ، وسواء أشاءوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة ، غير أن العرب - الذين نظر إليهم الايرانيون بعين الاحتقار من قديم - لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الايرانيين على مشاركتهم طراز التفكير والعقيدة والسليقة والمنطق والآمال والمطالب الروحية ، لأن التباين - شكلا ومعنى - كان عظيما في العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية . وعلى ذلك فإن انتهاء الصراع بهزيمة إيران أوجد انفعالات روحية وتأثرات معنوية في الإيرانيين على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي ، وأثر في العرب والإسلام ، وكان التشيع وكذلك التصوف من أهم ردود الفعل التي أورثها هذا الصراع الفكري »[1] . وقد أوضح الدكتور قاسم غنى هذه الفكرة وبين جوهرها بقوله : « ويجب أن نبين هنا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد واختيار وارادة على خطة مرسومة يراد بها الانتقام بل كان أكثره متأتياً بحكم الانفعال النفسي وتحت تأثير العواطف والأحاسيس الخفية التي يعرفها علم النفس ، أي أن ذلك قد حدث غالباً دون أن يجد له الناس علة واقعية ودون أن يحللوه ، ولكن ذهنهم كان مسوقاً إلى هذا العمل بهذه الطريقة»[2] ولقد نطق إيراني معاصر - في صراحة وجلاء - بهذه الحقيقة واعترف بأن التصوف قد ظهر في إيران « في عصر تسلط على وطننا فيه عدو قوي ، فلما لم يجد الايرانيون قدرة على المخالفة والمبارزة سلكوا سبيل الهزيمة واتخذوا القوى الغيبية معتقداً لهم وألقوا سلاحهم في ميدان تنازع البقاء .. وعلى هذا فقد كان التصوف حينئذ ضرورة من الضرورات وليس اليوم كالأمس ، ويجب ألا نحمل الأفكار الصوفية محمل الجد »[3] .

على أن هذا كله لا يقدح في أن التصوف قد ظهر في سائر الأقطار الإسلامية حينئذ ، ولكن الواضح أيضاً أن التطور لم يخالط الزهد إلا في

(١ ، ٢) تاريخ تصوف در إسلام ٣ (ترجمة) .

(٣) تصوف للبروفسور عباس مهرين : المقدمة (ترجمة) .

الواقع أن هذه المعاني متضمنة في صورة واضحة في عبارة ابن حزم الواردة في كتابة «الفصل» طبع مصر ١٣٢١ م ١١٥/٢ . وقد عبر عنها براون وغيره بألفاظهم .

خراسان وعلى يد الفرس في البصرة والكوفة بل حتى في الشام حين دخلها إبراهيم بن أدهم وصحبه . وينبغي أن نذكر الدور الذي قام به الفرس من إدخالهم مثلهم الدينية في التشيع الغالي الأول حين نصروا المختار وعاضدوا حركة الغلو العجلية وانضموا إلى حركة أبي هاشم وانضافوا إلى الحركة السرية العباسية التي ورثت حركة أبي هاشم حتى أدى بهم الأمر إلى تأليه أبي مسلم الخراساني ، كما فعلوا مع أئمة الشيعة من العلويين . يضاف إلى ذلك أنهم نصروا حركة عبد الله بن معاوية في فارس أيضاً وأسبغوا عليه النور الإلهي الذي سنجده في التصوف واضحاً جلياً. وهذا كله يعني أن الفرس قد بدءوا إضافة القداسة إلى البيت النبوي باعتبارها أساساً موازياً لأسسهم السياسية والدينية السابقة من تأليههم الملوك وقولهم بالنور الذي ينتقل من ملك إلى آخر ، فثبتت الولاية لعليّ بن أبي طالب على نحو مبالغ فيه وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات وإضافات وحواش إلى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حد التأله »[1] .

وهذه الشهادات تعني في الجملة أن التصوف والتشيع عند الايرانيين كان دائماً وسيلة الى غاية ولم يكن عقيدة وانتحالاً خالصاً ، وهذا الذي يصل اليه د. كامل الشيبي في خلاصة بحثه هذا حيث يقول :ـ

« وقد استعان المختار بالوالي لأول مرة في تاريخ التشيع وكان ذلك من أسباب فشل حركته ، وانفضاض العرب عنه ، ويجب ان نلاحظ هنا أن دور الفرس في التشيع المبكر كان مؤقتاً فقد انصرفوا من بعد المختار الى موالاة العباسيين وعادوا الى التشيع من جديد بعد أن نزلت بهم ضربة السفاح أولا . ثم المنصور ثم الرشيد . بل لقد وجدناهم يمنعون العلويين الخلافة حين تسلم البويهيون أزمة الحكم من العباسيين ، وبهذا يتبين لنا أن دور الفرس في التشيع بل في الاسلام كان مجرد وسيلة لاستعادة المجد القديم ، والغاء التسلط العربي عن كواهلهم »[2] .

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٤١ ـ ٣٤٣ .

(٢) الصلة بين التصوف ، لكامل الشيبي ص ١٠١

الباب السادس
أئمة الإسلام والتَّصوف

في هذا الباب نجمع طائفة من كلام علماء المسلمين قديماً وحديثاً لبيان مواقفهم من التصوف :

١ـ لم تعرف كلمة التَّصوف قط في عصر الصحابة ولا التَّابعين ولم يكن هناك بتاتاً من يسمى بالمتصوف ، ولذلك فالتَّصوف بدعة منكرة لم تظهر إلاَّ في أواخر القرن الثاني الهجري ، ولذلك لم يدركها الإمامان أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما .

الإمام الشافعي :

وأمَّا الإمام الشَّافعي فقد أدرك بدايات التصوف وكان من أكثر العلماء والأئمة إنكاراً عليهم وقد كان ممَّا قاله في هذا الصدد :(لو أنَّ رجلاً تصوَّف أوَّل النهار لا يأتي الظهر حتى يصير أحمق) .

وقال أيضاً :(ما لزم أحد الصوفيين أربعين يوماً فعاد عقله أبداً وأنشد :

ودعوا الَّذين إذا أتوك تنسَّكوا
وإذا دخلوا كانوا ذئاب خفاف[1]

وقال أيضاً عندما سافر إلى مصر :(تركت بغداد وقد أحدث الزنادقة شيئاً يسمونه السماع)[2] .

الإمام أحمد بن حنبل :

وأمَّا الإمام أحمد بن حنبل فقد كان لهم بالمرصاد فقد قال فيما بدأ الحارث المحاسبي يتكلَّم فيه وهو الوساوس والخطرات قال أحمد : ما تكلَّم فيها الصَّحابة ولا التابعون . وحذَّر من مجالسة الحارث المحاسبي وقال لصاحب له : لا أرى لك أن تجالسهم . وذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنّة عن أحمد بن حنبل أنَّه قال :

---

(١) تلبيس إبليس ص ٣٧١ .

(٢) يعني الغناء والرقص الذي ابتدعه الصوفية في القرن الثاني وما زال مسلكهم إلى اليوم.

«حذروا من الحارث أشدَّ التحذير !! الحارث أصل البلبلة - يعني في حوادث كلام جهم - ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأي جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام . حارث بمنزلة الأسد المرابط انظر أي يوم يثب على النَّاس !!»[1].

وهذا الكلام من الإمام أحمد يكشف فيه القناع أيضاً أنَّ الحارث المحاسبي الَّذي تسربل ظاهراً بالزهد والورع والكلام في محاسبة النفس على الخطرات والوساوس كان هو المأوى والملاذ لأتباع جهم بن صفوان المنحرفين في مسائل الأسماء والصفات والنافين لها ، وهكذا كان التصوف دائماً هو الظاهر الخادع للحركات والأفكار الباطنية . ولذلك وقف الإمام أحمد لهؤلاء الأشرار الظاهرين منهم والمتخفين بالزهد والورع وأمر بهجر الحارث المحاسبي وشدد النكير عليه فاختفى الحارث إلى أن مات .[2] .

الإمام أبو زرعة الدمشقي :

وجاء بعد الإمام أحمد بن حنبل الإمام أبو زرعة رحمه الله فقال أيضاً عن كتب الحارث المحاسبي وقد سأله سائل عنها : إيَّاك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات . عليك بالأثر فإنَّك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب . قيل له : في هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة . بلغكم أنَّ مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدِّمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء(يعني الصوفية) قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرَّة بالحارث المحاسبي ، ومرَّة بعبد الرحيم الديبلي ومرَّة بحاتم الأصم ومرَّة بشقيق البلخي ثم قال : ما أسرع النَّاس إلى البدع» اهـ .[3] .

الإمام أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم البزدوي المتوفي سنة ٤٧٨هـ ببخارى :

قال في كتابه (أصول الدين) عند التعريف بالتصوّف : ((وامّا

(١) تلبيس ابليس ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) تلبيس ابليس ١٦٧ .

(٣) تلبيس إبليس ص١٦٦ - ١٦٧ .

«الصوفية» فاكثرهم من «اهل السنّه والجماعه»[1]. وفيهم من يكون صاحب الكرامة ، إلاّ أنه قد ظهر فيهم مذاهب رديّة أكثرها ضلال وبدعة . منهم «الحُبيّة» يقولون : إنّ الله تعالى إذا أحبّ عبداً رفع عنه الخِطاب فيحلّ له كل النعم ويسقط عنه العبادات ولا يبقى في حقّه حظر فلا يصلّون ولا يصومون ولا يسترون العورة ، ولا يمتنعون عن الزنا وشرب الخمر ، ولا عن اللواطة ولا عن محظور مّا .

ومنهم «الأوليائية» يقولون : إن الولي أفضل من النبي والرسول من الآدميين والملائكة جميعاً ويقولون : إنّ الرسول دون المُرسَل إليه ودون المُرسِل ، على هذا رأينا عادات الأكابر وهؤلاء يقولون أيضاً : إذا بلغ الإنسان في العبادة الدرجة القُصوى وفي الولاية الرُّتبة العُليا لا يبقى في حقّه خطاب الإيجاب ولا خطاب الحظر ويحلّ له كل شيء .

ومنهم «الإباحتية» يقولون : الأموال كلّها على الإباحة ، وكذا الفروج وليس للمُلاَّك إلاّ مجرّد الإضافة ومجرّد الإكتساب ، ويستبيحون أموال النّاس وفروج نسائهم .

ومنهم «الحلولية» وهم قوم يستبيحون الرقص والغِناء والنظر إلى الشاب الأمرد المليح الصبيح ، ويقولون قد حلّت بهذا الأمرد الصبيح صفة من صفات البارئ ، فنحن نحبّه ونعانقه لأجل تلك الصِّفة .

ومنهم «الحورية» يقولون بإستباحة الرقص والغناء والمبالغة في الرقص حتّى يسقطون على الأرض من كثرة الإتعاب في الرقص ، ثمّ يقومون ويغتسلون ويقولون إنّ الحور العين يحضرن[1] ، ونُجَامِعُهنّ وكأنّ إبليس جامعَهَم لِشرّ صنيعتهم .

ومنهم «الواقفية» يقولون : إنّه لا يمكن معرفة الله تعالى وتوقّفوا في معرفة الله تعالى وقالوا أبياتاً بالفارسية والعربية فيها :

تُراكه دانَدكي تُراتو داني تو
تُرانَداند كس تُراتو داني بس

(١) الحق أنهم كانوا ينسبون في هذا الوقت إلى أهل السنة والجماعة وكان هذا ظاهرهم ولكنهم في الحقيقة كانوا زنادقة في الباطن يضمرون عقائد الباطنية كما شرح البزروي نفسه أحوالهم .

وقال آخر :

تـــــاتــــوتــــوى زعلت خـــــالى ني
يــــا بـــــاعلــــل ومحـــــك ويْرا مجــوى

وقال آخر :

جـــــه خبر فهْم وهْ، را ازتـــو بحقيقت تُراتـــو دانى تـــو
روح وقلب وخردبتـو محـدث محـدثـات تُراچـه علم ازتـو

وللآخر بالعربية :

لا يعرف الحقّ إلاّ مَن يُعرِفه لا يعرف القَدِيمَ المُحْدَثُ الفاني

وقالوا : إن العجز عن المعرفة هو المعرفة .

ومنهم «المتجاهلة» وهم قوم يضربون المزامير ويشربون الخمر ويأتون ببعض الفواحش ويلبسون ثياب الفسقة ويقولون : ترك الإرادة واجب فبمثل هذا تترك الإرادة .

ومنهم «المتكاسلة» رضوا بملء البطن من الطعام حراماً كان أو حلالاً يأكلون ما يجدون حراماً كان أو حلالاً ، ويسكنون في الخانات لا يكسبون بل ينامون في غالب الأزمان ويصلون قليلاً قليلاً ، ويأكلون كثيراً إن وجدوه ويرقصون إن وجدوا قارياً[1] ، واختاروا الكسل ولا يتعلّمون شيئاً ولا يتزوّجون إلاّ أنّهم لا يعتقدون مذهباً رديًا ولا ينازعون مع أحد فهؤلاء لا بأس بهم . ومنهم العامة الاتقياء البررة واصحاب الكرامات يكونون أبداً على الطهارة ويتّبعون سنن النبي ﷺ في المشرب والمأكل واللباس والكلام والنيام والعبادة إلاأنهم تركوا سنته في تبليغ الوحي ، وفوّضوا ذلك إلي العلماء وينبغي أن يترك الانسان الطعن في الصوفية ويقطع لسانه عنهم[2] ، فإن فيهم خيار الأمّه ، وإنما ذكرتُ هؤلاء لأنه ظهر في بلادنا بعض هؤلاء خصوصاً بديار فرْغانة قد يحضرون بخارا احياناً ثمّ يخرجون إذا علمناهم فهؤلاء «الأوليائية»و«الحبية» شرّ عبادالله مال مذهبهم إلي الزندقة .

وفي «الصوفية » قوم يدّعون الإلهام يقولون : حدّثني قلبي عن ربيّ ثمّ يذكرون بعض ماوضعه «القرامطة» من الإشارات الفاسدة بالألفاظ الهائلة

(١) أي مضيفاً ، من القِرَى بمعنى الضيافة .

(٢) قلت كيف يجب ذلك وهذه هي أحوالهم بل يجب الإنكار عليهم .

يغرّون بها العامة وجعلوا ذلك مكسبة لأنفسهم وأنكروا الشرائع، أجمع فهؤلاء شرّ خليقة الله تعالى وواحد من هؤلاء حضر بلدة بُخارى سنة ثمان وسبعين وأربع مائة وجمع «الصوفية» وبعض «أصحاب الشافعي» على نفسه وكنتُ خرجتُ من بلدة بُخارى إلى بعض قُراها فلمّا حضرتُ أخبروني بحضوره وكان قبل ذلك يعتقد مذهب «أبي حنيفة» ويميل إلى الإعتزال فبعثتُ إليه اثنين من أصحابي قلتُ لهما : قولا له لِمَ تركتَ مذهب «أبي حنيفة» وأخرجت هذه البدع . فقال : ما تركتُه. فقلتُ لهما : قولا له لِماذا ترْفع اليدين عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع فاضطرَّ إلى كشف سريرته الخبيثة فقال : ظهر لي ما لو ظهر لكم ترفعون أيديكم فقلتُ لهما : قولا له ماذا ظهر لك هل تقدر على إظهاره أو لا تقدر فإن كنتَ تقدر على إظهاره فأظْهر وإن كنتَ لا تقدر على إظهاره فذلك بدعة عجزتَ عن إظهارها ، ثمَّ قلتُ لهما : قولا له إنَّا على الطريقة الَّتي كان عليها الرسل والأنبياء والصالحون من الفقهاء من جميع الاعصار وأتقيائهم وأوليائهم وقرَّاؤهم وأنتَ أيها التلبيس[1] الضَّال الغاوي المُغوي أعرضتَ عن طريقة هؤلاء وسلكتَ طريقة إبليس وهي طريقة «الروافض» و«القرامطة» فعند ذلك فرَّ من بلدة بُخارى ونواحيها فرار القرود من الأسود والهنود من القيود وقد أخبرني واحد من فقهائنا أنَّه سأل هذا المبتدع لِمَ تركتَ مذهب «أبي حنيفة» وترفع اليدَيْن عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه ﷺ وغيرهم ويرفعون أيديهم عند الركوع وعند رفع الرأس من الركوع[1] فقال : قلتُ له رأيت في المنام قال : لا بل في اليقظة[2] . انتهى بلفظه .

الإمام ابن الجوزي :

وأمَّا الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفي سنة ٥٩٧ هـ فقد كتب كتاباً فريداً سمَّاه «تلبيس إبليس» خصَّ الصوفية بمعظم فصوله وبيَّن تلبيس الشيطان عليهم وكان ممَّا ذكره هذه الصفحات :

١ـ هكذا بالأصل ولعلها إبليس .

(٢) بالرغم من أنَّ السنة هي رفع اليدين عند الركوع والرفع منه إلاَّ أنَّ احتجاج الصوفي بأنَّه يرى الرسول يفعل ذلك يقظة تلبيس وزندقة وكذب على الرسول وقد زعموا أيضاً أنه أعني الرسول يحضر مجالسهم سماعهم وموالدهم ، بل وديوانهم في حراء الذي يزعمون أنه تقدر فيه المقادير .

«وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات . فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم . وشبهوا المال بالعقارب ، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتي أنه كان فيهم من لا يضطجع . وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة . وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع اليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري . ثم جاء أقوام يتكلمون لهم في الجوع والفقر والوساوس والحظوات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي . وجاء أخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيف وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة . ثم مازال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم اوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم . ويتفق بعدهم عن العلماء لا بل رؤيتهم ماهم فيه أو في العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر .

ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصاً مستحسن الصورة فهاموا به . وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق . ففسدت عقائدهم . فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد . وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبو عبد الرحمن السلمى فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم . وإنما حملوه على مذاهبهم . **والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن** . وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز . قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال **كان أبو عبد الرحمن السلمى غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبو عبد الله ابن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحي بن معين وبأشياء كثيرة سواه . وكان يضع للصوفية الأحاديث** .

قال المصنف : وصنف لهم أبو نصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى .

وصنف لهم أبو طالب المكي قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأيام والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد . وردد فيه قول - قال بعض المكاشفين - وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه . أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر الخطيب قال قال أبو طاهر محمد بن العلاف . قال : دخل أبو طالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال . ليس على المخلوق أضر من الخالق . فبدعه الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك، قال الخطيب . وصنف أبو طالب المكى كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات .

قال المصنف : وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية . وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضي الله عنهم . فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضي والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد ابن حنبل وكذلك ذكر السلمى في طبقات الصوفية الفضيل وابراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخي وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد .

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم ابن هوزان القشيري كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء . والبقاء . والقبض . والبسط . والوقت . والحال . والوجد والوجود . والجمع . والتفرقة . والصحو . والسكر . والذوق . والشرب . والمحو . والإثبات . والتجلي . والمحاضرة . والمكاشفة . واللوائح . والطوالع . واللوامع . والتكوين . والتمكين والشريعة . والحقيقة . إلى غير ذلك من التخليط الذي

ليس بشيء وتفسيره أعجب منه ، **وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحي العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى .**

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول . كان ابن طاهر يذهب مذهب الاباحة : قال وصنف كتابا في جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية عن يحي بن معين قال : رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح : قال شيخنا ابن ناصر . وليس ابن طاهر بمن يحتج به ، **وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه . وقال ان المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هي حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات . وهذا من جنس كلام الباطنية** . وقال في كتابه المفصح بالأحوال . إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق .

قال المصنف : وكان السبب في تصنيف هؤلاء مثل هذه الأشياء قلة علمهم بالسنن والاسلام والآثار واقبالهم على ما استحسنوه من طريقة القوم . وإنما استحسنوها لأنه قد ثبت في النفوس مدح الزهد وما رأوا حالة أحسن من حالة هؤلاء القوم في الصورة ولا كلاما أرق من كلامهم . وفي سير السلف نوع خشونة ثم أن ميل الناس إلى هؤلاء القوم شديد لما ذكرنا من أنها طريقة ظاهرها النظافة والتعبد وفي ضمنها الراحة والسماع والطباع تميل إليها . وقد كان أوائل الصوفية ينفرون من السلاطين والأمراء فصاروا أصدقاء[1] .

---

(١) أي بعد أن صار التصوف حرفة وتكسباً صاحبوا الأمراء والسلاطين .

وجمهور هذه التصانيف التي صنفت لهم لا تستند إلى أصل وإنما هي واقعات تلقفها بعضهم عن بعض ودونوها وقد سموها بالعلم الباطن . والحديث باسناد إلى أبي يعقوب اسحق بن حية قال سمعت أحمد بن حنبل وقد سئل عن الوساوس والخطرات . فقال . ما تكلم فيها الصحابة ولا التابعون .

قال المصنف : وقد روينا في أول كتابنا هذا عن ذي النون نحو هذا **وروينا عن احمد بن حنبل أنه سمع كلام الحارث المحاسبي . فقال لصاحب له . لا أرى لك أن تجالسهم** . وعن سعيد بن عمرو البردعي ، قال شهدت أبا زرعة **وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه ، فقال للسائل . اياك وهذه الكتب . هذه الكتب كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر فانك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب**. وقيل له . في هذه الكتب عبرة . قال : من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة . بلغكم أن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والأئمة المتقدمة ، صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتوننا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ، ثم قال : ما أسرع الناس إلى البدع .

أخبرنا محمد بن عبد الباقي ثنا أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : أول من تكلم في بلدته في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ذو النون المصري فأنكر عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر وكان يذهب مذهب مالك وهجره لذلك علماء مصر لما شاع خبره أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف حتى رموه بالزندقة . قال السلمى . وأخرج أبو سليمان الداراني من دمشق . وقالوا أنه يزعم أنه يرى الملائكة وأنهم يكلمونه ، وشهد قوم على أحمد بن أبي الحواري : أنه يفضل الأولياء على الأنبياء فهرب من دمشق إلى مكة ، **وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى أنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول : لي معراج كما كان للنبي ﷺ معراج فأخرجوه من بسطام** ، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام ، قال السلمي وحكى رجل عن سهلي بن عبد الله التستري أنه يقول : إن الملائكة والجن والشياطين يحضرونه وإنه يتكلم عليهم فأنكر ذلك عليه

العوام حتى نسبوه إلى القبائح فخرج إلى البصرة فمات بها ، قال السلمي وتكلم الحارث المحاسبي في شيء من الكلام والصفات فهجره أحمد بن حنبل فاختفى إلى أن مات .

قال المصنف : **وقد ذكر أبو بكر الخلال في كتاب السنة عن أحمد ابن حنبل أنه قال : حذروا من الحارث أشد التحذير الحارث أصل البلية يعني في حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان وفلان وأخرجهم إلى رأى جهم ما زال مأوى أصحاب الكلام حارث بمنزلة الأسد المرابط أنظر إي يوم يثب على الناس .[1] أهـ انتهى منه بلفظه .**

الإمام شيخ الاسلام ابن تيمية :

وأما الإمام ابن تيمية رحمه الله فقد كان من أعظم الناس بيانا لحقيقة التصوف ، وتتبعا لأقوال الزنادقة والملحدين منهم وخاصة ابن عربي ، والتلمساني ، وابن سبعين .

فتعقب أقوالهم وفضح باطنهم وحذر الأمة من شرورهم وذلك في كتبه ومؤلفاته الكثيرة وفي فتاويه ، وكذلك تتبع أقوال المخلطين منهم الذين خلطوا بين القول الطيب والقول الخبيث كالترمذي صاحب كتاب (ختم الولاية) والغزالي صاحب إحياء علوم الدين . ولا شك أن من أعظم ما ألف الإمام ابن تيمية في هذا الصدد هو كتابة (الفرقان بين إولياء الرحمة وأولياء الشيطان) فقد فصل فيه القول في الولاية الرحمانية وبيان صفاتها من الكتاب والسنة واقوال السلف الصالح ، وفرق بين ذلك وبين الولاية الشيطانية الصوفية التي تعتمد على الشعبذات والدجل ، والكذب ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والسماع والغناء والرقص ، والبدع المنكرة في الدين ، والتظاهر بالصلاح والتقوى ، ولقد أجاد الإمام ابن تيمية رحمه الله أيما إجادة في بيان الكرامة الرحمانية التي هي حق لولي الله ، والكرامة الشيطانية التي تجري أحيانا على أيدي هؤلاء كتظاهرهم بالدخول في النيران وزعمهم أنها لا تضرهم ، وحملهم الحيات

---

(١) تلبيس ابليس ١٦٣/١٦٧ .

والثعابين ، وضربهم أنفسهم بالسيوف والسهام وغير ذلك من أنواع الخاريق التي يزعمون أنها من كراماتهم وقد قام الإمام ابن تيمية نفسه بتحدي هؤلاء الصوفية الذين يزعمون هذه الكرامات وأنه يدخل معهم النار التي يزعمون دخولها وأنها تحرقهم إن شاء الله ولا تحرقه ، شريطة أن يغسلوا أنفسهم أولا بالخل وذلك لإزالة دهن الضفادع الذي يدهنون به أنفسهم حتى لا تؤثر فيهم النار فلما كشف حيلهم وتحداهم وكان ذلك بمحضر السلطان تراجعوا عن ذلك وظهر كذبهم ومخاريقهم ، وكان هؤلاء الصوفية من أتباع الرفاعي البطائحي .[1]

والمهم أن الإمام ابن تيمية كان من أعظم الرجال الذين كشفوا عوار التصوف وتتبعوا تراهاته وما كتبه ودونه وقام به في هذا الصدد شيء يطول وصفه جداً .

الإمام برهان الدين البقاعي المتوفي سنة ٨٨٥ :

ألف هذا الإمام الجليل كتاباً فذاً فريداً سماه (تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي) قال في خطبة هذا الكتاب :

((وبعد : فإني لما رأيت الناس مضطربين في ابن عربي المنسوب إلى التصوف ، الموسوم عند أهل الحق بالوحدة ، ولم أر من شفى القلب في ترجمته وكان كفره في كتابه الفصوص أظهر منه في غيره ، أحببت أن أذكر منه ما كان ظاهراً ، حتى يُعلم حاله ، فيُهجر مقاله ، ويعتقد انحلاله ، وكفره وضلاله ، وأنَّه إلى الهاوية مآله ومآبه ، امتثالاً لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رض الله عنه : أن النبي ﷺ قال :«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان» وفي رواية عن عبد الله بن مسعود : وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبَّة من خردل» ، وما أحضر من النسخة التي نقلت ما تراه منها إلاَّ شخص من كبار معتقديه ، وأتباعه ومحبيه .

---

(١) أنظر مناظرة ابن تيمية لدجاجلة البطائحية الفتاوي الكبرى من ص ٤٤٥ ـ ٤٧٦ .

عقيدة ابن عربي وكيده للإسلام :

وينبغي أن يعلم أولاً أن كلامه دائر على الوحدة المطلقة ، وهي : أنه لا شيء سوى هذا العالم ، وأنَّ الإله أمر كلي لا وجود له إلاَّ في ضمن جزئياته . ثمَّ إنَّه يسعى في إبطال الدين من أصله ، بما يحل به عقائد أهله ، بأن كل أحد على صراط مستقيم ، وأنَّ الوعيد لا يقع منه شيء ، وعلى تقدير وقوعه ، فالعذاب المتوعد به إنما هو نعيم وعذوبة ، ونحو ذلك !!. وإن حصل لأهله ألم ، فهو لا ينافي السعادة والرضى ، كما لم ينافها ما يحصل من الآلام في الدنيا ، وهذا يحط عند من له وعلى اعتقاد : أنَّه لا إله أصلاً ، وانه ما ثم إلاَّ أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وما وراء ذلك شيء .

منهاج الصوفية في الكيد بدعوتهم :

وكل ما في كلامه من غير هذا المهيع فهو تستر وتلبيس على من ينتقد عليه ، ولا يلقى زمام انقياده إليه ، فإنَّه علم أنَّه إن صرَّح بالتعطيل ابتداء بَعُد كل ما من قبوله فأظهر لأهل الدين أنه منهم ،وقف لهم في أودية اعتقادهم ، ثم استدرجهم عند المضائق ، واستغواهم في أماكن الاشتباه ، وهو أصنع الناس في التلبيس ، فإنَّه يذكر أحاديث صحاحاً ، ويحرفها على أوجه غريبة ، ومناحٍ عجيبة ، فاذا تدرج معه من أراد الله ـ والعياذ بالله ـ ضلاله ، وصل ـ ولا بد ـ إلى مراده من الانحلال من كل شرعة ، والمباعدة لكل ملَّة . وخواص أهل هذه النحلة يتسترون بإظهار شعائر الإسلام ، وإقامة الصلاة والصيام ، وتمويه الإلحاد بزي التنسك والتقشف ، وتزويق الزندقة بتسميتها : بعلم التصوف ، فهو ممن أشار إليه النبي ﷺ بقوله :«يحقر أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» .

وقد أصَّل لهم غويّهم هذا كما صرح به في الفص النوحي : أن الدعوة إلى الله مكر !! ونسب ذلك إلى الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ادعو إلى الله . فهذا عين المكر ... إلى آخر كلامه .

وهذا هو السر في تنسكهم . على أنهم قد استغنوا في هذا الزمان عن التنسك ، لإنقياد أهله بغير ذلك ، وقد يستدرجهم الله وأمثالهم ـ ممن يريد ضلاله ـ بإظهار شيء من الخوارق على أيديهم ، كما يظهره الله على يد الدجال ، وأيدي بعض الرهبان ، ليتبيَّن الموقن من المرتاب .

مثالهم في الزندقة :

وقد ضربوا ـ لتصحيح زندقتهم ـ مثالاً مكروا فيه بمن لم ترسخ قدمه في الإسلام ، ولا خالط أنفاس النبوة ، حتى صار يدفع الشبه . حاصل ذلك المثال : أنهم يصلون إلى الله بغير واسطة المبعوث بالشرع ، فتم لهم المكر ، وتبعهم في ذلك أكثر الرعاع ، ولم يبالوا بخرق الإجماع ، وذلك المثال : أن ملكا أقام على بابه سيفاً ، وقال له : من دخل بغير إذنك فاقتله ، وقال لغيره : أذنت لك في الدخول متى شئت ، فإذا دخل الغير ، فقد أصاب ، وإن قتله السيَّاف فقد أصاب ، وعنوا بالسيَّاف الشارع . فما أفادهم مثالهم مع زندقتهم به شيئاً . فإنَّهم إعترفوا فيه بإباحة دمائهم ، وهو قصد أهل الشريعة ، ومن يعتقد أن لأحدِ من الخلق طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ ، فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع ، فإنَّ رسالته ﷺ عامة ودعوته شاملة»[1]. انتهى بلفظه منه .

ثم شرع المؤلف رحمه الله بعد ذلك يورد كلام أئمة الدين والعلم في بيان كفر هؤلاء وزندقتهم ، وشرح ما جاء في الفصوص لابن عربي وبين كفره وزندقتهم ، وكذبه على الله ورسوله واستهزائه بالأنبياء والمرسلين وادعائه أن كل موجود هو الله . وكذلك استعرض قصيدة ابن الفارض المشهورة التائية وبيَّن ما فيها من كفر وزندقة وأنَّها والفصوص وجهان لعملة واحدة وصورتان لكتاب واحد وهي وحدة الوجود التي ينادي بها هؤلاء الزنادقة .

وعلى كل حال لو تتبعنا كلام علماء المسلمين قديماً في شأن التحذير من التصوف فإنَّه أمر يطول شرحه .

وأمَّا في العصر الحديث فإنَّ التصوف بالرغم من انتشاره في غفلة من المسلمين

---

(١) تنبيه الغبي إلى كفر الفارض وابن عربي لبرهان الدين اليقاعي من ص ١٨ ـ ٢١ .

عن علوم الكتاب والسنة ، فإنّ الله سبحانه وتعالى قيّض للمسلمين في العصر الحديث الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الّذي كان لدعوته المباركة في الجزيرة العربية الفضل في إيقاظ الأمة من سباتها العميق ، واطلاعها على حقيقة التصوُّف الضال فانتشرت دعوة التوحيد شرقاً وغرباً ، وقام الرِّجال المخلصون بملاحقة فلول التصوف في كل صقع من أصقاع الأرض حتى انزاحت الغمة أو كادت بفضل الله ورحمته بعد أن كان الظلام والشر قد عم الأرض كلها إلاَّ القليل القليل من أهل الدين الحق والتوحيد ، وأحب في هذا الباب من هذا الكتاب المبارك إن شاء الله تعالى أن أسوق شهادتين لرجلين مشهورين من رجال العصر الحاضر ممن أكرمهم الله بالنجاة من التصوف الخاسر إلى رحاب التوحيد والإيمان وهما الدكتور تقي الدين الهلالي شيخ التوحيد والسنَّة في بلاد المغرب بل في العالم الإسلامي كله والذي كان صوفياً (تجانياً) فأكرمه الله بدعوة التوحيد فلمَّا رأى النور والخير كتب كتابه (الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية) . وأما الرجل الآخر الذي ننقل شهادته فهو الشيخ المرحوم عبد الرحمن الوكيل وكيل جماعة أنصار السنَّة بمصر والذي جرَّد قلمه السيَّال لبيان فرية التصوّف الكبرى فكتب كتابه المشهور (هذه هي الصوفية) .

شهادة الدكتور الشيخ تقي الدين الهلالي :

«الحمد لله الذي أرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين ، محمداً ﷺ رحمة للعالمين بشيراً لمن آمن به ، واهتدى بهديه ، بالفوز المبين ونذيراً لمن كفر به وخالف سنّته بالعذاب المهين ، وصلّ اللهم على محمد وأزواجه وذرياته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذرياته كما باركت على ابراهيم ، صلاة تشمل آله ومن تمسّك بسنته إلى يوم الدين .

فيقول أفقر العباد إلى الغني الكبير المتعالي ، محمد تقي الدين بن عبد القادر الحسيني الهلالي غفر الله ذنبه وستر عيبه :

نشأت في بلاد سجلمانة وحفظت القرآن وأنا ابن اثنتي عشرة سنة ورأيت أهل بلادنا مولعين بطرائق المتصوِّفة لا تكاد تجد واحداً منهم لا عالماً ولا جاهلاً إلاَّ وقد انخرط في سلك إحدى الطرائق ، وتعلّق بشيخها تعلّق الهائم الوامق ، يستغيث به في الشدائد

ويستنجد به في المصائب ، ويلهج دائماً بشكره والثناء عليه فإن وجد نعمة شكره عليها ، وإن أصابته مصيبة اتّهم نفسه بالتقصير في محبّة شيخه والتمسُّك بطريقته ، ولا يخطر بباله أنّ شيخه يعجز عن شيء في السموات و لا في الأرض فهو على كل شيء قدير ، وسمعت الناس يقولون : من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه . وينشدون قول ابن عاشور في أرجوزته التي نظمها في عقيدة الأشعرية ، وفي فروع المالكية ، وفي مبادئ التصوّف :

يصحب شيخاً عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك
المهالك

يذكره الله إذا رآه ويوصل العبد إلى مولاه

ورأيت الطرق المنتشرة في بلادنا قسمين :

١ـ قسم ينتمي إليه العلماء وعلية القوم .

٢ـ وقسم ينتمي إليه السوقة وعامة الناس .

فمالت نفسي إلى القسم الأول ، وسمعت أبي وهو من علماء بلدنا مراراً يقول : لولا أنّ الطريقة التجانية تمنع صاحبها من زيارة قبور الأولياء والاستمداد منهم وطلب الحاجات إلا قبر النبي ﷺ والصحابة ، وإلا قبر الشيخ التجاني ، وقبور من ينتمي إلى طريقته من الأولياء ، قال أبي : لولا ذلك لأخذت ورد الطريقة التجانية ، لأني لا أستطيع أن أترك زيارة جدنا عبد القادر بن هلال ، وجدّنا كان مشهوراً بالصلاح وله قبر يزار وهو معدود من جملة الأولياء في ناحية الغرفة من القسم الشرقي الجنوبي من بلاد المغرب .

والطريقة التجانية ، والدرقاوية ، والكتانية ، وإن كان أهلها في بلادنا قليلاً ، تؤلف القسم الأول ، **فاشتاقت نفسي إلى أخذ ورد الطريقة التجانية وأنا قد ناهزت البلوغ فذهبت إلى المقدم وقلت له : يا سيدي أريد منك أن تعطيني ورد الطريقة التجانية ، ففرح كثيراً ، وقال لي : تأخذ الورد على صغر سنّك ؟ قلت : نعم ، فقال : بخ بخ لك أفلحت وأنجحت** فأعطاني الورد وهو :

ذكر لا إله إلاّ الله مائة مرة ، والإستغفار مائة مرّة ، والصلاة على النبي ﷺ بأي صيغة مائة مرة ، لكن صيغة الفاتح لما أغلق هي أفضل الصيغ ،

وسيأتي إن شاء الله ذكر فضلها[1] في هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه . وأعطاني كذلك الوظيفة وهي استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم ثلاثين مرّة ، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة ، ولا إله إلا الله مائة مرة ، وجوهرة الكمال وهي : اللهم صل وسلّم على عين الرحمة الربانية ... ألخ ، وسيأتي ذكر ألفاظها اثنتي عشر مرَّة ، وهذه الصلاة لا تذكر إلاَّ بطهارة مائية ، فمن كان فرضه التيمم فعليه أن يذكر بدلها صلاة الفاتح عشرين مرة ، قال : وإنَّما اشترطت الطهارة المائية على ذاكرها لأنَّ النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ولا يزالون معه ما دام يذكرها .

ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة ، ويكون الذاكر جالساً كجلسة التشهّد على الأفضل مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ أحمد التجاني وهو رجل أبيض مشرب بحمرة ذو لحية بيضاء ، ويتصوّر في قلبه أن عموداً من النور يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد .

أما الوظيفة فيجب أن تذكر جماعة بصوت واحد ، إن كان للمريد إخوان في بلده ، فإن لم يكن له إخوان تجانيون في بلاده جاز له أن يذكرها وحده مرة في كل يوم .

وأخبرني المقدم الشيخ عبد الكريم المنصوري ببعض فضائل هذا الورد وسأذكرها فيا بعد إن شاء الله **واستمررت على ذكر الورد والوظيفة بإخلاص ملتزماً الشروط مدة تسع سنين ، وهنالك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو : لا إله إلا الله ألف مرة ، والأفضل أن يكون معه سماع قبله أو بعده ، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنّم جماعة ثم يقولون جميعاً : الله حي ، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص عند تواجدهم إلى لفظ آه، آه، آه،** ويسمون هذه الحالة العمارة ، وقد تركوها منذ زمان طويل لأنَّ أبناء الشيخ التجاني لا يستعملون هذه العمارة ، وهم يأتون من الجزائر إلى المغرب وقد أشاروا على المغاربة أن يتركوا العمارة لأنَّهم لا يستحسنونها ، ولكن في كتب الطريقة أنَّها فعلت أمام الشيخ أحمد التجاني وبرضاه وإقراره .

---

(١) الفضل المزعوم عندهم .

وكنت كلّما أصابتني مصيبة استغيث بالشيخ فلا يغيثني ، فمن ذلك أني كنت في الجزائر مسافراً من ناحية (بركنت) بقرب حدود المغرب الي (المشرية) ، وكان لي رفيق له جمل فعقله وأوصاني بحراسته وتركني في خيمة وقلنا فيها من خيام أهل البادية ، فانحل عقال الجمل وانطلق في البرية فتبعته فأخذ يستهزئ بي ، وذلك أنّه يبقى واقفاً إلى أن أكاد أضع يد على عنقه ثم يجفل مرة واحدة ويجري مسافة طويلة ثم يقف ينتظرني إلى أن أكاد أقبضه ثم يهرب مرة أخرى وذلك في نحر الظهيرة وشدة الحر ، فقلت في نفسي : هذا وقت الإستغاثة بالشيخ فتضرعت إليه وبالغت في الإستغاثة أن يمكنني في قبض الجمل واناخته فلم يستجب ، فعدت على نفسي باللوم واتهمتها بعدم الإخلاص والتقصير في خدمة الطريقة ولم اتهم الشيخ البتة بعجز عن قضاء حاجتي ، ومع أن شيوخ الطريقة يوصون المريد أن لا يطالع شيئاً من كتب التصوف إلا كتب الطريقة التجانية وقع في يدي مجلد من كتاب «الإحياء» للغزالي فطالعته فأثر في نفس واجتهدت في العبادة والتزمت قيام الليل في شدة البرد ، **فبينما أنا ذات ليلة اصلي قيام الليل أمام خيمتي الصغيرة التي إذا كنت جالساً فيها يكاد رأسي يمس سقفها إذ رأيت غماماً أبيض سد الأفق كالجبل المرتفع من الأرض إلى السماء وأخذ ذلك الغمام يدنو مني آتياً من جهة الشرق - وهي قبلة المصلى في المغرب والجزائر- حتى وقف بعيداً مني وخرج منه شخص وتقدم حتى قرب مني ثم شرع يصلي بصلاتي مؤتماً بي ، وثيابه تشبه ثياب جارية بنت خمس عشرة سنة ، ولم أستطع أن أميّز وجهه بسبب الظلام .**

ولما شرع يصلي معي كنت أقرأ في سورة الم السجدة ففزعت وخفت خوفا شديدا فخرجت منها الى سورة اخرى اظنها سورة سبأ ، ولم استطع قرأة القرآن مع شدة حفظي له بسبب الرعب الذي اصابني ، فتركت السور الطوال واخذت اقرأ بالسور القصار التي لا تحتاج قراءتها الى رباطة جاش واستحضار فكر . فصلي معي ست ركعات ، ولم أرد أن أكلمه ، لان كتب الطريقة توصي المريد أن لا يشتغل بشيء مما يعرض له في سلوكه حتى يصل الى الله ، وتنكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش ، ولا يبقى شيء من المغيبات خافيا عليه ، ولما طال على زمان الاضطراب دعوت الله في سجود الركعة

السادسة فقلت : يا رب ان كان في كلام هذا الشخص خير فاجعله هو يكلمني ، وان لم يكن في كلامه خير فاصرفه عني ، فلما سلمت من التشهد بعد الركعة السادسة سلم هو ايضا ، ولم اسمع له صوتا ولكني رأيته التفت عند السلام الى جهة اليمين كما يفعل المصلي المنفرد على مذهب المالكية ، فانه يسلم مرة واحدة عن يمينه ، السلام عليكم دون ان يضيف اليها رحمة الله وبركاته ، وان كان مؤتما بامام يسلم ثلاث تسليمات ان كان بيساره مصل تسليمة عن يمينه وهي تسليمة التحليل ، وتسليمة امامه للامام ، وتسليمة ثالثة عن شماله للمصلي الذي يجلس عن شماله وقد ثبت في الحديث الذي رواه ابو داود وصححه الحافظ ان النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وهذا هو الذي ينبغي لكل مصل أن يعتمد عليه سواء أكان اماما أو مأموما أو منفردا .

وبعد السلام انصرف ومشى على مهل حتى دخل في الغمام الابيض الذي كان قائما في مكانه الذي كان ينتظره ، وبعد دخوله في الغمام فورا أخذ الغمام يتقهقر الى جهة الشرق حتى اختفى عن بصري وكان في قبيلة (حميان) شيخ شنقيطي صالح ما رأيت مثله في الزهد والورع ومكارم الاخلاق وسأذكره فيما بعد ، فسافرت اليه وحكيت له تلك الحادثة فقال لي : يمكن ان يكون ذلك شيطانا لو كان ملكا ما اصابك فزع ولا رعب ، فظهر لي ان رأيه صواب .

وبعد ذلك بزمن طويل أخذت أدرس علم الحديث ، فرأيت في كتاب «صحيح البخاري» ما وقع للنبي ﷺ حين جاءه جبريل وهو في غار حراء ، فظهر لي ان رأي ذلك الشيخ رحمه الله غير صحيح وبقيت المشكلة بلا حل الى الآن **وكنت حينئذ مشركا استغيث بغير الله واخاف وارجو غير الله ومن هذا تعلم ان ظهور الخوارق وما في عالم الغيب ليس دليلا على صلاح ما ظهرت له تلك الخوارق ولا على ولايته لله البتة** فان كل مرتاض رياضة روحية تظهر له الخوارق على اي دين كان وقد سمعنا وقرأنا ان العباد الوثنيين من اهل الهند تقع لهم خوارق عظام .

وبعد ذلك بأيام رأيت في المنام رجلا نبهني واشار الى الافق فقال لي انظر فرأيت ثلاثة رجال فقال لي ان الاوسط منهم هو النبي ﷺ فذهبت اليه فلما وصلت اليه انصرف الرجلان اللذان كانا معه فأخذت يده وقلت يا رسول الله خذ بيدي الى الله فقال لي اقرأ العلم ففكرت وعلمت اني في بلاد الجزائر وكان الفرنسيون مسؤولين عليها وكان فقهاء بلدنا يكفرون كل من سافر الى الجزائر واذا رجع من سفره يأمرونه بالاغتسال والدخول في الاسلام من جديد ويعقدون له عقدا جديد على زوجته فقلت في نفسي هذا رسول الله ﷺ يأمرني بطلب العلم ، وانا في بلاد يحكمها النصارى ، فاما أن أكون عاصيا أو كافرا فكيف يجوز لي ان اطلب فيها العلم هذا كله وقع في لحظة وانا لا ازال واقفا امام النبي ﷺ فقلت في بلاد المسلمين ام في بلاد النصارى فقال لي البلاد كلها لله فقلت يا رسول الله ادع الله ان يختم لي بالايمان فرفع اصبعه السبابة الى السماء وقال لي عند الله.

وبعدما خرجت من الطريقة التجانية على اثر المناظرة التي سأذكرها فيما بعد ان شاء الله بزمان طويل رأيت النبي ﷺ مرة اخرى في المنام على صورة تخالف الصورة التي رأيته عليها في المرة المذكورة ، ففي الاولى كان طويلا ابيض نحيفا مشربا بحمرة لحيته بيضاء ، اما في هذه المرة فكان رَبْعَة من الرجال الى الطول أقرب ولم يكن نحيفا ولحيته سوداء وبياض وجهه وحمرته أقرب الى الوان العرب من المرة الاولى وكانت رؤيتي له في فلاة من الارض **وكنت بعدما خرجت من الطريقة التجانية توسوس نفسي احيانا بما في كتاب جواهر المعاني مما ينسب الى الشيخ التجاني انه قال: (من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الاحمدية المحمدية الابراهيمية الحنفية التجانية فلا خوف عليه من الله ولا من رسوله ولا من شيخه ايا كان من الاحياء او من الاموات اما من اخذ وردنا وتركه فانه يحل به البلاء وإخرى ولا يموت الا كافرا قطعا وبذلك اخبرني سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما)** وقال لي سيد الوجود ﷺ فقراؤك فقرائي وتلاميذك تلاميذي وانا مربيهم) .وسيأي من هذه

الاخبار وامثالها ان شاء الله كثير في ذكر فضائل الاوراد والاصحاب فكنت ادفع هذا الوسواس بادلة الكتاب والسنة وارجم شيطانه باحجارها فيخنس ثم يخسأ ويدبر فارا منهزما **فلما رأيت النبي ﷺ في هذه المرة خطر ببالي ذلك فعزمت على ان ابدأ الكلام مع النبي ﷺ بان اسأله ان يدعو الله لي ان يختم لي بالايمان واظن القاريء لم ينس اني سألته في المرة الاولى فلم يدع لي ولكنه رفع اصبعه السبابة الى السماء وقال عند الله فقلت يا رسول الله ادع الله ان يختم لي بالايمان فقال لي ادع انت وانا اؤمن على دعائك فرفعت يدي وقلت اللهم اختم لي بالايمان فقال النبي ﷺ آمين وكان رافعا يديه** فزال عني ذلك الوسواس ولكني لم آمن مكر الله تعالى فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والرؤيا تبشر ولا تغر وبين هذه الرؤيا التي دعا لي فيها رسول الله ﷺ ان يختم الله لي بالايمان بتأمينه على دعائي والرؤيا التي قدمت ذكرها ولم يدع لي فيها عشرون سنة وتأولت اختلاف الصورة وعدم الدعاء في الرؤيا الاولى والدعاء في الرؤيا الثانية بما كنت عليه من الشرك في العبادة وبما صرت اليه من توحيد الله تعالى واتباع سنة رسوله ﷺ والله أعلم .

سبب خروجي من الطريقة التجانية :

لقد كنت في غمرة عظيمة وضلال مبين وكنت ارى خروجي من الطريقة التجانية كالخروج من الاسلام ولم يكن يخطر لي ببال ان اتزحزح عنها قيد شعرة وكان الشيخ عبد الحي الكتاني عدوا للطريقة التجانية لانه كان شيخا رسميا للطريقة الكتانية وانما قلت رسميا لان اهل (سلا) أعني الكتانيين انصار الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني مؤسس الطريقة الكتانية لا يعترفون به أي بالشيخ عبد الحي ويقولون أن الاستعمار الفرنسي هو الذي فرضه على الكتانيين فرضا والذي حدثني بذلك هو العالم الأديب النبيل الشيخ عبد الله بن سعيد السلوي فانه كان حامل لواء نصرة الشيخ محمد

بن عبد الكبير الكتاني وكان يعادي أخاه عبد الحي عداوة شديدة ويرميه بالعظائم والكبائر التي لا يسوغ ذكرها هنا والاستطراد بذكر أسباب العداوة بين الشيخين الكتانيين الأخوين يخرج بنا عن الموضوع ، أقول مر بنا الشيخ عبد الحي في (وجدة) وأنا عند العالم الأديب الشاعر المتفنن في علوم كثيرة الشيخ أحمد سكيرج قاضي القضاة بناحية (وجدة) معلما لولده الأديب السيد عبد الكريم وابن أخيه السيد عبد السلام كنت أعلمهما الأدب العربي بدعوة من الشيخ أحمد سكيرج فمدحت عبد الحي بقصيدة ضاعت مني ولا أذكر شيئا منها ولكنه أعجب بها أيما اعجاب، حتى قال لي عاهدني انك اذا قدمت (فاسا) تنزل عندي ضيفا فعاهدته على ذلك. ففي ربيع الأول من سنة أربعين من هذا القرن الهجري سافرت الى فاس ونزلت عنده. وولد له في تلك الأيام ولد سماه عبد الأحد فالتمس مني نظم أبيات في التهنئة وتاريخ مولده فنظمتها ولا أذكر منها شيئا وفي اليوم السابع من مولده عمل مأدبة عظيمة دعا لها خلقا كثيرا وبعد ما أكلوا وشربوا قاموا (للعمارة)[1] التي تقدم ذكرها ودعوني أن أشاركهم في باطلهم فامتنعت **لأن من شروط التجاني المخلص أن لا يذكر مع أهل طريقة أخرى ذكرهم** وأن لا يرقص معهم وفي كتاب البغية للشيخ العربي ابن السايح وهو شرح المنية للتجاني ابن بابا الشنقيطي حكاية في وعيد شديد لمن يشارك أصحاب الطرائق الأخرى في أورادهم وأذكارهم **وحاصلها أن شخصا تجانيا ذهب الى زاوية أهل طريقة أخرى لغرض دنيوي فاستحى أن يبقى منفردا عنهم وهم يذكرون وظيفتهم فشاركهم في الذكر فلما فتح فَاهُ ليذكر معهم أصابه شلل في فكيه فبقي فاه مَفْغوراً ولم يستطع سده حتى مات .** ولكن الجماعة الحوا علي وجروني جرا حتى أوقفوني في حلقتهم فرأيت أفواها مفغورة من وجوه بعضها فيه لحية سوداء وبعضها فيه لحية خطها الشيب وبعضها أمرد ليس له لحية من الغلمان الذين لم يلتحوا بعد ، أما حلق اللحي فلم يكن موجودا في ذلك الزمن الا عند الفرنسيين المستعمرين وقليل جدا من حواشيهم وسمعت أصواتا تنبعث من

---

(١) ذكر بالرقص والتمايل .

تلك الأفواه ليس لها معنى في أي لغة بعضها آآآ وبعضها آه آه آه ، وبعضها أح أح أح فاستنكرت تلك الهيئة وقلت في نفسي ان الله لا يرضى بهذه الحالة أن تكون عبادة له لبشاعتها ثم ندمت على ذلك ندامة الكسعي أو الفرزدق حين طلق نوار فقال :

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكَسْعِيِّ لما غدت مني مطلقةٌ نوارُ
وكانت جنتي فخرجتُ منها كآدم حين أخرجه الضِّرَارُ

وقلت في نفسي كيف يسوغ لي أن أنكر شيئا حضر مثله **خاتم الأولياء القطب سيدي أحمد التجاني** فتبت من ذلك الخاطر ولكن جاءني امتحان آخر وذلك أن الشيخ عبد الحي الكتاني **قال لي منتقدا: إن الطريقة التجانية مبنية على شفا جرف** وأنه لا ينبغي لعاقل أن يتمسك بها فقلت له: (والطريقة الكتانية التي **أنت شيخها)؟ فقال لي كل الطرائق باطلة وانما هي صناعة للاحتيال على أكل أموال الناس بالباطل وتسخيرهم واستعبادهم ، فقلت اذن أنت تستحل أموال الناس بالباطل وتسخرهم وتستعبدهم ، قال: أنا لم أؤسس الطريقة وانما أسسها غيري** وهذه الأموال التي آخذها منهم أنفقتها في مصالح لا ينفقونها هم فيها. ثم قلت له : ومن الذي حملك على الطعن في الطرائق وما دليلك على بطلانها ؟ قال لي: **ادعاء كل من الشيخين أن النبي ﷺ يحضر بذاته وظيفة أصحابة حين يذكرونها وهذه قلة حياء منهما،** وعدم تعظيم للنبي ﷺ كيف تكلفونه أن يخرج من قبره ويقطع هذه المسافات من البر والبحر ليجلس أمامكم فأنتم تبسطون له ثوبا أبيض ليجلس عليه وأصحابنا يقومون ويذهبون الى الباب ليتلقوه فقلت: اذن أنت لا تعتقد صحة طريقتك؟ فقال: لا اعتقدها أبدا وقد أخبرتك أنها صناعة لأكل أموال الناس بالباطل. وأزيدك على ذلك أن اعتماد طريقتكم على كتاب (جواهر المعاني) الذي تزعمون أن شيخكم أحمد التجاني أملاه على علي حرازم نصفه مسروق فأحد المجلدين وهو الأول مسروق بالحرف وهو تأليف لمحمد عبد الله المدفون بكذا وكذا بفاس وسمي ناحية نسيتها الآن ، قال وأنا قابلت الكتابين من أولها الى آخرهما فوجدت

المجلد الأول من (جواهر المعاني) مسروقا كله من كلام الشيخ المذكور ففارقته.

وبعد أيام كنت جالسا عند الشيخ عمر بن الخياط بائع الكتب بقرب القرويين فقال لي : هل اجتمعت بالاستاذ الشيخ محمد بن العربي العلوي ، فقلت لا ، فقال لي هذا الرجل من افضل علماء فاس وعنده خزانة كتب لا يوجد مثلها في فاس وأثنى عليه بالعلم والأدب فقلت له أنا لا أجالس هذا الرجل ولا أجتمع به لأنه يبغض الشيخ أحمد التجاني ويطعن في طريقته فقال لي : إن طالب العلم يجب أن يتسع فكره وخلقه لمجالسة جميع الناس وبذلك يتسع علمه وأدبه ولا يجب عليه أن يقلدهم في كل ما يدعون ، يأخذ ما صفا ويدع ما كدر وان لم تجتمع بهذا الرجل يفوتك علم وأدب كثير فذهبت اليه لاجتمع به وكان قاضيا في محكمة فاس الجديدة فنظمت أربعة أبيات لا أحفظ منها الا شطر البيت الرابع وهو (وهذا مدى قصدي وما أنا مستجد) ... أعني أن غرضي بالاجتماع بك المذاكرة العلمية فهي غاية قصدي وان اعتبرنا ما موصولة يكون المعنى والذي استجديه أي أطلب وان اعتبرناها نافية تميمية يكون المعنى ولست مستجديا أي طالبا مالا فلما خرج من المحكمة وأراد أن يركب بغلته التي كانت على باب المحكمة ولجامها بيد خادمة تقدمت اليه وأعطيته الصحيفة التي فيها الأبيات فلما قرأها رحب بي وقال لطالب كان يرافقني وهو الحاج محمد بن الشيخ الأراري أنت تعرف بيتنا ، فقال نعم ، قال فات به على الساعة التاسعة صباحا فخرجت مع الرفيق المذكور من مدرسة الشراطين وكان يسكن فيها على الساعة الثامنة والنصف لنصل الى الشيخ على الساعة التاسعة وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وهو يوم عيد عند المغاربة وكثير من البلدان الاسلامية وفي المغرب طائفة يسمون (العيساويين) اتباع الشيخ بن عيسى المكناسي وهؤلاء لهم موسم في كل سنة يجتمعون فيه في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ويأتون من جميع أنحاء المغرب فيضربون طبولهم ومزاميرهم ويترنمون بأناشيدهم الى أن يظهر للناس انهم أصيبوا بالجنون **وحينئذ يفترسون الغنم والدجاج بدون زكاة بل يقطعونه بأظافرهم ويأكلون لحمه نيئا والدم يسيل منه وقد ملأوا أزقة فاس وهي**

ضيقة في ذلك الزمن وحتى في هذا الزمن فلم نستطع أن نصل الى بيت الشيخ الا بعد مضي ساعتين ونصف من شدة الزحام فلما وصلنا وأخبرنا بوابه ذهب ثم رجع الينا وقال انكما لم تجيئا في الموعد المضروب والشيخ مشغول عنده حكام فرنسيون فارجعا اليه بعد صلاة العصر فرجعنا وقلت لصاحبي لا نرجع اليه فقد كفانا الله شر لقائه لانه مبغض لشيخنا وطريقته فالخير فيما اختاره الله تعالى. فقال لي ليس الشيخ بملوم وقد اعتذر بعذر قائم والصواب أن نرجع اليه ، فرجعنا اليه بعد العصر ، ووجدت عنده من الترحيب والبشاشة الاكرام والتواضع ما لم أجده عند الشيخ الكتاني ولا عند أحد من علماء فاس.

وأخذنا في أحاديث أدبية وكان يقوم ويأتي بالكتب ويضعها أمامي . ووجدته كما قال السيد عمر بن الخياط ولما كادت الشمس تغرب استأذنته في الانصراف فقال لي الى أين تذهب أنت غريب في هذا البلد وهذا المكان معد للضيوف لا نحتاج اليه فامكث وبت هنا فقبلت دعوته وبعد ان صلينا المغرب جاء أصحابه أذكر منهم الشيخ عبد السلام الصرغيني والشيخ المهدي العلوي وهو لا يزال في قيد الحياة أما الأول فقد مات فأخذ بعضهم يلعب الشطرنج وهو يراهم ولا ينكر عليهم فقلت في نفسي هذا دليل على أنه من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم فهو جدير أن ينكر على أولياء الله ما خصهم الله به من كرامة ثم تركوا الشطرنج وأخذوا ينتقدون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها ويسخرون من أهلها وكل منهم يحكي حكاية. **فقال الشيخ عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم جاءني شاب كان متمسكا بالطريقة الكتانية تمسكا عظيما فقال لي أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة فقلت له : وما الذي دعاك الى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطا بها فقال لي : أنه أمس شرب الخمر وزنى وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه فهم أن**

يدخل الزاوية ويرقص معهم ولكنه أحجم عن ذلك لأنه جنب ولم يصل شيئا من الصلوات في ذلك النهار الا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ محمد بن عبد الكبير في صدر الحلقة والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص وكان أنشطهم فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه وقال (رأيت النبي ﷺ قبلك فاقتديت به)! قال ولما دعاني خفت خوفا شديدا وظننت أنه قد انكشف له حالي وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي فلما قال لي ذلك أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو اليه والا كيف يرضى عني النبي ﷺ ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم قال فهذا سبب مجيئي اليك لأتوب الى الله من الطرائق كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة .

ولما رأيتهم أنا يعيبون الطريقة الكتانية ويستهزئون بها أصابني خوف شديد وندمت على زيارتي للشيخ فقلت في نفسي هذا الذي كنت أخافه قد وقعت فيه فكيف الخلاص ؟

وذكرت قول التجاني بن بابا الشنقيطي في منيته :

ومن يجالس مبغضَ الشيخ هَلَكْ ... وضَلَّ في مَهَامِهِ وفي حَلَكْ
وشددَ النُهى لنا الرسولُ ... في ذاك فلتعملْ بما أقولُ
والشيخُ قال هو سمّ يَسْرِي ... يَحِلُّ مَنْ فِعَلَهُ في خسْر

ومعنى ذلك أن الشيخ أحمد التجاني قال قال لي سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناما قل لأصحابك لا يجالسوا المبغضين لك فان ذلك يؤذيني فصممت على أن أخرج من ذلك المجلس. فقمت فقال لي الشيخ الى أين فقلت الى بيت الخلاء ، كذبت عليه ، فلما وصلت الى الباب منعني البواب من الخروج وقال لي وهل أذن لك الشيخ في الخروج فقلت نعم فقال لي هذا محال لانك غريب والقانون الفرنسي يقضي بأن التجول بعد الساعة العاشرة ليلا فيه خطر فانك لا تمشي خطوات حتى يقبض عليك وتؤخذ الى السجن وتبقى فيه الى ضحى الغد وحينئذ ينظر في اطلاق سراحك. وقال لي أنا لا

أفتح لك الباب الا اذا سمعت الاذن من الشيخ فقلت له: اذن أرجعُ ورجعت وجلست في مكاني، ولم تخف حالي على الشيخ فقال لي أراك منقبضا فما سبب انقباضك فقلت سببه أنكم انتقلتم من الطعن في الطريقة الكتانية الى الطعن في الطريقة التجانية وأنا تجاني لا يجوز لي أن أجلس في مجلس أسمع فيه الطعن في شيخي وطريقته فقال لي لا بأس عليك أنا أيضا كنت تجانيا فخرجت من الطريقة التجانية لما ظهر لي بطلانها فان كنت تريد أن تتمسك بهذه الطريقة على جهل وتقليد فلك علي ألا تسمع بعد الآن في مجلسي انتقادا لها أو طعنا فيها. وان كنت تريد أن تسلك مسلك أهل العلم فهلم الى المناظرة فان ظهرت علي رجعت الى الطريقة، وان ظهرت عليك خرجت منها كما فعلت أنا فأخذتني النخوة ولم أرض أن أعترف أني أتمسك بها على جهل فقلت قبلت المناظرة .

مناظرة حول ادعاء الشيخ التيجاني في أنه رأى النبي في اليقظة :

قال الشيخ أريد أن أناظرك في مسألة واحدة ان ثبتت ثبتت الطريقة كلها وان بطلت بطلت الطريقة كلها ، قلت ما هي ؟ قال ادعاء التجاني أنه رأى النبي ﷺ يقظة لا مناما وأعطاه هذه الطريقة بما فيها من الفضائل فان ثبتت رؤيته للنبي ﷺ يقظة وأخذه منه الطريقة فأنت على حق وأنا على باطل والرجوع الى الحق وان بطل ادعاؤه فأنا على حق وأنت على باطل فيجب عليك أن تترك الباطل وتتمسك بالحق ثم قال تبدأ أنت أو أبدأ أنا فقلت: ابدأ أنت فقال عندي أدلة كل واحد منها كاف في ابطال دعوى التجاني قلت هات ما عندك وعلي الجواب فقال :

الاول: ان أول خلاف وقع بين الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ كان بسبب الخلافة قالت الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير وقال المهاجرون ان العرب لا تدعن الا لهذا الحي من قريش ووقع نزاع شديد بين الفريقَيْن حتى

شغلهم عن دفن النبي ﷺ فبقى ثلاثة أيام بلا دفن صلاة الله وسلامه عليه **فكيف لم يظهر لأصحابه ويفصل النزاع بينهم** ويقول الخليفة فلان فينتهي النزاع كيف يترك هذا الأمر العظيم **لو كان يكلم أحدا يقظة بعد موته لكلم أصحابه وأصلح بينهم وذلك أهم من ظهوره للشيخ التجاني بعد مضي الف ومائتي سنة ولماذا ظهر ؟ ليقول له أنت من الآمنين ومن أحبك من الآمنين ومن أخذ وردك يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب هو ووالده وأزواجه لا الحفدة فكيف يترك النبي ﷺ الظهور يقظة والكلام لأفضل الناس بعده في أهم الامور ويظهر لرجل لا يساويهم في الفضل ولا يقاربهم لامر غير مهم فقلت له :-**

أن الشيخ رضي الله عنه قد أجاب عن هذا الاعتراض في حياته فقال ان النبي ﷺ كان يلقى الخاص للخاص والعام للعام في حياته أما بعد وفاته فقد انقطع القاء العام للعام وبقي اللقاء الخاص للخاص لم ينقطع بوفاته وهذا الذي ألقاه الى شيخنا من اعطاء الورد والفضائل هو من الخاص للخاص **فقال أنا لا اسلم ان في الشريعة خاصا وعاما** لأن أحكام الشرع خمسة وهذا الورد وفضائله ان كان من الدين فلا بد أن يدخل في الأحكام الخمسة لأنه عمل أعد الله لعامله ثوابا فهو اما واجب أو مستحب ولم ينتقل النبي ﷺ الى الرفيق الأعلى حتى بين لأمته جميع الواجبات والمستحبات وفي صحيح البخاري عن علي ابن أبي طالب أنه قيل له هل خصكم رسول الله ﷺ معشر أهل البيت **بشيء فقال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة** ما خصنا رسول الله ﷺ بشيء الا فهما يعطاه الرجل **في كتاب الله** والا ما في هذه الصحيفة ففتحوها فاذا فيها العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر فكيف لا يخص النبي ﷺ أهل بيته وخلفاؤه بشيء ثم يخص رجلا في آخر الزمان بما يتنافى مع أحكام الكتاب والسنة فقلت ان الشيخ عالم بالكتاب والسنة وفي جوابه مقنع لمن أراد أن يقنع قال احفظ هذا .

الأمر الثاني : اختلاف أبي بكر مع فاطمة الزهراء رضي الله عنها على

الميراث فلا يخفي أن فاطمة طلبت من أبي بكر الصديق رضي الله عنه حقها من ميراث أبيها واحتجت عليه بأنه اذا مات هو يرثه أبناءه ، فلماذا يمنعها من ميراث أبيها ، فأجابها أبو بكر الصديق بأن النبي ﷺ قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة . وقد حضر ذلك جماعة من الصحابة فبقيت فاطمة الزهراء مغاضبة لأبي بكر حتى ماتت بعد ستة أشهر بعد وفاة أبيها ﷺ فهذان حبيبان لرسول الله ﷺ فانه قال فاطمة بضعة مني يسوءني ما ساءها أو كا قال عليه الصلاة والسلام وصرح بأن أبا بكر الصديق أحب الناس اليه ، وقال ما أحد أمن علي في نفس ولا مال من أبي بكر الصديق رواه البخاري . وهذه المغاضبة التي وقعت بين أبي بكر وفاطمة ، تسوء النبي ﷺ ، **فلو كان يظهر لأحد بعد وفاته لغرض من الأغراض لظهر لأبي بكر الصديق وقال له : اني رجعت عن عما قلته في حياتي فأعطها حقها من الميراث ، أو لظهر لفاطمة وقال لها يا ابنتي لا تغضبي على أبي بكر فانه لم يفعل الا ما أمرته به فقلت له ليس عندي من الجواب الا ما سمعت قال احفظ هذا .**

الأمر الثالث : الذي وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهة ، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى واشتد النزاع بينهم حتى وقعت حرب الجمل ، في البصرة فقتل فيها خلق كثير من الصحابة والتابعين وعقر جمل عائشة فكيف يهون على النبي ﷺ سفك هذه الدماء ووقوع هذا الشر بين المسلمين بل بين أخص الناس به ، وهو يستطيع ان يحقن هذه الدماء بكلمة واحدة وقد اخبر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة التوبة برأفته ورحمته بالمؤمنين وأنه يشق عليه كل ما يصيبهم من العنت وذلك قوله تعالى : ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ فقلت له ليس عندي من الجواب الا ما سمعت وظهوره وكلامه للشيخ التجاني فضل من الله ، والله يؤتي فضله من يشاء قال احفظ هذا وفكر فيه .

الأمر الرابع : خلاف علي مع الخوارج وقد سفكت فيه دماء كثيرة ، ولو ظهر النبي ﷺ لرئيس الخوارج وأمره بطاعة امامه لحقنت تلك الدماء ،

فقلت الجواب هو ما سمعت ، فقال لي احفظ هذا وفكر فيه ، فأني أرجو أنك بعد التفكير ترجع الى الحق .

والأمر الخامس : النزاع الذي وقع بين علي ومعاوية ، وقد قتل في الحرب التي وقعت بينهما خلق كثير ، منهم عمار بن ياسر ، فكيف يترك النبي ﷺ الظهور لأفضل الناس بعده وفي ظهوره هذه المصالح المهمة من جمع كلمة المسلمين واصلاح ذات بينهم وحقن دمائهم ، وهو خير المصلحين بقوله تعالى (واصلحوا ذات بينكم) وقوله تعالى : (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم) ثم يظهر للشيخ التجاني في آخر الزمان لغرض غير مهم وهو في نفسه غير معقول لأنه مضاد لنصوص الكتاب والسنة.

فلم يجد عندي جوابا غير ما تقدم ولكني لم أسلم له فقال فكر في هذه الأدلة وسنتباحث في المجلس الآخر ، فعقدنا بعد هذا المجلس سبعة مجالس كل منها كان يستمر من بعد صلاة المغرب الى ما بعد العشاء بكثير . وحينئذ ايقنت أنني كنت على ضلال ، ولكن أردت أن أزداد يقينا فقلت له (من معك من العلماء هنا في المغرب على هذه العقيدة وهي أن مسألة في العقائد أو في الفروع يجب أن نعرضها مع قصر باعنا وقلة اطلاعنا على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما ظهر لنا أنه موافق لها قبلناه وما ظهر لنا أنه مخالف رددناه) فقال لي يوافقني على هذا اكبر مقدم للطريقة التجانية في المغرب كله وهو الشيخ الفاطمي الشرادي ، فكدت أكذبه لأن المشهور في جميع انحاء المغرب ان هذا الرجل من كبار العلماء وهو أكبر مقدم للطريقة التجانية **ولم أقل أكبر شيخ لأن الشيخ التجاني لا يبيح لاحد أن يكون شيخا للطريقة سواه ، لان تلقيبه بالشيخ قد يفهم منه انه يجوز لغيره أن يتصرف في اوراد الطريقة وفضائلها وعقائدها وذلك ممنوع لان الذي أعطى هذه الطريقة هو النبي ﷺ يقظة لا مناما كما تقدم والمتلقي الاول لها هو الشيخ أحمد التجاني والنبي ﷺ سماه شيخا لهذه الطريقة ، وكل ناشر للطريقة وملقن لأورادها يسمى مقدما فقط فالطريقة لها**

مصدر واحد وشيخ واحد ولا يجوز تعدد المصدر ولا تعدد الشيخ حسبما في كتب الطريقة .

مع الشيخ الفاطمي الشرادي : -

فتوجهت الى الشيخ الفاطمي رحمه الله وكان الوقت ضحى وقد أوصاني شيخنا محمد بن العربي ألا أسأله الا في خلوة فوجدت عنده جماعة فانصرف بعضهم وجاء آخرون وبقيت عنده أنتظر أن أخلو به حتى صلينا الظهر وجاء الغداء فلم استطع ان اخلو به وكان ثلاثة ممن كانوا في مجلسه حاضرين فقلت له ان الشيخ محمد بن العربي العلوي يقول يجب علينا ان نعرض جميع المسائل أصولا وفروعا على كتاب الله وسنة رسوله فما وافق في نظرنا القاصر قبلناه وما خالف رددناه ولو قال به الامام مالك أو الشيخ أحمد التجاني فاشار الي بيده يستمهلني وكان جلوسي عنده قد طال فانصرفت الى مدرسة الشراطين حيث كنت نازلا قبل لقائي بالشيخ العلوي وفي ذلك اليوم بعد صلاة العشاء جاءني بواب المدرسة وقال لي أن الشيخ الفاطمي الشرادي أرسل اليك عبده وبغلته يطلب أن تزوره فتعجبت كثيراً لأمرين أحدهما أن الوقت ليس وقت زيارة وثانيهما أنه لم تجر العادة أن كبار العلماء الطاعنين في السن ، يبعثون الدابة للركوب الا لمن هو مثلهم في السن والعلم وأنا شاب فركبت البغلة وسار العبد أمامي حتى وصلت إليه وسلمت عليه فرد أحسن رد ورحب بي وقال لي يا ولدي أنا رجل كبير طاعن في السن ليس لي قدره على القتال أما سيدي محمد بن العربي العلوي فهو شاب مستعد للقتال وأنت سألتني أمام الناس عن مسألة مهمة لا يسعني أن أكتم جوابها ولا أستطيع أن أصرح به أمام الناس فاعلم أن ما قال لك سيدي محمد بن العربي العلوي هو الحق الذي لا شك فيه وقد أخذت الطريقة القادرية وبقيت فيها زمانا ، ثم أخذت الطريقة الوزانية وبقيت فيها زمانا ، ثم أخذت الطريقة التجانية والتزمتها حتى صرت مقدما فيها فلم أجد في هذه الطرائق فائدة وتركتها كلها ولم يبق عندي من التصوف إلا طلب الشيخ المربي على الكتاب والسنة علما وعملا ولو وجدته

لصاحبته وصرت تلميذاً له وأنت تريد أن تسافر إلى الشرق فان ظفرت بشيخ مرب متخلق بأخلاق الكتاب والسنة علماً وعملا فاكتب إلي وأخبرني به حتى أشد الرحال اليه فازددت يقينا بالنتيجة التي وصلت اليها في مناظرتي مع الشيخ العلوي . **ولو كان عندي من العلم مثل ما عندي الآن لقلت له أن ضالتك المنشودة هي أقرب اليك من كل قريب فان هذا الشيخ الذي تطلبه وتريد أن تشد الرحال اليه ولو بعدت الدار وشط المزار هو أنت نفسك** . بشرط أن يكون عندك العزم التام على العمل بالكتاب والسنة وطرح التقليد جانبا كيفما كان الامر فجزاهم الله خيرا وتغمدهما برحمته .

مع الشيخ عبد العزيز بن ادريس :

وبعد ذلك بعشرين سنة اجتمعت مع الشيخ عبد العزيز بن ادريس من علماء تطوان وهو أحد تلامذة الشيخ الفاطمي فذكرت له الحكاية السالفة فقال لي وأنا أيضا وقع لي ما يشبه هذا فاني بعد اتمام دراستي في جامع القرويين ذهبت اليه وهو أفضل شيوخي فقلت له أيها الشيخ أريد أن أرجع الى وطني تطوان فأريد أن تزودني بدعائك الصالح وأن تلقنني ورد الطريقة التجانية فقال لي يا أسفى عليك أنت تحفظ كتاب الله وقد درست العلوم الالهية التي تمكنك من فهم كتابه وسنة رسوله ﷺ ولم يكفك ذلك كله حتى تطلب الهدى في غيره، والطريقة لا شيء فعليك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فكشف الله عني بفضله ظلام الشرك والبدعة وفتح لي باب التوحيد والاتباع فله الحمد والمنة نسأله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة انه الهادي الى الصراط المستقيم [1] انتهى منه بلفظه .

---

(١) الهدية الهادية من ص ٧ ـ ٢١

شهادة الشيخ عبد الرحمن الوكيل :

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد خاتم النبيين ، وسيد ولد آدم أجمعين ، وبعد : فإنه كانت لى بالتصوف صلة ، هى صلة العبرة بالمأساة ، فهنالك ـ حيث كان يدرج بي الصبًا في مدارجه السِّحْرِيَّة ، وتستقبل النفس كل صروف الأقدار بالفرحة الطروب ، وتستثني الروح رُبى الجمال والحب من كل معاني الحياة ـ هنالك تحت شفوف الأسحار الوردية من ليالي القرية الوادعة الحالمة ، وفي هيكل عبق بغيوم البخور ، جَثَمَ على صدره صنم صغير يعبده كثير من شيوخ القرية ، هنالك في مطاف هذه الذكريات الولهى : كان يجلس الصبي بين شيوخ تغضنت منهم الجباه ، وتهدلت الجفون ، ومشى الهرم في أيديهم خفقات حزينة راعشة ، وفي أجسادهم المضنية تحولا ذابلا ، يَتَراءونَ تحت وَصْوَصَة السراج الخافت أوهامَ رجاء ضَيعته الخيبة ، وبقايا آمال عصف بها اليأس .

وتَتَهدَّج ترانيم الشيوخ تحت السحر ـ نواحا بينها صوت الصبي ـ بالتراتيل الوثنية ، **وما زال الصبي يذكر أن صلوات ابن بشيش ، ومنظومة الدردير كانتا أحب التراتيل الى اولئك الشيوخ ، وما زال يذكر أن أصوات الشيوخ كانت تشرق بالدموع ، وتئن فيها الآهات حين كانوا ينطقون من الأولى : « اللهم انشلني من أوحال التوحيد !! » ومن الثانية « وجدلى بجمع الجمع منك تفضلا» يا للصبي الغرير التعس المسكين !! فما كان يدري أنه بهذه الصلوات المجوسية يطلب أن يكون هو الله هوية وماهية وذاتا وصفة !! ما كان يدري ما التوحيد الذي يضرع الى الله أن ينشله من أوحاله !! ولا ما جمع الجمع الذي يبتهل الى الله أن يمن به عليه !! .**

ويشب الصبي ، فيذهب الى طنطا ليتعلم ، وليتفقه في الدين . وثمت يسمع الكبار من شيوخه يقسمون له ، ولصحابه : أن « البدوى » قطب الأقطاب ،

يصرف من شئون الكون ، ويدبر من أقداره وغيوبه الخفية !! ويجرؤ الشاب مرة فيسأل خائفا مرتعدا : وماذا يفعل الله ؟! ويهدر الشيخ غضبا ، ويزمجر حنقا ، فيلوذ الشاب بالرعب الصامت ، وقد استشعر من سؤاله ، وغضب الشيخ ، أنه لطخ لسانه بجريمة لم تكتب لها مغفرة !! ولم لا ؟ والشيخ هذا كبير جليل الشأن والخطر ، وما كان يستطيع الشاب أبدا أن يفهم أن مثل هذا الحبر الأشيب ـ الذي يسائل عنه الموت ـ يرضى بالكفر ، أو يتهوك مع الضلال والكذب. فصدق الشاب شيخه ، وكذب ما كان يتلو قبل من آيات الله (١٠ : ٣ ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه) !! ثم يقرأ الشاب في الكتب التي يدرسها : أن الصوفي فلانا غسلته الملائكة ، وأن فلانا كان يصلي كل أوقاته في الكعبة ، في حين كان يسكن جبل قاف ، أو جزائر واق الواق !!! **وأن رسول الله ﷺ مدّ يده من القبر وسلم على الرفاعي !!** وأن فلانا عذبته الملائكة ، لأنه حفظ القرآن والسنة وعمل بما فيهما ، ولكنه لم يحفظ كتاب الجوهرة في التوحيد !!! وأن مذهبنا في الفقه هو الحق وحده ، لأنه أحاديث حذفت أسانيدها !!! ويصدق الشاب بكل هذا ، ويؤمن ، وما كان يمكن إلا أن يفعل هذا .

إذ قال في نفسه : لو لم تكن هذه الكتب حقا ، ما درست في الأزهر ، ولا درسها هؤلاء الهرمون من الأحبار ، ولا أخرجتها المطبعة !! وهل كان يمكن أن يسأل نفسه مثلا مثل هذا السؤال : أين من الحق البين من كتاب الله ، هذا الباطل العربيد في هذه الكتب ؟! لا فلقد جيء به الى طنطا ليتفقه في الدين على هؤلاء الشيوخ ، وها هو فقه الدين يسمعه من الشيوخ ، ويقرؤه في الكتب ، وحسبه هذا !!

وتموج طنطا بالوفود ، وتعج بالآمين بين الطاغوت الأكبر من كل حدب ، ويجلس الشاب في حلقة يذكر فيها الصوفية اسم الله بخنات الأنوف ، ورجات الأرداف ، ووثنية الدفوف ، وثمة يسمع منشد القوم يصيح راقصا : « ولى صنم في الدير أعبد ذاته» فتتعالى أصوات الدراويش طروبة الصيحات : « إيوه كِدَه اكفر ، اكفر يامر بي » ويرى الشاب على وجوه القوم فرحا وثنيا راقص الاثم

بما سمعوا من المنشد الكافر ، فيسأل شيخنا ممن وفدوا من أهل قريته : يا سيدي الشيخ ، ما ذلك الصنم المعبود ؟! فيزم الشيخ شفتيه ، ثم يجود على الشاب الواله الحيرة بقوله : « انته لسه صغير » !! ويسكت الشاب قليلا ، ولكن الكفر يضج في النعيق ، فيسمع المنشد يقيء « سلكت طريق الدير في الأبدية » « وما الكلب والخنزير الا الهنا » ويطوى الشاب نفسه على فزع وعجب يسائل الذهول : ما الكلب ؟ ما الخنزير ؟ ما الدير ؟ وأني للذهول بأن يجيب ؟! ولقد خشى أن يسأل أحد الشيوخ ما دام قد قيل له : « انته لسه صغير » ثم انه رأى بعض شيوخه الكبار يطوفون بهذه الحمآت يشربون «القرفة» ويهنئون الأبدال والأنجاب والأوتاد بمولد القطب الغوث سيدهم السيد البدوي !!!

وتكفن دورات الفلك من عمر الشاب سنوات ، فيصبح طالباً في كلية أصول الدين ، فيدرس أوسع كتب التوحيد ـ هكذا تسمى ـ ، فيعي منها كل شيء إلا حقيقة التوحيد ، بل مازادته دراستها الا قلقاً حزينا ، وحيرة مسكينة . ويجلس الشاب ذات يوم هو وصديق من أصدقائه مع شيخ صوفي أُمي . فيسألها عن معاني بعض تهاويل ابن عطاء الله السكندري «ارادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية ، وإرادتك الأسباب ، مع إقامة الله إياك في التجريد ، انحطاط على الهمة العلية» . ويحار الطالبان ، ولا يدريان بم يجيبان هذا الأمى عن هذه الحكم المزعومة ـ وقد عرفا بعد أنها تهدف إلى تقرير أسطورة رفع التكليف ـ فتمتلىء نفساهما بالغم المهموم ، إذ رسبا في امتحان عقده لهما أمى صوفي ؟!

ويدور الزمن فيصبح الشاب طالباً في شعبة التوحيد والفلسفة . ويدرس فيها التصوف ، ويقرأ في كتاب صنفه أستاذ من أساتذته ، رأى ابن تيمية في ابن عربي. فتسكن نفس الشاب قليلا إلى ابن تيمية ، وكان قبل يراه ضالا مُضلاً . فبهذا البهتان الأثيم نعته الدردير !! .

وكانت عنده لابن تيمية كتب ، بيد أنه كان يرهب مطالعتها ، خشية أن يرتاب في الأولياء ، كما قال له بعض شيوخه من قبل !!

وخشيـة أن يضل ضـلال ابن تيميـة . ويقرأ الشـاب ، ويستغرق في القراءة ، ثم ينعم القدر على الشاب يصبح مشرق يهتك عنـه حجب هذا الليل ، فيقر به سراه المضني عند جماعة أنصار السـنة المحمدية ، فكأنما لقي بها الواحة الندية السلسبيل بعد دوي ملتهب الهجير . لقد دعته الجماعة على لسان منشئها فضيلة والـدنـا الروحي الشيخ محمد حامد الفقي الى تدبر الحق والهدى من الكتاب والسـنـة ، فيقرأ الشـاب ويتدبر ما يقرأ ، وثمت رويدا رويدا ترتفع الغشاوة عن عينيـه ، فيبهره النور السماوي ، وعلى أشعته الهاديـة يرى الحقـائق ، ويبصر القيم . يرى النور نوراً ، والايمان إيمـانـا ، والحق حقـاً ، والضلال ضلالا ، وكان قبل ـ بسحر التصوف ـ يرى في الشيء عين نقيضـه . فيؤمن بـالشرك تـوحيـدا ، وبـالكفر إيمـانـا ، وبالمادية الصماء من الوثنية : روحانية عليا ، ويدرك الشاب ـ وهو لا يكاد يصـدق ـ أن التصـوف دين الـوثنيـة والمجـوسيـة ، دين ينسب الربوبية والالهيـة الى كل زنـديق ، وكل مجرم ، وكل جريمـة !! دين يرى في ابليس ، وفرعون ، وعجـل السـامرى ، وأوثـان الجـاهليـة ، يرى في كل هـؤلاء الـذين لعنتهم كتب الله ، بـل لعنتهم حتى العقول ، يرى فيهم أربابـاً وآلهـة تهيمن على القـدر في أزلـه وأبـده ، دين يرى في كل شيء إلهـاً يجب أن يعبـد ، وربـاً يخلـق مـا يشـاء ويختار ، دين يقرر أن حقيقـة التوحيـد الأسمي : هي الإيمـان بـأن الله ـ سبحـانـه ـ عين كل شيء . دين لا تجـد فيـه فيصـلا بين القيم ، ولا بين حقـائـق الأشيـاء ، ولا بين الضـد وضـده ، ولا بين النقيض ونقيضـه . دين يقـول عن الجيف ـ يتـأذى منهـا النتن ، وعن الميكروبات تفتك سمومها بالبشرية ـ إنها هي الإله ، وسبحان ربنـا !! دين يقول عن القـاتل ، عن السـارق، عن البـاغي، عن كل وغـد تسفّل في دنـاءتـه ، عن كل طـاغيـة بغى في تجبره . يقول عن كل هؤلاء : إنهم تعينـات الذات الالهية !! فأي إله هذا الذي يقتل ، ويبغى ، ويفسـد في الأرض ؟ أى إلـه هـذا الـذي يـدب تحت جنح الليـل تتلظى في عينيـه ، وعلى يـديـه الإثم

والجريمة الضارية ؟ أي إله هذا الذي يلعق دم الضحايا يبرد به غلته ، ويخضب بدماء الأعراض التي سفحها يديه الظالمتين ؟ أي إله هذا الذي مشى في أيام التاريخ ولياليه بطشا وظلما وجبروتا يدمر ، ويخرب ، ويصنع القصة الأولى لكل جريمة خاتلة ؟! ومن يكون إلا إله الصوفية الذي ابتدع أسطورته سلف ابن عربي ، وابن الفارض وغيرهما !!؟ .

أيتها البشرية التي تهاب القانون ، أو ترهب السماء !! ها هو دين التصوف يناديك ملحا ملهوف النداء : أن تنحدري معه الى حيث تترعين من كل خمرة مخمورة ، وتتلطخين بكل فسق ، وتتمرغين في أوحال الإثم !! وأنتم أيها العاكفون في المساجد : لا حاجة بكم إلى الصلاة والصوم والحج والزكاة ، بل لا حاجة بكم إلى رب تحبونه وتخافونه ، وترجونه ، ولا الى إله تعبدونه .

لم هذا الكدح والجهاد والنصب والعبودية ؟ لم هذا وكل فرد منكم في حقيقته هو الرب ، وهو الإله كما يزعم الصوفية !! ؟ ألا فاطلقوا غرائزكم الحبيسة ، ودعوها تعيش في الغاب والدغل وحوشاً ضارية ، وأفاعي فتاكة ! وأنتم يا بني الشرق ! دعوا المستعمر الغاصب يسومكم الخسف والهوان ، ويلطخ شرفكم بالضعة ، وعزتكم بالذل المهين ، ويهيمن على مصائركم بما يهوي بطشه الباغي ، وبغيه الظلوم . دعوه يهتك ما تحمون من أعراضٍ ، ويدمر ما تشيدون من معالٍ ، وينسف كل ما أسستم من أمجاد ، ثم الثموا ضارعين خناجره وهي تمزق منكم الحشاشات ، واهتفوا لسياطه ، وهي تشوى منكم - أذلاء - الجلود . فما ذلك المستعمر عند الصوفية سوى ربهم ، تعين في صورة مستعمر .

دعوا المواخير مفتحة الأبواب ، ممهدة الفجاج . ومباءات البغاء تفتح ذراعيها الملهوفتين لكل شريد من ذئاب البشر ، وحانات الخمور تطغى على قدسية المساجد ، وأقيموا ذهبي الهياكل للأصنام ، وارفعوا فوق الذرى منتن الجيف ، ثم خروا ساجدين لها ، مسبحين باسم ابن عربي وأسلافه وأخلافه . فقد أباح لكم أن تعبدوا الجيفة ، وأن تتوسلوا إلى عبادتها بالجريمة !!

ذلكم هو دين التصوف في وسائله وغاياته ، وتلك هي روحانيته العليا !!

ألا فاسمعوها غير هيابة ولا وجلة ، واصغوا إلى هتاف الحق يهدر بالحق من أعماق الروح : إن التصوف أدنأ وألأم كيد ابتدعه الشيطان ليسخر معه عباد الله في حربه لله ، ولرسله . إنه قناع المجوسي يتراءى بأنه رباني ، بل قناع كل عدو صوفي العداوة للدين الحق . فتش فيه تجد برهمية ، وبوذية، وزرادشتية ، ومانوية وديصانية . تجد أفلوطينية ، وغنوصية ، تجد يهودية ونصرانية . ووثنية جاهلية ، تجد فيه كل ما ابتدعه الشيطان من كفر ، منذ وقف في جرأة صوفية يتحدى الله ، ويقسم بعزته أنه الذي سيضل غير المخلصين من عباده . تجد فيه كل هذا الكفر الشيطاني ، وقد جعل منه الشيطان كفراً جديدا مكحول الإثم متبرج الغواية ، متقتل الفتون ، ثم سماه للمسلمين : « تصوف » وزعم لهم - وأيده في زعمه القدامى والمحدثون من الأحبار والرهبان - أنه يمثل أقداس المظاهر الروحية العليا في الإسلام !! أقولها عن بينة من كتاب الله ، وسنة خير المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وبعون من الله ، سأظل أقولها ، لعلى أعين الفريسة التعسة على أن تنجو من أنياب هذا الوحش الملثم بوشاح الدعة الحانية العطوف .

ولكن الصوفية سوداً وبيضاً ، خضراً وحمرا ، سلوهم : ما ردكم على هذا الصوت الهادر من أعماق الحق ؟ سيقولون ما قالت وثنية عاد « إن نراك االا اعتراك بعض آلهتنا بسوء » وآلهتهم هي قباب أضرحة الموتى وأعتابها !! دمغناهم بالحق ، فراحوا يعوون عواء اللص الحذر ، وقع فجأة في قبضة الحارس ، وجأروا بالشكوى الذليلة إلى النيابة ، فلم تر النيابة فيمن يمسك بالبرىء إلا مجرماً ، وشكوا إلى رئيس حكومة سابق ، وختموا الشكاة بهذه الضراعة الذليلة : « والله سأل لمقامكم الرفيع الخير والسؤدد في ظل حامي الدين حضرة صاحب

الجلالة الملك المعظم صان الله عرشه ، وأيد حكومته الرشيدة ، وألهمها التوفيق »[1] ، فلم ير الرئيس السابق فيمن يثرم أنياب الرقطاء مجرماً . وطاخ الحق ببغى إلهم وملاذهم حامي دينهم ، كما كانوا يلقبونه .

وما زلنا ـ بعون من الله نستلهمه ـ بكتاب الله نتحداهم ، وبسنة رسوله ﷺ نحاججهم ، والله على كل شيء شهيد ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سيقول الناعمون ـ من ذوي الألسنة التي استمرأت كلمات الذل والعبودية ، وليونة النفاق ، وممن يتملقون الجماهير على حساب الحق ، ويزعمون أنهم لا يحبون إثارة شقاق ، أو جدال ، ولا الطعن على أحد ـ سيقول هؤلاء : ما هكذا يكون النقد ، ولا هكذا يكون البحث العلمي !! لا . أيها المدللون الخانعون للأساطير ، فإنا لسنا أمام جماعة مسلمة ، فنخشى إثارة الشقاق بينهم ، ولو خشى الرسول مثل هذا لما لأ قريشاً على حساب الحق، ولكنه ﷺ أطاع أمر ربه (١٥ : ٩٤ فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) ووعى قلبه ـ المشرق المؤمن الطهور التقى ـ موعظة ربه فيما قال له العلى الكبير (٦٨ : ٩ ودوا لو تدهن فيدهنون) وفيما قال له (١٧ : ٧٥ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ، لتفتري علينا غيره ، واذاً لا تخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا ، إذاً لأذقنا لا ضعف الحياة ، وضعف المات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) فكان سيد ما يستغفر به الرسول الكريم الأمين ربه : « اللهم أنت ربي ، لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت » فكيف بنا نحن الذين أمِرنا أن نجعل الرسول وحده لنا الأسوة؟!

ولسنا كذلك أمام فئة تحترم العقل ، بل تزدريه وتحقره ، ثم تهب في قحة طاغية الجراءة لتشتم الله ، وتذود عن إبليس وفرعون وعباد العجل والوثن ، داعية المسلمين إلى اتخاذ هؤلاء أرباباً وآلهة ، وسيرد على القارىء عشرات

---

(١) قدموا هذه الشكوى بتاريخ ٤ أغسطس سنة ١٩٥١

النصوص من نصوص ابن عربي وتائية ابن الفارض شهيدة عليهم بما ذكرت ، وابن عربي وابن الفارض قطبا التصوف ، وإماما الصوفية المعاصرة . فكيف يعاب علينا أننا ندافع عن دين الله ، وأنا نقول للشيطان : إنك أنت الشيطان ؟! ماذا نقول عن رجل - وهو ابن عربي - يفترى أدنأ البهتان على الله ، فيصوره في صورة رجل وامرأة يقترفان الإثم ، مؤكداً لأتباعه أن الجسدين الآثمين هما في الحقيقة ذات الله ، سبحانه ؟! وسبحان رب العزة عما يصف الآثم .

فهل نلام إذا هتكنا القناع عن وجه هذا الرجل ، ليبصره المخدعون به ، ليبصره مسخاً ثانيا للشيطان ؟ إننا في ميدان مستحر الأتون ، يقاتلنا فيه عدو دنىء يتراءى أنه الأخ الشفيق الحنو ، الندى الرحمة ، فلا أقل من أن نحاربه بما يدفع ضره وشره ، ويحول بينه وبين القضاء على الرمق الذابل من عقائد المسلمين ، وبين تشتيت الحشاشة الباقية من الجماعة الإسلامية . [1] **أهـ منه بلفظه .**



(١) مقدمة كتاب تنبيه الغبي الى كفر ابن عربي من ص ٣ - ١٠ ، بقلم عبدالرحمن الوكيل .

محتويات الكتاب

الباب الثالث

الفصل الخامس :

الباب الخامس :

الباب السادس :

☆ ☆ ☆